

قهر مبادئ الذين يستهترون بالتورل فينبغون احسن اولئك الذين عداهم الله واولئك هم اولو الالباب

الفتح

١٣١٥

خبرنا كثيرا وبيد صكر الا اولو الالباب
بوقى الحكمة من يشاء ومن يؤمن الحكمة قد أتتني

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كنفار الطريق

(مصر - الأحد ٣٠ المحرم ١٣٢٧ - ٢١ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٩)

فاتحة السنة الثانية عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ، ولا جعل علينا فيما شرعه لنا من الدين حرجاً ، بل جعل مع السريراً ومع الشدة فرجاً ، ومن يثق بالله بإقامة سنته يجعل له فرجاً ، ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً

والصلاة والسلام على من بعث الى الايض والأحر ، وقام بأمر ربه ١٥ : ٩٤ فأصدع بما تؤمر ، ففكر به قومه ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه ، فهاجر من وطنه ووطنهم فقبوه وحاربوه ، حتى شجروا

رأسه ، وكسر واسنه ، وعذبوا من اتبعه من ضمفاء المؤمنين ، فصبر وصبروا حتى كانت العاقبة للمتقين ، ١١٦ : ٣٧ وَنَصَرْنَاكُمْ فَكَانُوا مِنْ الْفَالِقِينَ •

وبعد فإنا نقص في فأحة منار هذه السنة وهي الثانية عشرة له ، نبأ من تاريخه الصريح ، الذي كنا نشير اليه بالتلويح ، تذكيراً وتفصيلاً للقراء السابقين ، وعبرة للقراء اللاحقين ، وأخص الثمانيين الذين طالما ارتعدت فرائصهم عند ذكر المنار ، حتى ربما كنى عنه محبوه بلفظ المنار ، أنشئ المنار في أواخر شوال سنة ١٣١٥ وكان صحيفة ذات ثمان صفحات ، وقد بينت في المدد الأول منه الغرض من انشائه ، ومذهبه في الإصلاح الديني والاجتماعي والأدبي ، وسكت عن بيان منهاجه في الإصلاح السياسي ، مع التصريح بزعمه الثمانية ، وخدمته للدولة العلية ، وإنما أسكتني عن ذلك الأستاذ الامام (الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى) فقد كنت استشرته في انشائه ، وقرأت له تلك الفأحة قبل طبعا ، وكان فيها ان من مقاصده بيان حقوق الامة على الامام ، وحقوق الامام على الامة ، فاستحسن كل ما أودعته تلك الفأحة الا هذه الكلمة ، فاقترح عليّ ان أحذفها ، ولم يراجعني في شيء غيرها ، وكان مما قاله في ذلك : « ان المسلمين ليس لهم امام في هذا العصر غير القرآن » ، وان الخوض في السياسة الثمانية فتنة يخشى ضررها ولا يرجى نفعها ، وان الناس هنا لا يحبون ان يسمعوا في السلطان والدولة الا ما يشتهون ، ومصر ليس فيها سياسة ، والمسلمون لا ينهضون الا بالترية والتعليم ، فلا تخطط السياسة بمقاصدك الاصلاحية لئلا تفسدها عليك ، فانها ما دخلت في عمل الا وأفسدته هذا معني ما قاله ، وقد حذف تلك الكلمة استجابة له ، وليت

السياسة تركتني كما تركتها ، أو سألتي كما سألتها ، ولكن أبي عليها
الخرق والفتور ، الا ان تجاهد مني غير عدو ، فأذنتني بالحرب ، وأذنتني
في الأهل والصحب ، حتى أجباني اعتداؤما على حقيقتي ، الى التعصي
في استعراف ظلمها لامتي ، ثم الى الدخول في زمر المجاهدين ، لرؤسائها
واعوانها الظالمين ، ٥١:٥٥ ؛ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُتَّصِرِينَ
جئت مصر وأنا أحسنُ الظنِّ بالسلطان ، دون من يحيط به من
الوزراء والقرناء والخصيان، وأسئ الظن بطلاب الاصلاح من الاحرار،
واعتقد أنهم انما يطلبون الرتب والالوسمة والدينار ، وقد كنت أصرح
بهذا وذلك في السنة الاولى مع المطالبة بالاصلاح ، والشكوى من عاقبة
الظلم والافساد ، وما كنت لا قول الا ما اعتقد، وأبث الاما أعلم وأجد،
منع رشيد بك والي بيروت (أحد أركان الافساد في حكومة
الاستبداد) توزيع المدد الثاني من السنة الاولى وأرسل البرقيات الى
جميع أنحاء الولاية بوجوب جمع ما وزع منه واحراقه ، ولم يكن فيه
شيء مما كانت تنكره الحكومة في ذلك الوقت ، وانما فعل ذلك مرضاة
للشيخ أبي الهدى أفندي الصيادي ، الذي كان يعلم اني من حزب السيد
جمال الدين الأفغاني، فهو الذي أوعز الى الوالي بأن يصادر المنار، كما أوعز
بذلك الى بدرية باشا متصرف طرابلس الشام ، فصار كل منهما يمنع
بعض الاهداد، التي يؤذن بتوزيعها في الاستانة وغيرها من البلاد، حتى
هبطت الارادة السنوية، وصدرت الاوامر الملية ، بمنعه من جميع الولايات
العثمانية ، وذلك قبل ان يتم له نصف سنة !
لم يشف هذا غيظ أبي الهدى أفندي فأوعز الى بدرية باشا واهوانه

بأن يؤذوا والدي واخوتي ، وينذروا عشيرتي وذوي مودتي ، ولما رأى
 بدري باشا أن مجلس ادارة اللواء ، لا يوافق على ما يقصد من الايداء ،
 وان الايداء يغير يد الحكومة ، لا يشجع تلك النفس الضارية المهومة ،
 أبني هو وشيخته السيد الوالد (رحمه الله تعالى) نواجز الشر ، ثم أشخصوه
 الى مصر ، ليحطني على مشايمة ابي الهدى ، وعدم المبالاة بمن دونه من
 الوري ، وبعد طول المذاكرة رضي مني بأن اكتب اليه كتابا مني أئين
 له فيه أنه ليس من قصدي الطعن فيه وانني لا أريد الا الإصلاح ما
 استطعت ، وكتب هو اليه كتابا آخر ، فاعلم أن جاءنا منه الجواب
 وهذا نص ما كتبه الي بخطه :

الحمد لله وحده

من الفقير اليه تعالى محمد ابو الهدى الصيادي الرفاعي عني عنه الى
 جناب الاديب الكاتب الشيخ رشيد رضا افندي كان الله لنا وله والمسلمين .
 وصلتني قبل كتابكم وفي هذه المرة أخذت كتابا من والدكم وكتبت له
 الجواب في يومنا اليوم فكن ريبض الخاطر طيب البال نعم اني أرى جريدتك
 طاعة يشق من المتأمن جمال الدين المنقعة وقد ندرجت به الى الحسينية
 التي كان برعمها زورا وقد ثبت في دوائر الدولة رسما أنه ما زنديراني من
 من أجلاف الشيعة بعد المخاربة مع سفارة ايران بدار السعادة والسفارة
 السلية في ايران وهو حي وما قدر على الدفاع ، وهو مارق من الدين كما
 سرق السهم من الرمية ، وارك تملأ جريدتك كل يوم بانتقاد الصوفية
 بأبحاث جليا ما هي من طريقهم وكذا أولتها وفي بعضها أنت محن بلاشبهة
 الا انك تعلم ان الغلاء الاكبر ما م كالشافعي وابي حنيفة وعطاء السلف

تمسك بالشرع ولاعامة الأمة كالعامة الاول فلوانصفت وخدمت دينك
بغير هذه المواضع واذا ألزمتك طورك وقلمك بالتطرق فبنالك تقتد
أعمال الاعم السائرة من غير الاسلام امتداداً عقلياً يستيل لك القلوب ويرضي
عنك ربك لكان أولى، ولما طالب قلبنا لك نصحنالك والموعود الله في كل غاية
والسلام م ١٩ رجب سنة ١٦

ومن هذا الكتاب يعلم أن ما كان يؤلمه من النار محصور في أمرين
أحدهما التويه بالسيد جمال الدين الاقناني وذكره بقلب « السيد » ولم
أكن أمتح أبا الهدى هذا اللقب لأنني لا أعتقد شرفه - وثانيهما امتداد
خرافات أهل الطريق التي جطها أساس مجده، ولكنه كان يوم السلطان
أن المنار ينشأ الا لأجل الظن فيه كما يعلم مما يأتي. فكتبت اليه كتاباً بينت
فيه انني لم اكتب ولا اكتب الا ما اعتقد أنه نافع وذكرت له رأيي في
السيد جمال الدين فلم يلبث ان أجابني بهذا الكتاب بخطه:

ولنا الروحاني الأديب الأرب الفاضل الشيخ محمد رشيد افندي

آل رضا المحترم

أدعولكم ولوالدكم بالخير والعافية ودوام التوفيق، ووجدت أصرت ممنوناً من
تحرير انكم المرسله والمأمول من عناية الله وفضله أن يديم لكم التوفيقات فيما
يرضيه وقد حصل الآن قيد رؤس أدونه من مراتب الطيبة الشريفة لك
فهي ان شاء الله أول الفيوضات ولا يمنحن ابالك ان ذلك لعوائش هذه الدنيا
بل اني أعجبني قولك واطمان قلبي لصدقك وبراءتك وارجو الله اصلاح
شأنك في الله كما هو مطوي في كل من له للجناب الرفيع نسبة . وأوصي
رفيقك بالثبات والاستقامة على ما يبيض الوجه حالة التمدوم على الله

ورسوله الأ عظم صلى الله عليه وسلم^(١) وبحوله تعالى عند محيبتكم البنا واثقاكم
 عن هذه العوارض الحاضرة الزائدة التي لا تنطبق على مجد النسبة نوعاً ما
 وان كان قصدكم حسناً فهناك تبليج فيكم أنوار نسبتكم بالتحقق في
 الطريق الأ قوم تحت نظر سرّ الوجود صلى الله عليه وسلم وتكون اذن
 خدمتكم للدين والمسلمين على النهج الشرعي الصحيح الأ مين ومني لكم
 الدعاء وهو المطلوب منكم والسلام

كتبه محمد ابوالهدى

١٦ شعبان سنة ١٦

عني عنه

قرأت هذا فبادرت الى ارسال كتاب اليه جزمت فيه بأني لا أقبل
 الرتبة العلمية التي طلبها لي واني من الذين يرغبون عن الرتب والوسمة
 فيجب الرجوع عن طلبها واني لا استبدل بخدمة المنار للمة خدمة أخرى
 معها كان مظهرها وفائدتها واني لا اطلب من الاستانة الا الاذن بدخول
 المنار لسوريا وغيرها من ولايات الدولة . واعدته في هذا الكتاب او فيما قبله
 بترك التنويه بالسيد جمال الدين مادام المنار مأذوناً له بدخول بلاد الدولة .

وسكنت على ذلك وسكتنا

وبعد ثلاثة أشهر وأيام من هذه المكاتبة كتب ناظر خارجية انكلترا
 الى لورد كرومر عميد دولته في مصر يقول ان سفيرهم في الاستانة كتب
 اليه يخبره ان رئيس كتاب السلطان جاءه وقال له ان في مصر جريدتين
 معاديتان لشخص السلطان وهما المنار والقانون الاساسي وان الحدب وومختار

(١) يريد برفقي عبد الحليم حلمي اقصدي مراد وكان يوفئ مديراً لاشغال المنار

وكان سافر الى الاستانة قبل ذلك وبنفي انه اجتمع بابي الهدى ولم أدر مانا كان بينها

ولم يكن لتلك السفر علاقة بالمنار

باشا النازي يساعدانها وان السلطان يرغب اليه بأن يسمي لدى حكومته بابطال هاتين الجريدتين ويتخذ ذلك يدا يكافئه السلطان عليها ١١ فأخبر اللورد الامير بذلك فجب أشد العجب لانه لم يكن هو ولا مختار باشا بمساعد للنار ولا للقانون الاسمي بل لم يكن يعرف من مشرب النار الا ما أخبره الاستاذ الامام من أنه جريدة دينية أدبية.

سألني الامير عن ذلك سرا في يوم عيد الاضحى (سنة ١٣١٦) عند ما أردت الخروج مع الطباء من مقابلة التهته له بالعيد وأمرني بأن أذهب الى مقابلة أحمد شفيق بك وكان رئيس القلم التركي (وهو اليوم احمد شفيق باشا رئيس الديوان الخديوي) فذهبت من حضرة الامير الى غرفته وكان يقرأ النار ويعلم انه ليس فيه تحمل على السلطان بل لا يخلو من مدح له، ورأيت جازما بأن أبا المهدى هو الذي سعى عند السلطان هذه السعاية وضرب سهامه فيها الى عدوين من أعدائه : الامير ومختار باشا النازي . فأخبرته بأن بيني وبين ابي المهدى سلما و ذكرت له هذين الكتابين فطلبهما مني لأجل ان يحتج بهما فقلت له ان الرسالة بالامانة وانني لا اجيز لنفسي ان أظهرهما مادمت أعلم أن اظهارهما يؤذي بتفسير السلطان عليه، واستدل لاهيما على خيائه له ، اذ يجمله ترسا يدافع به عن نفسه . وأما اللورد فقد جرى في المسألة على ما تعود من المحافظة على حرية الصحافة ولكن بعد البحث ومعرفة الحقيقة كرت احوان ابي المهدى على أهلي كرة ثانية وكانت الدولة دولتهم فضربوا احدا خوتي وهو خارج من طرابلس الى القلمون ليلا وسرقوا فرسا لنا وحاولوا اخذ مسجدنا منا وأغروا جريدة طرابلس الشام بالطنن في النار والتمسوا لنا المساعدة من كل من يكتب في طرابلس حتى اصعدتني

فانظرت الي كتابه مقال عنوانه « مؤاخذة الملاء » (١٩٩١ م و ١٩٥١ م)
اسكتها به عن الهادي في الطعن ، ولكن الستهم لم تسكت عن السب
واللعن ، الا بعد ان أدبل منهم ، وخضت شوكتهم وذهبت ريحهم ، وخرج
يدري باشا من طرابلس مندوما مذموما ، وبدلنا به عبدالغني باشا المابد وكان لنا
وليا حمياء بل غلب فهو دعزت باشا المابد على فهو الشيخ ابي الهدي في جميع
البلاد السورية ، فاوداد انتشار النار فيها وان لم يرسل الا في البرد الاجنبية ، وأمن
الاهل والقراء على اتسهم طائفة من الزمان ، حتى كان منذ اربع سنين ما كان ،
ذلك ما كان في السنة الاولى والثانية من سني النار . وفي أواخر الثانية
وأول الثالثة صار يتردد علينا بعض جواسيس ممدوح باشا ناظر الداخلية في
الاستانة ويعرض علينا الرتب والوظائف اللاتفة اذا نحن تركنا النار ،
وفادرا هذه الديار ، فلو شئت ان اكون يومئذ قاضيا أو مفتيا في الشام
أو بيروت أو آخذ مر تباشريا عظيما من الدولة لعمت ، وقد قبل عبدالحليم
افندي حلبي أن يترك مصر ويكون معاونا لناظر النوس في بيروت بمرتب
كرتب الناظر فقال ذلك علي انه لم يكن كاتباً ولا سياسياً ولا ذا شأن في
النار وقد بلغني وقتئذ أن ذلك الجاسوس اخذ من ممدوح باشا ٨٠٠ ليرة
عناية سماها ثمناً لمطبعة النار ولم يكن للنار يومئذ مطبعة تساوي ٨٠٠ قرشاً
وفي أثناء السنة الرابعة غضب علي أمير هذه البلاد وأذني صديقي
حسن باشا حاصم (وكان رعه الله يومئذ رئيس التشرقيات) بأنه لا يرضى ان
أقالبه بعد وكان يقول لي قبل ذلك إن لك ان تجيء الي في قصر عابدين
أو قصر القبة متى شئت . وكان غضب أيضا على الاستاذ الامام وكلمنا
اشتد غضبه علي أحدنا يشتد علي الآخر ولا احب ان اذكر الآن شيئاً

بما سمته او علمته من آثار هذا الغضب الاما قيل من عزمه على اخراجه من مصر فقد قال مصطفى كامل باشا للاستاذ الامام صرة ان افدينا يريد ان يتقي صاحب المنار من مصر ويطلب منك ان تسكت على ذلك ولا تحمل لورد كرومر على المعارضة فيه وسمعت مثل هذا الخبر بعد وفاة الاستاذ الامام . وقال لي أحد معارفي في ٢٢ من المحرم سنة ١٣٢٦ ان السرغورست على وفاق مع الخديو وهو لا يعارضه في الانتقام ممن يغضب عليه ولا سيما اذا كان عثمانيا لانه ليس كلورد كرومر في المحافظة على الحرية الشخصية وقد عدت أن الخديو غضبان عليك فيجب ان تسمى في استرضائه لئلا يفتيك من هذه الديار وانه ربما يفعل ذلك . فقلت له انني لا اكتب في هذه السنين شيئا عنه ولا أعلم ان في المنار شيئا يسوءه فاذا ينقم مني ؟ قال دوام الثناء على الشيخ محمد عبده . قلت ليس في المنار ثناء ، وانما هي اقوال عنه وآراء ، ولا يمكن أن يخلو المنار من ذكره ، وان مصر لا منزلة لها عندي الا لحرية العلم والصحافة والحرية الشخصية فاذا كان الخديو يتقي منها من كره وجوده فيها ، فلماذا احرص أنا على الاقامة بها ، أو آسى على البعد عنها ؟ انني اذا اظنن الى الهند ، وانني لا أعلم انه يكون لي فيها مقام كريم لا اجد مثله في مصر ، وهذا وان مثل هذا الخبر ليس برهانا يقينيا على صحة ما قيل عن الامير برأه الله وحماء مما لا يليق به ، وان كان عند بعض الكبراء ونظار الحكومة نأ منه ،

وفي السنة الخامسة نشرت «سجل جمعية أم القرى» في المنار ومقالات «الاسلام والنصرانية مع العلم والمدينة» فتضاعف قراء المنار في القطر المصري

واشتدت الحكومة العثمانية في المراقبة عليه والبحث عن قرائنه ولا سيما في القطر السوري ،

وفي السنة السادسة شرعت في نشر رسالة في مالية الدولة العثمانية فرغب اليّ الاستاذ الامام أن لا أتمها فوافيت ورغبته ولكنني ضقت ذرعا بسوء حالنا السياسية فصرت أكثر في تفسير القرآن الحكيم من السياسة وهو يجيز ذلك لانه إنما ينهي عن التصريح بسياسة حكوماتنا وحكامنا لئلا يصدونا عن خدمة الدين والعلم

وفي السنة السابعة كثرت ديب عقارب السعاية من جواسيس المايين بمصر ونوأت التفرير في الاستاذ الامام وفي صاحب المنار، وكان الذي بلغها السلطان هو عزت باشا العابد الذي كان بينه وبين الاستاذ مودة سابقة مذ كانا في سورية ولم يحدث بينهما ما يوجب هذا الانقلاب الا صنعة عزت الجديدة في المايين وعلاقته بمصر وكان حزب الشيطان الذي يدبر هذه السعيات والمفاسد قد زور رسائل بتوقيع (محمد عبده) وأرسلها الى الحجاز واليمن وغيرها من البلاد العربية تشتمل على الدعوة الى الخلافة العربية وهو يعلم انها تقع في الايدي التي توصلها الى المايين فاشتد خوف السلطان من الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد عبده لا علم له بما يكتب في شأنه ولا ما يكتب عن لسانه مما هو مخالف لرأيه واعتقاده حتى انه هو الذي ارجع بعض المستشرقين عن السعي لإنشاء دولة عربية لاعتقاده ان التفريق بين الترك والمرب يفضف الفريقين ويسهل على الدول الطامعة نحو الدولة الاسلامية من الارض وانني ما وقتت على اكثر ما اشرت اليه هنا الا بعد موته

وما دخلت السنة الثامنة الا وقد صار النفور والخلاف بين الامير والاساذ
 على اشدهما كما ان السماء الى السلطان فيه قد بلغت غايتها ، وقد اشتد المرض
 على الاساذ حتى كان يوجد بنفسه في الاسكندرية والحكومة المثمانية
 تبحث عنه في سواحل بيروت لان الجواسيس قد بلغوا الماين انه سافر
 الى بيروت متكرراً ليؤسس الخلافة العربية في سورية ، الا قاتل الله
 اولئك التحوت الاشرار ما كان اشد عبثهم بالسلطان وخيانتهم له وللدولة
 والامة . وفي هاتين السقتين كان الاستبداد قد شد الخناق على عجي العلم
 والاضطهاد لمقتي الكتب ومنيت بيروت بخليل باشا واليا ، وطر ابس بحسنى
 بك متصرفاً ، وكأنا من شر اعوان الاستبداد والمخلصين له فيما يحاول من
 الظلم والافساد ، فأسرفنا في تفتيش البيوت ، واخذ الكتب والاوراق
 منها ، والمواخذة على اقتنائها ، حتى صار الناس يحرقون كتبهم وأوراقهم
 بالنار ، ومنهم من كان يدفنها بل يئدها كما تئد الجاهلية البنات ، حتى احرق
 في سنة واحدة عشرات الألوف من المجلدات !

كيف لا وقد كانت الكتب والجرائد تعد من الجرائر ، منها الصغائر
 ومنها الكبار ، وكان اقتناء النار او ما طبع بمطبعة النار ، هو اعظم الذنوب
 وأثقل الاوزار ، وكان الحكم على مجرمي الكتب بالهوى لا بالشرع ولا
 القانون ، لا تأخذ الحاكم فيهم رافة ، ولا تقبل منهم شفاعة ولا عدل
 ولا هم ينصرون ، على أن أولئك الولاة ومن دونهم من المستبدين ، لم يستعملوا
 بأس الحكومة الا في منع كتب العلم واضطهاد المتعلمين ، دون سفك
 الدم وافساد الأمن ، واهلاك الحرث والنسل ، فماذا كان حظنا من حكمهم ؟
 دمروا الدار ، واجتاحوا الكتب والاسفار ، وحبسوا من وجدوا

من الاخوة ، وحصروا الوالد المريض مع النساء ، ووضعوا على دبره الحراس والخبراء ، فكان ذلك الشيخ الجليل ، والسيد الشريف ، يوجد بنفسه ، وينتظر أمر ربه ، وبناته مع أمهن امام سريره يطلقن المبرات ، ويصمدن الزفرات ، فقد عن عليهن ، وعظم المصاب في قلوبهن ، أن حيل بينه وبين أولاده الأبرار ، في وقت توديعه لهذه الدار ، فمنهم القريب الذي هو في حكم المبعد ، والسجين الذي هو في حكم المستبعد ، وهذا والجنود السلطانية تحيط بهن ، وتطوف حول منزلهن ، شاكية السلاح ، مستعدة للكفاح ، تدل بيأسها وشدها ، وتمثل قوة « الخلافة الحميدية » وعظمتها ، ليعرف الشيخ المحتضر عجزه عن تأسيس خلافة عربية في قرية القامون ، وهكذا قضى الوالد نعمة فانا لله وإنا اليه راجعون ،

ثم كان من ظلم الحكومة المستبدة لنا أن ولت على مسجدنا رجلا آخر بنير حق واطمعت في الاستيلاء على تقارنا بدعوى انها وقف كما اطمعت غيره من أشقياء طرابلس فنهوا ما وجدوا في الدار من الثياب والحلي والماعون وغير ذلك ، وقد أسقط الله حكومة الاستبداد ، ولما تكوت حكومة الدستور ، حقوقنا لا تزال مهضومة لفساد الحكام ، واختلال الامن العام ، فهذا يحمل من خبر ظلم الحكومة لنا ، وهو قليل من كثير ظلمها لغيرنا ، ممن أجرموا كاجرامنا ، فشكوا من الظلم والجهل ، ودعوا الى العلم والمعدل ،

كان يصل الينا قليل من أخبار الاستبداد ، ووقائع القتل والافساد ، وبعد وفاة الاستاذ الامام صرفنا وقت الفراغ والراحة الذي كنا نجالس فيه الى مجالسة اخواننا المعانين القيمين في القاهرة فزددنا علما بسوء

الحال ، وخطر المال ، فأسسنا جمعية الشورى العثمانية لاجل جمع كلمة
العثمانيين ، على استبدال حكومة الشورى بحكومة المستبدين ، علمنا بأن جمعية
الاتحاد والترقي خاصة بالمسلمين ، وان العثمانيين ما داموا متفرقين شيعاء ،
ومتقطعين ملاماً وأماماً ، فكلمتهم هي السفلى ، وكلمة الاستبداد هي العليا ،
فألفت الجمعية من المسلمين عربهم وتركهم وألبانهم واكرادهم ، ومن
النصارى عربهم ورومهم وأرمنهم ، ودعي إليها بعض اليهود ولكن لم يكن
في مجلس ادارتها أحد منهم ، وقد انتخب هذا الماجز (صاحب هذه المجلة)
رئيساً لمجلس ادارة اللجنة المؤسسه لهذه الجمعية وكانت ترسل جريدتها
ومنشوراتها السرية ، الى الروملي والناطوليل والاسنانة العلية ،

اهتم السلطان بهذه الجمعية حتى هجر النوم مضجعه ثلاث ليال ، كما
علمنا من رواية العارفين الثقات ، فقد كان - وأقر الله بالدستور عينه ،
ولا سهد في عهد الحرية جفنه ، - كثيراً ما يشارك أحرار أمته في أرقهم ،
ويساهمهم في قلقهم ، وان كانا في هذا الامر ، كضيف عمرو وعمروا ،
وصار للجمعية لسان صدق عند جميع أحرار العثمانيين ، فكانت مبدأ
ما كان من وحدتهم بعد حين ، وقدم أحمد رضا بك من باريس الى مصر
فرغب اليها ان نضم جمعيتنا الى جمعية الاتحاد والترقي فأبى مجلس الادارة
ذلك عليه ، وكان مما قلته له ان تعدد الجمعيات مع وحدة الغاية والمقصد
لا يعد تفرقا ولا يحدث ضعفاً ، واتنازى انه لا نجاح للعثمانيين الا باتفاق
عناصرهم على المطالبة بالدستور ، قال ان قانون جمعيتنا لا يمنع قبول غير
المسلمين فيها ، قلت نعم واتنا لا نشكو من القانون ولكن من عدم تنفيذه
فالقانونكم - وليس في جمعيتكم رومي ولا أرمني ولا سوري نصراني - الا

كتوانين السلطنة « حبر علي ورق » ولو نفذ السلطان قوانين الدولة على
علائها لما طالبناه بمجلس المبعوثان لاشراك الامة معه في الاحكام
هذا ملخص تاريخنا السياسي في السنين الخالية : سالتنا السياسة
فساورت وواثبت ، وأسلسنا لها فجمحت وتقمحت ، وكنتانهم بها في بعض
الاحيان ، فيصدف بنا عنها الاستاذ الامام ، ولم نزل منها ما نهواه الا بعد
ان اصطفاه الله ، وليس للمنار حظ في السياسة العملية ، وإنما هي أن
يكون حرا فيما فرض عليه من الخدمة المليية ، واذا كان (كسائر الصحف)
قد أمن على حريته واستقلاله من استبداد الدولة ، فقد بقي عليه أن يجاهد
مع غيره استبداد الامة . فان في الامة أعداء للحرية والاستقلال ، في
المعلوم والافكار والاعمال ، يحبون ان تكون الصحف كما يرون لا كما
يرى أصحابها ، وان ينشر فيها ما يعتقدون لا ما يمتقد كتابها ، وما كتاب
الصحف الا معلمون ومرشدون ، وهل يعلم الاستاذ تلاميذه ما يعلمون
ويربي المرشد مريديه كما يريدون !! وقد جرى على هذا كثير من أصحاب
الصحف المصرية وما كانوا مصلحين ، ويجري عليه الآن بعض أصحاب
الصحف العثمانية وما هم بمعتدين ، وسيدتي المنار على صراطه لا يبالي بالمخالفين ،
نم ان المنار يستقبل جهادا جديدا في البلاد العثمانية ، وقد فرغ من مثله
فيما عداها من مصر وسائر البلاد الاسلامية ، فأكثر المسلمين العثمانيين ،
لم يأفوا حرية البحث في السياسة والعلم والدين ، ينظر اغلب الباحثين
الى القائلين دون الاقوال ، وينصرون التقليد على الاستقلال ، ولكن
يوجد في كل بلد أفراد سلمت فطرتهم ، واستنارت بالحق بصيرتهم ،
يشمرون بشدة الحاجة الى اصلاح حالنا الاجتماعية والدينية ، ويعلمون

انه يتوقف على استقلال الفكر والحرية ، وان هؤلاء على قلوبهم ، لينبلون أولئك على كثرتهم ، وسيبرزون لهم بعد استقرار الدستور مجادلين لا مجالدين ، يتلون (٢ : ٢٤٩) كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) فهذه الفئة هي التي يشد المنار أزرها ويشد بها أزره ، وينصرها في جهادها ويتفاضها نصره ، ٤٠ : ٢٢ ، وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ
 ان الله لتقوي عزيز *

سيقول السفهاء من الناس ، وأهل الارجاف والوسواس ، ان هذا المنار يدعو الى الفوضى في الدين ، بترك مذاهب الائمة المجتهدين ، وينصر مذهب الوهابية ، على مذهب السنة أبي الحشوية ، ويبطل القول بالكرامات ، بأبحاثه على الدجل والخرافات ، وحجة انصار المنار على هؤلاء ، ومن يقدّمهم من الدهماء ، الذي يثبت انه يتجرى الحق والصواب ، ولا يريد الا الاصلاح ما استطاع ، دون التعصب لمذهب علي مذهب ، هي قبوله انتقاد المتقدمين ، في مسائل الدنيا والدين ، اذا أيدت الاولى بالعلم والعقل ، والثانية بما صحح من النقل ، مع التزام النزاهة والآداب ، واجتناب الحشو والاطناب ، فمن زعم ان في المنار باطلا فليكتب اليه ، دون أن يعصي الله بعينته والظن عليه ، وللحق السلطان على الباطل (٢١ : ١٨) بل نقذف بالحق على الباطل فيدمنه فاذا هو زاهق ، ١٩ : ١٣ ، فأما الزبد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال)

منشئ المنار ومحرره

محمد رشيد رضا الحسيني

﴿ خطاب صاحب المنار ﴾

على طلاب الكلية الأمريكية المسلمين في بيروت

أيها الاخوة الكرام:

انكم انتم محل وجاء البلاد بديتكم وما تتقون من العلوم العالية لذلك أحب في هذا الوقت أقصير ان اذكركم بما ينبغي لطالب العلم ان يكون عليه ليتحقق رجاء أمته فيه ان العلوم تطلب لفرضين صحيحين : احدهما تكميل النفس وترقية العقل .

وثانيهما العمل بالعلم والعمل به مسلكتان احدهما جعله حرفة ومستقلاً للعامل والآخر جعله وسيلة لترقية الامة واعلاء شأنها ويمكن الجمع بينهما

الفرض الأول لا بد منه لكل عاقل وهو العون الاكبر على الفرض الثاني فان من استنار عقله بالعلوم وصار صحيح الحكم فيها تعاونته ويكون جديراً بالاحسان في العمل والاقان للصنع فيجب اذاً ان يكون هو أول شيء تتوجه اليه هممكم وتنعظم فيه رغبتكم يظن بعض ضعفاء العقول وصغار النفوس ان طلب العلم لأجل ترقية شأن الامة

به ينافي ما أودع في الفرائض من كون منفعة الانسان لنفسه هي العلة الغائية لكل عمل من اعماله وان من توجه الى ذلك وجعله همه من حياته تقوته مصالحه ومنافعه التي لا بد له منها تلك خديعة الطبع اللثيم ووسوسة شيطان الخسة والصغار لصغار المهم فقد رأينا

بأعيننا وسمعنا وروينا عن التاريخ ان الذين يقفون حياتهم على خدمة أهمهم لا يعوزهم الطعام واللباس اللائق بهم بل كانوا يفضلون عيشتهم على كل عيشة سواها اللهم من الكرامة ورفعة الذكر ان لم يكن في بداية أمرهم ففي نهايته

ان من يسلك في طلب العلوم مسلك الاحتراف ويكون قصده منه ان يجعله دكاناً يتجر به أو بستاناً يستغله ليعيش منه لا يرتفع به الى ما هو أعلى من هذا القصد فان قيمته في الوجود لا تعار قيمة غيره من اصحاب الحرف والصناعات العملية كالنجارة والحداذة والزراعة . لا أقول ان هؤلاء لا قيمة لهم وكيف أقول ذلك واعمالهم لا بد منها للمجتمع الانساني وانما أقول ان هؤلاء هم أهل الطبقات الدنيا من الناس الذين لم يرتقوا في افق الانسانية ويسهل على طلاب العلوم لاجل الكسب والاحتراف

ان يكونوا في افق اعلى من اقدارهم بان يوجهوا قلوبهم الى اعلاء شأن الامة بكسبهم واعمالهم ايها الاخوة : ان استعداد البشر للكمال لاحد له يعرف ، ولا طرف له يوقف عنده ، وان الانسان قد فطر على طلب الكمال فلا يصل الى شيء منه الا ويطلب ما فوقه ، وان افراده يتفاوتون في ذلك تفاوتاً لا نظير له في غيره من المخلوقات فمنهم من يكون وجوده بمقدار محيط جسمه لا يكاد يهيمه شيء وراء توفية مطالبه كععض الحيوانات الدنيا ومنهم من يتسع وجوده حتى يملأ بلداً كبيراً او مملكة عظيمة ، وربما تعلم بعض الناس همتهم الى جعل وجودهم المنوي سارياً في امة كثيرة مالكا للارض التي يعيش فيها الانسان . ولا تتكلم فيهم الانسان واستشر انه لما هو وراء ذلك من عالم الغيب اذا كان فضل الانسان وسعة وجوده الانساني على قدر نفسه بعلمه وعمله فلا شك ان من توجه نفسه الى فجع جميع البشر يكون افضل واكمل ممن لا يتوجه الا الى فجع امة واحدة او شعب واحد ولكن كيف يتأني للفرد من الناس ان يخدم امة كثيرة؟ الجواب عن هذا السؤال يعرف من القاعدة المعقولة التي جاء بها الحديث النبوي وجرى عليها الشرع الاسلامي وهي « ابدأ بنفسك ثم بمن تعول : الاقرب فالاقرب » وقد قال قهاوتنا ان من وجد من القوت زيادة عن كفايته قدمه للاقرب اليه من ولد وزوج الخ فان وجد فضلاً افق منه على غير الاقربين من ذوي الحاجات حتى قالوا انه يجب على المسلم ان يفتق على المضطر من غير المسلمين ما لم يكن محاربا لنا وانه يقدم الجار على غيره ثم به ! فلي هذا يجب علينا ان نبدأ بنشر العلم والقيام بالاعمال النافعة في امتنا ومملكتنا وان يقدم أهل كل بلدة خدمة بلدهم الذي يقيمون فيه على غيره من بلادهم ثم يفيض بعد ذلك من علومنا وأعمالنا النافعة على غيرنا من الامم على الوجه الذي سبقتنا اليه الامم الحية في هذا العصر وامامكم العبرة في المدرسة التي تعلمون فيها أليس منشؤ هذه المدرسة يقصدون بها جعل العلم الذي ينفع الناس وسيلة لنشر لغتهم وبت تعاليم مذهبهم الديني في نفوس من يعلمونهم ؟ بلى وان في عالم هذه العبرة لنا يجب علينا ان نعتبر بها وان نرفع انفسنا لتكون أولى بهذه المنفعة منهم يجب عليكم ان تتعاونوا وتخصصوا بهروة الاجتماع وانكم ربما تتقون كيدا واحراجا لتسندوا وتنكبوا جادة الاعتدال في استمساككم بدينكم وحرصكم على الاجتماع والتعاون

فيجب ان تتسع صدوركم لجميع ما يتكروون من معاملة من معكم وان تقابلوهم بالادب في القول والفعل لان الادب من الفضيلة وهي مطلوبة لذاتها ولئلا يكون لهم عليكم حجة بعد ان ثبتت لكم الحجة عند دولتكم ودولتهم
انكم لم تصدوا بما كان منكم الا ارضاء ضمائرکم والمطابقة بين عقائدكم واعمالكم فحسبكم ان يتم لكم ذلك بالهدوء والسكينة والادب. واني اجلكم عن قصد العناد لروسانكم واسانذتكم او الجنوح للاستملاء بالظفر لذاته
وأوصيكم بالمحافظة على الصلوات الخمس ولو منفردين في حجراتكم وبالحرص على صلاة الجماعة كلما تيسر لكم ذلك ولو على ارض حديقة المدرسة فقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم « جعلت لي الارض مسجدا وتربها طهورا »
انكم قمتم بواجب ديني سلمي وهو الامتناع من دخول الكنيسة لسماح تعاليم دين غير دينكم فعليكم بهذا العمل الايجابي الذي هو عماد الدين « واستعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين »

﴿ المسلمون في مدارس الجمعيات النصرانية ﴾

المدرسة الكلية الامريكانية

المدرسة الكلية الأمريكية في بيروت كسائر مدارس الجمعيات النصرانية في الشرق غرض مؤسسيها منها جعل العلم وسيلة الى الدين، ولبعضها غرض سياسي ايضا فهي طريق من طرق الدعوة الى مذاهب مؤسسيها في دينهم. ولهم وسائل أخرى كالمستشفيات والمكتبات وحجرات القراءة يثرون فيها دعوتهم، وينشرون بها مذهبهم، الا أن المدارس الأمريكية أحسن من غيرها تعليما وأعلى تأديبا وأشد استقلالاً وأقل تعصبا على المخالفين في الدين والسياسة، اذ ليس لأمریکا مطامع سياسية في هذه البلاد ولكن قد تؤيد هذه المدارس سياسة انكلترا

إن عقلاء المسلمين يقدرون غير مؤسسي هذه الجمعيات الدينية حق قدرها و يعرفون مقدار المستخدمين فيها لنشر دينهم والتوسل اليه بالوسائل النافعة للناس في أجسامهم وعقولهم، ويتمنون لو يوجد في أمتهم الإسلامية اسخياء اجواد يبذلون المال لنشر الاسلام مع العلم النافع الذي هو أساس بنيانه، والعمل الصالح (كالمستشفيات) الذي هو أقوى أركانه،

وان عامة المسلمين يشعرون بشدة الحاجة الى هذه المدارس التي أسست على دعوة النصرانية لما فيها من العلم ، ويطعون بما فيها من الضرر لآ ولادهم في الدين ، فالعلم يقتضي الإقبال عليها ، والخوف على عقائد النشء الجديد يمنع من الثقة بها ، والجمهور مختلفون في الترجيح بين المانم والمقتضي

فمنهم من يرجح المقتضي من غير تفكير في عواقب المانع لأن الشعور بالحاجة الى العلم قد استحوذت على فكره ، حتى حال بينه وبين سلطان قلبه ، ومن يرجحه لاعتقاده ان المسلم لا يكون نصرانياً لأن الدين قد سار على سنة الارتقاء تبعاً لاستعداد البشر فكان الاسلام متحياً ارتقائه وهو الدين المعروف تاريخه ، المتواتر كتابه ، المحفوظ سند سنة ، ومن وصل الى الدرجة العليا في شيء لا يرضى لنفسه ان يهبط الى مادونها ، ولذلك ينذل دعاة النصرانية الألو ف المكررة من الدناير في دعوة المسلمين الى دينهم بالاساليب العجيبة ويقضون السنين الكثيرة في البلد من بلادهم ولا ينجحون باستمالة رجل واحد وإرجاعه عن الاسلام ، وان كانوا يوهمون جمعياتهم التي تمدهم بالمال فيكتبون اليها في كل عام انه قد تنصر في هذه السنة على أيدينا فلان وفلان ، ويذكرون اسماء سموها بأقلامهم لم يعرف مسمياتها الزمان ، ولكن الاسلام يجذب الى وحابه الفسبح في كل سنة ألوفاً من الناس بغير دعوة ولا ترغيب كترغيب دعاة الانكليز والامر يكان ، ولا ترهيب كترهيب دعاة الروس في بلادهم .

نعم ربما يقذف القفر في كل حبة من الزمن برجل من المسلمين جنسية لاحقيقة فيلقبه في الحأ من ملاجئهم أو فناء من أفئتهم فيسهل له العوز اتتحال اسم من اسمائهم ، أو لقب من ألقابهم وربما أغراه المال بأن يكون داعياً من دعائهم ، كما فعل « أرميا الحزبن » الذي استجاب لوقيتهم بمصر ثم فضحهم وهو يبشر لهم في الجزائر ، اذ كتب مقالات في المؤيد يبين فيها انهم يدعون في كل بلد إسلامي بنجاح دعوتهم في غيره ، ويدعون في قاريرهم التي يرسلونها الى جمعياتهم انهم ناجحون في كل بلد ، والغالب فيمن ينجح لهم ان يعود الى الاسلام ولو بعد حين

وقال السيد جمال الدين الافغاني في بيان سبب إخفاق دعوة المبشرين بين مسلمي الهند : ان المسلم لا يمكن ان يكون نصرانياً لأن الاسلام نصرانية وزيادة

فإنه يقرر الايمان ببيسى وبما جاء به من عند الله تعالى دون ما زاده القلو على ذلك
 ويزيد على ذلك الايمان بمحمد (عليهما الصلاة والسلام) وبما جاء به مصداقاً لآفته .
 وحدثني شاكر بك الذي كان رئيساً للجزء بطرابلس الشام من بضع عشرة
 سنة انه كان في بلدة ليس فيها مدرسة للبنات الالجمية للراهبات فوضع بنتاه فيها قرأتها
 أما يوماً ترسم شكل الصليب على وجهها أو صدرها فوجمت وامتعصت ، وشكت
 وبكت ، وقالت لا بد من إخراجها من هذه المدرسة . قال فهونت عليها الأ مروكت
 أقول لما : جاتم ان ابن المسلم لا يكون نصرانياً أبداً ولم أقبل توسلها الي باخراجها وقد
 تطت حتى أمت عليها عند الراهبات وهي الآن قرأ القرآن الشريف وتصلي
 وتصوم ولم يضرها حرص الراهبات على تصيرها

هذا ما يراه بعض الذين يطمون أبناءهم وبناتهم في هذه المدارس الدينية . ومنهم من
 يرجح المانع على المقتضي كما هو المعتد في المسألة عند أهل الاصول كما أشار الى ذلك الشاعر

بقوله قالوا فلان عالم فاضل فأكرموه مثلاً يرتضي

قلت لما لم يكن عاملاً فعارض المانع والمقتضي

ومبلغ حجة هؤلاء ان مذاهب الفقهاء المتبعة تحظر على المسلم المتمكن في دينه
 ان يدخل مع النصراني وغيرهم من المخالفين لنا في أصل الدين معابدهم بهيئتهم
 الدينية التي يدخلون فيها وصرحوا بأنه إذا تشبه بهم في ذلك بحيث يظن انه منهم
 صار مرتداً وان بقي متميزاً عنهم بحيث لا يشبه بهم لا يكون مرتداً الا اذا قال أو
 فعل أو اعتقد ما يخالف ما هو مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة . ويقولون ان
 من الخطر على دين غير المتمكنين في دينهم كالأولاد الذين يوضعون في هذه
 المدارس ان يسمح لهم بهذه الأعمال التي يظن ان تكون عندنا كفراً وردة
 وأهونها ان تكون معصية فإذا علق النوع الأول في ذهن التلميذ منامات قبل ان
 يصح اعتقاده بمعاشره المسلمين العارفين أو مراجعة العلماء الراسخين مات مرتداً
 لا نرتبه ولا نعامله معاملة موتانا اذا كنا عالمين بحاله واذا مات أبوه أو أمه أو غيرها
 من الاقربين في حياته لا يرث هو منهم شيئاً . ويقولون أيضاً ان بعض قهائنا
 صرح بأن الرضى بالكفر كذا فإذا رضينا بشيء من ذلك نكون نحن مرتدين أيضاً

(المارچ ۱۲م) الكلية الامريكانية . إلزامها المسلمين بدخول الكنيسة ٢١

وهذا الذي يتخوفونه على دينهم ليس بعيد عن مدارس الكاثوليك والأرثوذكس ولا سيما مدارس الجزويت كما بلغنا من مصادر كثيرة تصل الى درجة التواتر المعنوي من انهم يلزمون أولاد المسلمين بجميع تقاليدهم الدينية حتى تعظيم الصور والتماثيل والاستغاثة بالقدسين وذلك في حكم الاسلام شرك نستعدأه طرأ على النصرانية بعد المسيح عليه السلام وحواريه عليهم الرضوان بعدة قرون . وان كان القرآن لا يدخلهم في قلب المشركين ولا نحن نخطبهم به لأنهم يتبرؤن منه ويتأذون به وإبداؤهم محرم علينا سواء كانوا ذميين أو معاهدين وقد بينا ذلك في المارآا كثر من مرة . أما ما ذكرناه في هذا المقال فيان لا يستغده المتساهلون وغير المتساهلين منا نرجو ان يكون سبباً لحسن التفاهم بيننا وبين العقلاء المعتدلين منهم كمدة المدرسة الكلية الامريكانية في بيروت قد قلنا في أول المقال ان مدارس الامريكان أقل تعصبا على المخالفين وقد جرى بيني وبين أحد أساتذة المدرسة الكلية الامريكانية في بيروت حديث في الخلاف الذي جرى بين تلاميذ المسلمين وعمدة المدرسة على دخول الكنيسة لسباع الوعظ الديني اذ اتمتع التلاميذ من الدخول بعد ما صارت الحكومة العثمانية دستورية حرة وأصرت المدرسة على إلزامهم أحد الأمرين إما الاستمرار على دخول الكنيسة كما كان الأمر على عهد الحكومة الاستبدادية وإما الخروج من المدرسة وترك العلم فيها ، فاجتمعوا وقاسموا لثبتن على رأينا : لا ندخل ولا نخرج . حتى رفع الأمر الى الاساتذة وبعد مراجعة حكومتنا هناك لسفير الولايات المتحدة تقرر بينهما ما بلتته نظارة الداخلية لوالي بيروت وهو انه لا يلزم المسلمون دخول الكنيسة بل يجب ان يبنى لهم مسجد يصلون فيه . وان السفير بلغ معتمد (قنصل) حكومته في بيروت ذلك ليبلغه المدرسة الكلية . وقد كان الحديث بيني وبين ذلك الأستاذ قبل ورود هذا البلاغ من الاساتذة وحضره جماعة من فضلاء النصارى

قال الأستاذ ما معناه : ان المدرسة الكلية لا تعلم التلاميذ التقاليد والاعمال الدينية التي يقرها بعض مذاهب النصرانية ولا تطعن في أديانهم ولا مذاهبهم التي يخالف مذاهب مؤسسها وإنما تلقي عليهم مواظمة عامة تتفق مع كل دين وان كانت من الكتاب المقدس لأجل ان تفرس في نفوسهم قوى الله وحب الفضيلة

٢٢ فريقا المسلمين . وجوب احترام المقدرات (المخرج ١٧م)

وتبعدهم عن الابداد والتعطيل فان الموسمين لما من أهل الدين والمحافظة عليه أهم مقاصدهم . وان المكان الذي تقى فيه المواظ الدينية ليس كنيسة مؤسنة لاجل العبادة بل هو مكان تقى فيه الخطب العلمية والادبية وغيرها ويمزف الحسان فيه بآلات الموسيقى . (قال) فهل يحرم الدين الاسلامي على المسلمين دخول هذا المكان ويوجب عليهم مخالفة نظام المدرسة ؟

قلت ان المسلمين فريقان منهم من يأخذ بالدليل ومنهم من يتبع قهواء مذهبه والمشهور عن قهواء المذاهب التي عليها هؤلاء التلاميذ ان الدخول الى معابد المخالفين لنا في الدين ومشاركهم فيها هو خاص بهم من أمور الدين فيها وكذا في خارجها إما محرم وإما كفر في تفصيل لم في ذلك فعمل تلاميذكم يتقدون ان دخول المكان الذي ذكرته من هذا القبيل وحينئذ يجب احترام اعتقادهم وان كان لا يقوم دليل في الاسلام على تحريم دخول مكان مثل الذي ذكرت ليس مبدءا دينيا ولا يقى فيه شيء مخالف للاسلام (ثم قلت) ان احترام النظام في المدارس والبيوت وكل مكان ركن عظيم من اركان التربية ومن لم يترب على احترام النظام والتزامه لا يكون رجلا عظيما نافعا لامته ووطنه . ولكن احترام الاعتقاد والضمير اقدس وأعلى من احترام النظام فان من لا يحترم اعتقاد نفسه يكون منافقا لا يوثق به في شيء من الاشياء . وان اكره التلميذ على ذلك أشد إفسادا لآخلاقه من كل ما يخطر في البال انه يفسد الآخلاق اذ لا يرجى ممن لا يحترم اعتقاده ان يحترم أسرته ولا امته فضلا عن احترامه لمن لا يتصل به في وشيجة رحم ولا مصلحة وطن

(قلت) اتى اذا رأيت إنسانا يتقدم بأن هذه البلاطة من الرخام (واشرت الى بلاطة في الأرض) تنفع وتضر ورأيت بعدها ويحترمها فاني لا أجزى لنفسي أن أكرهه على دوسها والوطأ عليها ولا أن أمره بذلك الا بعد أن أقتعه بطلان اعتقاده فيها . وقد وقع لي واقعة في ذلك : وهي ان رجلا أخبرني بأن خصالي في محاكمة شرعية حمله كتابا الى آخر وسألني ماذا يفعل فيه وأنا اعلم انه يطعنني في كل ما أمره به وان في الكتاب حجة لي على خصمي تصلح فصلا للزراع وتوفر علي وقنا طويلا ونفقة كثيرة ولو شئت لا أخذت الكتاب فان حامله لا يخالف أمري ومع هذا لم استحل أن أمره بالحياة

ولما حدثت مشكلة القضاء الشرعي بمصر من زهاء عشر سنين وعزم الانكليز على إلزام الخديو بعزل القاضي المولى من السلطان وتولية قاضٍ مصري مكانه كره الخديو ذلك ولكنه لم يهتد الى المخرج منه فطلب ان يجيء الاستاذ الامام من القاهرة الى الاسكندرية (وكان الخديو في مصطافه فيها) فجاء (رحمه الله) ليلا وقابل الامير في الصباح فقال له اني طلبتك بلسان البرق لاستشريك في مشكلة القاضي وبسد خروجك من هنا سيدخل لورد كرومر لأجل ان يكلفني في وجوب عزل جمال الدين افندي وتولية احد علماء مصر منصب قضاء مصر الشرعي وسيجتمع بعد ذهابه مجلس النظار هنا لتقرير ذلك فيماذا أدفع اللورد بحسب رأيك ؟ فقال الاستاذ ان الانكليز من أشد خلق الله احتراماً لحرية الضمير والاعتقاد حتى انهم ربما ذكروا ذلك في قوانينهم فانهم لما وضعوا قانون التلقيح للوقاية من الجدري كان من مواده انه يجبر عليه كل احد الا من يقول ان ضميره لا يجيز ذلك . فاذا كنتم تعتقدون ان تولية القاضي من حقوق السلطان وانه لا يجوز لكم ان تعينوا القاضي من قبلكم فيكني في إقناع اللورد بالرجوع عن طلبه ان يقول له افندينا ان ضميري لا يسمح لي بذلك لأنني اعتقد ان هذا حق السلطان وحده . فتمى سمع هذا الجواب يذعن له ولا يمكن لمثل لورد كرومر في تربيته الانكليزية العالية ان يقول لكم خالفوا ضميركم وقد كان الامر كما قال الاستاذ وبذلك انحلت المشكلة بعد ان كان عزل قاضي السلطان قد صار في الأمر المضي الذي لا مراجعة فيه حتى ان جمال الدين افندي باع داره ونهباً للسفر من مصر الى الاسكندرية هذا ما أجبته به احد اساتذة المدرسة الكلية وقد استحسنته من سمعه واعترفوا بأن من افساد الاخلاق ان يؤثر الانسان بفعل ما يعتقد انه قبيح او محرم عليه ، ثم جاني بعض تلاميذ الكلية من المسلمين وسألوني عن رأيي في مسألتهم ومسألتهم عن سببها وعلتها فاستفدت من المراجعة ما يأتي

- (١) ان التلاميذ يلزمون الدخول كل يوم الكنيسة (Chapel) والمكث ربع او ثلث ساعة لسماع نبذة من العهد الجديد او العهد العتيق تحتم بالدعاء الذي يعبرون عنه بالصلاة ، وكل يوم احد ثلاث مرات بمكثون كل مرة زهاء ساعة ونصف
- (٢) انه يوجد في المدرسة جمعية ارمنية لتلاميذ الأرمن وجمعية يونانية

ليونانيين وجمعية للمصريين من المسلمين والنصارى وجمعية مسيحية تسمى جمعية
الشبان المسيحيين وجمعية لليهود

(٣) طلب التلاميذ المسلمون إنشاء جمعية إسلامية تبحث في ترقى المسلمين

مع عدم الخوض في السياسة فرفض طلبهم

(٤) طلبوا ان يجتمعوا ليلة المولد النبوي للبحث في سبب الاحتفال في مثل ذلك

اليوم وما يحسن فيه فنصروا . فهذا هو السبب لتألب المسلمين . وذكري عجلوات

شاذة في الطعن في الاسلام نصريحا او تلويحا سقطت من بعض رجال المدرسة

الأمريكانين حاجت النفوس وأعدتها للحركة التي ظهرت بعد ذلك عند ما جاء

وقتها ولا تذكرها في هذا المقال لأنها ليست من نظام المدرسة ولا من اعمالها المطردة

بعد هذا كله تقول ان مؤسسي المدرسة بأموالهم ومديري شؤونها والمعلمين فيها

كلهم من أهل الفضل والخير والعلم بطبائع الأمم واخلاق البشر وأحوال الاجتماع

فهم يعلمون ان الظلم (ومنه منع المسلمين من الاجتماع كاليهود ببلدة النصارى) ينتج

في المستقبل ضد مايراد منه في الحال ، وان الأمم لا ترهق في زمن الدستور والحرية ،

بما كانت ترهقه في زمن الاستبداد والعبودية ، فكان عليهم ان يتذكروا هذا فيلنوا

ويتشاهروا مع التلاميذ المسلمين عند امتاعهم عن دخول الكنيسة ثم يستميلوهم إلى

احترام المدرسة بالعدل والمساواة بينهم وبين غيرهم من الملل والشعوب في تأليف

الجمعيات بأن يأذنوا لهم بتأليف جمعية إسلامية فان الرئيس الذي لا يبدل لا يطاع

بالاحترام ، وكيف يطالب بالنظام من يتعصب ويحايي في النظام ، ثم يجعلون تلك

المواظف خالية مما يخالف الاسلام ويعارضه ويقنعون أولئك التلاميذ بأن حضورها بهذه

الصفة لا يحظره الاسلام فيكون اتفاقا — وما أسهل ذلك عليهم اذا جاؤه من باب

ان جميع من في المدرسة الكلية من الرؤساء والمعلمين يعلمون أن مايتى فيها

من المواظف عادة لا يرد المسلم عن الاسلام الى النصرانية ولكنه لا يخلو من نوع من

الألفة والمودة وقرب الطوائف بعضها من بعض ، وهذا المقصد العالي الذي يسعى

إليه الحكماء الذين يخدمون الانسانية خدمة خالصة من شوائب السياسة والهوى .

فإذا كان رؤساء المدرسة يرمون الى هذا الغرض فليعلم ان يتذكروا ان الربى اليه

(المارج ١ م ١٢) كلية الامريكان . كيف نُحل مشكل الاعتصاب ٢٥

عن قوس العزة والإدلال ، والإكراه والإذلال ، هو الذي يطيش سهمه ، وينضي الى ضد ما يراد منه وأن الحب لا يكون بالفتب ، وإنما التجب داعية الحب ، بلقي أنهم يقولون ان المدرسة مسيحية انشئت بمال المسيحيين لأجل بث الدين المسيحي فمن لم يرض بدخول الكنيسة وتلقي التعليم المسيحي فيها فلا يدخلن مدرستنا! وهذا القول على مخالفته لنعوى ماسمعه من أحد مطبي المدرسة يمكن ان يقوله بعض رؤساء المدرسة احتجاجا وانتصارا لأنفسهم وما أظن ان جميع أولي الشأن في المدرسة يرضون بأن يكون فصل الخطاب في المسألة حرمان المسلمين من المدرسة أو إخضاعهم لما سبق يانه من العاملة التي تفر القلوب وتورث العداوة والبغضاء والتعصب الذميم

وصفة الكلام في هذا المقام أنه يتعدر على المدرسة الآن الزام من فيها من المسلمين ما ذكرنا بعد ما اجتمعوا وتكاسموا واتفقت حكومة الاستانة مع سفارة الولايات المتحدة على عدم جواز ذلك . وان أمامها في السنة الآتية أحد امرين : إما التساهل والتسامح في قبول التلاميذ المسلمين لتأليف النفوس وجذب القلوب بعضها الى بعض والاكتفاء من الخدمة الدينية بهذا المقدار مع ترقية العقول بالعلم والنفوس بالترية الادبية الاجتماعية ، وإما عدم قبول المسلمين في مدرستهم وهم أحرار مختارون في ذلك

فان اختاروا الأمر الأول حمدهم المسلمون وحمدتهم الإنسانية وكانوا أقرب الى مقصد الدين الحقيقي الذي لاخلاف فيه بين المسيحية والاسلامية وهي خير البشر وتألفهم ، وان اختاروا الأمر الثاني فانهم يطلون المسلمين درسا جديدا قد يضرهم ويضر من يعيش معهم من جهة تباعد القلوب وقوة التعصب الذي يشكو منه مجبو التأليف والتوفيق ولكنه ينفعهم من جهة أخرى بما ينهض من همهم ويرفع من نفوسهم ويدفعها الى الاعتماد على ذاتها ومباراتهم في تأليف الجمعيات الدينية لإيشاء أمثال هذه المدارس لأنفسهم

سيقولون ان المسلمين لا يستطيعون الآن إنشاء مدارس كالمدرسة الكلية بل

كثيرا ما قالوا . ولكن هذا القول لاحجة له الا ما يبهدون من بخل اغنياء المسلمين بالمال في سبيل العلم والدين . وهذا عرض لا يدوم فما نحن أولاء نرى اخواننا المصريين قد بدأوا يبذلون الالوف من الدنانير لانشاء المدارس وقد سبقهم الى ذلك مسلمو الهند ومسلمو روسيا . وقد دبت الحياة في المملكة العثمانية فيرجى ان تصبى غيرها في هذا المضمار لمكاتها العالية من سائر بلاد المسلمين

ان مسلمي العثمانيين لا بد ان ينشطوا في هذا العصر من عقلم ويطموا ان التعليم الاجنبي المحض مها عظم نفعه لا يؤمن ضرره ، فانه ان خلا من الطعن في الاسلام أو تفضيل غيره عليه فانه لا يخلو من اضعاف للعاطفة الملية ، وحل للرابطة القومية ، فانه يحول مجاري الفكر في العلوم ومهاب أهواء النفوس في الاخلاق والآداب الى جهة الملين والمريين من الاجانب فيجعل عقول نابتنا وقلوبها ملكاً لهم أو وقفنا عليهم أو مجذوبة اليهم أو مفضلة لقومات أمتهم على غيرها وبنلك ينقص من مقومات أمتنا ومن احترامها في نفوس نابتنا بمقدار ما يزيد في نفوسها من عظمتهم فلا نطمع في مجاراتهم ومباراتهم ، فضلا عن مساقتهم ومقاومتهم ، بل نكون دائما عيالا عليهم . ناهيك بما في العلوم من الشبهات على الدين التي يسهل دفعها عن الاسلام لو كان المعلمون عارفين بحقيقته ، وارين عين شريعته

فهذه العلوم التي تؤخذ من هذه المدارس لا تكون حياة حقيقية لأمتنا الا بعد ان يصير زمام التعليم والثرية في أيدينا . فيجب على تلاميذنا في المدرسة الكلية الامريكانية في بيروت وعلى امثالهم في غيرها ان يعدوا انفسهم ليكونوا عوننا لنا على ذلك باقان اساليب التعليم ونقل العلوم الى لقتنا ، وسيرون من الامة نهضة مباركة في إمدادهم بالمال ، وان لا يكرهوا ما يرون من هضم حقوقهم وعدم مساواتهم برفاقهم من ابناء الملل الاخرى فان هذه المعاملة هي التي تمرك غيرتهم وتجمع كلمتهم فليقتبواها بسعة الصدر ، واطالة الفكر ، وحسن المعاملة ، وكثرة المجاملة ، وطاعة النظام ، ولين الكلام ، والتواصي بالحق والصبر ، حتى تكون حاجتهم هي الناهضة وعاقبتهم هي الحسنى « وعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » .

الإصلاح الأهم المقدم

﴿ في السلطنة العثمانية ﴾

كثير حديث الناس في الحكومة العثمانية الجديدة وما ينتظر منها من الإصلاح بعد ان قضى أحرار الأمة وجيشها على الحكم الشخصي الاستبدادي ، وأدالوا منه حكم الشورى الدستوري ، وكثرت اقوال الجرائد في ذلك ، ولكتنا نرى أكثر الحديث في الأمور الكبالية التي لا يكون إصلاحها الا في السنين الطوال كالمالية والمعارف والحريية والبحرية والعدلية (الحقانية) والزراعة ، ولقلنا نرى أحدا يذكر أهم المهمات الذي يجب تقديمه على كل شيء بلا استثناء ، ألا وهو تنظيم الشرطة (الضابطة والبوليس) لأجل حفظ الأمن العام وتنفيذ الشرع والقوانين بالعدل والمساواة أعلن الدستور وأعيد القانون الاساسي فصاح الصائحون بالناس في كل بلد أن احتفلوا به واحتفلوا ، وقيل لهم اخطبوا واهتموا فخطبوا واهتموا ، وقام الأحرار والمستعدون للحرية في وجوه أعوان الاستبداد والعبودية ، فأزلوا اناسا عن مراتبهم ، وعزلوا افرادا من مناصبهم ، وانذروا آخرين بلاء يحمل بهم ، وبشروا العامة بالخير القريب ، والعز الشديد ، والنعيم المقيم ، فذهبت النفوس في فهم ذلك مذاهب ، ووردت منه مشارب ، حتى فسره بعضهم بإباحة الحقوق وإلغاء الاتاوات والضرائب ، وقد اقسم الناس في فهم الدستور الى اقسام ليس من غرضنا بيانها في هذه المقالة وإنما قول إنه يوجد في البلاد العثمانية كثير من المستخدمين في الحكومة والذين عزلوا بعد الدستور واستقالوا ومن اصحاب النفوذ والجاه — يمتنون الحكومة الحاضرة ويمحنون الى الاستبداد السابق لا اعتقادهم انه نبي مالهم ويوسع دائرة جاههم لانهم يتبعون هوى رؤسائه مهما كان فيه من خراب ذمتهم ودينهم وخراب بيوت معظم الأمة والقضاء العاجل على الدولة . فهو لاء يوسوسون للعامة : ماذا استفدنا من الدستور والحريية ؟ كان يستبد بنا في البلد رجل واحد فصار يستبد بنا جميع الاشقياء ومثل

٢٨ الإصلاح الأهم المقدم في السلطنة العثمانية (الملتزج ١٧٢)

هذا الكلام بروج عند العامة التي تنتظر الراحة والسعادة من الحكومة الجديدة اذا لم تكذب هذه الحكومة بالعمل في اقرب وقت

ماذا يجب على الحكومة قبل كل شيء ، الجواب عن هذا السؤال بديهي وهو ان الواجب قبل كل شيء حفظ الأمن العام والحرية الشخصية ولا يتم هذا على وجهه الا بتنظيم الشرطة (الضابطة) ولذلك نرى الولاة والمتصرفين يتعلمون من كثرة الاعتداء بالضرب والقتل فاذا طولوا بتربية المجرمين يقولون اننا نتظر التطلعات الجديدة في إصلاح الشرطة من الاستانة في أول السنة المالية القادمة

هكذا قالوا لنا عندما تكلمنا معهم ورأيانهم يعلمون كما نعلم ان من في البلاد من الشحنة والشرطة قد افسد اكثرهم حكم الاستبداد الماضي فصاروا اعوانا للاشقياء والمجرمين ، وقد اقترحنا عليهم ان يستبدلوا شرطة لواء بشرطة لواء آخر فاعتذروا عن ذلك بقلة الرواتب وقالوا ان من يتقل من بلد الى بلد يحتاج الى نفقات جديدة لا يفي بها راتبه وستزاد الرواتب في اول العام القابل فيتيسر نقل هؤلاء الى بلاد لا صلة لهم بأشقيائنا ويكونون تحت مراقبة شديدة

هذا ما ينتظره والي الشام وجميع ولاة المملكة لأجل حفظ الأمن وحماية الحرية الشخصية . ويحسبهم الجمهور غير مباين بما يقع حيناً بعد آخر من الجنايات والمظالمات التي تنبئ باحتقار العامة للحكومة

لولا أن الاجل المضروب للبدء بالإصلاح المطلوب قريب لخشينا ان يفضي إهمال الحكومة للعامة الى الفوضى وان كان أكثر أهالي بلادنا لا يزالون على حظ عظيم من حب السلامة وحسن الاخلاق على ما أفسد الاستبداد من أخلاقهم ، فقد رأينا مثال ذلك في مصر قاتل الجنايات واهلاك الحرث والنسل في القطر المصري أشد وأكثراً مما هو في القطر السوري على كون الحكومة المصرية أرقى من الحكومة العثمانية . والسبب في ذلك ما أعطته الحرية للعامة من احتقار الحكومة والأمن من سطوتها الا ان ثبت تهمة على منهم في المحاكم مع جهل أئثار الاهالي وإفساد الاستبداد السابق لأخلاقهم ولا تزال الحكومة المصرية في حيرة من أمر

الأم من الم على كفرة بممها ومم أممب المراءم وممرم من المام وأهل
الاامار في ومائل ذلك ممم مئم

لو أمم ولائنا بالمزم في أوائل المم باعلان الممور وماعدمم بمميا الأمام
والمرفي المي أممم يمما صولمان الملممة عمم أشهر لمي ممومة الاماممة بأمرها
ممبموا على كل من يرمكب ممما وممبوا بممزامم مم باامم ان قل لأراموا
أنفمهم وأراموا الأمم في المالم بما نمكومم والممومة في المسمبل مم ماموف
نمكومم إذا مامم مريم ان بممي على مياسم الرمم والألمف (المزامم) المي
اممما ممم أعلن الممور إلى الموم ومميد الممام بمموا المامم الموامم

رأي زمم مياسم الرمم والألمف انما قمم أممنا الممور مملما مم ماموم
بالم فيمم ان مممي مفاك المم في مور الااملاب ومماري الممسمم والممومم
الم ان مسمر الممور في نممام ومو على نممامم . ولمن هذا الرأي إنما بمصم في
بلاد ممممي فيها من المم والممور المامميا إذا موممي . أهلا بما يكمومم كبلاد
الممام لا في بر المام الذي لمم فيم امممام للممور ولا ممم في بال أمم من
أمممامم انه مممم ان ممم في ومم الممومة نممم أو بممبم إذا مام مامم ان
ملمم الممل على الأمم بمامممه ١١

ألا إن أكم زمم مياسم لمممامم مالم الأمم في ممم الموامم وممولون
علما من الملام والممسمم من لا وموم لمم على ممممة مالمم مم امي أممب
ان نامم باشا لا يزال ممم مممبم مالم ولاممي ماموم ومومم على ذمامم
واممبارم لمم في ممي الأمممام ومموم الممور مام ممم المامم بمأمم بمك والمي
ماموم المممي الذي مام مامم في أورم مامممل ممما بمم الممور إلى الاماممة
مياموم ١؟ مم بمم مامم مرامم ماموم بمك ٩ . ومم بمم على هذا المامم
وذلك المام ان مامم مالم الملام وأهلا في زمم مومم لمممي فيمما : عمم المكم
بالمريم ، والمممة ، فإنها يممامم لا يممامم أمم في مممأمور الممومة المممي
في مام الممومة ١ ومم مام هذا مامم . ممم ممم على ممممة مالم الملام ومم
لا ممم على ممممة مالمم ممم بمومم على ومم الممم والممامم ١١

يظن امثال هؤلاء انه لا يطلب من الوالي او المتصرف الدستوري الا ان يكون عفيفا مستقيما مراعيًا في سيرته لقوانين وقائمه ان معرفة حال الناس الذين وضع القانون لاجل اصلاح شأنهم مقدمه على معرفة القانون والحرص على تنفيذه لان العدل في التنفيذ لا يكون الا بتطبيق المواد على الوقائع وهذا التطبيق يتوقف على معرفة حال المتلبسين بالوقائع التي تطبق عليها تلك المواد . وان وراء ذلك من الاجتهاد في حسن الادارة مالا تقني عنه القوانين وان فذت بالعدل

يتوهم بعض الولاة والمتصرفين ان للاشقياء الذين اشتدت جرائمهم في عهد الدستور عصابات تشد أزوم وان الحكومة لا تقدر على تربيتهم الا بعد تنظيم الشرطة وانها اذا حاولت الآن ان تقبض على المشهورين منهم أو تلزم الشراذم الذين هتاتون عليها حدم وتحفظ هيئتها في نفوسهم يثورون عليها ويقاومونها بقوة السلاح وان تركهم على ما هم عليه هو الواجب الآن عملا بقاعدة ارتكاب اخف الضررين وهذا وهم باطل بالنسبة الى ولايتي بيروت وسورية فان هذه البلاد وان ساءت حالها وكثر اختلالها في أواخر عهد الاستبداد فهي لم تصل في الشر والبهجة الى هذا الحد الذي قد يتوهمه بعض حكامها

هذا التوهم هو الذي كف أيدي الحكومة الجديدة عن تربية المجرمين فامتدت ايديهم الى ما لم تكن تمتد اليه في عهد الاستبداد حتى صار العقلاء يخشون ان ينضي احتقار الاشقياء للحكومة الى الفوضى ، وهم لا يعلمون الولاة على إهمالهم ولا يعرفون سبب هذا الإهمال اذ لو عرفوه لاجتهدوا في إقناعهم بأن البلاد ليس فيها عصابات ذات قوة ولا جمعيات سرية وان الوالي اذا شاء ان يقبض على مجرم وينفذ القانون على أي معتد فعل الا ان يفر الشقي الذي تأمر الحكومة بالقبض عليه قبل ان تهمل يدها اليه ، وأنه لا يوجد في مدن سورية كلها شقي تحده نفسه بأن يعصي على الحكومة تجرأ ، او يغري الاهالي بعصيانها سرا ، على ان إقناع هذا لوالي بيروت لأجل حمله على القيام بعمل لحفظ الأمن قديما من المبعث فانه لا يتوجه الى عمل ما في ذلك إلا بعد ورود ما ينتظر من تنظيم الشرطة والشحنة في أول السنة المالية القادمة وما هي بعيد

يجب ان يهدّ الولاة ومن دونهم من رجال الادارة لهذا الاصلاح عدته فانه هو الاصلاح الذي يتوقف عليه كل اصلاح . يجب ان يستخرجوا من المحاكم اسماء المحكوم عليهم بالاعدام وما دونه من المقربات وينفذوا ذلك كله بمتى البعد والحزم ثم يمنعوا الافتتاح على الحكومة بالمظاهرات التي لا يبيحها القانون أو يطلب بها ما لا يبيحه القانون ومن أصرّ على غيرّه يؤخذ منه باليمين

ويجب على الاستانة ان لا تهيد الولاة بقيود كثيرة وان لا تجعلهم عيالا على نظارة الداخلية في كل شيء . ولا في اكثر الاشياء بل فيما لا يدمنه ولا غنى عنه من الأمور الإجمالية . يجب ان يباح لروساء المحاكم من الولاة وتغييرهم الاجتهاد في فهم القوانين وتنفيذها بالمشاورة كل فيما يختص به مع تشديد التبعة (المسؤولية) عليهم وجعلهم تحت مراقبة المجالس العمومية التي يجب توسيع اختصاصها وكذا اختصاص مجالس الادارة . واذا أعيد التفتيش على الولايات يكون للأمة اربعة انواع من الضمان الذي يحول دون استبداد الولاة ومن دونهم من رؤساء الادارة : مجالس الادارة في كل لواء ومركز وناحية ، والمجلس العمومي في الولاية ، والتفتيش ، وشدة التبعة يضاف اليها من قبل الأمة نفسها انتقاد الجرائد وما وراءه من إثارة سخط الرأي العام . وكذا يقال في المحاكم مع ما يجب من استقلال القضاء وجعل المحاكم الشرعية المولفة من عدة أعضاء يحكم فيها بالاتفاق او اكثر الآراء وإيجاد محاكم استئنافية شرعية في كل ولاية

هذا ما عنّ لنا ان نكتبه الآن ، ويغلب على ظننا ان حكومتنا تحتاج في تنظيم الشرطة والشحنة الى الاستعانة بالاجانب كما تحتاج الى ذلك في كثير من الأعمال فان الرجال القادرين على الاصلاح عندنا قليلون كما سيظهر بالعمل وندعو الله ان يوفق مجلس الأمة الى خير الاصلاح المتظر

تبيين الجرائد السورية

الى الاعتبار بتاريخ الجرائد المصرية*

اذا كانت تربية الاطفال فنا من ادق الفنون وهو لا يبلغ درجة الكمال على
هناية العلماء والفلاسفة به فاذا هؤل في تربية الامم ؟

يوجد الوف كثيرة من المريات والمربين في كل امة من الامم المتعددة ولكن
الذين يربون الامم قليلون في كل امة وكل زمان

ان للامم اطوارا كما ان للأفراد اطوارا، ولا يحتاج المربي للأفراد في طور من
اطوارهم الى العلم الواسع والخبرة الدقيقة والصاية العظيمة كطور الانتقال من المراهقة
الى البلوغ او من التقليد والالزام الى الرشد والاستقلال، وان المربي للامم يكون عند
انتقالها من حكم الاستبداد والعبودية الى حكم الشورى والحرية اخرج من مربي
الأفراد الى العلم والخبرة والبصيرة والحكمة

ان خطباء الامم والقائمين على تربيتها بالارشاد والتعليم وانتقاد الحاكمين والعاملين
هم اصحاب الجرائد، وقد كانت الجرائد العثمانية في مازق لا تستطيع فيه حرا كما
فخرجت الى مجال فسيح وميدان واسع، ولكن الجولان في هذا المجال والجري في هذا
الميدان لا ينبغي الا للفرسان المهرة، فان الارض على رحبها غير ممهدة، والطرق على
سعتها غير مبيدة، فامام من يريد الجولان عواثر يخشى عليه من الترددي فيها، وعقبات
يصبب اقتحامها، واعلام مشتبهة لا يؤمن الضلال بينها

فنون الكلام في الجرائد كثيرة، والانتقاد ادقها مسلكا واصعبها مركبا وأشدّها على
النفوس وقها واكثرها ضرا ونقعا، فن وظائف الجرائد قد الحكام والاحكام، وقد
العمال والاعمال، وقد العلماء وكتب العلوم، فلاشيء الا وهو معرض لقدهم، فان احسن
كتابها التقد كانوا خير العون على الاصلاح، وان اساؤا كانوا من عوامل الفساد

(* نشرناها اولاً في جريدة «ابابيل» البيروتية وقتلتها ضحايا جريدة الأتحاد العمالي

والافساد ، لاسيما في مثل الطور الذي دخلت فيه الامة العثمانية الآن لا يعرف أحد كنه تأثير الجرائد في مثل هذا الطور كما يعرفه أهل البصيرة الذين خبروا بأنفسهم أمة كان الاستبداد يسومها سوء العذاب، فانتقلت الى الحرية فجأة ووجد فيها جرائد كثيرة مرخية العنان مطلقة من القيود ورأوا باعينهم ما كان لها من التأثير في تلك الامة . وان هذا الوصف ليصدق على بعض العثمانيين الذين اقاموا في القطر المصري زمنا طويلا موجهين عنايتهم الى اكتناء احواله الاجتماعية فاذا اشتغل هؤلاء بالصحافة العثمانية رجونا ان يفيدوا الامة جميعا لقد نفعت الجرائد في مصر كثيرا واضرت كثيرا ، واذ كر على سبيل العبرة للجرائد السورية مثلا من نفعها ومثالا من ضررها :

ان للجرائد المصرية احسن الاثر في النهضة العلمية في القطر المصري حيث صار الموسرون يتبارون في دفع الوف من الجنيهات لانشاء المدارس ، ويقفون عليها وعلى الجمعيات التي تقوم بادارتها الاراضي الواسعة ذات الربيع العظيم ، وقد كانت اشترك الجمعية الخيرية الاسلامية لا يخرج من كيس الغني الكبير منهم الا نكدا بعد مطالبات كثيرة ، وما ذلك الا جنهتان أو اربعة جنهات في العام ا

لم يكن الحث على انشاء المدارس والدعوة الى التربية والتعليم غرضا خاصا لجريدة من تلك الجرائد، ومذهبا ملتزما تدعو اليه وتجعله مدارا لنهضة الامة وسعادتها الا بحجة المنار التي صرح في فاتحة العدد الاول منها بهذه الكلمة « وغرضها الاول الحث على تربية البنات والبنين » ثم كنا نستطرد من كل موضوع يكتب فيها الى الحث على التربية والتعليم . ولا أريد بهذا الاستثناء ان انيط بالمنار ما ذكرت من النهضة العلمية فادعي انه هو روحها الذي به حياتها ونماؤها . بل لا أنكر ان الجرائد اليومية أعم تأثيرا منه في ذلك ، ناهيك بنشرها لاسماء المتبرعين بما قل أو كثر مع الحمد والثناء . ولو انها جعلت الدعوة الى ذلك مذهبا متبعا ومشرقا ، ورودا لكان النفع اعظم ، ولكن شغلها السياسة عن ذلك وهو أنفع لهم في سياستهم

فهل للجرائد العثمانية ان تعتبر بهذا فتجعل الدعوة الى التربية والتعليم ديدنها،

والحث على التبرع لذلك وتأسيس الجمعيات لاجله مذهبها الذي توجه الى نشره
 جل عنايتها ؟ فاذا كان للجرائد المصرية بعض العذر في جعل جل همها في السياسة
 فان جرائد سورية لا نصيب لها من هذا العذر ، لانه ليس في بلادها سلطان متعارضتان
 احدهما اجنبية يدها الحل والمقد بالفعل ، والاخرى رسمية لها الاسم ومالا يعارض
 سياسة الاولى من الفعل . على اننا قد نبهنا اصحاب الجرائد السورية الى تقصير
 الجرائد المصرية في الدعوة الى التربية والتعليم على الوجه الذي هو ارجى
 لتكوين الامة وجعلها امة عزيزة مستقلة في نفسها استقلالاً يفضي الى استقلالها في
 احكامها وسياستها

هذا ؛ وأما المثال لضرر الجرائد المصرية فهو طريق انتقادها ولاسيما للحكومة ، فقد
 سلك اكثرها فيه مسلكاً سقط هية الحكومة من النفوس بعد ما كان لها من هياكل
 العظمة في كل خيال ، وشعور الخشية والبأس في كل قلب ، فوثبت الجرائد بالشعب
 المصري من طرف الى طرف ، من غير ان تمر به على الوسط أو ما يقرب من الوسط .
 ذلك المسلك هو اتهام الحكومة بمشايعة الانكليز على ما يريدون من السوء
 بالبلاد ، فكان أولئك الكتاب ينحون بمدحهم وطعنهم على الوزارة « مجلس النظارة »
 في الجملة وعلى رئيسها وافرادها وعلى المديرين وغيرهم من رؤساء الاعمال في
 التفصيل ، فذلك الانتقاد أو الطعن كان الغرض منه تأييد سياستهم في مقاومه الاحتلال
 والتشفي من الانكليز وبيان ان الامر كله في أيديهم وتبعته عليهم ، وان النظار وسائر
 الموظفين المصريين آلات صماء ، تحركها هذه الايدي كما تشاء ، ولكن فيما يضر البلاد
 ولا ينفعها وفيما يسلب السلطة الشرعية من أميرها ، وهو الذي يريد لها الخير لولا
 انه عاجز عنه . وكان يقوم في وجه هذه الجرائد الكثيرة جريدة أو جريدتان أو
 ثلاث تندد بالامير و بطاقته ، وتلمز ذلك المقام بما يخفض من قدره — فبذلك كله زالت
 هية الامير وحكومته الرسمية من النفوس ، فتجرأ الاشقياء على السلب والنهب ،
 واهلاك الحرث والنسل ، وكثرت الجنايات في الارياض حتى ان الحكومة لاتزال في
 حيرة من حفظ الامن الى هذا اليوم

نم انه قد استقر في أذهان جميع المصريين ان الامر كله للانكليز ، وأنهم

يستطيعون ان يفعلوا ما أرادوا من حيث لا تستطيع الحكومة المصرية من دونهم شيئاً ، ولكنهم علموا مع هذا أن الانكليز لا يحفلون بالمسائل الجزئية التي تتعلق بافراد الاهالي وانما يكون الامر فيها الى الحكومة المصرية تنظر فيها بحسب القوانين ، فلا يستطيع المأمور ولا المدير ولا رئيس النيابة (المدعي العمومي) ولا القاضي ان يعاقب جانياً الا اذا ثبتت جنايته في المحكمة ، وقلاً يقدم الجناة على عملهم الا وهم آمنون من ثبوتهم عليهم ، فاختلال الامن في القطر المصري نشأ من سقوط هيئة الحكومة من نفوس العامة ، والتطرف في الحرية والانتقال من حكومة استبدادية عرفية ، الى حكومة قانونية حرفية ، اي مجري فيها الحكام على ظواهر الفاظ القانون من غير تطبيق على المصلحة العامة التي وضع لاجلها القانون . وما كان لاكثر الجرائد من عمل في ذلك الا ما ذكرنا ، فما كان من خطأ يقع كانوا يحملونه على سوء النية من الحكومة ، وما كان من صواب يسكتون عنه او يحملونه على غير محمله ، حتي كانوا ربما يطعنون في أنفع الاعمال كانشاء الخزان في اسوان — فلماذا ولغيره من الخطأ الذي لا يتسع هذا المقال لشرحه كان الاستاذ الامام يقول « جرائدنا احدى بلايانا »

فيجب ان تعتبر الجرائد السورية بخطأ الجرائد المصرية التي سبقتها في الاستقلال والحرية كما تعتبر بصوابها ، فكما يجب عليها ان تتخذها مذاهب في الاصلاح الاجتماعي لا تشغلها عنه السياسة يجب عليها أن تتخذها اسلوباً حكيماً في انتقاد الحكومة يرحي نفسه ولا ينجس ضرره ، ويجمع بين حفظ هيئتها في نفوس العامة من حيث هي امينة على مصالحها ومنفذة لشرعتها وقوانينها التي اقرها نوابها ووكلاؤها ، وبين تكريم الامة واعلاء شأنها وغرس مبادئ الحكم الذاتي في نفوسها .

كيف تنتقد الحكومة

تنتقد اعمال الحكومة لفرضين شريفين : أحدهما وهو الاصل صيانة الحقوق وحمل الحكام على العدل واداء الأمانة بالتزام الشريعة وتطبيق القانون على المصلحة العامة . وثانيهما عرضي تمس اليه حاجة الامة أو ضرورتها في مثل الطور الذي نحن فيه الآن في بلاد الدولة عامة والقطر المصري خاصة ، وهو بث مبادئ الحكم الذاتي في نفوس الامة (أي حكم نفسها بنفسها)

اما الأول فطريقته ان يبحث الكتاب عن الاعمال والاحكام ، ويبنون ما يجب بيانه في انطباقها على الشرع والقوانين وعدمه من غير بذاء ولا استعلاء ولا طعن يسقط المهابة وينذهب باحترام الحكومة من نفوس العامة . وانما نفي بالاعمال اعمال الحكومة دون الاعمال الشخصية التي لا دخل لها ولا تأثير في المصالح العامة .

ومن كان مخلصا في انتقاده يتحرى الحق فيه ، فاذا ظهر له انه اخطأ فيما كتبه رجع عنه رجوعا صريحا وبين سبب خطاه الاول ومشرق انبلاج الصواب له وبذلك يكون كلامه مؤثرا في القلوب ذا سلطان على النفوس فيقدره قدره الحاكم ، فاذا لم يرجع به المسي ، عن غيه آخذة رؤساؤه على سوء فعله

ومن آيات الاخلاص ان يسعى مريد الانتقاد ان تيسر له كأن يراجع الحاكم فيما يرى انه يسيء أو يجور فيه ، فان تم له ذلك والالجا الى الانتقاد

وينبغي ان يبدأ بالرمز والتلويح ، ثم يترقى في سلايم التصريح ، فاذا استقام الجائر ، وعدل الظالم ، وجب ان يقف الناقد عند الدرجة التي ارتقى اليها في تقده ثم يثني على العمل الذي يستحق الثناء

ومما يتحتم مراعاته ان تكون الفقرة التي ينتقد بها القضاة ورؤساء الادارة بحيث يفهمها الخاصة دون العامة ، كأن تورد بضروب من المجاز والاستعارة وتستعمل فيها الالفاظ الغريبة لئلا تزول مهابة الحكومة من نفوس العوام وتقل ثقتهم بالقضاء ويعتقدوا انه لا سبيل الى قضاء مصالحهم الا بالرشوة ، ويطمع المبتلون منهم بهضم الحقوق ويضري الاشقياء ، بالتعدي على الضعفاء ، اعتمادا على ضعف الحكام أو ظلمهم وإنما تجب مراعاة ما ذكر في انتقاد من يسيء مستخفيا ، واما من يجهر بالسوء ويعرف عنه الظلم فأولئك هم الذين لا تحفظ لهم حرمة ، ولا ترقب فيهم ذممة ، فيجبر الكتاب بانتقادهم ، ويجزؤون الامة على الشكوى منهم ، اذا لم يبادر رؤسائهم والمفتشون عليهم الى النظر في أمرهم ، ولتكن الشكوى الى المجالس العمومية في الولايات ثم الى مجلس المبعوثان في الأستانة بعد مراعاة ما اشترطه القانون الاساسي في ذلك اما الطعن في الحكومة على الاطلاق فضرره عظيم جدا في مثل بلادنا ولا سيما

في أول العهد بالانقلاب كهذا الزمن . مثال ذلك طعن المثقفين أو الرجعيين (على الخلاف بين كتاب العرب وكتاب الترك في لقبهم) في حكومة الشورى الحاضرة من حيث شكلها والاستبدلال على ذلك بالخلل والفساد الذي أظهرته الحرية في الأمة والحكومة جميعا بزعمهم ، وما هو إلا من رزايا الحكومة السابقة التي يتعذر تطهير الارض من تنبها في بضعة شهور أو بضع سنين ومن أمثته استبطاء كثير من المحيين للحكومة الحاضرة لاعمال مجلس الأمة واظهارهم قلة الثقة به وشكهم في أنفسهم وتشكيكهم للناس في قدرته على القيام بما عهد اليه من اصلاح حال الدولة ، وترقية شؤون الأمة ، وما ذلك إلا لجهلهم بحاله وبحال الحكومة التي ينظر في أمر اصلاحها

ان مثل مبعوثينا ونوابنا في مجلسهم كتل مهندس كلف وضع رسم أو رسوم لبناء بلد كسيني « لا مسينا كما تضبطه الجرائد » قد دمرته الزلازل وان يستحضر البنائين لاعادة بنائه على أحسن مما كان عليه ، ويراقب عملهم الى ان يتم ثم يكون أمينا عليه حافظا له فأراد ان يشرع في العمل فوجد معظم اقتاض البلد مفقودة قد تلف بعضها وسرق بعض ولم يجد من البنائين المهرة والصناع والتجارين عددا كافيا للاسراع في المهارة !! فهل يلام المهندس ويرى بالتقصير وحده وينسى ذلك الزلزال الذي دمر البلد وأولئك الاصوص الأدياء الذين كانوا ينهبون اقتاضه وما يهيا لبنائه !!؟

ألا ان عذر مبعوثينا أظهر من عذر ذلك المهندس ، فان زلزال الاستبداد قد توالى على المملكة العثمانية من زهاء ثلاثة اجيال ، وقد اشتد في عهدنا هذا من أول هذا القرن الهجري حتى كاد يجهل المملكة أثرا بعد عين . وقد كان أكثر رجال حكومتنا في ذلك الدور كأولئك التحوت الذين اقترصوا زلزال (مسيني) فسارعوا الى نهب كل ما وصلت اليه أيديهم الاثيمة من أموال المالكين والمشرفين على الهلاك فماذا عسى ان يفعل نوابنا في أيام أو شهور ؟

قال أمامي بعض هؤلاء المتقدمين الطيبة قلوبهم النائمة عقولهم أوالقليل اختبارهم : ان بعض المبعوثين يسأل في المجلس أسئلة سخيفة تدل على ان مجلسنا في سن

الطفولية ، قلت هل كان فيها أسخف من سؤال بعض نواب الانكليز في مجلسهم الذي هو أعلى وأرقى مجلس نيابي في الأرض عن الكنف (المراحض) في القاهرة وكونها قليلة أو غير موجودة في الأحياء الوطنية ! !

ومن أمثلة الانتقاد المطلق في الحكومة الحاضرة ما يلهج به الناس من جميع الطبقات في جميع البلاد من تقصيرها في حفظ الأمن وارسالها حبال الأشقياء على غواربهم ، وهذا الانتقاد واقع ماله من دافع لظهور موجبه لكل أحد ، وهو هو علة الانتقاد الذي ذكر قبله ، ولا مراً كان كلام الجرائد فيه دون كلام الناس في أنديتهم وسارهم ويوتهم وسائر مجامعهم وفي الطرق والأسواق ! .

وإذا طال العهد على هذا الأهل فأنتي أخشى ان يتقادم امره ، ويستشري شره ، وقد كلمت فيه والي بيروت قبلاً « والي سورية الآن » ووالي بيروت الآن والمدعي العمومي لولاية بيروت ومنتصرف طرابلس فرأيتهم ينتظرون أول السنة المالية التي قربت خطواتها لأصلاح حال الشحنة والشرطة والدخول على حفظ الأمن من بابها ان عذر الولاية والمتصرفين في التقصير في حفظ الأمن محصور في ظنهم انه لا يمكن بطريقة قانونية لا استبداد فيها ولا ظلم الا بعد تنظيم الشرطة وایجاد قوة عسكرية كافية لتلافي ما ربما يحدث من الثورات الداخلية ، وهو عذر مبني على عدم اختبار حال البلاد في مثل ولاية بيروت فقاسوها على مثل ولاية الموصل وعلى حوران من ولاية سورية ، ويعسر علينا إقناعهم بان هذه البلاد لم تصل الى هذه الدرجة من الشر والفساد ، وانه لا يوجد فيها احد من الأشقياء يفكر في مقاومة الحكومة قط ، وان اي وال أو متصرف أخذ بالحزم يسهل عليه ان يحفظ الأمن . على ان من يفتن منهم بذلك لا يتجرأ على الاقدام عليه وتحمل تبعته في عهد هذه الحكومة ولا سيما مع بقاء الاسانة مستأثرة بالسلطة العليا ومقيدة لسلطة الولاية بله المتصرفين فمن دونهم ! اذا طال العهد على الحال التي نحن عليها - وما هو بالذي يطول ان شاء الله -

يتقوض بناء مهابة الحكومة من نفوس العامة فلا يبقى منه شيء ، وتصير البلاد فوضى ، ولولا ان سلامة القلوب ومحاسن الاخلاق لا تزال ذات السلطان الغالب في بلادنا لكانت بضعة شهور كافية لانتشار الفوضى وطمع الأشقياء في الخروج على

الحكومة ولكن شيئاً من ذلك لم يكن ولن يكون ان شاء الله تعالى
ان الحكومة قادرة الآن على التنكيل بالاشقياء فكيف بها بعد التنظيم الذي
اظننا زمانه وادركنا ابانه . وان ما حصل طبيعي في طور الانقلاب فما هو بالامر الغريب
الذي يبيع للناس ولا للجرائد الطعن في الحكومة على الاطلاق
اذا رأينا بعد استقرار الحكومة الجديدة واقامة النظام المنتظر عجزاً عن حفظ
الامن في ناحية لسوء ادارة مديرها او في قضاء لجمال القاتمقام او في لواء لضعف
المصرف او في ولاية لعله في الوالي - فاننا نسي لدى مرجع كل واحد من هؤلاء
لاستبداله ، اذا اعوزنا اصلاح حاله ، ولا نطمئن في الحكومة طعناً مطلقاً يذهب بثقة
العامه بها ، ولا تهمها بالخيانة والفساد ، ولا نرميها بالمجز والضعف ، فان ذلك كله
نسوء عاقبته على كونه لا يمكن أن يكون صحيحاً على اطلاقه

حسبنا هذه الكلمات في بيان الفرض الاول من غرضي الانتقاد الصحيحين
فان المخاطب بها هم الكتاب الالباء واللييب تكفيه الاشارة

واما الفرض الثاني من ذينك الفرضين وهو تقوية روح الحكم الذاتي في
الامة فقد يحتاج اليه في البلاد المصرية اكثر مما يحتاج اليه في البلاد السورية ، لمكان
الظنة في استئثار الانكليز بالسلطة وجعل المصريين الآن في أيديهم . ومع ذلك
نرى الجرائد المصرية قد قصرت فيما يجب عليها من الرمي الى غرض نفوذ الامة
فكان معظم نضالها أو جميعه دون نفوذ الامير نفسه ، أي لتقرير الحكومة الشخصية
والانتقال من استبداد اجني محدود إلى استبداد شخصي وطني لاحد له . الا انه
قد كثر خوض هذه الجرائد في هذه السنين الاخيرة في طلب المجلس النيابي لمصر
وكون ذلك موافقاً لرغبة الامير في رأي بعضها . ولكن الصحيفة المصرية التي
اتخذت تقوية سلطة الامة نفسها مذهباً تراعيه في انتقادها على الحكومة هي (الجريدة)
التي أسسها جماعة من الوجهاء وأهل الرأي تنفيذاً لما كان دعاهم اليه الاستاذ الامام
في آخر حياته . ويعلم الله ان هذا ما كنت اقترحه عليه من بضع سنين حتى اتني
كنت قد اخترت له المحررين ووضعت له الميزانية بعد المذاكرة الطويلة معه في
المذهب السياسي - وهو سلطة الامة وفي المنهاج الاجتماعي الأدبي وجعله في

انتقاد الاخلاق والعادات . فهل للجرائد السورية ان تفكر في هذا وتقدره حق قدره ؟ ان الجرائد العثمانية كلها تحتاج الى انتقاد الحكومة فيما يختص بسلطة الامة عند وضع بعض القوانين التي تقوي سيطرة الحاكم وتضع العثرات في سبيل الامة كقانون المطبوعات وقانون الجزاء (العقوبات) وقانون المعارف ولوائحها ونظام مدارسها ، بل يجب ان تنتقد مجلس الامة اذا لم يجعل تنقيح القانون الاساسي مقيدا للحكم الشخصي ، مطلقا لحكم الشورى من تلك القيود المعروفة ، واذا نازعت الحكومة فيما يقوي به سلطة الامة وجب على الجرائد ان تحمل عليها حملة شعواء ، وان لا ترضي اقلها بما دون الطمنة النجلاء .

كذلك يجب على الجرائد في كل ولاية ان تنتقد الولاة اذا هم حاولوا الاستبداد في امر المجالس العمومية ومجالس الادارة او اظهروا التعصب لجنسهم كتعصب التركي للترك والعربي للعرب فان العصبية الجنسية من الحكام تضعف الجامعة العثمانية وتحدث فيها الاحداث والمفاسد

ولا يجوز بحال من الاحوال ان تهم الحكومة في جملتها بهضم حقوق الامة وكراهة حكمها الذي هو حكم الشورى ، وان كان الكثيرون من الوجهاء والرؤساء السابقين قد قل اتفاعهم وتقص ما لهم وجاههم في عهد الحكومة الحاضرة ، فهم يحنون الى الاستبداد ويتمنون الرجوع اليه حتي صارت جرائد الاستانة تسميهم الرجعيين . فمن بقي في الحكومة من هؤلاء ومن يدخل فيها على عهد الدستور للجهل بحالمهم او الحاجة اليهم على عوجهم لا يألون جهدا في الاستبداد اذا وجدوا منفذا من المنافذ ، وأمنوا المراقب والمواخذ

فمن أقدس وظائف الجرائد وواجباتها ان تتبع عوارهم ، وتعلم اظفارهم ، وتكتب انصارهم ، مع مراعاة ما أشرنا اليه من الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بانبي أحسن كما أرشدنا الذكر الحكيم . وليكن الاخلاص رائدنا ، وإيثار المصلحة العامة غايتنا ، فلا شيء انفع وأرفع من العمل بخير الناس ، ولا مرشد إلى ذلك اهدى من الاخلاص .

باب المراسلة والمناظرة

﴿ شيخ الاسلام ابن تيمية وما قيل فيه ﴾

غزالي عصره السيد محمد رشيد رضا منشيء المنار المنير بمصر

سلام الله عليكم ورحمته، ولا زلت في نعيم مقيم

سيدي: من العجب انكم لم تتعرضوا لما قاله ابن حجر الفقيه في فتاويه الحديثية من الطعن على ابن تيمية بالتفصيل الشافي المعهود من حضرتكم ومحكمة ابن حجر فيما قاله حتي يتبين الرشد من الغي! . وهنا نجد اكثر الجامدين من اصحاب العائم يتمكنون بتنفير البسطاء عن مطالعة المنار لكونه ينقل عن ابن تيمية وان المنار يلعبه بشيخ الاسلام ناسياً ما قاله ابن حجر في فتاويه حيث يقول « عبد خذله الله تعالى واضله واعماه واصمه وأذله »

وتجد محب المنار الغير المطلع على اقوال ابن تيمية التي اوجبت خذلانه وانحرافه عن الطريقة الجادة يلتجئ الى السكوت . نعم ربما انه سبق لحضرتكم كلام في بعض أجزاء المنار السابقة بخصوص هذه المسألة . « لان مثل هذا مما لا يحسن سكوت حضرتكم عنه كل هذه المدة »

ولكن يتجدد قراء كثيرون في المنار في كل عام وكثير منهم لم يطلعوا على ما سبق نشره في ذلك مع حاجتهم للاطلاع وذلك يلجئكم ان توضحوا المسألة ثانياً . وقد بلغني أن كثيراً من العلماء العظام اتقدوا كلام ابن حجر . فهل لسيدي نقل بعض اقوالهم ؟ ولكم من الله جزيل الفضل ومنا الشكر .

ع . س (دلي - سمطرا)

(المنار) لا غرابة ولا عجب في عدم تعرضنا لما ذكرتم قبل ان نُسأل عنه ، على اننا كنا

(المجلد الثاني عشر)

(٦)

(المناهج ١)

عازمين على كتابة ترجمة لابن تيمية بعد إتمام ترجمة الفزالي . ويغلب على ظننا ان الفقيه ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى لم يطالع على كتب ابن تيمية وانما رأى ما انتقده عليه بعض معاصريه كالشيخ تقي الدين السبكي وغيره فانكر ذلك عليه ولا يبعد ان يكون بعض المفسدين قد دس في كلام ابن حجر ذلك السباب والشتم الذي يجلب مثله عن مثله وذلك مما حدث كثيرا كما بينه الشعراي في كتاب اليواقيت والجواهر وغيره حتى ذكر ان بعض كتبه نسخ في عصره ودستت فيه ضلالات كثيرة ولم يقتنع العلماء بأن تلك الضلالات من دسائس المفسدين الا بعد أن أبرز لهم ما كتبه بخطه . ويظهر انه لم يطالع أيضا على ما قاله حفاظ الحديث والعلماء والمؤرخون في الثناء على ابن تيمية بما لم يشنوا بمثله على أحد حتى شهداه معاصروه ومناظره بالوصول الى رتبة الاجتهاد المطلق ومن كان كذلك لا بد ان يخالف غيره من المجتهدين في بعض المسائل . ويميز على الفقهاء المقلدين ان يوجد في عصرهم من يخالف أئمتهم بل من دون أئمتهم ممن يجلون من الميتين حتى كأن الموت يجعل العالم معصوما . ولذلك ترى ان سبب قيام الشيخ كمال الدين الزمكاني والشيخ نصر بن المنبجي علي ابن تيمية هو إنكاره على الشيخ محيي الدين بن عربي ، وسبب قيام ابي حيان عليه هو إنكاره على سيدييه ونخطته له . فهؤلاء الثلاثة والشيخ تقي الدين السبكي هم اعظم العلماء الذين انكروا عليه في عصره ومن اسباب حقنهم عليه تشدده في الانكار عليهم هم فيما اتصروا به لابن عربي وسيدييه ولكن كل واحد منهم قد اثني عليه ثناء عظيما قبل وقوع النفور بينهم كما سيأتي

وقد ألف بعض العلماء كتابا خاصة في الثناء على ابن تيمية والاتصاف له ، منها (القول الجلي في ترجمة الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي) للعلامة المحدث السيد صفى الدين الحنفي البخاري نزيل نابلس . ومنها (جلاء العينين في محاكمة الاحمديين) اي احمد بن تيمية واحمد بن حجر واننا نقل عن كل منهما طائفة من القول عن العلماء في ترجمة ابن تيمية ، قال صاحب القول الجلي في أول كتابه ما نصه :

« ولد رحمه الله تعالى في عاشر ربيع الاول سنة احدى وستين وست مئة وقرأ القرآن والفقه وناظر واستدل وهو دون البلوغ ، وبرع في التفسير وأقوي ودرس وله

(المناج ١٢) الحافظان الذهبي والمزي . تقریظهما ابن تیمیة ٤٣

نحو العشرين ، وصنف التصانيف وصار من اكابر العلماء في حياة شيوخه ، وله المصنفات الكبار التي سارت بها الركبان ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراسة وأكثر ، وفسر كتاب الله تعالى مدة سنين . وكان يتوقد ذكاء وسمع من الحديث أكثره ، وشيوخه أكثر من مئتي شيخ ومعرفة بالتفسير إليها انتهى وحفظ الحديث ورجاله وصحته وسقمه فماباحق فيه . وأما نقله للفقهاء ومذاهب الصحابة والتابعين فضلا عن المذاهب الأربعة فليس له فيه نظير ، وأما معرفته بالملل والنحل فلا أعلم له فيها نظيراً ، ويديري جملة صالحة من الأئمة ، وعريته قوية جدا ومعرفة بالتفسير والتاريخ فعجيب عجيب . انتهى ملخصا من كلام شيخ الإسلام أبي عبد الله الذهبي فيما نقله عنه الحافظ الكبير ابن ناصر الدين الدمشقي الشافعي

قال الحافظ الذهبي الدمشقي الذي قال فيه الحافظ ابن حجر هو من أهل الاستقراء التام في تقدمه الرجال وتبعه على ذلك الحافظ السيوطي فيما نقله الحافظ ابن ناصر الدين : ابن تيمية أكبر من أن ينبه مثلي على نعوته فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أني ما رأيت بعيني مثله ولا والله هو ما رأى مثل نفسه في العلم وقال الحافظ شمس الدين السخاوي الشافعي في فتاواه في حديث « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » وفي حديث « كنت نبياً ولا آدم ولا ماء ولا طين » حيث أجاب باعتماده كلام ابن تيمية في وضع اللفظين وناهيك به اطلاعا وحفظا أقره بذلك المخالف والموافق قال وكيف لا يعتمد كلامه في مثل هذا

وقد قال فيه الحافظ الذهبي ما رأيت أشد للتمون وعزوها منه وكانت السنة بين عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة

وقال حافظ الإسلام الخبر النبيل أستاذ أئمة الجرح والتعديل شيخ المحدثين جمال الدين أبو الحجاج يوسف ابن الركن عبد الرحمن المزي الشافعي فيما نقله عنه الحافظ ابن ناصر الدين : ما رأيت مثله بعيني ابن تيمية ولا رأى هو مثل نفسه وما رأيت أحدا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أتبع لها منه . اه
وقد تقدم عن الحافظ الذهبي نحوه وناهيك بهذا الكلام من الحافظين
المديين المستوعين أبي الحجاج المزي وأبي عبد الله الذهبي

وقال الشيخ الإمام بقية المجتهدين تقي الدين بن دقيق العيد الشافعي لما اجتمع به وسمع كلامه : كنت أظن ان الله تعالى ما بقي يخلق مثلك . وقال أيضا : رأيت رجلاً العلوم كلها بين عينيه يأخذ منها ما يريد ويدع ما يريد . ذكره الحافظ المذكور وقال الحافظ عماد الدين بن كثير الشافعي : وبالجملة كان رحمه الله تعالى من كبار العلماء ومن يخطئ ويصيب ولكن خطأه بالنسبة الى صوابه كتقطة في بحر لحي وخطوئه أيضا مغفور له لما صح في صحيح البخاري « اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران واذا اجتهد فأخطأ فله أجر »

وقال الامام مالك بن أنس : كل أحد يؤخذ من قوله ويترك الا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وآله وسلم . وما قاله في غاية الحسن والحافظ المذكور ثقة حجة باتفاق وقد ترجمه الحافظ ابن حجر بترجمة جليلة جدا فلا التفات الى ما نقله عنه الشيخ تقي الدين الحصني . نعم كان يقول بقول الشيخ ابن تيمية في مسألة الطلاق فأوذى بسببه ومع انه خالف الائمة الاربعة في ذلك فلم يتفرد به كما هو مبين في موضعه وهو وان كان خطأ فاحشا فلا يوجب التفسيق فافهم

(فان قلت) ما ذكره الامام الحافظ ابن كثير مبني على ان الشيخ قد بلغ رتبة الاجتهاد وأنى له بهذه المرتبة وقد انقطع الاجتهاد من زمان طويل !! (قلت) وقد نص على انه بلغ رتبة الاجتهاد جمع من العلماء منهم الامام أبو عبد الله الذهبي فيما ذكره ابن ناصر والحافظ ابن حجر كما سيأتي والحافظ السيوطي في طبقات الحفاظ فيما أحفظ ولم يتفرد بمسئلة منكرة قط وان كان قد خالف الائمة الأربعة في مسائل فقد وافق فيها بعض الصحابة أو التابعين ومن اشنع ما وقع له مسألة تحريم السفر الى زيارة القبور وقد قال به قبله أبو عبد الله ابن بطة الحنبلي في الابانة الصغرى وسنذكره عن قريب إن شاء الله تعالى

وقال الحافظ ابن حجر فيما كتبه على الرد الوافر لشيخ الاسلام الحافظ الهمام ابن ناصر الدين الدمشقي الشافعي مانصه : ولقد قام على الشيخ تقي الدين جماعة مرارا بسبب أشياء أنكرها عليه من الاصول والفروع وعقدت له بسبب ذلك عدة مجالس بالقاهرة ودمشق ولا يحفظ عن أحد منهم أنه أفتى بزندقته ولا أفتى بسفك

دمه مع شدة المتعصين عليه رحمه الله من أهل الدولة حتى حبس بالقاهرة ثم
بالأسكندرية ومع ذلك فكلهم معترف بسعة علمه وورعه وزهده ووصفه بالسخاء
والشجاعة وغير ذلك من قيامه في نصر الإسلام والدعاء إلى الله في السر والعلانية
فكيف لا ينكر على من أطلق عليه أنه كافر بل من أطلق على من سماه بشيخ الإسلام
الكفر وليس في تسميته بذلك ما يقتضي ذلك فإنه شيخ الإسلام بلا ريب والمسائل التي
أنكرت عليه ما كان يهونها بالتشهي ولا يصح على القول بها بعد قيام الدليل عليه عناداً،
وهذه تصانيفه طائفة بالرد على من يقول بالتجسيم والتبرئ منه ومع ذلك فهو بشر
بخطيء ويصيب، فالذي أصاب فيه وهو إلا كثير استفاد منه ويترحم عليه بسببه، والذي
أخطأ فيه لا يقلد فيه أي كسئلة الزيارة والطلاق بل هو معذور لأن أئمة عصره شهدوا
بأن أدوات الاجتهاد اجتمعت فيه حتى كان أشد المتعصين عليه والقاءين في إيصال
الشر إليه وهو الشيخ كمال الدين الزمكاني يشهد له بذلك، وكذا الشيخ صدر الدين
ابن الوكيل الذي لم يثبت لمناظرته غيره. ومن أعجب العجب أن هذا الرجل كان
اعظم الناس قياماً على أهل البدع من الروافض والحلولية والأتحادية وتصانيفه في ذلك
كثيرة شهيرة وفتاواه فيهم لا تدخل تحت الحصر، فياقرة أعينهم إذا سمعوا تكفيره
ويأسروهم إذا رأوا من يكفر من لا يكفره. فالواجب على من تلبس بالعلم وكان له
عقل أن يتأمل كلام الرجل من تصانيفه المشتهرة أو من السنة من يوثق به من
أهل النقل فيفرد من ذلك ما ينكر فيحذر من ذلك على قدر قصد النصح ويثني
عليه بقضائه فيما أصاب من ذلك كدأب غيره من العلماء، ولولم يكن للشيخ تقي الدين
من المناقب إلا تلميذه الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية صاحب التصانيف
النافمة السارة التي انتفع بها الموافق والمخالف لكان غاية في الدلالة على عظمة
منزلته فكيف وقد شهد له بالتقدم في العلوم والتميز في المنطوق والمفهوم أئمة عصره
من الشافعية وغيرهم فضلاً عن الحنابلة. فالذي يطلق عليه مع هذه الأشياء الكفر أو
على من سماه شيخ الإسلام لا يلتفت إليه ولا يهول في هذا المقام عليه بل يجب ردعا
عن ذلك إلى أن يراجع الحق ويدعن للأصواب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل
حسبنا الله ونعم الوكيل

وقال شيخ الاسلام صالح ابن شيخ الاسلام عمر البقيني رحمه الله تعالى فيما كتبه على الكتاب المذكور - : ولقد افتخر قاضي القضاة تاج الدين السبكي في ثناء الائمة عليه بان الحافظ المزني لم يكتب لفضلة شيخ الاسلام الا لأبيه وللشيخ تقي الدين ابن تيمية وللشيخ شمس الدين ابي عمر فولوا ان ابن تيمية في غاية العلو في العلم والعمل ما قرن ابن السبكي أباه معه في هذه المقبة التي تهلها ، ولو كان ابن تيمية مبتدعا أوزنديقا ما رضي أن يكون أبوه قرينا له . نعم وقد ينسب الشيخ تقي الدين لاشياء أنكرها عليه معارضوه وانتصب للرد عليه الشيخ تقي الدين السبكي في مسألي الزيارة والطلاق وافرد كلا منهما بتصنيف وليس في ذلك ما يقتضي كفره ولا زندقته أصلا وكل أحد يوخذ من قوله أو يترك الا صاحب هذا القبر « (١) والسعيد من عدت غلطاته ، وانحصرت سقطاته ، ثم ان الظن بالشيخ تقي الدين انه لم يصدر ذلك تهورا وعدوانا ، حاش لله بل لعله لرأي رآه واقام عليه برهانا ، ولم تقف الي الآن بعد التروي والفحص على شيء يقتضي كفره ولا زندقته ، وانما وقفت على ما رده على أهل البدع والاهواء أو غير ذلك مما يظن به براءة الرجل وعلى مرتبته في العلم والدين . وتوقير العلماء والكبار وأهل الفضل متعين قال الله تعالى (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟) وصح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا - وفي رواية --- حق كبيرنا » وكيف يجوز ان يقدم على رمي عالم بفسق أو كفر ولم يكن ذلك فيه انتهى

قلت وسند كر ان شاء الله تعالى قريبا ما يكون صريحا في تنزيهه عما نسب اليه من التشبيه والتجسيم

وقال قاضي القضاة عبدالله التهتي الحنفي عامله الله بلطفه الخفي فيما كتبه على الكتاب المذكور : ان الشيخ تقي الدين كان على ما نقل الينا من الذين عاشروه وما اطلعنا عليه من كلام تلميذه ابن قيم الجوزية الذي صارت تصانيفه في الآفاق عالما متعنيا مقللا من الدنيا معرضا عنها متمسكا من إقامة الادلة على الخصوم وحافظا

(١) حكاية لكلمة الامام مالك التي كان يقولها في الحرم المدني ويشير الي

القبر الشريف

للسنة عارفا بطرقها عارفا بالأصاين أصول الدين وأصول الفقه قادرا على الاستنباط في تخرج المعاني لا يلومه (له لا تأخذه) في الله لومة لأثم على أهل البدع المجسمة والحلوية والمعتزلة والروافض وغيرهم (قال) فمن كان متصفا بهذه الاوصاف كيف لا يقب بشيخ الاسلام بأبي معنى أريد منه؟! (قال) وإنما قام عليه بعض العلماء في مسألي الزيارة والطلاق وقضية من قام عليه شهوده . والمسألان المذكورتان ليستا من أصول الأديان وإنما هما من فروع الشريعة التي أجمع العلماء على ان الخطي فيها مجتهد يثاب لا يكفر ولا يفسق . الخ ما قال

وقال شيخ الاسلام العيني الحنفي فيما كتب على الكتاب المذكور: وما هم أي المنكرون على ابن تيمية رحمه الله تعالى الا صلح بلقع صلح ، والمكفر منهم صلحمة بن قلمعة وهيان بن بيان وهي بن بيّ وضل ابن ضل وضلال ابن التلال . ومن الشائع المستفيض ان الشيخ الامام العالم العلامة تقي الدين بن تيمية من شمّ عرابين الافاضل ، ومن جمّ براهين الامثال ، (قال) وهو الذاب عن الدين ، طعن الزنادقة والملحدّين ، والناقد للهرويات عن النبي سيد المرسلين ، وللمأثورات عن الصحابة والتابعين ، فمن قال انه كافر فهو كافر حقيق ، ومن نسه الى الزندقة فهو زنديق ، وكيف ذلك وقد سارت تصانيفه الى الآفاق ، وليس فيها شيء مما يدل على الزينغ والشقاق ، ولكن بحثه فيما صدر عنه في مسألي الزيارة والطلاق ، عن اجتهاد سائح بالاتفاق ، والمجتهد في الحائين مأجور ومثاب ، وليس فيه شيء مما يذم أو يعاب ، (قال) ولا ريب انه كان شيخا لجماعة من علماء الاسلام ، ولتلامذة من فقهاء الأنام ، فاذا كان كذلك كيف لا يطلق عليه شيخ الاسلام ، لأن من كان شيخا للمسلمين يكون شيخا للاسلام .

وقال شيخ الاسلام البساطي المالكي . واما قول من قال انه يعني ابن تيمية كافر وأن من قال في حقه انه شيخ الاسلام كافر فهذه مقالة تقشعر لسماعها الجلود ، وتذوب لسماعها القلوب ، ويضحك ابليس اللعين بها ويشمت ، وتشرح بها أفئدة المخالفين وتسمت ، ثم يقال كيف لو فرضنا انك اطلعت على ما يقتضي هذا في حقه فما مستندك في الكلام الثاني وكيف نصح لك هذه الكلمة المتأولة لمن سبقك ولمن

هو آت بعدك إلي يوم القيامة ؟ وهل يمكنك ان تدعي ان الكل اطلعوا على ما اطلعت انت عليه ؟ وهل هذا الا استخفاف بالحكام ، وعدم مبالاة بني الايام ، والواجب ان يطلب هذا القائل ويقال له لم قلت وما وجه ذلك ؟ فان أتى بوجه لا يخرج به شرعا عن العهدة بأن كان واهيا برح به تبريحا يردع أمثاله عن الاقدام على اعراض المسلمين . اهـ

(قلت) فتأمل رعاك الله كلام هو لاء الاعلام ، في مدح هذا الامام ، فكيف ينسب إلى بدعة التعجيم أو يعاب بشيء غير ذلك أو يلام ! »

(المنار) هذا ما أورده الشيخ صفى الدين الحنفى البخارى في ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية في أول كتابه (القول الجلي في ترجمة تقي الدين ابن تيمية الحنبلي) ويليه فصل في عقيدته التي هي عقيدة سلف الأمة أهل السنة والجماعة رضي الله عنهم . واما السيد نعمان خير الدين الآكوسي فقد جاء في كتابه (جلاء العينين . في محاكمة الأحمدين) بترجمة أوسع وأكثر نقلا عن كبار العلماء والم حفاظ في الشاء عليه والاعتراف له بمشيخة الاسلام .

قال بعد ترجمة بليغة ملخصة من كلام طائفة من الحفاظ والمؤرخين مانصه :
 « قال الذهبي وما بعد ان تصانيفه الى الآن تبلغ خمس مئة مجلد . وترجمه في معجم شيوخه بترجمة طويلة منها قوله : شيخنا وشيخ الاسلام وفريد العصر علما ومعرفة وشجاعة وذكاء وتنويرا إلى هيا وكما ونصحا للامة وامرا بالمعروف ونهيا عن المنكر . سمع الحديث واكثر بنفسه من طلبه وكتابته وخرج ونظر في الرجال والطبقات وحصل ما لم يحصل غيره وبرع في تفسير القرآن وغاص في دقائق معانيه بطبع ميمال ، وخاطر وقاد الى مواضع الاشكال ميمال ، واستنبط منها اشياء لم يسبق اليها وبرع في الحديث وحفظه ققل من يحفظ ما يحفظه من الحديث مع شدة استحضاره له وقت الدليل ، وفاق الناس في معرفة الفقه واختلاف المذاهب وفتاوى الصحابة والتابعين ، واتفق العربية اصولا وفروعا ، ونظر في العقايات وعرف افعال المتكلمين ورد عليهم ونبه على خطئهم وحذر منهم ، ونصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين ، وأوذى في ذات الله من المخالفين ، واخيف في نصر السنة المحفوظة حتى أعلى الله

تعالى مناره وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له ، وكتب أعداءه ، وهدى به رجالا كثيرة من أهل الملل والنحل ، وجبل قلوب الملوك والأمراء على الاتقياء له غالبا وعلى طاعته ، واحيا به الشام ، بل الاسلام ، بعد أن كاد ينلخص في كائنة التار وهو أكبر من أن يذبحه على سيرته مثلي ، فلو حلفت بين الركن والمقام أنني ما رأيت بعيني مثله وانه ما رأى مثل نفسه لما حشت اه

وقال الحافظ ابن كثير : وفي رجب سنة سبع مئة واربعم راح الشيخ تقي الدين بن تيمية الى مسجد التاريخ وأمر أصحابه وتلاميذه بقطع صخرة كانت هناك بنهر قلو ط تزار وينذر لها قطعها وأراح المسلمين منها ومن الشرك بها فأراح عن المسلمين شبهة كان شرها عظيما . وبهذا وأمثاله ابرزوا له العداوة وكذلك بكلامه في ابن عربي واتباعه . فحسد وعودي ومع هذا لا تأخذه في الله لومة لأثم ولم يبال بمن عاداه ولم يصلوا اليه بمكروه واكثر ما نالوا منه الحبس مع انه لم ينقطع في بحث لا بعصر ولا بالشام ولم يتوجه لهم عليه ما يشين وإنما اخذوه وحبسوه بالجاء . اه

قيل من جملة اسباب حبسه خوفهم انه ربما يدعي ويطلب الامارة فلقى عليه أعداؤه طريقا من ذلك ، فحسوا للأمراء حبسه لسد تلك المسالك . وكتب الشيخ كمال الدين الزملي : كان الفقهاء من سائر الطوائف اذا جالسوه استفادوا في مذاهبتهم منه اشياء ولا يعرف انه ناظر احدا فانقطع معه ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان ممن علم الشرع او غيره الا فاق فيه أهله واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها (قلت) ورأيت في ثمر الدر الذائب ، في الافراد والفرائب من كتاب الاشباه

والنظائر النحوية للامام السيوطي عليه الرحمة ما نصه : جواب سؤال سائل عن «لو» لسيدنا وشيخنا الامام العالم الاوحد الحافظ المجتهد الزاهد العابد القدوة امام الأئمة علامة العلماء وارث الانبياء آخر المجتهدين او حد علماء الدين بركة الاسلام حجة الاعلام برهان المتكلمين قانع المبتدعين ذي العلوم الرفيعة والفنون البديعة محيي السنة ومن عظمت به لله علينا المنة ودامت به على أعدائه الحججة واستبانته ببركته وهدية الحججة تقي الدين ابني العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن

عبدالله بن ابي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني اعلى الله تعالى مناره وشيد من الدين اركانه

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلت عن الحصر
هو حجة لله قاهرة هو بيتنا أعجوبة الدهر
هو آية في الخلق ظاهرة أنواره اربت على الفجر

نقلت هذه الترجمة من خط العلامة فريد دهره ووحيد عصره الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني : بسم الله الرحمن الرحيم ، نقلت من خط الحفاظ علم الدين البرازلي قال سيدنا وشيخنا الامام العالم العلامة القدوة الحفاظ الزاهد العابد الورع امام الأئمة خير الأئمة مقفي الفرق علامة الهدى ترجمان القرآن حسنة الزمان عمدة الحفاظ فارس المعاني والالفاظ ركن الشريعة ذو الفنون البديعة ناصر السنة قاصع البدعة تقي الدين ابو العباس احمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدالله بن ابي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني ادام الله تعالى بركته ورفع درجته : الحمد لله الذي علم القرآن خلق الانسان علمه البيان ، واشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له الباهر البرهان ، واشهد ان محمدا عبده ورسوله المبعوث الى الانس والجان ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما يرضى به الرحمن ، سألت وفقك الله تعالى عن معنى حرف « لو » وكيف يتخرج قول عمر رضي الله عنه « نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه » على معناها المعروف وذكرت ان الناس يضطربون في ذلك واقتضيت الجواب اقتضاء أوجب أن اكتب في ذلك ما حضرني الساعة مع بعد عهدي بما بانغي مما قاله الناس في ذلك وانه لا يحضرني الساعة ما اراجعه في ذلك فأقول . اه بجر وفه . ثم ساق الامام السيوطي آخر الجواب الى نهايته ، وافر المترجم على ترجمته ، فن ردتاه فارجم الى الاشباه والنظائر ، فان فيه جلاء الابصار والبصائر ، (*)
وكتب الحفاظ ابن سيد الناس : ألفتيه ممن ادرك العلوم حظا ، وكاد يستوعب (*) وفي هامش الكتاب عند هذه العلامة مانصه : وكذا المدقق ابن هشام في شرح الشذور نقل منه بعض الاقوال النحوية معبرا عنه بالامام العلامة وكذا غيرها ممن سلمت له الامامة

السنن والآثار حفظا ، ان تكلم في التفسير فهو حامل رايته ، وان اقبى في الفقه فهو مدرك غايته ، او بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته ، او حاضر بالملل والنحل لم ير أوسع من نحلته ولا أرفع من درايته ، برز في كل علم على أبناء جنسه ، ولا رأيت عني مثل نفسه ،

وقال ابن الوردي في تاريخه وقد عاصره ورآه : وكانت له خبرة تامة بالرجال وجرحهم وتعديلم وطبقاتهم ومعرفة بفتون الحديث مع حفظه لمتونه الذي انفرد به وهو عجيب في استحضاره واستخراج الحجج منه وإليه المنتهى في عزوه الى الكتب الستة والمسند بحيث يصدق عليه ان يقال كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث ، ولكن الاحاطة لله تعالى . غير انه يعترف فيه من بحر وغيره من الأئمة يفترون من السواقي . وأما التفسير فسلم اليه . وكان يكتب في اليوم والليل من التفسير اه من الفقه او من الاصلين او من الرد على الفلاسفة نحو من اربعة كراريس . وله التأليف العظيمة في كثير من العلوم وما يعد ان تصانيفه تبلغ خمس مئة مجلد . وله الباع الطويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين قل ان يتكلم في مسألة إلا ويذكر فيها مذاهب الاربعة . وقد خالف الاربعة في مسائل معروفة ووصف فيها واحتج لها بالكتاب والسنة . وبقي سنين يفتي بما قام (عليه) الدليل عنده . ولقد نصر السنة المحضة والطريقة السلفية وكان دائم الاتيهال كثر الاستعانة قوي التوكل ثابت الجأش ، له ايراد واذكار يديمها لا يدهن ولا يجابي ، محبوبا عند العلماء والصلحاء والامراء والتجار والنجباء . وصار بينه وبين معاصرة وقعات مصرية وشامية لبعض مسائل اقبى فيها بما قامت عنده الادلة الشرعية : واجتمع بالسلطان محمود غازان السفاك المغتال وتكلم معه بكلام خشن ولم يهيبه ، وطلب منه الدعاء فرفع يديه ، ودعاه منصف اكثره عليه ، وغازان يؤمن على دعائه اه ملخصا واطال في ترجمته

وقال العلامة الشيخ عماد الدين الواسطي في حقه بعد ثناء طويل جميل ما انفقه : « فوالله ثم والله لم يرتح اديم السماء مثل شيخكم ابن تيمية علما وعملا وحالا وخلقاً واتباعا وكرما ووحلا وقياما في حق الله تعالى عند انتهاك حرماته . اصدق الناس عقدا واصحهم علما وعزما وانفذهم واعلاهم في انتصار الحق وقيامه همة ، واستخام كفا

وأكلهم اتباعا لبيده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ما رأينا في عصرنا هذا من تستجلى النبوة المحمدية وسننها من أقواله وافعاله الا هذا الرجل ، يشهد القلب الصحيح ان هذا هو الاتباع حقيقة . اهـ

وقل في الشذرات عن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد وقد سئل عن الشيخ ابن تيمية بعد اجتماعه به كيف رأته ؟ قال « رأيت رجلا سائر العالوم بين عينيه يأخذ ما شاء منها ويترك ما شاء » فقيل له فلم لا تتناظران ؟ قال « لانه يجب الكلام وأحب السكوت »

وقال ابن مفلح في طبقاته : كتب العلامة تقي الدين السبكي الى الحافظ الذهبي في امر الشيخ تقي الدين بن تيمية ما نصه : « فالملوك يتحقق قدره وزخارة بحره وتوسعته في العالوم الشرعية والعقلية وفرط ذكائه واجتهاده وأنه بلغ في ذلك كل المبلغ الذي يتجاوز الوصف . والملوك يقول ذلك دائما وقدره في نفسي اكبر من ذلك وأجل مع ما جمعه الله تعالى له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق والقيام فيه لا لغرض سواه وجريه على سنن السلف واخذه من ذلك بالماخذ الا وفي وغرابة مثله في هذا الزمان بل في أزمان » اهـ

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في ترجمته المطبوعة : ان الفتنة لما ثارت على الشيخ ابن تيمية من جهة بعض كلماته تعصب له القاضي الحنفي ونصره وسكت القاضي الشافعي ولم يكن له ولا عليه . وكان من اعظم القائلين عليه الشيخ نصر بن المنبجي لانه كان بلغ ابن تيمية انه يتعصب لابن عربي فكتب يعاتبه على ذلك فما أعجبه لكونه بالغ في الخط على ابن عربي وتكفيره فصار هو يحط على ابن تيمية ويغري (به) بيبرس الجانشين وكان بيبرس يفرط في محبته ويعظمه . واتفق ان قاضي الحنفية بدمشق وهو شمس الدين بن الحريري اتصرو للشيخ ابن تيمية وكتب في حقه محضرا باثناء عليه بالعلم والفهم وكتب به في خطه ثلاثة عشر سطرا من جملتها « إياه منذ ثلاث مئة ما رأى الناس مثله » اهـ

وتقول الامام العسقلاني ايضا عن الحافظ الذهبي انه قال حضر عند شيخنا ابو

(المنارج ١ م ١٢) ابن تيمية . مناظرته لأبي حيان . صفاته . وفاته ٥٣

حيان المفسر فقال ما رأيت عيناى مثل هذا الرجل ثم مدحه بأبيات ذكر انه نظمها
بديهة وانشده إياها وهي :

لما أتانا بقي الدين لاح لنا داع الى الله فرد ماله وزر
على عيابه من سيما الألى صحبوا خير البرية نور دونه القمر
حبر تسربل منه دهره حبرا بحر تقاذف من امواجه الدرر
قام ابن تيمية في نصر شرعنا مقام سيد تيم اذ مضت مضر
وأظهر الحق اذا آثاره اندرست واخذ الشر إذ طارت له شرر
يامن يحدث عن علم الكتاب أصح هذا الامام الذي قد كان ينتظر

يشير بهذا الى انه المجدد . وقد صرح بذلك ايضا العماد الواسطي . ثم دار
بينهما كلام فخرى ذكر سيديوه فأعانظ. الشيخ ابن تيمية القول في سيديوه فناظره ابو
حيان بسببه ثم عاد ذاماً له وصير ذلك ذنباً لا يغفر (ويقال) إن ابن تيمية قال له :
ما كان سيديوه نبي النحو ولا معصوما بل اخطأ في الكتاب في ثمانين موضعا ما
تفهمها انت . فكان ذلك سبب مقاطعته إياه وذكره في تفسيره البحر بكل سوء
وكذا في مختصره النهرا

وقد ترجمته علماء المذاهب المعاصرون له وغيرهم بتراجم مفصلة واثنوا عليه
بالثناء الحسن وذكروا انه كرامات عديدة ومواظبة على الطاعات والعبادات وتجنباً
عن البدع وشدة اتباع السنن وطريق السلف الصالح وانه لم يتزوج حتى مات
وكان ابيض اللون اسود الرأس واللحية قليل الشيب شعره إلى شحمة اذنيه
عيناه لسانان ناطقان ، ربة من الرجال بعيد ما بين المنكين جهوري الصوت .
وقد ذكر نبذة من اختياراته العلامة ابن رجب المتوفى سنة سبع مئة وخمس وتسعين
في طبقاته ، وفصل ايضا سيرته واحواله والثناء عليه

وقد توفي سنة سبع مئة وثمان وعشرين سحر ليلة الاثنين عاشر ذي القعدة
الحرام في السجن ! فأخرج الى جامع دمشق فصلوا عليه فكان يوماً مشهوداً لم يعهد
بدمشق مثله ، وبكى الناس بكاء شديداً وتبركوا بماء غسله واشتد الزحام على نعشه
ودفن بمقابر الصوفية بعد ان صلوا عليه مرارا . وحزر من حضر جنازته بمئتي الف

ومن النساء بخمسة عشر ألفاً وختمت له ختمات كثيرة ورثي بقصائد بليغة
(المئارج) بعد ان اورد المؤلف هنا مرثية الشيخ عمر ابن الوردى احدى تلك

المراثي التي يشنع فيها على من آذوه وحبسوه قال :

(قلت) وما زال الناس ولا سيما الكبراء والعلماء يُبتلون في الله تعالى ويصبرون
وقد كانت الانبياء عليهم السلام يقتلون وأهل الخير في الامم السابقة يقتلون ويحرقون
وينشر احدهم بالمنشار وهو ثابت على دينه ولولا كراهة التطويل لذكرت من ذلك
ما يطول : وقد سمّ ابو بكر وقتل عمر وعثمان وعلي وسمّ الحسن وقتل الحسين وابن
الزبير وصلب حبيب ابن عدي . وقتل الحجاج عبد الرحمن بن ابي ليلى وسعيد بن
جبير وغيرهما . وقتل زيد بن علي . واما من ضرب من كبار العلماء فكثيرون منهم عبد
الرحمن بن ابي ليلى ضرب به الحجاج اربع مئة سوط ثم قتله ، وسعيد بن المسيب ضرب به
عبد الملك بن مروان مئة سوط وصب عليه جرة ماء في يوم شاتٍ وألبس جبة
صوف ، وحبيب بن عبد الله بن الزبير ضرب به عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد مئة
سوط وذلك انه حدث عن النبي صل الله عليه وسلم انه قال « اذا بلغ بنو ابي العاص
ثلاثين رجلاً اتخذوا عباد الله خولاً ومال الله دولاً » فكان عمر اذا قيل « أبشر »
قال « كيف بخبيب على الطريق » وابو عمرو ابن العلاء ضرب به بنو أمية خمس مئة
سوط ، والامام موسى الكاظم سجنه هارون حتى مات ، والامام ابو حنيفة توفي في
السجن بعد أن ضرب وقيل او جر سماً ، والامام مالك بن أنس ضرب به المنصور
ايضا سبعين سوطاً في يمين المكره وكان مالك يقول لا يلزمه اليمين . والامام احمد
امتحن وسجن وضرب في أيام بني العباس ، والشيخ ابن تيمية في هؤلاء الائمة
أسوة . ولو اردنا استقصاء ما ذكره معاصروه من الثناء عليه وبيان سيرته ومفصل
أحواله لافضى بنا إلى الطول ، والقلم - لاملت - ملول ، ويكفي من القلادة ما
احاط بالجيد .

(المئارج) وعقد بعد هذا فصلاً في تبرئة الشيخ مما نسب اليه ، وثناء المحققين
المتأخرين عليه . فقتل عن صوفي الفقهاء وفقه الصوفية الشيخ ابراهيم الكوراني المدني
الشافعي وعن علامة العراق الشيخ علي السويدي البغدادي الشافعي ، وعن والده

السيد محمد الآلوسي المقي ، وعن عالم بلد الله الحرام الملا علي الهروي ، وعن امير العلماء وعالم الامراء ابي الطيب حسن صديق خان الحسيني البخاري . ثم عقد فصولا أخرى ذكر فيها كل ما قاله العلامة ابن حجر الهيتمي وبين الحق فيه فليراجعه من شاء . فمن اشبهه في مسألة معينة من المسائل التي انتقدت على ابن تيمية ولم يتمكن من مراجعتها في كتاب جلاء العيين أو راجعها وبقي في نفسه شبهة منها فله ان يسألنا عنها إن احب . وانا كنا نعتقد ان ابن تيمية وصل الى درجة الاجتهاد المطلق قبل ان نطلع على قول العلماء في ذلك بل نعتقد انه لا نظير له في علماء الاسلام قط الا تلميذه ووارث علومه ابن قيم الجوزية رحمهما الله تعالى ونفع المسلمين بعلومهما

الحجاز بعد الدستور (*)

بعث الدستور بعد ان قبر ، وبذلك كذب الله اعداء الاسلام الزاعمين ان الشورى غير ملائمة لروح الاسلام ، قبل سبق ان رأوا أمة قد أكل عليها الاستبداد وشرب زمنا طويلا ، فساهي الا عشية أوضحاها حتى استحات الصبأ فاصبح افرادها بحمد الله اخوانا ، لا فضل لاحمر على اسود إلا بتقوى الله ، قد ألف الله بين قلوبهم ، لو انفتحت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم كذب الله بقيام الدستور زعم اولئك كما ايد به قول القائلين بسداد نيه مولانا السلطان وفائق حكمته ووافر عقله وقوة ادراكه زاده الله توفيقا اذ لم يكن من احد من قادة الامم ما كان منه فله الشكر والدعاء اذ صان كيان الامه ودماءها وأموالها وشرفها فالملكة مدينة له بما فعل وقد شرق الاعداء بما رأوا من اتحاد عناصر المملكة ، ولم يرق في اعينهم قياموا بما قاموا به ، إذ جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وابدت طلبها الناقاء ، وما تخفي صدورهم اكبر . قل موتوا بغيظكم .

(* لأحد فضلاء المسلمين في ستغافوره (س . س . ي))

ولكن قل لي اين هم اصدقاء الاسلام؟ اين ما قاموا به؟ اين مواساتهم في هذه الازمة؟ اين من مد لنا يده في طور انتقالنا الخفيف؟ هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا؟

شاهت الوجوه ، وقبح اللعك ومن يرجوه ، نعم قد سمعنا عن الانكليز جمعجة ولم نرطخنا ، فشكرا لهم على ذلك ان لم يك استدراجا ومكرا ، ولقد كانت نعمة الدستور عامة على كل الممالك العثمانية ، وكان حظ الحجاز منها غير قليل ، لو لم يكن غير تطهيره من ذلك الطاغية وبالسته فكيف وغير ذلك كثير؟ ولكن الحجاز لكونه اول ولاية عثمانية ، وهو قبلة المسلمين كلهم ومحل نسكهم ، ولطول عهده بالخراب والدمار والاستبداد يحتاج الى اكثر مما صار ، وهو أحق بلاد الله بالاصلاح والمصلحين ، واصلاحه يفيد الدولة فائدة عظي وهو اوجب عليها من اصلاح غيره بحكم الشرع والعقل . ولست احتاج الى إقامة الدليل الشرعي لبدايته ولكني اشير الى العقلي السياسي : وذلك ان الحجاز هو المكان الذي تحشر فيه وفود المسلمين وجلهم في هذه العصور محكوم بالايجاب ، وقل من يقصد منهم من بلاد المسلمين غير الحجاز ، فاذا لقوا فيه اصناف الشقاء وانواع التماسه مع ما يعلمون له من المكانة الدينية والسياسية وكونه الانموذج المعروف لو فود كل الامم ، وكون السلطان حفظه الله ينعت كل جمعة على كل منبر في الدنيا افتخارا بخادم الحرمين الشريفين وحاميها ، فاذا كانت حاله كما هي الآن فكيف يكون الحكم على باقي المملكة وعلى ساسنها ؟

لو قلت لا يجد اعداء الدولة معولاً يهدمون به نفوذها في المسلمين ، وصابونا يفسلون به حبهام قلوب الامة ، وحجة يقيمونها للأمم على ان الترك اعداء الانسانية والاسلام والعرب خصوصا - ا كبر وأوضح من الخال التي كان بها الحجاز ونرجو ان لا يعود الى ما يقاربها - لو قلت هذا لم يفند قولي عاقل عالم منصف إن الاصلاحات التي يجب إجراؤها في الحجاز كثيرة جدا ولن تدع ما كان منها فنيا او قانونيا لمن هو أقرب عهدا منابها واوسع اطلاعا منا ، ولكننا نلتمع إلى شيء قليل مما لا يجوز السكوت عنه :

إن الحرم الشريف وهو المسجد الوحيد المشترك بين أكثر من ثلاث مئة وأربعين مليوناً من البشر على حال يتألف منها العقلاء، قد احاطت به بيوت يسمونها المدارس يسكنها الوف من الناس وكلها فيها كنف (مراحيض) ذات بلايع في الأرض تحتزن بها الأقدار، فإذا سالت السيول امتلأ الحرم بتلك النجاسات وبقي عنقاً عدة أسابيع وقد تكرر وقوع ذلك. وإذا نزلت الأمطار تشربتها الأرض فيتصاعد حينئذ منها بخار متين من كل أرض المسجد، فلا يقدر أحد أن يضع جبهته للسجود إلا كما قاله كانه واضح انه على ثقب كنيف مسدود، ولو كان نحن سجدته شبراً، لهذا امر عرفه بنفسه ويعرفه كل من اقام هناك، مع ان تلك المدارس (البيوت) واجب ازلها اذ هي قائمة على أرض لا يجوز تملكها البتة ولكن اقامها الجور ودعمها الرشوة، ثم ان المياه التي تشربها الأرض تنحدر الى المنخفضات، ولا ريب بأنه يصيب بئر زمزم حظ من تلك النجاسات السائلة، فلذلك صار ماؤها كبير الديدان والجراثيم الضارة، فاذا كنا لا نقوم بتطهير ما يقارب تلك البئر المقدسة ولا نبعد عنها السوائل النجسة القذرة السامة ولا نعيد الحرم كما كان في العصور الصالحة كامل النظافة اذ كانت مواضع الأقدار بعيدة عنه وعلى ظهر الأرض - فأبي حجة لنا على الأجانب اذا حكموا باراقة ما تزوده الحجاج من ذلك الماء المبارك كما تراق المستقذرات، ومنعوا إدخاله الى بلادهم حرصاً على حفظ الصحة !!!

إننا لو قمنا بالنظافة المطلوبة التي هي من الايمان، وطهرنا ما جاور البيت من الأنجاس والأدران، لكان لنا من ماء زمزم المبارك مورد عظيم، ولو جردنا مئات الشهادات من نطس الأطباء فيما له من الخواص العجيبة الحسية فضلاً عن الخواص المعنوية، واذ ذلك يمكننا ان نبين منه في اقطار العالم ملايين من القوارير فمتى نرى تلك الأراضي المقتصبة من المسجد الحرام ومن حواشي المسعى قد أعيدت؟ ولو ارادت الحكومة ان تبذل لأصحابها الظالمين بدل تلك البنائات الغير محترمة فانها تجد من كرام المسلمين تلبية تسرها ببذل الاموال حباً في تطهير الحرم الطاهر من آثار الاستبداد والجور

ثم انه لا بد من ائارة الحرم الشريف بالنور الكهر باني لوفور ضوئه وحسنه
وبهائه، وبذلك يتوفر أكثر من نصف ما يصرف الآن عبثا للاسراج بتلك القناديل
الوسخة التي لا يتجاوز نورها زجاجها، ويستغنى عن جيوش السراجين، ويمكنهم
استخدام تلك الآلات نهارا في جاب الماء من زمزم واجرائه في مواسير الى خارج
المسجد فيسلم من بلل قرب السقائين المحرقة ونحو ذلك

ولا غناء عن هدم مقامات الأئمة لأنها مبتدعة فيكتفى بامام واحد يرضي فضله
وعلمه ودينه، ولينزه اليت وصحنه من خدمة الأغوات الذين هم تركة العصور المظلمة
الظلمة وخدمة الجبابرة من الملوك الذين لجهلهم بالدين أحبوا ان يجعلوا خدمة
الكعبة وحجرة النبي (ص) من جنس ما يستخدمون في بيوتهم، وهيئات هيئات،
ويمكن ان يوظف بدلهم نحو ثلث عددهم من الأختيار الاتقياء الحسيني السيرة
المعروفين لدى المدول، ولا شك بأنه يكفي لمن ذكرنا قليل مما يذهب ضياعا مع
أولئك الأغوات .

انتي كنت في بعض جهات أوربا فزعم بعضهم ان الخصاء مما يأمر به الاسلام،
وانه من الحتم عند المسلمين ان لا يخدم السلطان ولا يعمل في الكعبة ولا يتولى
سدانة الحجرة المنيفة الا الخصيان، وقد أفدت محدي بتحرير الشريعة المحمدية
للخصاء وبرائها من تلك البربرية فلم يقتنع، ولم تكن له حجة الا هذه النقط المحزنة
المسيئة لسعة الاسلام، ولعمر الحق ان التقالي في اثماتهم لما يفري النحاسين الطماعين
فالواجب حسم الداء من أصله

وأرى ان يمنع من رمي الجبوب للحمام حتى تضطر إلى مفارقة الحرم بمحدوده
وهناك قنص، فلقد جلبت كثيرتها أذية المسلمين وتنجيسا وتوسيفا للمسجد،
ونشأ عن ذرقها الكثير أمراض ضارة، ولكثرة الحمام يسهل اقتناصه على الهرة فتأكل
بعضه وتدع البعض يتعفن فتنبعث منه أمراض كثيرة الى نحو ذلك

ومن الواجب طرد الكلاب من الحرم كله ثم تسميها بعد ذلك، فلقد صح
أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقتلها إلا ما استثنى، والموجود بمكة جله من المرضى

المجرحة فيقع عليها الذباب الكثير ينقل عنها مواد التلقيح لجملة امراض الى بني
الانسان صغارا وكبارا

ويمكن ان يصرف لطلبة العلم الشريف جميع ما يصرف الآن على الحمام
والكلاب فان ذلك خير وأبقى

ونحن نرغب إلى مشايخنا الأجلاء ان لا يجعلونا مضفة في الافواه وهزوا
لدى العقلاء ، وان لا يلصقوا بديننا النقي ما برأه الله منه من النقائص والفساسف
وعلى الله الاعتماد وحده

هذه أمور نلفت اليها انظار رجال الدولة واعضاء مجلسي الأمة والشورى ومولانا
الشريف الحسين وصاحب الدولة والي الحجاز كاظم باشا ليعملوا ما يرونه أقرب للتقوى

أشواقنا إلى أميرنا

العام الهجري الجديد (*)

﴿ سنة ١٣٢٧ ﴾

اطلّ على الأكوان والخلق تنظر	هلال رآه المسلمون فكبروا
تجلى لهم في صورة زاد حسنها	على الدهر حسنا انها تتكرّر
فبشرهم من وجهه وجبينه	وغرته والناظرين مبشر
واذ كرم يوما اغرّ محجلا	به توج التاريخ والسعد مسفر
وهاجر فيه خير داع الى الهدى	يحف به من قوة الله عسكر
ياماشيه جبريل وتسعي وراءه	ملائكة توعى خطاه وتخفر

(*) احتفل المصريون بدخول العام الهجري الجديد، وقررت الحكومة جعل أول
يوم منه عيداً رسمياً تقفل فيه دواوينها وتعطل اعمالها ، ولقد نظم الشعراء القصائد في
ذلك ، فأثرنا ان ثبت منها هذه القصيدة

يسراه برهان من الله ساطع هدى ويمناه الكتاب المطهر
فكان على ابواب مكة ركه وفي يثرب انواره تتفجر

مضى العام ميمون الشهور مباركا تعدد آثار له وتسطر
مضى غير مذموم فان يذكروا له هتات فطبع الدهر يصفو ويكدر
وان قيل اودى بالالوف اجابهم عجيب لقد احيا الملايين فانظروا
اذا قيس احسان امرىء باساة فارى عليها فالاساة تغفر
ففيه افاق التأمون وقد اتت عليهم كأهل الكهف في النوم اعصر
وفي عالم الاسلام في كل بقعة له أثر باقٍ وذكر معطر
سلوا الترك عما ادركوا فيه من منى وما بدلوا في المنسرفين وغيروا
وان لم يقم الا (نيازي) و(أنور) فقد ملأ الدنيا نيازي وانور
تواصوا بصبر ثم سلوا من الحجى سيوفا وجدوا جدتهم وتدبروا
فسادوا وشادوا لللال منازل على هامها سعد الكواكب ينثر
تجلى بها عبد الحميد بوجهه على شعبة والشاه خزبان ينظر
سلام على عبد الحميد وجيشه وامته ما قام في الشرق منبر

سلوا الفرس عن ذكرى اياديه عندهم فقد كان فيه الفرس عيا فابصروا
جلا لهم وجه الحياة فشاقهم فباتوا على اربابها وتجمهروا
ينادون: ان مني علينا بنظرة واحي قلوبا اوشكت تتفطر
كلانا مشوق والسبيل مهمد الى الوصل نولذلك المتعشمر
اطلي علينا لا تخافي فانا بسرك اوفى منه حولا واقدر
سلام عليكم امة الفرس انكم خليقون ان تحيوا كراما وتفخروا
ولا اقرئ الشاه السلام فانه يريق دماء المصلحين ويهدر

وفيه هوى عبدالعزيز وعرشه واخني عليه الدهر والامر مدبر

ولا عجب إن نزل عرش ملك
فأتى إلى عبد الحفيظ بتاجه
وقام بأمر المسلمين موفق
على عهد مراكش تتحضر
قوائمه عود ودف ومزهر!!
ومرّ على دراجة يتعشرا

* * *

وفي دولة الافغان كانت شهوره
أقام بها والعود ريات أخضر
وعودها بالله من شرطامع
إذما رمى (أدورد) أوراش قيصر
وايامه بالسعد واليمن تزهرا
وفارقها والعود فينات مشر

* * *

وفيه تمت في الهند للمسلم نهضة
فتجري الى العليا والمجد شوطها
وفيه بدت في أفق «جاوة» لمة
وياليتها أولى الجزائر منة
وفي تونس الخضراء ياليتها بني
أرى تحتها سرا خفيا سيظهور!!
ويخصب فيها كل جذب وينضرا
أضاءت لأهلها السبيل فبكروا
تفك بها تلك القيود وتكسر
له أرا في لوحة الدهر يذكر

* * *

وفيه سمرت في مصر روح جديدة
خبث زمتا حتى توهمت انها
تصدى فأورها وهيبات ان يرى
مضى زمن التتويج يا نيل وانقضى
وقد كان «مورفين» الدهاء مخدرا
شعرنا بحاجات الحياة فان وث
شعرنا وأحسنا ربات نفوسنا
إذا الله الحياة لن يرددها
رجال القصد التأمول أنا بحاجة
رجال القصد التأمول أنا بحاجة
رجال القصد التأمول أنا بحاجة
مباركة من غيرة تسهر
تجافت عن الأبراء لولا كروم
سبيلا الى اخادها وهي تزفر
ففي مصر أيقاظ على مصر تسهر
فاصبح في اعصابنا يتخدر
عزائنا عن نيلها وكيف نهدر
من العيش إلا في ذرى العز تسخر
الى الموت قهار ولا متجبر
الى قادة تبني وشعب يسر
الى مصلح يدعو وداع يذكر
الى حكمة تملئ وسكف تهر

رجال الفد المأمول انا بحاجة
رجال الفد المأمول انا بحاجة
رجال الفد المأمول لا تركوا غذا
رجال الفد المأمول ان بلادكم
عليكم حقوق للبلاد أجلها
قصارى منى أوطانكم ان ترى لكم
فكونوا رجالا عاملين أعزة
وياطالي الدستور لا تسكنوا ولا
اعدوا له صدر المكان فاتي
ولا تنطقوا الا صواباً فاتي
فما ضاع حق لم ينم عنه أهله
لقد ظفر الأتراك عدلاً بسوءهم
هم لهم العام القديم مقدر
ثقوا بالامير القائم اليوم انه
فلا زال محروس الأريكة جالساً

الى عالم يدري وعلم يقرر
اليكم فسدوا النقص فينا وشمروا
يمر مرور الأمس والعيش أنغير
تناشدكم بالله ان تذكروا
تعهد روض العلم فالروض مقدر
يدا تبني مجدا ورأسا يفكر
وصونوا حتى أوطانكم ومحرروا
تيتوا على يأس ولا تتضجروا
أراه على أبوابكم يتخطر
أخاف عليكم ان يقال تهودوا
وما ناله في العالمين مقصر
ونحن على الآثار لا شك نظفر
ونحن لنا العام الجديد مقدر
بكم وبما ترجون أدرى وأخبر
على عرش وادي النيل ينهي ويأمر
محمد حافظ ابراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة السلطان (*)

(في ضيافته للمبعوثين)

أيها المبعوثون الافندية

لاني اصبحت في الحقيقة ممنونا جدا لتناولي الطعام هذه الليلة مع سائر وكلاء أمي العثمانية ورعيتي الشاهانية فكأني مع جميع افراد أمي العزيزة !! زاد حضرة الحق تعالى عددها وسعادة حالها . ان هذه الليلة مباركة وسعيدة وأظن أنها اول ليلة من نوعها في تاريخ دولتنا العلية ولذلك فاني ابارك عليها وأسأل الله ان يشرفنا جميعا بدوام وقوع أمثالها . ان هذا الاجتماع المسعود هو مبدأ دليل الآثار الفياضة التي منحها القانون الاساسي لدولتنا وامتنا ووطننا والتي سيمنحها في المستقبل الى ماشاء الله تعالى . فهو اذا جدير بالتبجيل

ايها المبعوثون الافندية

كونوا على علم بأن الله هو حامي حقوق السلطنة والمملكة والدولة أولا ، ثم الامة ومجلس نوابها! ذلك كانت وظيفتكم هامة ومقدسة ، وغاية مطلوبي ان يجعلوا اسمكم وغيرتكم وقصدكم ونيتكم بنسبة تلك المكانة الهامة وهذه القدسية . واني اؤكدهم بأني نصبت نفسي بعناية الكريم للمحافظة على أحكام القانون الاساسي الضامن والمكافل

(*) ادب السلطان للمبعوثين مادة حضرها معظم المبعوثين ، وتختلف فريق منهم عن حضورها ، وكانت أعدت خطبة سلطانية للترحيب بالمبعوثين لازالة ذلك الأثر السيء الذي علق بأذهانهم من خطابه في افتتاح مجلسهم (راجع ص

لهذه الحقوق المقدسة . واؤكد لكم بأنه اذا وجد من يخالفه فأني سأكون أول خصمه
وأول عدوله أيا كان بصفتي خليفتم وسلطانكم
نضرم إلى الله تعالى أن يكون معينا وظهيرا لنا في سعينا وغيرتنا في سبيل دولتنا
وأمتنا وسلامة وطننا المقدس (١)



جواب رئيس مجلس المبعوثان

﴿ عن خطبة السلطان ﴾

إن التاريخ الذي ينقل الوقائع الماضية للخلف لم يسجل إلى الآن في حياتنا
السياسية يوما عظيماً بهذا المقدار . ان السلطان والامة اللذين كان يتحسر أحدهما
على رؤية الآخر من زمن طويل يأكلان اليوم على مائدة واحدة ويشربان من
إناء واحد . ولم يعرف مثل هذا الائتلاف والاتحاد الا في عصر السعادة (٢)
مرت ثلاثة عشر قرناً والشرق محروم من رؤية السلطان مع الأمة وجودا واحدا .
ان العرب قد أظهروا للوجود مدنية عظيمة وكذلك العثمانيون سيكونون متمدنين
قلبا وقالبا مع سلطانهم . وبذلك يكونون موقنين لاعلاء شأن الوطن والتوفر على
حفظه وصيائه ويكسبون موقعا ممتازا في عالم المدنية . ونواب الأمة يرضون لذاتكم
السلطانية تعظيمهم واحترامهم لقاء ما نالوه في هذه الليلة من جلالكم من الاعزاز والالتفات

(١) بعد ان اتم جواد بك رئيس كتاب الماين هذه الخطبة التفت السلطان
الى احمد بك رضا رئيس المبعوثين قائلا « اني لا اذ كر دقيقة واحدة من عمري
كنت سعيدا فيها بهذا المقدار »

(٢) يريد بذلك عصر النبوة وزمن الخلفاء الراشدين الذي كان الخليفة فيه
لا ميزة له على أحد من أفراد الامة . ذلك العصر الذي كان يجرأ فيه رجل من
آحاد اليهود أن يمد يده الى النبي صلى الله عليه وسلم ممسكا بثوبه مخاطباياه بقوله:
انكم يا بني عبد المطلب قوم مُطَّل ! انه لعصر جدير بأن يسمى عصر السعادة

نهضة الأزهريين

عسير على المفكر أن يحيط علماً بكل ما يقع تحت نظره ، وعزيز عليه أن يجمل أسباب أمر واقع ، ولهذا كان الفكر كثير الدأب والتجوال ، لا يقر له قرار حتى يكون له إدراك صحيح لما يرى ويشاهد ، واذ ذاك يرى أنه اذا حكم على شيء كان ذلك الحكم مدعماً بالاستقراء ، تأمناً عن مقدمات لا تتجخ غيره .

ان فيما يتفق عليه جمهور المفكرين كثيراً مما يكون موضعاً للشبهة ، والأفكار فيه مسارح ومذاهب ، لطموس معاملة وخفاء كنهه ، ولذلك لم يتحقق الإجماع على ما لا يعد من البديهيات الاقياً ندر وقل ، وان مما اتفق عليه العلماء استحالة وقوف عمل ما عند حد محدود ، لا يتنزل الى هبوط ولا يتوغل الى صعود ،

لا يبعد ان يذهب قصار النظر إلى إمكان ذلك ، واتي لا اوجه كلاماً الى هؤلاء ، بل اخاطب به أرباب العقل ، وأريد بهم أولئك الذين لا يهلون أمر الفكر ، بل يستعملونه فيما خلق له ، ولكل وجهة ومنحى

تأمل في أي عمل من الاعمال تأمّل نافذ البصر ثاقب البصيرة ، ثم ارجع الى نفسك ، وأنا ضيق بأنك تحكم إما بترقيه واما بتدليه ولا وسط بينهما

كل هذا مما أثبتته المشاهدات ، واستفاضت بتفصيله النظريات ، حتى بات من المقررات ، التي راع فيها بين من يعقل ويفكر ، ولذلك كان في حال الأزهر وبقائه في تقطة محدودة لا يتجاوزها قيد شبر لمن ينظر اليه بادي الرأي حيرة للعقول ومضنة للافهام ،

افرح ذلك العاقل الحكيم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده جهده في سبيل إصلاح الأزهر وقضى داثماً على ذلك سنين لو أمضاها في التأليف والكتابة لملأ الخزائن حكمة وعرفانا صاح بالازهريين صيحة صمت منها آذان وفتحت بصائر ، فأصاخ قوم لقوله ، وثار آخرون يبرزونه باللقب ، ويعرقون مساعيه العظيمة ، فريق منهم عانده عن غي وجهل ، وآخرون كانوا يؤمنون ويوعدون ، وكثيرون منهم حملوا على ذلك وهم

كارهون!! ولكن الامام كان في أول الامر مويدا من الامير فلم تؤثر في عمله صيحاتهم ، ولم تصدف به عن سعيه سعياتهم ، فأسس للأزهر مجلس ادارة على نمط ديمقراطي لا يدع لكبير نفوذ فيه ، ولا لامير سلطة عليه ، وفتح روح الاستقلال في رجاله ، بما كان يريهم من جلائل اعماله ، وجلس من الطلاب مجلس مفيض الحكمة على العقول ، ومر بي الاخلاق والنفوس

لم تكن العقبات والعوائير الأولى صادّة له عما اتدب له وصمم عليه ، بل كان لا يأبه لها - وذلك شأن أرباب النفوس الكبيرة - الى ان ظهرت له بشكل جديد ، يمدّها نفوذ قويّ ، ويؤيدها مقام عليّ ، فتكر لها كما تنكرت له ، وواثبها حينما كما واثبته ، حتى كانت تلك الوقفة المشهورة للامير ، وفيها نطق بما كان اكنّه ، واطهر ما اخفاه واجنّه ، قال :

« ولقد كنت اود ان يكون هذا شأن الأزهر والأزهريين دائما ولكن من الاسف رأيت انه وجد فيه من يخلطون الشغب بالعلم ومسائل الشخصيات بالدين ويذكرون لذلك من اسباب القلاقل حتى انه لما بدا شي من بعض المغاربة المجاورين فيه عند اسكانهم في المحال التي خصصت لهم في الاروقة التي عمرت حديثا على نفقة ديوان الاوقاف كان من اهل الأزهر نفسه من يهددهم بالعساكر ويتوعددهم بالنفي ويستفز نفوسهم بمثل ذلك للقليل والقال والاضطراب والهياج ، الى ان قال :

« وأول شيء اطلبه انا وحكومتي ان يكون الهدوء سائدا في الأزهر الشريف والشغب بعيدا عنه فلا يشتغل علماءه وطلبته الا بتلقي العلوم الدينية النافعة البعيدة عن زيف العقائد وشغب الافكار لانه هو مدرسة دينية قبل كل شيء »

نطق الامير بخطبته تلك ففهم الامام من بواطنها أكثر مما فهم الناس من ظواهرها ، فاستيقن أن العراقيل التي تقف في سبيله إن لم تقدر على زحزحته عن مكانه ، فانها كقيلة تعطيل عمله واصلاحه ، فخرج من حضرة الامير والاسف مشتمل على نفسه ، ورأى ان الخروج من مكان أراد ان يجعله كعبة للاصلاح ، فحبل يده وبين ما يريد - أصبح واجبا محتما ، فاستقال من ادارة الأزهر هو وصديقه العامل الشيخ عبد الكريم سلان ، ولقد كان تركها الأزهر اضطراب وحزن

شاركت مصرفيه سائر أنحاء العالم الاسلامي ، لان الرجاء بالاصلاح الاسلامي كان مقوداً بهذين الرجلين الزعيمين به . ثم مضى الامام إلى ربه ولسانه يتلجج بقوله : ولكنه دين أردت صلاحه أحاذر أن تقضي عليه العهائم

استحوذ اليأس على النفوس من إصلاح الأزهر بعد ذلك ، وحكم الناس بأنه سيصير طلاباً دارساً ، لان طريقين يسير الناس فيهما في هذه الدنيا : فإما فناء وإما ارتقاء ، ولا ثالث لهما ، ولا وسط بينهما كما مرّ من قبل ، واجمع الكثيرون على ان الأزهر سائر في الطريق الأولى ، وصادف عن الأخرى ، وكان أناس في حيرة من أمر الأزهر ، ظانين انه واقف ساكن لا يسير الى تدل ولا إلى رقي !! وهذا هو الحال بعينه . وقد كان الاستاذ الامام يقول : يستحيل ان يبقى الأزهر في هذا العصر على ما هو عليه فان لم يعمر ويرتقى فلا بد أن يخرب ويذول

رأى الأمير بمد ذلك ان يصرف عنايته في سبيل إصلاح الأزهر ، وتغير رأيه في حظ الحكومة منه ، وادخال العلوم الجديدة عليه ، حتى أصبح يراهم من الفروض المحتمة ، فألف له مجلساً عاليها ووثيسه في بعض الأحيان ، فقرر المجلس وضع نظام جديد للأزهر ، ودأب اعضاؤه يجمعون نظامات المدارس الأميرية وما كان وضعه المرحوم الاستاذ الامام ، وخلصوا من كل ذلك نظاماً جديداً وضعوه ليسير عليه الأزهر ، فكان من عيوبه الكثيرة ان الاساتذة أنفسهم لا يستطيعون السير عليه ، فقد وضعوا فيه علوماً جديدة أوجبوا على الطلاب ممارستها ، وأكثروا فيه من العلوم والفنون التي يستحيل على طالب لم يتوفر على تحصيلها من قبل ان يلمّ بها ، وحتما على من أوشكوا ان ينتهوا من الامتحان تأدية الامتحان فيها ، مع علمهم بأن هذا من الارهاق الذي لا استطاع حمله ، فان الطالب الذي بلغ اثلاثين أو ما فوقها ييسر عليه أن يرجع إلى مدرسة كتب السنة الأولى وبينه وبين الامتحان سنة أو سنتان !! على انه لا يوجد من الاساتذة من يحسن تدريسها بل لا يوجد من ألمّ بها أو زاوها !

سألني استاذ عهد اليه تدريس تاريخ آداب اللغة ماذا أفضل من التواريخ لإقراءها؟ أبن خلد كان أم ابن الأثير!!! وجاءني استاذ آخر يسألني ما هي المحاضرات؟! ورهما كان السائلون لغيري أكثر، على أنهم يسألون عن موضوعات

ليست غريبة عنهم فما بالك بعالم الطبيعة والرياضة ونحوها ؟
 جاء البرنامج الذي وضعه حاويا أكثر من عشرين فنا ما بين قديم وجديد
 وأوجبوا على طلاب السنة الثانية عشرة ان يمتحنوا فيها فكأنهم بهذا فرضوا عليهم
 أن يعودوا الى السنة الأولى ! ووزعوا العلوم على من لا يحفظ حتى أسماءها ؛ فمن
 ذلك أنهم فرضوا على ضرير ان يقوم بتعليم الاملاء ؛ وأرادوا على تدريس الرياضة
 من لا يحسن القواعد الأربع ؛ وهكذا كان توزيع سائر العلوم على المدرسين
 فكانوا كلما توغلوا في تطبيق النظام ازداد التهوريش والاضطراب
 وأى الطلاب انهم مسوقون في طريق غير معبدة ونهج غير سوي ، فاستيقنوا
 أن النهاية ستكون شرا من البداية ، وكان كثير من منهم ممن حضروا دروس الأستاذ
 الامام عرفوا انها ان للانسان أملا في هذه الدنيا يسعى اليه ، وغاية يقصدها بطله وعمله ،
 ورأوا أنفسهم انهم ليسوا من ذلك في غير ولا فخير ، فاضطربت أفئدتهم وحزنت نفوسهم ،
 اطلوا على مستقبل مظلم ، مسبوق بالنكد والارهاق ، ورأوا الأهواء تصرفهم ،
 وبؤس العيش يؤذيتهم ، فهبوا من رقتهم ، واستيقظوا من غفوتهم ، ونهضوا نهضة
 من نفخت فيه نسمة من الحياة كانت ساكنة ولا محرك لها فحركتها حرارة هذا
 النظام وبرودة تنفيذ من جهة فصارت ربحا عاصفا

ولا يقبم على ضيم يراد به الا الاذلان غير الحي والوتد
 من ذا الذي كان يظن ان طلاب الأزهر سيخرجون من الأزهر بقضيتهم
 وقضيتهم وهم بضعة آلاف ليعنوا للملا ان مامم فيه لا يرضى به من كان إنسانا ،
 وان ما أوتوه من النظام الجديد انما هو نتيجة افكار تستطيع ان تحشر الموتى
 والمختلف معا ، ولكنها لا تحسن النظام بل لا تعرف طريقه ؟
 خرج الطلاب من أزهرهم حذرا ما أريدوا عليه ، وابتغاء الوصول الى خير
 منه ، فطوفوا في الشوارع ، وذهبوا الى الجزيرة فخطبوا ، وكان مظهرهم من أجل
 ما تقع عليه العين ، وكان أحسن مامم فيه نظامهم وأناهم ، فقد كانت صفوفهم
 متوازية ، وأبصارهم خاشعة ، تأدبا بأدب الدين ، وتخلقوا بأخلاق حملة العلم .
 سر الناس بهذا المظهر الجميل أو المظاهرة كما يقول الكتاب ، وارتاحت نفوسهم

إلى الازهرين بعد ان حكموا عليهم بالموت الزوأم ، ولكن القيمين عليهم من المدرسين والمفتشين ريعوا وغضبوا ، وصوروا الحلال للأمر بعكس ما وقع ، فأوهموه ان فريقا أو أفرادا حقيرين « وكلمتهم الحقيقية : هلافت ا » قاموا يصخبون ويصيحون ، وأن تأديبهم من السهولة بمكان ، فلم يحفل الأمير بتأديبهم ، ولم يستجب لقولهم ، ولكن ظهر بعد ذلك غشهم لانفسهم وللأمير ، ورأوا من اتحاد الازهرين وصدق عزيمتهم أكثر مما عندهم من القسوة والصلف ، وان الامر واقع ماله من دافع ، فلم يزدحم ذلك الا تشددا وعتا ، ظانينهم أن الشدة تفرق جمعهم ، وتحل عرى اتحادهم ، فجاءوهم رجال الشرطة وركبائها ، فأحاطوا بالأزهر من كل جهة ، وسدوا من دون طلابه كل منفذ ، حتى ان فريقا منهم لم يرض بما دون التحرش بقاله وأعماله ، فابن من هذا تهديد المقاربة الذي عده الأمير بدعا ؟ ولكنهم ألفوا الطلاب مدربين بالأناة والصبر ، معتصمين بحبوة التوادة والسكينة ، فما استطاعوا حملهم على ما يكره من مثلهم ، ولا إرادتهم على غير ما أرادوا أنفسهم عليه ، لم تقف الحكومة موقف الحكمة امام حركة الازهرين ، بل وقفت شاخصة يبصرها كمن تعرض امامه أنواع من الصور المتحركة ، ولم تحفل بمطالب الازهرين الذين اضرخوا عن حضور دروسهم رجاء نيلها ، على انه لم يكن من العسير اجابتهم الى بعضها ، ولو انهم اجيبوا لرضوا وشكروا ، وتنازلوا عن المطالب الاخرى واعتذروا طلبوا المساواة بين المعاهد الدينية في حقوق الطلاب ورواتب المدرسين حتى لا يكون راتب المدرس في الازهر مئة قرش وراتب ضريعه في الاسكندرية ثمان مئة قرش كما هي الحال الآن مع ان الازهر رأس المعاهد الدينية . فمن ذا الذي لا يقول انهم طلبوا حقا والتسوا مساواة وعدلا ؟

طلبوا مدرسين من ارباب الكفاءة والاضطلاع ولا سيما الذين يعهد اليهم تدريس العلوم الجديدة التي لا يقدر غير الضليع بها على تدريسها ، وان تلقى اليهم على نحو القائما في المدارس النظامية ، وأن ينفذ النظام الذي وضع لهم بالتدريج اتباعا لسنة الارتقاء الطبيعي ، لا أن يدفعوا به في صدورهم مرة واحدة ، ويحملوا على الجري عليه كلمة كلمة ، افليسوا بهذا المطلب محقين ، وبه جديرين ؟

طلبوا أن يكون لرحلة الشهادة الابتدائية والثانوية منهم حظ من الاستخدام في المحاكم الشرعية والأوقاف والخطابة والوعظ وغير ذلك من الوظائف الحقبيرة . فهل هم بذلك مخطئون بما طلبوا ؟

طلبوا أن لا يحمل الطالب الذي يؤدي الامتحان في هذا العام على تأدية الامتحان في العلوم الجديدة التي لم يدرسها ولم يعرف من امرها شيئاً ، لأن حملها على أداء الامتحان فيها من الأرهاق والظلم الين فهل اساءوا وظلموا !

طلبوا ان يكون لهم احترام امام ذوي السلطة ، وأن يسمح لهم بالسفر بنصف اجرة في السكك الحديدية ولشيوخهم من دون اجرة مساواة لهم برؤساء الأديان الأخرى ، فهل كانوا بذلك بدعا ، ام اتوا امراً إذا ؟

تلك معظم مطالب الأزهرين فأبي منصف بل ابي مجحف يبيح لنفسه الادعاء بأنهم ليسوا احق بها واهلها ، رأوا أنهم هضموا وظلموا ، واعطى اخوانهم في الاسكندرية فوق ما سألوا ، فطلبوا المساواة بهم . ورأوا أن العلوم وزعت على مدرسين لم يحيطوا بها علماً ، بل لم يعرفوا لها حداً ولا رسماً ، وقد مر على القارىء ان الإملة عهد في تدريسه الى اعشى ، والرياضة الى من لا يعرف لها مسمى ، فكيف مع هذا لا يكونون محققين في طلب المدرسين الاكفاء ، والعلماء الفضلاء ! . رأوا ان الحامل منهم للشهادة

الابتدائية اسوأ حظاً من حجاب المحاكم ، وغيرهم من مزاولي ما هو دون مهنتهم فطلبوا ان يكون لمن يحملها نصيب في بعض الوظائف الحقبيرة فهل هم بذلك ظالمون ؟ رأوا انهم ممتنون مزدرون وان واحدهم اذل من قيسي بجمص ، وان أندادهم

واقفهم من ارباب الديانات الأخرى لهم من الاحترام عند رجال الحكومة ومن الميزة في بعض الشؤون ما حملهم على الطلب بأن يعاملوا مثلهم ، فهل يعد هذا من الاقتيات ! وهنا لك مطالب أخرى ما كان لهم أن يطلبوها وان كانت حقاً وعدلاً ، كطلب

تعيين شيخ الجامع الأزهر بالانتخاب وغير ذلك وور بما يكونون طلبوا كل ذلك ليحاجبوا الى بعضه ، على ان الحكومة تمزأت بهم وسخرت منهم ، فكان ذلك داعية لصدور حكم المجلس العالي للأزهر عليهم وهذا هو حكمه بعد ذكر الأسباب :

« قرر المجلس ما يأتي : حرمان طلاب العلم بالجامع الأزهر من المرتبات

والجرايات والامتيازات الحائزين عليها بحسب تبعيتهم للأزهر ويمنعون من دخوله !! الخ
 جوزي الأزهريون بهذا الحكم لطلبهم تلك المطالب ، وسيحفظه التاريخ الذي
 لا ينسى شيئاً ، ويكون لمن بعدنا حكم عليه واي حكم !!

لم ار فيما رأيت في هذه البلاد امرا عنت به الامة واضطرت له عنايتها
 واضطرابها بأمر الأزهريين ، وليس لهذا من سبب الا الشعور العام بأنهم مضمطون
 مضطهدون ، فكان اندفاع الامة في الرغبة الى الحكومة والالتماس من الامير
 بمعاملة الأزهريين بالرفق والحسنى ، وإجابتهم الى ما طلبوه بحق وعدل - كانت
 ذلك سببا لنهضة النظر ورغبتهم الى الامير ان يصفح عما عده ذنبا للأزهريين ، وقد
 كان ذلك وقرر إرجاع الأزهر الى قانون سنة ١٣١٤

سكنت نائرة الأزهريين وارتاحت نفوسهم الى هذا القرار ، وأفرخ روع الأمة
 بعد القلق والاضطراب ، ولكن قام فريق من اصحاب الجرائد وكتابها الذين يتكلمون
 بغير وجدانهم ، ويكتبون بموثرات كاذبة يخلقونها لأنفسهم - يصيحون ويصخبون
 متملين من هذه الغبة ، متبرمين من سوء النتيجة ، ناعين على جرائد أخرى كانت
 تشد أزر الأزهريين لأنها كانت تؤيدهم ذلك التأيد ، وذلك ليوهموا الأمة
 ان الرجوع الى ذلك القانون خسرا ميين !!

لولم يكن في الرجوع الى ذلك القانون إلا حصر سلطة الأزهر في مجلس ادارته لعد
 هذا وحده غما واي غم ، على ان نظام القانون القديم الدراسي كان وضعه على نمط
 يجعل للطلاب حظا من العلوم الجديدة من دون أن يرهقوا أو يحملوا على ما لا يستطيعون ،
 فقد كان القانون يخول لمن كان في السنة السادسة الاختبار في الامتحان في العلوم
 الجديدة ، فله ان يمتحن فيها اذا شاء ويكون اذ ذلك المقدم على غير الممتحن فيها ، وذا حظ
 من الجوائز المالية التي كانت خصصت لمن يبرز فيها . فأين هذا من القانون الجديد
 الذي يقضي حتى على من كان في آخر سني الدراسة ان يمتحن في تلك العلوم كلها ؟
 ليس من يملك على ما لا يستطيع حمله بالقسر كن يسوقك الى صنع المستطاع
 الهين بما في وسعه من أنواع الترغيب والتحييب ، وهذا ما جعل الطلاب يتلقون القانون
 القديم بالرغبة والجدل ، وحملهم على النفور من الجديد بالكراهة والسخط ، وذلك

أمر متغفّر والمثل يقول « ان رمت ان نطاع فسل ما يستطاع »
 يقول المتفهبون اللاعظون إن نفور الأزهريين من النظام الجديد دليل على
 جهودهم ، وأنا أقول إنه دليل على استقلالهم ونهضتهم ، وحجة أولئك زعمهم ان
 الأزهريين لم يرتضوه لانفسهم لانه يحملهم على ممارسة العلوم الجديدة وهم لا يشاءون
 ان يضربوا بسهم فيها !! وسلطاني انهم رفضوه لكونه مشوها مضطربا لا يمكن السير
 عليه ، وقد مر على القارىء الاماع إلى شيء من مساوئيه ، أما العلوم الجديدة فانهم
 عرفوها أيام كان كثيرون من واضعي النظام يحاربونها ، ويرمون مزاويلها بالتضليل
 والتكفير . فالرياضة والهندسة والهيئة والميقات وتقويم البلدان والتاريخ — كان يدرسها
 الأزهريون ولكنها كانت تدرس لمن لم يتجاوزوا السنة الرابعة الدراسية لا كاقضى النظام
 الجديد بإرغام جميع الطلاب عليها !

الفرض الاول من الأزهر تخرج الاخصائيين في علوم الشرع ، ومن الضروري
 ان يكون العالم الشرعي ذا إلمام بالعلوم الجديدة لأن الجاهل بها في هذا العصر هو
 والأعمى شرع ، ولكن من الرعونة والبلاهة ان يراد من العالم الشرعي ان يكون إحصائيا
 في الرياضة والطبيعة والهندسة وغير ذلك ،

ألا ان الاصلاح الحقيقي لا يكون بزيادة العلوم ووضع القوانين ، وإنما يكون
 بالرجال الكفاء الضليعين الذين يزنون الاشياء بميزانها ويضعون كل شي في موضعه
 اذا كان لديهم المال الذي يقتضيه ذلك الاصلاح . وإن بين ظهرانينا كثيرين من
 هؤلاء وهم من متخرجي الأزهر وموظفي الحكومة ، فاذا على الحكومة لو عهدت الى
 هؤلاء اصلاح الأزهر — وهم القادرون وحدهم على ذلك — اذا كانت تريد الاصلاح !
 واحسن ما نتخّم به هذه المقالة الثناء على الشيخ حسونه النواوي الذي ظهر من
 استقلال فكره وكمال رجوليته ما ذكرنا بكلمة الاستاذ الامام فيه « انه افضل من يليق
 لمشيخة الأزهر » بل ما حمله على الاستقالة لأنه لم يجب الى مطالب الأزهر بين اذ
 سألها ، فكان ضنيينا بكرامته ان تهان ، وبارادته أن تتلاعب بها الاهواء ، وهذا هو
 الرجل الفذا كثر الله فينا من أمثاله
 حسين وصفي رضا

ندوة العلماء الهندية

﴿ تأسيسها داراً للعلوم ﴾

ان ندوة العلماء في الهند مساعي في خدمة الدين الخفيف جليلة، وسعياً في خير النوع الانساني مبرورا، وقد اتجه عزمها الى انشاء مدرسة كبرى للعلوم (جامعة) دعنها (دار العلوم) واحتفلت في أول شهر ذي القعدة الماضي بوضع الحجر الأول من اساسها، وقد قالت في ذلك مجلة البيان التي تصدر في مدينة لكنؤ (الهند) :

« عقدت حفلة ندوة العلماء في ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ نوفمبر الفارط في مدينة لكنؤ فامها المسلمون من كل الاصقاع من الامراء والعلماء والوجهاء، وكانت الحفلة بهيجة لم ير الناس مثلها في حسن انتظامها وبلاغه ما ألقى فيها من الخطب الداعية الى نشر المعارف وإعادة مجد العربية في بلاد الهند ومحو المراسم والبدع التي تجري عليها العامة باسم الدين ورفع الخصاص الملى واصلاح ذات الدين وتوطيد الاخاء والوثام بين المسلمين على اختلاف مذاههم وآرائهم، وتمت الحفلات ولم يحدث فيها ما يريب ذوي الالباب أو يشين الجمعية المعروفة بندوة العلماء.

وقد اجتمع في هذا الاحتفال جمهور كبير من صنوف الناس فيهم المسلمون والافرنج والهندوكان بين المسلمين اهل السنة وعلاؤهم والشيعة ومجتهدوهم والمقلدون والمستقلون والصوفية والأحناف والوهابية والمتفرنجة. وهو أول اجتماع ديني حفل أهل المدن المختلفة كأنما هو طاقة رياحين مختلفة نفحاتها والوانها

ولما حانت الساعة المعينة آتى الوالى السرجون هويت وقرينته فاستقبليهما اعضاء الندوة واتوا بهما الى الدكة المقامة لجلوسهما فجلسا على كرسيين من الفضة وافتتح الاحتفال بهد ان تلا القارىء آيات من القرآن الحكيم، وقدمت الى الوالى عريضة الخلال فأجاب بخطبة مسهبة اثني فيها على الخطه التي سارت عليها الندوة من رفع الخصاص

ونشر المعارف الحديثة ممزوجة بما لوم الدين واعداء الندوة من مخلصي دولته وقام بعد ذلك مع جماعة من وجهاء المسلمين ووضع حجر اساس المدرسة »
وهذا نص العريضة التي قدمت الى الوالي نقلناها عن المجلة الخاصة التي تصدرها الندوة باسمها :

مولاي الاكرم : نحن اعضاء ندوة العلماء نرحب بكم من حيث كونكم نائب الحكومة في هذه الايالة ونشكركم على اجابتكم دعوتنا لوضع حجر اساس دار علوم الندوة فيشكركم على ذلك كافة المسلمين فان الندوة كأنها لسان حال الامة ولا يوجد قدر شبر من الارض الا وفيه انصار الندوة وحماتها وقد استبان بهذا ما للدولة من التسامح الديني الذي هو من مزايا الامة الانكليزية خاصة والذي هو ملائكة الحكومة وعمودها فان الندوة ليست اإجمعية دينية

مولاي الاكرم : نحن نستدعي من حضرتكم ان تسمحوا لنا بابداء مطالب الندوة وطوارئها التي من احد مظاهرها الجليلة دار علومنا هذه

مولاي الاكرم : ان المسلمين منذ وجدوا الى يومنا هذا لم تزل فيهم طائفة تلقب بلقب العلماء وهم قادة الحزب الاسلامي في أمور الدين واحكامه والامة كانت تقفو اثرهم وتتبع هداهم في كل ما يمس بالدين ولو في أمور الدنيا وكانوا انموذجا لتمدن الاسلام ومكارم اخلاقه . والامر الذي استوجب وجود هذه الطائفة هو ان ما تقوم به جنسية المسلمين ليست خصوصية الاقليم ولا الشعب ولا الاسرة كما هي للامم الأخرى بل كل من اعتنق دين الاسلام يحصل له كل ما كان للمسلمين قاطبة على اختلاف جنسيته وعشيرته ومبدهه ، ولما لم يكن للمسلمين حزب يختص بدعوة الدين كانت الامة تحتاج الى مثل هذه الطائفة لكي لا يجردوا عن قصد المحجة . وهذا الامر دعا الى أن نشأت طائفة كبيرة من العلماء لا يقل عددهم عن امثالهم في الامم الأخرى ومن مزية امة الاسلام ان العلم كان فيها يكتسب لاجل العلم فقط مع صرف النظر عن كل مرمى وغاية . وما في هذه الامة من احترام العلم والخضوع له والتفاني امر لا تشار كفايه امة حتى ان الروؤوس المتزينة بالتيجان كانت تخضع لها كرامة . والحق ان تأخر الامة ما كان الا بعد ما قدمت هذه الطائفة مزاياها فذهب ما كان لها من

المكانة عند القوم وحينئذ حرمت الأوبة من قيادتها وتبدد نظامها وعند ذلك اشتغلت هذه الطائفة بمحقرات الامور وبلغ الحال الى أن رفعت الشكاوي الى الحاكم السلطانية فقام حينئذ حزب من العلماء لسد الخلل واقامة معالم الاصلاح وكان من اول مظاهره هذه الجمعية المسماة بالندوة، انعقدت حفلاتها الاولى في كانفور سنة ١٨٩٣م وفي سنة ١٨٩٨م صادقت الحكومة عليها رسميا وبلغت حفلاتها اثني عشرة حفلة اجتمعت فيها العلماء وعامة الناس على اختلاف اهوائهم واذواقهم - أمام طالب الندوة فتحصر مهماتها في أربعة أمور:

(١) ترقية المدارس العربية واصلاحها (٢) رفع المحاصيات الدينية (٣) اصلاح امور المعاشرة والاخلاق (٤) نشر الاسلام وكل ما يتعلق بالمنافع العمومية في بدء الأمر ظهر الترحيب بالندوة من جميع الامة كافة فتوسعت حينئذ مطالبها وكان من أول مساعيها انها اجتهدت في رفع الخصاص الحادث في احزاب الامة واصلاح ذات البين وفازت في ذلك الى حد لا يستهان به، وكذلك سعيها بتخفيض نفقات عوائد الفرح والالم لم يذهب ادراج الرياح، ثم ان الندوة اقامت دار الافتاء في لكنوء ومحلا للايتام في كانفور ولكن كان اهم مطالبها امر التعليم، اصلاح ما فسد منه ليكون سبباً لوجود شرذمة تهدي الناس في الأمور الديقية

ومن الدين ان التعليم الصحيح هو الذي يزيل كل داء اعترى الامة وحجزها عن سبيل رقيها ونظرا الى ذلك اسست الندوة في سنة ١٨٩٨م مدرسة سميها بدار العلوم كانت في أول الامر مدرسة ابتدائية ثم تحولت الى كلية في سنة ١٩٠١م وصارت كأنها أساس جامعة دينية ولما كان أمر التربية اعظم خطرا من التعليم اسست دار اقامة للطلبة ولكن كان من شؤم الحظ ان الامة لم تقدر مسعى الندوة حق قدره فالفئة القديمة اساءت الظن ان ادخال الفلسفة الجديدة في نصاب التعليم يورث وهناً في الدين! حتى ألفت كتب ورسائل في تكفير حزب الندوة، وفوق ذلك ان الناشئة الجديدة ايضا كانت تتقاعد عن الاخذ بناصرنا فانها كانت تحسب ان الندوة تقيد حرية الافكار وكانوا عاجزين عن فهم منافع احياء العلوم العربية اصلا ومع أن الندوة كانت هدفا لسهام كتبا الطائفتين لم تنزل لها قدم ولزمت محجبتها واختارت

لنفسها جادة وسطا فرتبت نصابا جديدا رجع فيه جانب الادب والعلوم الدينية، ومع ان دار العلوم لم يمض عليها ربح من الزمان انشأت تلاميذ يقدرون على ارنجال الخطب من غير روية وهذا شيء لم يسبق له مثيل! وكان بعد ان نادرا في ابان الحكومة الاسلامية ايضا وقد اضفنا الى نصاب التعليم الفلسفة الجديدة وكانت هذه بدعة تعد وكفرا في المدارس القديمة، وما زاد الطين بلة أنا أدخلنا في نصابنا تعليم اللسان الانكليزي لزوما، فكان من ثمرته حرمان الندوة من بعض المساعدات المالية حتى أن بعضا منهم استرجع ارضا كان وقفها على دار العلوم! ولم نأل جهدا في الاستفادة مما لاهل الغرب من الاكتشافات الجديدة في العلوم العربية وخزائنا تحتوي على اكثر ما كتبه المستشرقون في امثال هذه المسائل وعلى كتب غير هذه تصلح أن تكون زينا لكل متحف علمي، وتلامذتنا لهم مزيد شغف في الاستفادة من تلك الخزانة، ويوجد فيهم من يكتب في مجلة الندوة مقالات علمية يستحق التنويه بها

والآن اردنا أن ننشيء لجنة يكون اعضاءها تلامذة مدرستنا الذين يقفون حياتهم على الفحص عن المسائل العلمية المهمة . وبناء على ما توارثنا من آباءنا لا نأخذ للتعليم اجرة ، وزيد ان نوسع نطاق التعليم حسبما تعيننا على ذلك المساعدات المالية ومن أهم مزايا مدرستنا ان الذين بقوا على الحيادة عن المدارس الدولية لاجل التعصب الديني أو لاجل عدم الثروة لا يجنحون الا الى مثل التعليم الذي اختارته الندوة فانها جعلت تعليمها تحت سيطرة التعليم الديني

ونحن نجريء على ان نعرض على مسامعكم ان دار علومنا مع قلة بضاعتها وقصر باعها اربت على امثالها من كلا النوعين بنوع خاص ، فانهم ابعذ يلا عن التقشف وبراء من الفخفة الفاسدة . ومع ان مدرستنا لا تقدر على احداث طائفة يصلحون للتوظيف في اعمال الدولة ولكن نحن على ثقة ان مدرستنا تنشيء رجالا يقدرون على اطفاء الثورات الحالية التي تريد احماء سيطرة الخالق والمخلوق معا - رجالا يكون من شيمتهم الاستكانة للاكابرو والمواساة للجار والتواضع للعامة وفوق كل ذلك : الاتقياد للحكومة والخضوع فمدرستنا تنفتح في طلبها روح المسامحة الدينية التي فتحت أبوابها لكل حزب ، فلم يعتن طلبتنا ولا اساتذتهم بالمشاجرات التي حدثت اليوم بين الفتنين العظيمة بين المسلمين وعلماء

لجئنا لا يزالون يدعون الناس الى الخير والصلاح فيرجو من دارعلومنا والمدارس التي تتبع سبيلها انها تخرج طلبة سيسودون الامة ويملكون ازمها مرة اخرى ويحسمون النشاق، ويشقون عصا النفاق، و يصبحون لتوسعهم في المعارف الحديثة والقديمة واسطة موصلة بين الفئة الناشئة وحزب التمهقر العتيق، ونحن على يقين من ان المسلمين كما يسلم اذعانهم لحكومتهم يزيدون من هؤلاء العلماء الناشئين طاعة و اقيادا للحكومة. والآن تقدم الى جنابكم اذكي التشكرات حيث تفضلتم علينا بقطعة من الارض لترفع عليها قواعد مدرستنا وبعد ذلك نحن نشكر الذين بلغنا من مساعدتهم ومساعدتهم الى هذا الحد ونخص من بينهم أولا سمو النظام أمير (حيدرآباد) الذي نستغرف من جود امارته من نهمه أطفالنا وان لم نرزق زيارته حتى الآن، وبعد ذلك نوادي مفترض الولاة الى سمو الملكة اميرة بوقال التي تمنحنا وظيفة اعانة سنوية ونبت ايادي اماره ههاو بالفور التي رفدت اميرتها غير ماتسح به امارتها سنويا بمنحة تساوي خمسين الف روبية، هياتنا لتشرف بان تضع سعادتكم حجر اساس كليتنا و نرى من واجباتنا ان نذكر من غير هؤلاء الكراء الذين اخذوا بايدينا وساعدونا بما توخينا من الخير كرنل خان بهادر هيد المجيد خان وزير خارجية اماره بلياله ونحن نشكر المستر أي -ال- ساندرس - والمستر اس ايچ بطارسي .اي . اي والمسترال ام جابلتك الذين نصرونا بتحصيل القطعة التي انتمم بها علينا . وفي الختام نشكر جنابكم من صميم افئدتنا حيث نصرتمونا بما نتمم الينا من اعنة فضلكم ونعيد مرة اخرى تشكرنا الذي تقدمه الى جنابكم حيث قبلتم ان تضعوا يديكم الكريمة حجر الاساس . والآن نسألکم ان تأخذوا بهذا العمل الخطير الذي يبقى على كرا الدهر .

﴿ لقب حاكم المسلمين ﴾

لصاحب الامضاء

رأيت في بعض جرائد الاستانة كلاما عن الخلافة واتهام خديو مصر بالسعي في التلقب بها الى نحو ذلك ولا أدري أي عقل صياني يقبل تلك المقتريات الباردة ! ان لقب الخلافة لقب شريف وله شروط والخلفاء الحقيقيون الذين هم خلفاء بدون شك قد مضوا رحهم الله تعالى كما في الحديث المشهور « الخلافة بعدي

ثلاثون ثم يكون ملكا عضوا « وفي رواية « ملكا وجبرية » انتهى باللفظ أو بالمعنى فمن كان بعد ذلك من علوج أمية أو فساق بني العباس فليسوا خلفاء بل هم ملوك ولم يستثن إلا من استقام على الطريقة المثلى ولم تغن عنهم قرشيتهم شيئا ولا ديانتهم ثم ماذا جني المسلمون من لقب الخلافة؟ إنهم لم يجنوا غير الاقتراق والقتال ومنذ استشرى سلاطين آل عثمان لهذا اللقب فتحوا على انفسهم أبوابا من التعصب بدون مقابل ، قل لي أي فائدة حازوها بهذا الاسم الضخم ؟ أي مملكة افتتحوها بهذا اللقب ، أي حق استحقوا بهذا المنصب ، اني لا اعرف شيئا وما اراهم استفادوا غير نفرة مجانين الملوك وزيادة التفريق الذي اودى بنا . السلطان مفروضة طاعته في المعروف ، حرام الخروج عليه لغير سبب مسوغ . كل هذا معلوم فاذا يجب غير هذا له لو كان خليفة مستكمل الشروط؟ اننا لو اردنا أن تقتصر لأقل ملوك المسلمين الآن على ما كان لابي بكر وعمر رضي الله عنهما ثم شكوا في استحقاقهم له وارجعوه لم يقبل أحد منهم ذلك مع أن اعلامهم كما لا يقوم للمسلمين بعشر معشار ما قاما به . لا اقول ان ذلك الاوان مساوٍ للوقت الحاضر يكفي فيه ما كفى في ذاك لا بل اقول بعد مراعاة الأزمنة والاحوال

إذا يجب النصح والمساعدة لسلطان المسلمين على كل أحد منهم بما قدر عليه سواء سماه امير المؤمنين أو الخليفة أو السلطان أو سلطان كذا أو امبراطورا أو ملكا أو فلان بن فلان بلا فرق . ومن المحسوس أنه ليس للمسلمين سلطان أحق واولى بالاعتبار من السلطان عبد الحميد خان زاده الله توفيقا فالنصح له بعد النصح لله وكتابه واجب وكذا الدعاء له لكن لا على نحو ما يفعله الجهلة وخطباء المنابر في الدعاء او بان يقدموا امامه ما يكون سببا لعدم قبوله من المبالغات والنعوت الكاذبة وما يدل على الخيلاء والابهة والكبرياء فكل ذلك بدعة ووجها الوسواس الخناس عليهم وعمل بها علماء سوء عباد الدرهم والدينار . والتواضع والخضوع والصدق في الدعاء والاتباع فيه لما جاء عن سيد المرسلين من أعظم أسباب قبوله . هذه آرائي أعرضها للتمحيص واقترح على خطباء المنابر أن لا يزيدوا على قولهم عبدك الفقير اليك فلان وكأني بهم اذا عملوا باخلاص وقد رأوا علامات الاجابة والله الهادي

سنغافوره
س . س . س

﴿ التاريخ الهجري الشمسي ﴾

عند ما شرعت بوضع النظام أو القانون للجمعية الخيرية الإسلامية في طرابلس الشام خطر لي أن تكون سنيتها هجرية شمسية وان يكون أول سنتها شهر مارث (آذار) كالسنة المالية العثمانية وذلك في القانون ثم خطر لي أن اذ كر هذا التاريخ في المار إحياء له مع ذكر السنة القمرية التي عليها المعول في الامور الدينية للاستغناء فيها عن الفلكيين والحاسيين . وقد جاء في حساب ان سنة ١٩٠٩ الميلادية توافق فيها ١٢٨٥ هجرية شمسية لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولد سنة ٥٧١ بعد ميلاد المسيح صلى الله عليه وسلم وبعث على رأس الاربعين وأعلن بعثته بعد ثلاث سنين من نزول الوحي عليه أول مرة وهاجر بعد عشر سنين من إعلان الدعوة فتمتلك ٥٣ سنة تجتمع الى سنة الولادة فتكون معها ٦٢٤ تطرح من ١٩٠٩ فيبقى ١٢٨٥ . ولكن رأيت بعد ذلك ان الدولة العلية عزمت على ان تجعل حسابها المالي على السنة الهجرية الشمسية وأن سنة ١٩٠٩ وافقت على حسابها ١٢٨٨ هجرية وتوكن الحاسيين الذين قالوا بذلك لم يحسبوا سني الفترة بين أول الوحي وإعلان الدعوة وهي ثلاث على المشهور فيجب ان يتقوا مثل غلط الصاري في تاريخ الميلاد فقد أخطأ فيه بعدة سنين ثم لم يمكنهم الرجوع الى التمسوا به من ملئت الكتب والدفاتر بالخطأ

﴿ أنتم ما تطالب من مجلس المبعوثان ﴾

- (١) إصلاح نظارة الاوقاف وجعل اموال الأوقاف التي تراس شروعاتها والتي جهات شروعاتها والتي وقفت على غير مطلقا كمنها لأجاء انباء والندوة ونشرها في جميع البلاد وسنفضل كانت في وقتها
- (٢) إصلاح نظام الشرعية وهم تركل هذا الاسانيج جعل الخا كالتشريعية كالتفافية مؤلفة من اثنين وثلاثين كتابا كالجور والمواعظ والندوة واستنافية وتغييرية (نظام نقص وابرام) وترتيب رواتب ابرية كسافية كسافية والكتاب ومنهم من أخذ الرسوم

(٣) جعل اللغة العربية محتمة في جميع مدارس الحكومة وإنشاء مدارس
معلمين ومدارس زراعة

﴿ ذيل لكشف الظنون ﴾

كنت شرعت منذ ست عشرة سنة بتأليف ذيل لكتاب (كشف الظنون
عن اسامي الكتب والفنون) تصنيف الملامة منلا كاتب جلبي المعروف بمحاجي
خليفة المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ جمعت فيه ما فاتته ذكره من أسماء الكتب والمصنفات مع
اسماء المؤلفات التي حدثت بعد عصره في اللغات الثلاث الشرقية الى يومنا هذا .
وجعت في ذلك الى كتب التراجم وفهارس المكاتب العمومية وبعض المكاتب
الخصوصية وضممت الى ذلك الكتب التي وقفت على اسماؤها في اثناء مطالعتي لكتب
شتى مختلفة المواضيع وأسماء كتب كثيرة دخلت في يدي مع ما وقفت عليه من اسماء
المؤلفات التي اعلنت الجرائد والمجلات طبعها وقد احببت ان اطبع هذا الذيل
الحافل اجزاء متتابعة كل جزء مائة صحيفة بقطع الاصل بحيث يصدر في كل شهرين
جزء منها . وبما انني قد ذكرت في كتابي هذا كثيرا من مؤلفات المعاصرين
احببت ان لا يفوتني ذكر كثير منها مما لم اطعم عليه لتعذر الاحاطة فأرجو من
فضلاء مصر وكتابه وادبائه ان يتحفوني في مدة شهرين ونصف باسماء مؤلفاتهم
ومؤلفات اسلافهم كما بانهم واقربا بهم مع ذكر شيء من خطبة الكتاب ونبذة من ترجمة
مؤلفه وتاريخ ولادته وان كان متوفى فتاريخ وفاته ومحل طبع الكتاب ان كان مطبوعا
وسنة طبعه . وبما انني رتبت هذا الذيل على حروف المعجم كالاصل فاذا أخر أحد
ارسال اسماء مؤلفاته الى ما بعد الاجل المعين وكان فيها كتاب يدخل في الحرف الذي تم
طبعه فاتني ذكر ذلك الكتاب . وأرجو أيضا من أصحاب الجرائد والمجلات ان
يتحفوني باسماء جرائدهم ومجلاتهم وتاريخ انشائها وبيان وصفها إجمالاً حيث اجعل
ذكرها والتنويه بشأنها خاتمة للكتاب وانني اسلف كل من تفضل عليّ بآثاره كل
شكر جزيل وثناء جميل .

بخابرني من شاء هذا العنوان : (محاسب المطوف في بيروت جميل العظم)

بوتى الحكمة من بياض من بون الحكمة قنأوني
خيرا كثيرا ومايد صكر الا اولو الابواب

الله
١٣١٥

فاشر عبادى الذين يستمعون القول فيتعون
اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الابواب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر - الاثنين ٢٩ صفر ١٣٢٧ - ٢٢ مارث (آذار) سنة ١٣٨٥ هـ ١٩٠٩ م

فَتَاوَا الْمَبَانِ

فتحنہ ہذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع اناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بمسد ذلك ان يرز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً وربما قد نمتاخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجنبنا غير مشترك لئلا يفتقد هذا، ولان بعضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر وصعب لا نفضاله

﴿ اوراق الیانسب وسندات المصارف ﴾

(س ۱) من بورت سودان لصاحب التوقيع

حکيم الاسلام وفيلسوف الأنام مرابي الأمة ومرشدها وغرة عصرها وعالمها سيدي المرشد السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار القراء نفعتني الله بعلمه آمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فقد جفني وجماعة من نباء بورت سودان وفضلائها مجلس انعقد بمنزل فضيلة قاضيها الشرعي لسماع درس التوحيد وبعده أخذنا نتجاذب اطراف الحديث الذي وصل بنا إلى تحليل أو تحريم أوراق الیانسب وطال الجدل في هذا الموضوع واتقسمنا إلى قسمين

قسم منا حرما من أولها لآخرها سواء في ذلك سندات سكة حديد تركيا (الروملي) والبنك العقاري جديدها وقديهما

واقسم الآخر فصل في الموضوع حيث حرم كل الأوراق ما عدا سندات البنك العقاري وسكة حديد تركيا فقال بالحل فيها إلا انه لم يجزم بهذا القول واشترط في أوراق البنك العقاري عدم أخذ (الكبون) أي الربح السنوي

وبالنسبة لكوننا لم نوفق للفصل في هذا الموضوع نهائياً قر القراء على الاستعلام من حضرتكم وأخذ رأيكم في هذا الموضوع للاهتداء بهديكم وكلفوني أن أسألكم عن رأيكم في هذا الموضوع وأرجو أن يرشدنا في هذا

الموضوع أرشدكم الله والفصل فيه ليحق الحق ويبطل الباطل ان الباطل كان زهوقا
 كما اني أرجوكم إن كان سبق لسيادتكم التكلم عنه في مجلدات غابرة ان
 تبيوني عليه وأكون ممنونا لو تفضلتم بالإجابة في أول عدد لأهميته عندنا والسلام
 عليكم ورحمة الله وبركاته

كاتبه

أحمد كريم

أحد قراء المنارج

(ج) اقتينا في المنارج من قبل (ص ٤٧ م ١٠) بأن اليانصيب من القمار المحرم لما
 فيه من الضرر الظاهر فان المقامر يضع ماله لتوهم الربح وقد فصلنا القول في ضرر الميسر في
 تفسير قوله تعالى « ٢١٩: ٢ يسألونك عن الخمر والميسر » فليراجع في (ص ٣٢٩ ج ٢)
 من التفسير . واما مثل سندات البنك العقاري فهي نفسها ليست من « اليانصيب »
 وان كان يعمل لها « يانصيب » بل هي ضرب من ضروب التجارة لأن لها أثمانا
 كأثمان سهام الشركات المالية تزيد وتنقص وتشبه من جهة أخرى الدين بربح قليل
 لأن صاحب المال يأخذ عليه كل سنة ربحا « كوبون Coupon » ولكنها خالية من ضرر
 القمار لأنه ليس فيها إضاعة مال محقق لربح متوهم ومن ضرر الربا المبرر عنه بقوله
 تعالى في خاتمة آيات الربا « لا تظلمون ولا تُظلمون » وهي مع ذلك مشكلة والظاهر
 من اقوال الفقهاء وقواعدهم انها غير جائزة لذاتها ولا يمكن بعضهم يميز ذلك في غير
 دار الاسلام أو مع الحريين لأن التزام العقود الاسلامية إنما يجب في البلاد التي
 يحكم فيها الاسلام ولهم في ذلك تفصيلات كثيرة (راجع ص ٦٣٩ م ٧ و ص ٢٦٨
 و ٢٩١ و ٥٩٠ م ٨)

ثم ان الفقهاء قد جعلوا الشرع العملي قسامين عبادات ومعاملات فالمعاملات
 ليس فيها امور تعبدية بل كلها معقولة المعنى منطبقه على مصالح الناس ومانعهم ودفع
 المضار عنهم فلا يحرم منها الا ما هو ضار بفاعله أو بغيره وما يتراضى به الناس من
 المعاملات من غير غش فلا يحرم عليهم الا انه اذا كن من شأنه ان يضر لا يازمهم
 القضي ما كانوا تراضوا به اذا هم اختلفوا بعد ذلك وتحاكوا اليه ولا يفتيهم المقتي بوجوبه
 شرعا فقد جاء في الآثار الصحيحة عند البخاري وغيره ان المقرض اذا اعطى افضل مما

أخذ أي كيفاً أو كماً فلا بأس بذلك ما لم يشترط ذلك أي يجعل حقا شرعياً . وهذا في الربا الذي هو اغتظ المحرمات المتعلقة بالمعاملات المالية فإذا اعطي صاحب سندات البنك العقاري مالا من البنك قدر يجه بالسحب برضى اصحاب البنك فإنه لا يظهر لي ان أخذه محرم عليه ولا سيما اذا كان اصحاب البنك من الاجانب الذين لا يلتزمون أحكام شرعيتنا من انفسهم ولا توجد حكومة اسلامية تلزمهم العمل بها ولا يظهر لي ان هذا من القمار الا بالنسبة لمن يشتري أوراق السحب التي تباع في الاسواق والشوارع لأن هؤلاء يضيعون اموالهم على التوهم واما اصحاب السندات فان اموالهم محفوظة لهم لا يضيع منها شيء والله اعلم واحكم

﴿ دين المستقبل وهل يكفر من له رأي فيه ﴾

(س ٢) من بغداد لصاحب التوقيع الذي عبد الينا بكتان اسمه

حضرة سيدي المحترم محمد رشيد رضا افندي أدام الله مجده

أما بعد فقد جئت طالبا من فضلكم نشر سؤالي هذا على صفحات (المنار) الأغر وسرد جوابه بما يتراءى لكم لأن الأمر أشكل في بغداد والاقوال تضاربت فجئت طالبا فتواكم ولكم الأجر

إن أحد الكتاب نشر مقالة في جريدة بغداد في عددها الأول ونقل فيها : ان حضرة السيد البكري تقيب أشراف . مصر قال سألت الشيخ جمال الدين الافغاني عن دين البشر في المستقبل فأجابني بقوله تعالى « إن الذين آمنوا والذين هادوا والناصري والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (١) فقام بعض المدعين للعالم وقال

(١) المنار : سمعنا هذه المسألة من البكري وقال أمامنا إن السيد قال له انقشوا

هذه الآية على هرم الجيزة الى أن يجيء المستقبل فيفسرها . وليراجع في المنار ما قاله الاستاذ الامام في تفسيرها

ان هذا الناقل الذي نشر المقالة قد كفر وخرج من دين الاسلام وطلب من الحكومة مجازاته وهو القتل كفراً لا حدا والعباد بالله ثم وكل الأمر الى أربعة من المدرسين وهذا المكفر معهم خامس فاما أحدهم فقال إن الرجل ناقل وليس عليه شيء من دون ان يعنى البحث في أصل الموضوع فرفضوا قوله واجتمع الاربعة على انه يجب تعزير هذا الناقل تعزيراً شديداً وقدموا قرارهم هذا المعدلة ولا ندرى ما سيكون منه فترجواكم تدقيق هذا البحث باطرافه بحق قائله وناقله والحاكين فيه ليوضح الحال خدمة للوطن والدين والامة دامت أفضالكم الامضاء
غيو واغتار للدين

(ج) لا وجه للقول بكفر هذا الناقل ، ولا ذلك القائل ، ولا بتعزير من يرى ذلك الرأي سواء كان خطأ ام صوابا والظاهر أن أولئك العلماء لم يفهموا معنى سوال البكري ولا جواب الافغاني لأنهم لم يفكروا في مثل هذا البحث ولا في سببه لا لبلادة في أذهانهم ولا لجهلهم باللغة التي عبر بها القائل والناقل . نعم ان المشتغلين منا بالفقهيات ، الجامدين على التقاليد والعادات ، كثيرا ما يتجرون على التكفير ، بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، واضن ان من ذكرتم من علماء بغداد ، لو فهموا معنى السؤال والجواب ، لما خطر في بالهم ان يعدوا القول به ذنبا ، فضلا عن ان يعدوه كفرا .

يقول كثير من علماء الاجتماع ان البشر في مجموعهم يسرون الى الكفر والاحاد عاما بعد عام وان هذا السير ينتهي بترك الام كلها للدين بعد قرون كثيرة او قليلة ومن هؤلاء القائلين بهذا الرأي من هو متدين بالاسلام ومنهم من هو متدين بغيره ومنهم من هو ماخذ لا يدين بدين

ويقول آخرون ان البشر لا يمكن ان يستقنوا عن الدين ولا عبرة بما نراه في هذا الوقت من كثرة الكافرين فلا بد ان يبقى الناس متدينين وان يبقوا مختلفين في الدين ويذهب آخرون الى انه لا بد ان يسود في المستقبل دين يكون عليه اكثر البشر وهل يكون ذلك دينا جديدا ام أحد الأديان الحاضرة بعد تنقيحه وتطبيقه على حال الناس في المدينة المستقبلية ؟ انهم مختلفون في هذا وسمعت الاستاذ الامام

يقول اكثر من مرة انني اعتقد منذ عشرين سنة ان دين المستقبل هو الاسلام ولي على ذلك أدلة اجتماعية وادلة ثقلية كالعودة الالهية بإظهاره على الدين كله وهو عندي في مرتبة اليقين . ولا يخفى ان أصول الدين الالهي الحق التي دعا اليها جميع رسل الله هي الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح . والكتاب والسنة تفصيل لهذه الاصول . وعبارة السيد جمال الدين مجملته فلا يدري رأيه كراي تلميذه الاستاذ الامام ويريد بالاصول المجملته في الآية ما هو مفصل في غيرها من الآيات أم يريد ان البشر لا يتفقون على تفصيل الاسلام ولا غيره وإنما يستقر رأيهم على تلك الاصول المتفق عليها ويتركون لكل فرد رأيه واجتهاده في تفصيلها؛ الله اعلم بتفصيل رأيه ولكن الذي يجب الجزم به انه لا يجوز ان نكفروه ولا أن نفسقه برأيه لأنه لا علاقة بين مثل هذا الرأي وبين قوة الايمان وصحة الاسلام بل لا يجوز ان نقول بكفر من يرى ان البشري يتركون كل دين ولا بتعزيره اولونه على ذلك . فليتق الله علمائنا في المسلمين وليعلموا أن عاقبة هذا التشديد والجرأة منفرة عن الاسلام وانها يوشك ان تفضي الى ما لا يحبون لانفسهم ولا لدينهم

أما العدلية فلا أدري ما هي علاقتها بأراء الناس وافكارهم فاذا كان رجال العدلية في بغداد كمن ذكرتم من العلماء فهما لهذه المسألة وكان رأيهم في العقوبات القانونية ' كراي اولئك الفقهاء في العقوبات الشرعية ' فياحسرة على بغداد ' فانها لا تزال ترسف في قيود الجهل والاستبداد '

﴿ تعدد صلاة الجماعة في وقت واحد ﴾

(س ٣) من بغداد لصاحب التوقيع

حضرة سيدي الفاضل صاحب مجلة المنار دام فضله

اتفقت أقوال العلماء على أن لا فرق بين أقوال الأئمة الاربعة المجتهدين وضوان الله عليهم وانهم تجميعهم السنة والجماعة ولكن مع الأسف نرى في أغلب جوامع بغداد تمام للصلاة جماعتان حنيفة وشافعية في آن واحد وكل يصلي بصلاته بحيث

لا يكاد يميز السامع بين تكبير إمام وآخر فاف القول في ذلك ؟ واغرب منه ان يقوم مع وجود الامامين امام ثالث حنفي ويصلي بالناس مع ان صف الجماعة المقتدين به متصل كمال الاتصال بصنف المصلين خلف الشافعي بحيث لا يمكن معرفة الحد الفاصل بين الجماعتين قط . وبعدها تمام صلاتها تقام جماعة حنفيه أخرى ! فما القول في الامامين الاولين على ان الشافعي راتب والحنفي فضولي والحنفي الذي يصلي أخيراً راتب ؟ أرجوكم دفع هذا الالتباس ولكم الاجر الامضاء

مسلم لا يجب تفرقة الاسلام

(ج) ان تعدد الجماعة في وقت واحد بدعة مذمومة لاسبب لها فيما نعلم إلا جعلها وسيلة للمرتبات التي يأخذها أئمة المساجد من الاوقاف أجرة على الامامة وفي هذه الاجرة ما فيها . ولا التباس في المسألة فنحتاج إلى إزالته لان هؤلاء المفرقين لا يقولون ان إقامة جماعتين فأكثر في مسجد واحد في وقت واحد مشروع فردد عليهم . ولا يرجح ان يترك هؤلاء الأئمة ذلك باختيارهم الا بأحد أسباب ثلاثة (١) علم أولئك الأئمة بالسنة والحرص على اتباعها (٢) رغبة المأمومين عن التعدد كأن يقبض الله لهم من يعلمهم ان أمنا أمة واحدة وديننا واحد حرم الله علينا التفرق فيه بمثل قوله « أقيموا الدين ولا تفرقوا » وان سلفنا الصالحين ما كانوا يقيمون جماعتين أو جماعات في وقت واحد مع مخالفة بعضهم لبعض في بعض الفروع الاجتهادية كما عليه الشافعية والحنفية وغيرهم ، وأن هؤلاء الخلف ما تفرقوا عن الجماعة إلا لاجل الدنيا . فاذا علم العامة ذلك لا يلبثون ان يصلوا مع الجماعة الاولى في كل وقت ، ولكن هذا أبعده مما قبله لان علماءنا أهملوا تعليم العامة دينهم وصار أكثرهم يكتفي من خدمة الدين بتكفير من يخالف رأيه أو هواه من المسلمين ، فحسبنا الله ونعم الوكيل . (٣) أن يصير للمسلمين رياسة دينية محترمة عند الحكومة وعند الناس يوكل اليها الفصل في أمثال هذه المسائل كأن يجعل ذلك من شأن المفتي ، فان قيل إن الدين الاسلامي لا رياسة فيه كغيره من الاديان قلنا لا نعتي ان يكون له رؤساء يسيطرون على الناس في دينهم بل رؤساء يُحترمون في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من أمر الدين المتفق عليه ،

﴿ منع غير المسلمين من سكنى الحجاز ﴾

(س ٤) من الخواجه إلياس لطف الله بوسليمان تينوغستا (الأرجنتين)
 حضرة العلامة العامل والأستاذ الكامل السيد محمد رشيد رضا أدامه الله
 بخضوع واحترام أقدم كامل الواجبات لشخصكم الشريف وارجو من
 سيادتكم الافادة إذا كان منع غير المسلمين من الدخول إلى أرض الحجاز
 المقدسة هو أمر ديني مقرر في الكتب الشريفة المنزلة أو في الحديث الشريف أم
 هذه عادة وفي الخالين ارجوكم إذا لم يكن من مانع ان تكرموا بالايضاح في احد
 اعداد مناركم المنير ولكم جزيل الفضل والمعروف . قال سعادة الشيخ علي يوسف
 صاحب المؤيد الاغر في عدد ٥٥٦٧ ما معناه ان المهندسين العثمانيين في سكة
 حديد الحجاز انفردوا بالعمل كله من العلال إلى المدينة لعدم جواز دخول غير المسلم
 أرض الحجاز ، اختتم بتكرار رجائي والله يديمكم مرجعا في جميع الامور كي تستنير منكم
 ومن مناركم العموم سيدي

(ج) روى أحمد والبخاري ومسلم من حديث ابن عباس قال اشتد برسول
 الله صلى الله عليه وسلم وجهه يوم الخميس وأوصى عند موته بثلاث « اخرجوا
 المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم » ونسبت الثالثة
 والذي نسي الثالثة هو سليمان الاحول وهي النهي عن اتخاذ قبره وثنا أو تجهيز
 جيش أسامة

وروى أحمد ومسلم والترمذي وصححه عن عمر انه سمع النبي صلى الله عليه
 وسلم يقول « لا يخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا ادع فيها لإسلاما »
 وروى أحمد من حديث عائشة قالت : آخر ما عهد به رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ان لا يترك بجزيرة العرب دينان . وروى أحمد أيضا والبيهقي من حديث أبي

عبيدة ابن الجراح قال آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم « أخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب »

وذكر الحافظ ابن حجر في كتاب الجهاد من شرحه للبخاري ان اليهود على ان الذي يمنع منه المشركون من جزيرة العرب هو الحجاز خاصة قال وهو مكة والمدينة واليامة وما والاها لا فيما سوى ذلك مما يطلق عليه اسم جزيرة العرب لاتفاق الجميع على ان اليمن لا يمنعون منها مع انها من جملة جزيرة العرب . أقول قال في القاموس : جزيرة العرب ما أحاط بها بحر الهند وبحر الشام ثم دجلة والفرات أو ما بين عدن أيمن إلى اطراف الشام طولا ومن جدة إلى ريف العراق عرضا . والذي جرى عليه العمل هو إخراج غير المسلمين من الحجاز ففي صحيح البخاري ان عمر أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز . وذكر يهود خيبر فقال أجلام عمر إلى تيماء وأريحاء . وجعل بعضهم حديث أبي عبيدة مخصصا لتصريحه بلفظ « أهل الحجاز » وقال بعضهم انه لا يصلح مخصصا

وليس من غرضنا هنا تحقيق الخلاف وتحرير الدلالة وإنما قول ان الحجاز هو الذي نفذ فيه الامر وجرى عليه العمل فهو عند المسلمين كالمسجد ولا يشاركون في مساجدهم الا من دان بدينهم وشاركهم في عبادتهم . وهذا التخصيص على كونه دينيا يتعلق بسياسة الاسلام فانه لما فيه من التساهل مع المخالفين لا يستغني أهله عن بقعة خاصة بهم لا يزارحهم فيها غيرهم يارزون اليها عند إلقاء الحوادث ومطاردة الكوارث . وليس الحجاز مما يصلح لكسب الدنيا والتمتع بزيتها فما منع غير المسلمين الا من مكان لاحظ لغير المسلم فيه الا ان يريد مزاحمته أو الاقيات عليه في خاصة دينه . وقد بين المحققون ان حكم الاسلام في مكة انها وقف للمسلمين عامة . قال ابن القيم : وأما مكة فان فيها شيئا آخر يمنع قسمها ولو وجبت قسمة ما عداها من القرى (اي التي تفتح عنوة) وهي انها لا تملك فانها دار النفسك ومتعبد الخلق وحرم الرب تعالى الذي جعله للناس سواء العاكف فيه والباد ففيه وقف الله على العالمين وهم فيه سواء ومنى مناخ من سبق قال تعالى « ٢٢ : ٦٥ ان الذين كفروا و يصدون

عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والبادء — الى ان قال — فالحرم ومشاعره كالصفا والمروة والمسعى ومنى وعرفة ومزدلفة لا يختص بها أحد دون أحد بل هي مشتركة بين الناس اذ هي محل نسكهم وتمسدهم فهي مسجد من الله وقفه ووضع خلقه الخ

ثم ان لسائر ارض الحرمين احكاما خاصة فلا يحل صيدها ولا يحتل خلاها فمن هنا يعلم ان منع غير المسلمين من سكني بلاد الحجاز ليس هو الحكم الذي يختص به وحده هذه البلاد . واما دخولها لغير السكني ففيه أقوال اصحابنا عندنا قول الشافعي انه لا يمكن غير المسلم من دخول ارض الحرم الا باذن الامام لمصلحة المسلمين . على ان المشهور في مذهبه أنه يجوز لغير المسلم دخول مساجد المسلمين باذن اي مسلم لا يختص بالامام الاعظم ولا يقيد بالمصلحة العامة . وقال بعض العلماء يجوز دخولهم ما عدا المسجد الحرام والحجاز

(الزكاة في القراطيس المالية « الانواط »)

(س ٥) من الشيخ محمد بسيوني في (سمبس برنوب)

حضرة الاستاذ الحكيم الشيخ العظيم سيدي السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء متعني بوجوده أمين .

وبعد أهديكم ازكى التحية والاحترام أرجو من فضيلة سيدي الجواب عن هذا السؤال . لا زتم مشكورين .

ما قولكم في الانواط هل يجب فيها الزكاة أم لا ؟ وما العلة في وجوبها أو عدمه اقتوني سيدي بالقول الصحيح المعتمد مأجورين .

(ج) ينال في الفتوى ٢٨ من المجلد العاشر (ص ٥٣٩) ان القراطيس المالية التي تسمى (بنك نوت وانواط) من قبيل النقود الذهبية . وفي الفتوى الاولى من المجلد الخامس كلام في الخلاف فيها واعتماد كونها من قبيل النقد لا عروض التجارة وكون الزكاة تجب فيها والربا يحصل بها فليرجع الى ذلك ولو قلنا ان الزكاة لا تجب

١٠٠ حديث من آذى ذميا . الدخان بمجلس القرآن (المارح ٢ م ١٢)

في هذه القراطيس لا يمكن للعتي الذي يملك ألوف الألوف من الذهب أن لا يودي زكاة قط ولا يبيح الربا بسهولة في أكثر معاملات المصارف (البنوك)

﴿ حديث من آذى ذميا ﴾

(س ٦) من محمد افندي احمد شمس بالاسكندرية

ملخص السؤال انه اطلع على خطبة للشيخ بشير الغزي العالم الحلبي الشهير فرأى حديثا لم يطرق سمعه وهو « من آذى ذميا فانا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة » وسأل عن تخريجه لياهي بتساهل الاسلام فيه

(ج) الحديث أورده السيوطي في الجامع الصغير وعزاه الى معجم الطبراني الاوسط و اشار الى انه حديث حسن . وفي معناه أحاديث أخرى في الوصية بالذميين والمعاهدين منها حديث عبد الله بن عمرو عند احمد والبخاري والنسائي وابن ماجه « من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وان ربحها ل يوجد من مسيرة اربعين عاما » وحديث علي عند الحاكم « منغني ربي ان اظلم معاهدا ولا غيره » والاسلام يأمر بأكثر من ذلك فقد قالوا انه يجب على المسلمين اطعام الذمي عند الضرورة ويستحب مع غير الضرورة كما يجب حمايتهم والدفاع عنهم ولو بمحاربة المعتدي عليهم

﴿ شرب الدخان في مجلس القرآن ﴾

(س ٧) من الشيخ ابراهيم حسين بهوارة عدلان (الفيوم)

حضرة العلامة الكامل والاساذ الفاضل صاحب مجلة المنار القراء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته سيدي ومولاي : جرى الخلاف بين طائفة من أهل العلم في حكم التدخين أي شرب الدخان في مجلس تلاوة القرآن الشريف فمنهم من حرّمه ومنهم من جوزّه مع الكراهة مراعاة للآداب ولم يذعن احد الطرفين

قول الآخر وحيث ان سيدي ممن يرجع اليه في فصل الخلاف فقد حررت هذا لفضيلتكم راجيا التفضل بالجواب مبسوطا في العدد الآتي في مجلتكم موثدا بالحجج الاقناعية بدون احالة على ما نشرتموه سابقا في المجلة لاجاله ولصعوبة العثور عليه الآن على مثلنا ولفضيلتكم جزيل الشكر

(ج) قد بسطنا الكلام على هذه المسألة في الفتوى ٧١ من المجلد السابع (ص ٥٣٧) وحاصل رأينا فيها أن شرب الدخان في مجلس القرآن يعد محظورا إذا كان العرف العام يهده من إساءة الأدب والأوجب على كل امرئ مراعاة ما يعتقده وتطمئن اليه نفسه مع الاحتياط في التزام الادب . وان الجرأة على التحريم من أكبر الجنايات على الدين إذا لم يكن الدليل عن الشارع واضحا نصا أو دلالة ولا نص في مسألتنا ولا دليل إلا ما يقال في مسألة الادب وهو شيء يتعلق إما بالعرف وإما باعتقاد الشخص وهو ما اعتمدنا عليه من قبل وما نقوله الآن والله أعلم

— (استعمال ساعة الذهب وليس خاتمه) —

(ص ٨) من كتاب الشيخ عبد اللطيف أبي عوف بدقله (السودان)

أرجوكم إفادتي بوجه السرعة على صفحات مجلتكم الفراء عن حكم لبس الساعة التي داخلها شيء من الذهب وكذا الخاتم ومقدار ذلك الذهب أعني عيار ١٢ او اقل ولكم الشكر

(ج) في الفتوى ٥٧ من فتاوى المجلد السابع (ص ٤١٩) تفصيل لمسألة التحلي بالذهب واستعماله ومنه بعد ذكر الأحاديث الواردة في المسألة والبحث فيها « وجملته القول انه ثبت في الصحيح النهي عن الأكل والشرب في أواني الذهب والفضة مع الوعيد والنهي عن التخمم بالذهب وفي حديث مسلم انه شبهه بجمرة من نار ولم أره في المتقى . واما مذاهب العلماء فيها فقد حمل الاقلون النهي على التنزيه دون التحريم وذهب داود الى تحريم الشرب في أواني التقدين واباحة ما عداه من أنواع الاستعمال وقاس كثير من الفقهاء غير الاكل والشرب عليها

حتى حرم الشافعية اتخاذ الاواني وان لم تستعمل « ثم بحثنا في علة ذلك واختلافها باختلاف الزمان . وذكرونا في آخر الفتوى ان الاحتياط أن يجتنب المسلم ما ورد به النهي الصريح ويراعي المصلحة فيها وراء ذلك بحسب اجتهاده مع الاخلاص . وراجع التفصيل ان شئت (في ص ٤٢١ - ٤٢٤ م ٧) والظاهر ان المراد بالذهب في النهي ما يعم التبر الخالص والمزيج من الذهب وغيره ما سمي ذهباً ويحتمل ان يقاس الذهب على الحرير عند من يقولون ان الثوب المحرم منه هو ما كان ابريساً خالصاً أو ما كان الابريسم هو الغالب فيه وزناً أو نسيجاً . واتي اعتقد ان استعمال الساعة الذهبية انما تحرم إذا كان فيها إسراف أو مخيلة وكذا غيرها مما لا نص في النهي عنه والا فهو مباح او مكروه في الاكثر والله أعلم

﴿ رابطة النقشبندية ﴾

(س ٩) من ع . ب . ح في ستغافوره

حضرة الفاضل صاحب المنار بمصر

نحن معاشر اهل الطريقة بهذه الجهات قد عثرنا على فتواكم في رابطة اهل الطريقة فحمدنا الله على صنيعكم وما ايدتم طريقتنا بقولكم (يمكن للمريد العارف بعقيدة الاسلام ان يجمع بين التوحيد وبين تحيل شيخه - الى أن قلم - فمثل هذا لا يعد مشركاً لشيخه مع ربه) ونحن فله الحمد عرفنا بعقيدة الاسلام وان احضارنا صورة شيوخنا عند ذكر الله لانه من آكد الآداب والاستمداد منه هو استمداد من النبي صلى الله عليه وسلم وقلبه يحاذي قلبنا الى صاحب الطرق نينا محمد (ص) وقلبه (ص) دائم التوجه الى الحضرة الالهية كما هو مقرر في كتب الطريقة وقد عمل بالرابطة اولياء الله الصالحين ونحن من شريفيهم وتبعي النبي (ص) وسلسلة طريقتنا متصلة بهم والى حضرة النبي (ص) فكيف يقول عمرد الامام بستغافوره ان الرابطة بدعة لم يعمل بها النبي ولا اصحابه ولا التابعين بل قال الرجل ان اختراع الرابطة لم يكن في عهد الامام العزلي وعبد الوهاب المشركين وفي القرون الجيلاني فهل يتصور ان

كبار العلماء القائلين بالرابطة اخطأوا فيها وهذا المدعي واضرا به مصيون فيتركهم الناس ويتبعون المدعي واضرا به كلاً ثم كلاً وقد تجرأ المدعي على أهل الطريقة قال ما معناه: ومن قال ان الدين الاسلامي يأمر بالرابطة فهو كذب من خطيب سببس لان ذلك الخطيب وغيره قد نشروا ردوداً على مجلة الامام بالجرائد ومن قول ذلك الخطيب ما معناه حيث ان الامام قد انكر الرابطة وقال انها بدعة لم يأمر بها الدين بل هي ممنوعة وجبت عليه التوبة ووجب عليه اعلان توبته بمجلته وبالجرائد التي كتب فيها مسألة الرابطة لتلايفتر الناس بقوله في الدين اه ورجو من المنار بسط الجواب هل هي بدعة ممنوعة ام لا

(ج) قد علم من جوابنا السابق ان الرابطة لم يرد فيها شيء من كتاب ولا سنة نبوية وانها ليست من أعمال الدين فيطالب كل مسلم بها ويهد مقصراً في دينه اذا ترتبها وينكر عليه اذا أنكرها كما يهد مبتدعا اذا فعلها . وإنما هي طريقة في تربية النفس كغيرها من الطرق التي استحدثها الناس في التربية والتعليم واستفادوا منها بالتجربة ما كان عوناً لهم على مقصدهم فمن قال ان الدين يثبتها أو ينفيها لذاتها فهو مخطئ . لأنه ليس فيها نص ديني ومثله كمثل من يقول إن طريقة كذا في التعليم مطلوبة أو ممنوعة ديناً . نعم ان ما استحدثه الناس من طرق التربية والتعليم قد يخل عرضاً بأمر من أمور الدين فيكون محظوراً ديناً لذلك العارض كما اذا اعتقد المرید ان شيخه يملك بالرابطة نفعه أو ضرره وهديته أو شده أو غوايته وضلاله .

واعلم يا أخي في الدين والطريقة انك لا تستطيع ان تدافع عن الرابطة الا اذا قلت اننا لا نتخذها ديناً وحينئذ لا بأسك كونها بدعة لأن البدعة إنما تكون ضلالة اذا كانت في الدين وأما البدعة في غير الدين فمنها الحسن ومنها القبيح كما يوجد من حديث مسلم « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة » . والسبب في انه ليس لأحد انقطاع الوحي ان يسن في الشئ شيئاً وانما هي السن في أمور الناس في تربيتهم وتعليمهم وسائر أمورهم التي تنفع في دنياهم وآخرتهم ويمكن ان يفهم من

في دينهم لا يمد حكما دينيا يطالب به الناس على انه دين لان شارع الدين هو الله تعالى على لسان رسله عليهم الصلاة والسلام ولا شرع بعد انقطاع الوحي وختم الرسالة ثم اعلم ان عمل بعض الصالحين بالرابطة لا يدل على انها من الدين لانه لم يقل أحد من أئمة المسلمين وعلمائهم ان عمل الصالحين حجة في الدين وقد وقع كثير من الصالحين في البدع أو المعاصي عن جهل بالحكم الشرعي ويجوز عقلا ان يخطئ بعض أولئك الصالحين في مسألة ويصيب فيها مثل صاحب مجلة الامام من المعاصرين . ولو شئت لأفشيت سر الطريقة وزدت بيانا ولكن لا محل لذلك هنا ولا حاجة اليه وجملة القول ان صاحب مجلة الامام قد أصاب في قوله ان الرابطة ليست من الدين ولكن يظهر لي انه بالغ في الإنكار حتى جعل الدين محرما لها لذاتها وان لم يترتب عليها محذور أو تجمل شرعا ودينا كما بالغ المنتسبون الى الطريقة فجعلوها دينا كأنه وقع بها التكليف من رب العالمين على جميع المسلمين حتى صار المنكرها كالمنكر بعض ماورد في الكتاب والسنة من أمور الدين . وهذا مما نكره على الفريقين . وأوصي أهل الطريقة بترك المراء والجدل والنز بالالاقاب وأن لا يجعلوا ذلك سببا للتفريق او الخلاف في الدين فان ذلك يخرج صاحبه من حظيرة الدين (٣: ١٠٥) ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليينات وأولئك لهم عذاب عظيم)

تكبير مجلس المبعوثان

﴿ بعض شؤون الاصلاح ﴾^(١)

المحاكم الشرعية

مازل حظ المحاكم الشرعية في البلاد العثمانية دون حظ المحاكم النظامية وسائر دواوين الحكومة ومصالحها فإننا لم نسمع حتى الآن صوتاً قوياً من المبعوثين في مجلس الأمة بطلب ما يجب من اصلاحها فهل تهيب حكومتنا إصلاح هذه المحاكم أو تتعاس عنها كما فعلت الحكومة المصرية ! ؟

ان الحرك للحكومة المصرية والمرسل لها إلى الاصلاح أو المسك لها عنه انما هو الاختلال الانكليزي وكان الرؤساء من الانكليز يقولون اننا لانفس الامور الدينية لانها لا تقبل الاصلاح أو لأن المسلمين لا يريدون اصلاحها أو يتهموننا فيها تهمة نحن في غنى عن التعرض لها ثم محاولة تبرئة أنفسنا منها . وقد ضج مسلمو مصر بعد ذلك بطلب إصلاح هذه المحاكم فكانوا مع الانكليز كالذي ينطق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء .

ان المحاكم الشرعية في القطر المصري أمثل منها في سائر الولايات العثمانية من بعض الوجوه على ان اختصاص هذه أوسع من اختصاص تلك وليس لمجلس الامة في الاستانة ان يتعلل بمثل ما يتعلل به الانكليز عند مطالبتهم باصلاح هذه المحاكم فمتى نسمع صيحة أهل العلم المهين للاصلاح في المجلس بيان ما يجب من اصلاحها ؟ .

أينسى أولئك المبعوثون أصحاب الغيرة على الشرع ان هذه المحاكم كادت تكون حجة على الاسلام وقتة للمسلمين ؟ أينسى أولئك الاحرار الواقفون للاستبداد

(١) نشرناها في جريدة المفيد بيروت

بالمرصاد انه لا يوجد مهده من معاهد الحكومة يباح فيه الاستبداد بغير تبة ولا مسؤولية إلا في المحاكم الشرعية حيث يحكم القاضي برأيه بلا مشاورة في الأمر ولا مشاركة في الرأي ولا معرفة المتقاضين بالمسائل التي يجب بها الحكم !! فهل يرضى مجلس الأمة ان تبقى هذه المحاكم على هذه الحال وهي المنسوبة إلى الشرع الذي نبى على الشورى وأمر الرسول المعصوم بالمشاورة (صلى الله عليه وسلم) وجرى الخلفاء الراشدون على الحكم بها ؟

ألا يعلم نوابنا الكرام ان فساد هذه المحاكم مفسد لكثير من البيوت (العائلات) التي هي مرجعها في مسائل الطلاق والنفقات وغير ذلك من أمور الزوجية؟ أيستهيون بأمر الاوقاف وما لها من العلاقة بالأمور الدينية والأعمال الخيرية التي لها شأن كبير في صلاح الأمة وفسادها ؟

أول شيء يجب الالتفات اليه في إصلاح هذه المحاكم هو إدخال الشورى فيها بجعلها مؤلفة من اعضاء يحكمون بأكثر الآراء كما هو الشأن في المحاكم النظامية حتى ما يحكم فيها بالشرع الشريف كما يحكم الحقوق التي يحكم فيها بالمجلة . وقد سبقت مصر إلى هذا الإصلاح في محكمة القاهرة التي يرأسها القاضي الأكبر الذي يرسل إليها من دار السلطنة العثمانية . فإقامة هذا الركن الاسلامي في المحاكم الشرعية يبطل استبداد القضاة في الاحكام ويقلل ارتكابهم لجريمة الرشوة ويجعل الاقضية سرية الانجاز فيصل الناس إلى حقوقهم في وقت أقرب مما يصلون فيه الآن ان وصلوا .

يلي هذا الركن وضع كتاب في الاحكام التي تختص بها هذه المحاكم ككتاب بجة الاحكام العدلية في سهولته وترتيبه وتقسيمه إلى مواد معدودة ومسائل معدودة تترجم الحكم بها و بيان عدد المسألة التي يستند في الحكم اليها . ولا حاجة إلى التذكير بفوائد هذا الكتاب التي (منها) كون المتقاضين يعلمون منه الاحكام التي يحكم بها في دعاويهم فيطبقونها عليها و يطلبون الحكم بها . (ومنها) توحيد الاحكام في الدعاوي التي موضوعها واحد لا كما يقع الآن كثير من حكم المحاكم المختلفة بل المحكمة الواحدة في مثل هذه القضايا باحكام مختلفة يؤخذ فيها مرة بقول فلان ومرة بقول غيره ، ناهيك بما في

كتب فقہ الحنفية من الخلاف في التصحيح والترجيح وما يكون في هذه الاحكام المتعارضة من الفضاخ وضعف الثقة بالدين واهله (ومنها) سهولة تناول الحكم وتضييق مسالك الخلاف فيه بين اعضاء المحكمة . و بوجود مثل هذا الكتاب تتحقق قاعدة كون الجهل ليس بعذر . وانه ليسر الآن على من زاول كتب الفقہ عدة سنين أن يعرف الحكم الذي يحكم به القاضي الشرعي في قضية ما فما بالك بمن لم يزاول هذه الكتب و اكثر المسلمين لا يستطيعون ذلك

ولا بد من تميز هذين الركنين بثالث وهو وضع نظام لسير هذه المحاكم في اعمالها وكتبها وسجلاتها ويجب ان تغل فيه يد رئيسها عن الاستبداد في الاعمال كمثل الكتاب ومتولي الاوقاف وموظفي المساجد واستبداد غيرهم بهم أو تقديم بعض القضايا على بعض بل يجب ان يكون كتبة المحكمة كسائر عمال الحكومة لا يعزلون الا بمحاكمة يثبت فيها عليهم ما يوجب عزلهم . وانا لانتظر من حكومتنا الجديدة قانونا عادلا لمجالس أو محاكم التأديب التي يحاكم فيها جميع عمالها اما الرسوم التي تؤخذ في هذه المحاكم وتقسّم بين القاضي والكتبة فيطلب على ظني أن المالية تبطلها ان لم تكن قررت ابطالها بالفعل في الميزانية الجديدة وحددت مرتبات القضاة ورؤساء الكتاب وسائر الكتبة فان في أخذ المحكمة للرسوم مفسد كثيرة لا تخفى على اولي الامر وما هم لها بمهملين

الركن الرابع من اركان الاصلاح جعل هذه المحاكم ابتدائية واستئنافية في كل ولاية كالمحاكم النظامية وابقاء التمييز في الاستانة ما بقي تمييز الاحكام العدلية فيها وان كان في ذلك مشقة على أهل الولايات البعيدة وتعميق للاحكام النهائية يرجى ان تلافها الحكومة أو تلافها مجلس الامة

وأقترح على باب المشيخة الاسلامية وعلى مجلس الامة ان يهدا الى اللجنة التي تنظر في اصلاح المحاكم الشرعية بمطالعة تقرير الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده) الذي قدمه لِنظارة الحفانية في شأن محاكم القطر المصري وما يلزم لاصلاحها ومطالعة لأئمة محاكم القطر القديمة والنظام الجديد الذي وضع اخيرا فان في ذلك عوننا كبيرا والله الموفق

خطبة

﴿ على أعضاء المجلس العمومي بيروت ﴾

دعا كامل بك الاسعد كبير عشائر جبل عامل رفاقه أعضاء المجلس العمومي بولاية بيروت الى داره فيها وأعدتلم مأدبة حضرها صاحب هذه المجلة وبعض وجهاء بيروت. وبعد الفراغ من الطعام وقف دعاس افندي جريس أحد الأعضاء وأثنى على رب الدار، وأطرى صاحب المنار، وأشار الى رغبة الحاضرين في استماع شيء منه في موضوع المجلس العمومي ورأيت الانظار موجهة اليّ تنتظر الاجابة فشكرت وقلت بعد مقدمة فكاهية ماملخصه :

ان للمجلس العمومي فائدتين فائدة اجتماعية وفائدة عملية أما الفائدة الاجتماعية فهي تنشئة الامة وتربيتها على الحكم النيابي اعني حكمها نفسها بنفسها ان أمر هذه المجالس العمومية من أفضل ما في القانون الاساسي من الاصلاح فلولا لم يكن للامة أحد من قبلها ينظر في مصالحها إلا المبعوثون في عاصمة السلطنة لا يمكن ان يبقى أهل الولايات ولا سوا البعيدة عن العاصمة جاهلين لمعنى مشاركة الامة للحكومة في ادارة مصالحها ولكن وجود أفراد من كل قضاء بكل ولاية في مجلس قريب منهم يشرف على اعمال حكومتهم وينظر في مصالحهم ومنافعهم هو الذي يعلمهم بالعمل معنى الحكومة الديمقراطية ويجهلهم واثقين بان حكاهم عمال مخلصون لاسادة قاهرون وانهم لا يستطيعون ان يستبدوا فيهم أو يظلموهم الا اذا ظلموا هم انفسهم ان المبعوثين يشتغلون بأمر الدولة الكلية فصالح الاهالي لا تتعلق بهم مباشرة وانما تتعلق بحكومتهم المحلية فذلك المجلس ينظر في القوازين العامة ولكنه لا ينظر في كيفية العمل بها في كل قضاء بحسب حاجته ولكن هذه المجالس العمومية هي التي تنظر في ذلك فتقرر اصلاح كذا من الطرق وانشاء كذا من المكاتب والمدارس في الاماكن التي تعينها والاهالي يرون ذلك بأعينهم ويعلمون انهم نالوه برأي نوابهم ونفوذهم في

حكومتهم فبذلك يربون على الحكم النيابي وبمرفون قيمته فلا يرجعون عنه ولا يرضون بالحكم الشخصي بعده

ان مجلسكم هذا صورة مصغرة لمجلس المبعوثان فاذا قتم بما عهد اليكم كما يرجى من غيرتكم وخبرتكم فانكم تكونون أولى من غيركم بالترجيح في الانتخابات القابلة لأن الاهالي يكونون قدوةوا نكم عن تجربة وخبرة كما يكونون أكثر عناية بالانتخاب وأكبر أملا في المتشحين

ان ما ذكرت في معنى تربية الامة على الحكم النيابي أمر عظيم يجب ان يكون نصب أعينكم فان له علاقة عظيمة بمستقبل البلاد وعظمة الدولة . ان الدولة لا تكون دولة دستورية الا اذا استقر الحكم الدستوري في كل ولاية من ولاياتها وعمرت به البلاد وارتقى أهلها

ان كل ولاية من الولايات تعد عضوا من أعضاء جسم الدولة ولا يمكن ان يكون الجسم حيا قويا سويا اذا كان بعض أعضائه صحيحا وبعضها مصابا بالفالج . ثم اتى أذكركم بما لا تنسونه من ان في الامة حزبا يرى وجوب استقلال كل ولاية من ولايات الدولة في ادارتها الداخلية كالولايات الالمانية أو الولايات المتحدة فاذا كانت البلاد الالهمانية غير مستعدة لذلك الآن واذا كان هذا الحزب الآن ضعيفا لا يستطيع تنفيذ رأيه فما يدرينا ماذا يكون في المستقبل البعيد أو القريب من أمره وأمر البلاد ؟ ألا يجوز ان يقوى بعد وان تكون الوزارة في يوم ما من أعضائه والرأي الغالب في مجلس الامة هو رأيه ؟ ؟ (يجوز يجوز) اذا كيف يكون حال ولايتنا هذه وسائر الولايات العربية التي هي دونها ودون سائر ولايات الدولة في الاستعداد للاستقلال الاداري ؟ . اتنا نعرف باننا عاجزون الآن عن ادارة شؤون ولايتنا بدون استعانة باخواننا من الترك مع ان ولايتنا أرقى الولايات العربية وقد قات من قبل وكتبت في المنار ان الولايات السورية تعد وسطا في الاستعداد والارتقاء بين ولايات الرومي وبعض ولايات الاناطول وبين سائر الولايات العربية كالعراق والحجاز واليمن . فيجب ان نرقي انفسنا وان نكون مصدرا أو عوننا لسائر الولايات العربية على الارتقاء بل أقول ان اخواننا الترك الذين نعرف لهم بانهم أرقى منا لا يستفنون الآن

عن الاستعانة بالاجانب لترقية ولاياتهم كما نحتاج نحن اليهم والى الاجانب وهذا الرأي عندي قديم وقد كاشفت به متصرف طرابلس والوالي ايضا فمن المحم ان نوجه جل عنايةنا للحكم الذاتي والاستغناء بانفسنا عن الاجانب ايها الاعضاء الكرام: ان هذا الفرض الذي تطالبون به عظيم ولكن قوة الارادة في الانسان تصغر كل عظيم وتسهل كل عسير فاذا وجهتم عزائمكم الى ذلك بالاخلاص فانكم تصلون الى الفاية باذن الله

وقل من جد في امر يحاوله واستعمل الصبر الا فاز بالظفر

يرى بعض الفلاسفة ان الانسان لا يجزم ارادته بامر ممكن الا وينفذ وكان الاستاذ الامام على هذا الرأي وقد قال اكثر من مرة انه لم يجزم ارادته بطلب شيء جزما تاما لا تردد فيه الا وحصل وقد كان حكما الصوفية على هذا الرأي وعبر عنه بعضهم بقوله « ان لله عبادا اذا ارادوا اراد » اي اذا صح توجه ارادتهم الى شيء تعلقت به ارادة الله وما تعلقت به ارادة الله نفذ حتما فعلى الانسان ان يعرف قيمة نعمة الارادة فيوجهها الى خدمة وطنه جازما بانه اهل لأن يرقيه وهو بهذا يكون اهلا له مها كانت معارفه فان تفاضل الناس بالارادة فوق تفاضلهم بالمعرفة فما كل عالم ينفع وكل من اراد ان ينفع فانه ينفع على قدر استعداده

هذا ما احييت ان اذكر به من امر الفائدة الاجتماعية في المجالس العمومية واما الفائدة العملية فهي قسمان مادية واهمها اصلاح الزراعة وتسهيل المواصلات وتعديل الاموال الاميرية . ومعنوية وهي التربية والتعليم والبحث في هذه المسائل يطول وانتم اعلم بحاجة البلاد وطرق عمرانها من رجل مثلي ليس له مثل اختباركم وليكتني اذكركم بثلاثة امور تتعلق بالتعليم هي اهم المسائل في رأيي : مراقبة التعليم والتربية في المدارس ، وإنشاء مدرسة للمعلمين ، و احياء لغة البلاد

ان مدارس الحكومة ليس فيها تربية ولا تعليم نافع بل ربما كان ضررها اكبر من نفعها وانما كان حظ الحكومة المستبدة السابقة منها هو التمتع بصورة الملاك دون التربية التي تكون النفوس الفاضلة والتعليم الذي يربي العقول الكبيرة ان الدول تؤلف في هذا العصر من عدة وزارات منها وزارة المعارف وهذه

الوزارة لا تكون بغير مدارس فكان بقاء المكاتب والمدارس في عهد الاستبداد الماضي لدولتنا لاجل استكمال صورة الملك والتمتع بها فان التمتع بالمظاهر الصورية له لذة كما ترون في تمثيل القصص والا فان الاستبداد كان يجارب العلم حربا عوانا فان أردتم ان يكون التعليم نافعا في مدارس الحكومة فيجب ان تبدأوا بالامر الاول وهو مراقبة التعليم بان تطلبوا تعيين ممتثين ممن يرضى الاهالي معرفتهم وغيرتهم وصدقهم يتعهدون هذه المدارس ويراقبون سيرة مديرها ومعلميها في الترية والتعليم . ثم ان فساد التعليم في الزمن الماضي قضى بان يكون المعلمون الاكفاء فينا اندر من الكبريت الأحمر فالاصلاح الحقيقي للتعليم يتوقف على إنشاء مدارس لتخرج المطين القادرين على الترية والتعليم بالطرق المصرية القرية . يجب ان يكون الاستاذ المعلم على علمه بالفن الذي يعله مهذبا ليكون قدوة للتعليم في الفضيلة فان فاقد الشيء لا يعطيه . ويجب ان يكون مع ذلك عارفا بطرق الترية والتعليم فا كل مهذب يعرف كيف تتكون ملكات الفضائل في النفوس ولا كل عالم يعلم كيف ترسم مسائل العلوم في الأذهان فلا بد من إنشاء مدرسة للمعلمين في مركز الولاية واما احياء لغة البلاد واعني بها اللغة العربية فالذي نطالب به الحكومة من وسائله هو جعل تعليمها في مدارسها كلها الزاميا كأختها التركية وجعل دراسته العلوم في الولايات العربية بلغة أهلها وفي سائر الولايات بالتركية كما كان بحسب القانون والذي يقرر هذا هو مجلس الامة في الاستانة وانما على المجالس العمومية المطالبة به لا يقال ان هذا يفتح علينا باب تمصّب الجنسيات في الدولة واننا في أشد الحاجة إلى الاتفاق والتسامح الاجناس فان الفرق بين العرب وبين ما عدا الترك من الاجناس واضح جدا

ان الشعب العربي يعد نحو من ثلثي نفوس الدولة ويقل فيه من يعرف التركية وأما سائر الاجناس : الالبانيين والاكراذ والارمن والروم فكلهم يعرفون اللغة التركية فلا يحتاج الحكام والموظفون فيهم إلى معرفة لغاتهم ليحسنوا القيام باعمال الحكومة فيهم بل ان أكثرهم ليس لهم لغات علمية ذات فنون ومعاجم تصلح للتعليم فالارمن قريمو عهد بتدوين لغتهم وجعلها تعليمية والالبان والاكراذ

لما نتم لهم ذلك بل قرأنا في بعض جرائد هذا الشهر ان الالبان قد عزموا على اختيار الحروف العربية للفهم التي يشتغلون بتدوينها ومن المقرر ان عرض الحكومة الأول من مدارسها هو تخريج الموظفين الأكفاء فاذا كان المتخرجون فيها جاهلين باللغة العربية التي هي لغة أكثر العثمانيين يتعذر عليهم ان يقوموا بوظائفهم كما يجب في أكثر بلاد الدولة فان من يجمل لغة قوم يتعذر عليه ان يعرف حقيقة حالهم وما ينبغي لهم وما يتظلمون منه . ولا يقول عاقل انهم يستغنون بالترجمين لما في ذلك من العسر والتعقبات وأين يتعلم المترجمون ؟ على أن العربية ركن للتركية فعلها يزيد المتعلم كمالا فيها اما جعل اللغة العربية هي لغة العلوم والاكتفاء من التركية في بلادنا بالقرأة والكتابة فذلك ان الامة التي لا تتلقى العلوم بلغتها لا تكون امة علم وانما يكون مبلغها من العلم أن يوجد فيها بعض المترجمين لبعض ما يقرره العلماء المستقلون ولا يوجد فيها المحققون والمخترعون والمكتشفون

ان لغة الامة صفة مقومة لها واللغات التي يتعلمها بعض افرادها اعراض تعرض لها وتفارقا فاذا تلقت العلم بلغتها يصير صفة لهاحية بجبايتها نامية بنائها واذا تلقت بلغتها اجنبية فقصاراه أن يكون زينة عارضة لبعض افرادها ولا ارتقاء للام في هذا العصر الا بالعلم فيجب علينا أن نبذل جل عنايتنا في تحصيل العلوم العصرية ونقلها الى لغتنا ولا حياة لنا بغير ذلك واننا في عملنا هذا لا نبعد عن اخواننا الترك بل نكون اخوة متساوين في المزايا والحقوق كما يجب أن يكون الاخوة . والمساواة الحقيقية لا تكون مع التفاوت في العلم والعرفان (فليس سواء عالم وجهول)

ارجو عفووا فقد اطلت عليكم عقب الاكل ووقت طلب الراحة فان خلطت في الكلام فر بما كان سبب ذلك الخلط في الطعام ، وتوجه اكثر الدم الى المعدة واقفه الى الدماغ والسلام

الحرية واستقلال الفكر

آخر خطبة لي ببيروت

دعيت الى حضور الاجتماع الشهري لجمعية الجامعة العثمانية ببيروت في أوائل هذا الشهر (آذار) فأقترح علي رئيسها ان أخطب فيهم بما يفتح الله به حاكيا عن وغبة الجمهور فقلت ما ملخصه بحسب ما أتذكر

أيها الأخوان الكرام

إن المسائل التي نحتاج الى البحث فيها واستجلاء غوامضها كثيرة جدا فمن الناس من اذا اقترح عليه ان يخطب يبادر الى الكلام في الموضوع الذي يتبادر الى ذهنه سواء كان مطابقا لمقتضى الحال يرجى ان يستفيد منه السامعون ما يصح أفكارهم أو يقوم أعمالهم أم لا. ومنهم من يرى هذه الطريقة متقدمة وانه لا بد ان يخاطب الناس بما يتعلق بحالهم وما ينبغي ان يكونوا عليه في أفكارهم وأعمالهم فلا يحثهم على ما سبيل اليه ولا يقرر لهم مالا يفهمون حقيقته

مثال من ذلك: ان بعض الخطباء يقف فيقول أيها العثمانيون عليكم، بالاتحاد عليكم بالاتلاف ان الاتحاد هو مفيض العمران ومرقي الأوطان ورافع شأن الإنسان. ويكتفي بمثل هذه الخطايات المجللة التي لا يعلم السامعون كيف يمكن العمل بها فان اتحاد المختلفين في التربية والتعليم والعقائد والأفكار والأخلاق والتقاليد والعادات من الأمور لا يمكن ان تحصل بمجرد الحث عليها ومدحها وإنما يجب بيان ما يشترك فيه من يرادهم على الاتحاد واقناعهم بأن منافعهم ومصالحهم مرتبطة به وانها إنما تحفظ وتمو بانحادهم واتفاقهم وتذهب أو تضعف بتخاذلهم وتفرقهم

أما أنا فأقول ان كل كلام صحيح المعنى لا يخلو من فائدة والفكرة الاجمالية لا تخرج الى حيز التفصيل إلا بآثارها باقول أو بالكتابة ومن لم يستفد اليوم من الكلام

الصحيح فائدة تامة يرجى أن يستفيد غدا فليقل كل أحد ما يرى أنه حق نافع وليقدم
الاهم على غيره وهو ما كانت حاجة الناس اليه اكثر . واذا قيل لنا ما هو اهم ما نحتاج
اليه الان ؟ قلنا أننا محتاجون الى اشياء كثيرة من العلوم والاعمال لاجل ان نهض
لما نكون به امة عزيزة ولكن نهوضنا يتوقف على امر عظيم لا يحصل بدونه . فما هو
هذا الامر الذي هو شرط للارتقاء في كل علم وكل عمل بحيث يلزم من عدمه العدم ؟
الا انه هو الحرية الشخصية واستقلال الفكر

قد قلت في بعض الخطب التي تكلمت فيها عن الحرية ان استعداد البشر
للارتقاء ليس له حد يعرف ولا غاية تحدد فاذا عاشوا ملايين من السنين يمكن أن
يكونوا في ارتقاء مستمر لا ينقطع اذا كانت حريتهم في العلم والعمل مصونة من عبث
المستبدين فهكذا ترتقي الامم على قدر صيانتها واحترامها للحرية وتتخلف عن الارتقاء
بل ترجع الى الوراء على قدر عبثها بالحرية ونحكما في الباحثين والاملين

مضت سنة الله في البشر بأن الفكر يسبق العمل فاذا كانت أفكار العقلاء
والاذكياء مضغوطة ممنوعة من الحركة والنمو فإنها لا تكون مستقلة والامة لا تخطو خطوة
واحدة الى الامام الا اذا اطلقنا العنان لجياد الافكار تجول في ميادين الكتابة والخطابة
بلا حرج ولا ضغط لا فرق في ذلك بين المسائل الدينية والاجتماعية والسياسية وغيرها
يجب علينا أن نحترم رأي من يخالفنا كما نحترم رأي من يوافقنا لأن الفلاح
متوقف على ظهور الحقائق وظهورها يتوقف على استقلال الأفكار وحرية البحث
والكتابة والخطابة ولا يخاف على دينه من حرية البحث إلا من لا ثقة له بدينه ومن
كان واثقا بأنه على الحق فانه يعلم أن مخالفته فيه لا تزيد الا قوة وظهورا فقد نطق
الكتاب العزيز بما هو ثابت عقلا واختبارا من أن الحق يعلم ولا يعلى وانه ما تصارع
الحق والباطل الا وصرع الأول الثاني « بل تقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا
هو زاهق » وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا «

علينا أن نبعد هذا عن أنفسنا لنعلم هل نحن نحترم استقلال الفكر وحرية
القول والعمل ؟ هل قمنا بحق هذا الشرط الذي يتوقف عليه كل مقومات الحياة
الاجتماعية والسياسية واسبابها ؟ إن حكومتنا تركت الضغط على عقولنا وافكارنا

والحجر على أسنتنا وأقلامنا لنكون أحرارا في أقوالنا وأعمالنا فهل صرنا أحرارا بالفعل؟
 نعم أن الحكومة تركت الاستبداد والاستعباد وأباحت لنا الحرية طوعا أو كرها
 ولكننا ما قبلناها فان الأفكار لا تزال مضغوطة محجورا عليها أن تبرز من مضيق الدماغ
 الى فضاء الوجود الخارجي والحرية الشخصية مهددة لا من الحكومة بل منا أنفسنا
 في البلد حوادث حيوية كثيرة لا يكتب أحد من أصحاب الجرائد وأيه فيها
 بالحرية. ولماذا؟ أيتخاف من « المراقب » أن يرجعها له؟ لا إن الجرائد لا تعرض
 الآن على المراقبين كما كانت تعرض في زمن استبداد الحكومة ولكن ما سقط
 مراقب الحكومة الا وتقاسم مثل عمله من لا يحصي من دهاء الأمة يقتاتون على
 أصحاب الجرائد وكتابها وعلى الحكومة نفسها وربما كان هذا الاستبداد أشد وطأة
 واقل ضغطا من استبداد الحكومة

إن جرائد بيروت كان لها مدير واحد لسياستها هو المراقب وكانت نسبة
 أصحابها ومحريها اليه كنسبة محري الجرائد الكبيرة في البلاد الحرة الى رئيس
 التحرير أو مدير السياسة . فكانوا اذا أرادوا كتابة شيء يتحرون أن يكون بحيث
 يرضيه وقد عرفوا ما يرضيه ويجيزه فلم تكن مراعاته متعذرة عليهم ولكن يتعذر عليهم
 الآن أن يعرفوا ما يرضي هؤلاء المراقبين الذين حلوا محله لأن عقولهم وآراءهم
 ليس لها قاعدة ترجع اليها ولا ميزان توزن به . فهل يمكن أن ترقى الصحافة أو
 الأفكار في بلاد يقتات على حملة الاقلام وارباب الأفكار فيها كل أحد حتى
 البحار والجمال وبنع الحص والفول !!

انا قد تفتينا باسم الحرية في أيام إعلان الدستور وأقينا الخطب الكثيرة في
 وصفها ، وانشدنا القصائد العديدة في مدحها والتغزل بها، وكان هتاف الجماهير للخطباء
 والشعراء ، يعلو في الجوف حتى يبلغ عنان السماء ، وكتبنا ذلك الاسم الجميل « الحرية »
 بالخطوط الجميلة وزينا به البيوت والمماهد العامة والخاصة والحدائق فظهرنا بمظهر العاشق
 الولهان لهذه الحرية الجميلة ولكتي اخشى أن نكون في عشقنا لها كعاشق أم عمرو؟
 ولعل بعض الحاضرين لا يعرف خبر هذا العاشق فاذكره إعلاما له وتذكيرا لغيره
 من بعض الناس بصديق له مرة فرآه على غير ما يعهد : وآه فقلنا مضطربا فسأله

عن حاله فقال إني عاشق ولها ان لا يقر لي قرار ، ولا يطيب لي اصطبار ، ولا يهنا
لي طعام ، ولا يزور جفني منام ، قال له صاحبه من عشقت ؟ قال عشقت أم عمرو ،
اجل نساء المصر ، قال من هي أم عمرو ومتى رأيت وجهها المليح ، فبرح بك هذا
البريح ، قل لا أدري من هي ولا لحتها عيني وانما سمعت رجلا ينشد في الطريق :

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة ردي علي فؤادي اينما كانا

قلت في نفسي لولا ان أم عمرو هذه أبرع النساء جمالا وحسنا ، وأوفرهن من
القسامة قسما ، لما قال الشاعر فيها هذا القول فعشقتها

وقد طال على هذا العاشق الاحق عشق تلك المشوقة المجهولة حتى مر به
صاحبه يوما فاذا هو يكي ويندب قد ساورته الاحزان ، وواثبته الاشجان ، فسأله
مادهاك ؟ فصاح أواه واويلاه ! لقد بليت بأشد المصائب وأعظم النوائب فقد ماتت
أم عمرو . وغلبه التشيع وأخذ في النحيب ، ولما سكت عنه الروع قال له ومن أخبرك
بموتها فهل رأيتها وعرفتها ؟ قال لا ولكنني سمعت الشاعر ينشد في الطريق :

لقد ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار

قلت لولا انها ماتت لرجعت ولما قال الشاعر هذا القول

نعم انني أخشى ان تكون حريتنا المشوقة ، هي أم عمرو المجهولة ، فان الحرية
الحقيقية قد تعرفت الينا فنكرناها ، ورغبت فينا فرغبا عنها ، وأجبت القرب منا فاحترنا
البعد عنها ، والافا بال الكثيرين منا ، يسلطون العامة على من ييدي رأيا يخالف رأيه
أوهوى أنفسهم ، يهددونه ويهينونه ، واذالم يوجد له عصبة تمنه منهم قائم يضر بونه ، ومتى
كانت الحكومة المستبدة تضطهد حرية الفكر والملم أشد من هذا الاضطهاد ، وتحاول
استعبادا أقبح من هذا الاستعباد ، أي العبوديين اذل ، آلعبودية للحكومة أم العبودية للعامة ؟
كان الخطباء والشعراء يقولون في أيام عيد الحرية في مدح الأمة منحوا بما يقولونه
في مدح الحرية نفسها لإظهار التناسب بينهما ولا يزال كثيرون منهم يسمعوننا مدح
أنفسنا ، ويشيدون بفضلتنا وفضل سلفنا ، ويمتلون بقول شاعرنا : بني كما كانت أوائلنا الخ
أما أخوكم هذا فيقول ان ما كان يقال في أيام عيد الحرية لا ينبغي أن يقال اليوم ولا
في كل يوم . ان الأعياد في عرف الناس هي أيام السرور والابتهاج فيحسن ان

يقاسي فيها ما يسوء ويتحرى فيها ما يسر، وهذه أيام الجد والعمل فيجب ان نعرف فيها ما يحتاج اليه في هذا العصر لنجاري الامم العزيزة القوية، الراتمة في بحبوحة المدينة، لان أن نمي النفس بالأقوال التي يلذ سماعها، وتترك السنن التي ترقى باتباعها، يا قوم اننا مرضى ومن كتم داءه قتله، اننا مرضى ويجب علينا ان نداوي أنفسنا، ان الادوية لا يقصد بها اللذة، بل يقصد بها المنفعة، هل سمعتم ان الأطباء يداوون المريض المدنف باطعامه اللحوم المعالجة بالقول والافاوية والكنافة والبقاوة والاشربة المثلوجة؟ لالا انهم يداوونه بالمسهلات البشعة الطعم والكينا المرة ورماد اووه بالسكين بنال شيئا من بدنه. وكذلك تكون أدوية الامراض النفسية. وانه ليسوءني ان اصرح لكم بما يولمكم ولكنها الحقيقة لا بد منها وان كانت مرة كالذواء «أخوك من صدقك لا من صدقك» ان من فضل الحرية علينا ان صرنا قادرين على البحث عن مرضنا وعلى الاجتهاد في معالجته فيجب ان نعرف قيمة هذه النعمة وان نشكر الله تعالى عليها بالعمل الذي نستفيد به منها

أعود فأقول اننا لا يجوز لنا ان ندعي اننا عرفنا الحرية واننا تقدرها قدرها الا اذا كنا نحترم استقلال الفكر فلا نعارض أحدا في إبداء رأيه واظهار علمه باللسان أو القلم ولا يمكن ان نخطو خطوة واحدة الى الامام بدون هذا

فعليكم أيها الفضلاء المحبون لخير أمتكم وتقدم بلادكم أن تنصروا الاستقلال الذاتي والحرية الشخصية وأن تبدلوا جهد المستطاع في بث هذا الفكر في طبقات الأمة وتغنوا أولئك الذين نسمع أخبار افتياتهم على الكتاب وأصحاب الجرائد بأن عملهم هذا ضار ببلادهم وان الذين يغرونهم بذلك هم اهل الاهواء الذين يتبعون حظوظ أنفسهم ولو فيما يضر بلادهم

انصروا حرية البحث والطباعة لكي تجلي للأمة الحقائق فتعرف ما يضرها وما ينفعها ولكي تتربي فيها العتول الكيرة بعد رفع الضغط عنها. ان تعملوا هذا تخدموا بلادكم أحل خدمة. وأراني اطلت عليكم في هذا الكلام الحار مع حرارة الجوب كثرة الاضواء وازدحام الناس فحسبي هذا والسلام

خوارق العادات

﴿ في الاسلام ﴾

اطوار البشر والمعجزات - المعجزات العقلية والحسية - علم النيب - التنويم المغنطيسي
استحضار الارواح - الكهانة - الاحلام - السنن الكونية والمعجزات
جرائم الامم والافراد والمقربات الالهية عليها

أنى على الانسان حين من الدهر كان في طور أشبه بطور الطفولية ' فسادت
الأوهام والخرافات على العقول البشرية ، وكثر بين الناس الدجالون والمحتالون '
والسحرة والمشعوذون ، وملكوا نواصي الناس بافكهم وكذبهم ' وصاوا يتصرفون في
جميع أمورهم ' فما كان أحديقدم على عمل ما إلا بعد مشاورتهم ' والاسترشاد برأيهم '
فكان الناس في أيديهم كالانعام بل هم أضل سبيلا : عقول فاسدة ' وآراء كاسدة '
وأفهام ساذجة ' وبصائر قاصرة ' وجهل وأوهام ، وخرافات وخزعبلات ، تقيمهم وتقدمهم ،
وتفرحهم وتمخزهم ' وتخيفهم وتزعجهم ' فاذا برق بارق من السماء ارتجفوا واضطربوا ،
وإذا نزلت صاعقة من السحاب ماجوا وارتصبوا ، وإذا أصابهم مرض ما علقوا لدفعه
الاوراق ، أو استنجدوا براق ' وإذا نظر إلى بينهم ناظر حوطوهم بالتمائم ، وأطلقوا
حولهم بنجور المياخر ' وإذا كسفت الشمس أو خسف القمر صاحوا ودقوا الدفوف .
وقرعوا الطبول لإرضاء آلهتهم على ما يزعمون - إلى غير ذلك من الاوهام والباطيل .
هذا كان شأن الجماهير إلا من شد منهم وندر ، وأضاء الله عقله بشيء من نور

العلم ومع ذلك ما كان يسلم عقله من جميع ترهاتهم

سار الله تعالى مع تلك الأمم في هذا الطور سير الأب الحكيم مع أبنائه في
طفوليتهم فأكثر فيهم الهادين والمرشدين والأنبياء والمرسلين فأكثروا من وعظهم
ونصحهم واندازهم ووعدهم ووعدهم . وخذلوا من كانوا متسلطين على عقولهم من

﴿ بقلم الدكتور محمد افندي توفيق صدقي الطيب بسجن طره ﴾

السحرة والمشعوذين بما أجراه الله على أيديهم من المعجزات ، وأظهره لهم من الآيات
الينات ، التي تركت السحرة مغلوبين في أمورهم ، حيارى في شأنهم ، ولولا تلك الآيات
لما قدر الانبياء على تخلص أممهم من حباتل الدجالين والمحتالين ، بل الابالسة
والشياطين ، فكانوا إذا ظهرت تلك المعجزات بهرت منهم العقول وحيرت الافكار
وأعجزت السحرة وأدهشت الناس فيخضع المستعد منهم لهيبة من ظهرت على أيديهم
فيؤمنون له ويتبعونه ، ويطيعونه فيما يأمرهم به (وما نرسل بالآيات إلا تخويفا) ثم
يأخذ الله المعاندين الذين خالفوا ضمائرهم وكابروا عقولهم وأبصارهم ولم يميزوا بين
الغالب والمغلوب ، والصادق والكذوب ، بأنواع من العقوبات تناسب أحوالهم جزاء
لهم وعبرة لغيرهم لعلهم يرشدون

مضت الأيام والأعوام ، وتواتت القرون والأجيال ، وانتقل البشر من حال
إلى حال ، وارتقوا من طور إلى طور . فأخذت العقول تستنير ، والأفكار تضيء
والسحر يضمحل ، والانبياء من بينهم تقل ، حتى ختمت النبوة بعثه سيد الانبياء
والمرسلين . وأكبر الهادين والمصلحين

كان البشر في عهد البعثة المحمدية ، قد خرجوا من طور الطفولية إلى سن الرشد
فأصبحوا لا يناسبهم من الدلائل والبراهين ما كان يناسبهم في القرون الأولى وقبل
فيهم تأثير المحتالين والدجالين والسحرة والمشعوذين . وصاروا يرجون الهداية من
طريقها ، فساعدتهم الاسلام على ذلك ونهج بهم منها لم يسبقه به دين من قبل ، فجعل
الحجج العلمية والدلائل العقلية رائده في جميع دعاويه وعليها معتمده في كل مبانيه ،
وقل من شأن المعجزات الحسية بقدر الامكان ، حتى لا تكون عقبة في رقي عقل
الانسان في مستقبل الزمان ، (وما كان لرسول ان يأتي بآية إلا باذن الله لكل أجل
كتاب * بمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) فان البشر في عهد النبوة
المحمدية ، أخذوا يدركون قيمة المعجزات الحسية ، وأنها لاعلاقة بينها وبين دعوى
النبوة ، وأنها لايسهل تمييزها عن غيرها من أعمال السحرة والمشعوذين ، والصناع الماهرين ،
وأنها إن أقنعت تلك العقول القديمة وأرهبت تلك النفوس وهي صغيرة وحملتها على
الايان فانها أصبحت لاتقني العقل قليلا ولا تزيد الأمور إلا تعقيدا . وأن الدليل

إن لم يكن له من العقل أكبر نصير فهو أضعف ضعيف . ومن كان يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم تلك المعجزات فما كان يريد بها إلا الاعانات والاعجاز ، والسخرية والاستهزاء ، وإلا فان أمامه من البراهين والآيات ما يشفي علة النفوس ويروي غلة العقول (أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكري لهم يوم يؤمنون) وأما ما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات الحسية فلم يكن يراد به إلا إفحام المعاندين المستهزئين ، والزيادة في تثبيت ضعفاء المهتدين . وقد كان جل اعتماد النبي صلى الله عليه وسلم في إثبات دعوته على القرآن وحده . كما يتضح ذلك من تدبر آياته . فانه هو المعجزة التي تلتزم مع الدعوة ، وتعلو بالمقل إلى مستوى العلم والفهم ، وتناسب حال الاجيال من بعده فلا تقف عقبه في سبيل نظرياتهم وتفكيرهم ، ومعلوماتهم واختراعاتهم ، ولا تتبس عليهم بحيل الدجالين وتدلّيس المحتالين ، ولا يكذب القصاصين وافك الراوين ، وتخيل الواهين واختراع الكاذبين ، بل تساعدهم على البحث وتفحصهم على التفكير والنقد والتمحيص والاستدلال والاستنتاج

فبيعة محمد صلى الله عليه وسلم ختم عصر العجائب والفرائب وبدأ عصر العلم والعقل فهو الحد بين المصرين فلذا كانت معجزاته تشمل هذا وذاك وكان أجلها وأكبرها والباقي منها وهو القرآن مناسباً لزمه عليه السلام ولكل ما أتى ويأتي بعده من الازمان فلا يناسبها غيره

وكما ختم عصر المعجزات ، وتمت النبوات ، كذلك أغلق باب الكهانة فكان الله تعالى في العصر الأول والبشر في طور الطفولية كان يتجلى لأبصارهم وفي العصر الثاني وهم في طور الرجولية صار يتجلى لبصارهم أكثر مما يتجلى لأبصارهم . فان بصائرهم في العصر الأول كانت ضعيفة لضعفها فلا تتحمل أن تراه فلذا كان يظهر لأبصارهم بأبيائه ورسوله الكثيرين وآياته ومعجزاته وبعض مخلوقاته كالجن الذين كانوا يسترقون السمع من الملائكة الأعلى فيخبرون به بعض البشر وذلك لان الأب مع أطفاله يكثر التكلم معهم وتأديتهم وتهذيبهم وترغيبهم وترهيبهم ومكافأتهم بالماديات أو معاقبتهم على حسب ما يبدو منهم فاذا صاروا رجالا كف عن ذلك

واكتفى بأبداء بعض تعاليمه العامة وإرشاداته المكتسبة من طول التجربة والاختبار وتركهم يستعملون عقولهم فيما يرونه صالحاً لهم كذلك فعل الله تعالى (وله المثل الأعلى) بعد أن بلغ الإنسان رشده أعطاه الشريعة العامة والقواعد الثابتة وأباح له التصرف في الأمور بحسب ما يرشده إليه عقله فبعد أن كان يوحى للأمم السابقة كني إسرائيل مثلاً في كل جزئية من جزئيات الأمور اكتفى الآن بما في القرآن الشريف من القواعد العامة والأصول الثابتة فانها مع ما يوحى إلينا العقل كافية لهدايتنا في جميع الأمور بعد أن بلغنا رشداً

لذلك أغلق الله تعالى باب الوحي والمعجزات والكهانة وأخبرنا بذلك كله صريحاً في الكتاب العزيز فلم يبق لمحتال علينا حيلة ولا لمشعوذ أدنى وسيلة وبذلك خلاص العقل البشري من الأوهام والخرافات والترهات ، وأصبح طريق العلم أمامه واضحاً لا يحجبه عنه حاجب ولا يقف أمامه فيه واقف ، ولكي لا يبقى هناك ثلمة في نفس أحد من المؤمنين يصل إليه منها شيطان من الشياطين نص الكتاب العزيز نصاً صريحاً لا يقبل التأويل على أن الغيب علمه عند الله لا يعلمه إلا هو وأن الأمور كلها بيد الله يصرفها كما يشاء لا يراعي فيها مجاملة أحد من عباده فقال مخاطباً لرسوله صلى الله عليه وسلم (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ، إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) ومثل ذلك في القرآن كثير يصعب أن يستقصى في مثل هذه المقالة

يقول واهم إذا كان الغيب لا يعلمه أحد إلا الله فما بال التنويم المغناطيسي واستحضار الأرواح والأحلام الصادقة تكشف كثيراً من الغيب وكانت الكهانة تكشف كثيراً منه من قبل ؟

فاعلم أن الشخص في حالة التنويم المغناطيسي لا يمكنه أن يعلم شيئاً مما لم يوجد فلا يمكنه أن يطلع على الغيب أي لا يمكنه أن يعرف شيئاً مما لم يكن له وجود وهو في تلك الحالة المخصوصة وغاية الأمر أنه لا يحجبه عن رؤيا بعض الموجودات حاجب لصفاء روحه عن كدورة المادة إذ ذاك ومن هنا تتسع دائرة معلوماته عن بعض

الموجودات فيمكنه أن يخبر بالقياس أو الاستنتاج مما علم عن بعض أشياء قبل وقوعها كالأمراض التي تنصبيه مثلا بعد وقوفه على حالته الجسمية كما يخبر الطيب عن بعض الأشياء المرضية قبل حصولها لمعرفة الأمراض وأسبابها ومسبباتها وأعراضها وكما يخبر الفلكي عن الكسوف والخسوف قبل وقوعهما أي إن الشيء إذا لم يكن موجودا فلا يمكن العلم بوقوعه إلا قياسا أو استنتاجا أو استنباطا من موجود وإلا فالغيب (وهو ما غاب عن الإنسان لعدم وجوده مطلقا أو لعدم وجود ما يستدل به عليه) علمه عند الله لا يعلمه إلا هو ولا يعلمه أحد من عباده إلا إذا أطلع هو (جل شأنه) أحدا على شيء منه فيخبر به ويفشو بين الناس كما أطلع الله رسوله (الملائكة والأنبياء) على بعض الغيب فعلموه وعلمه الناس منهم وكما كان يعلم بعض ذلك بعض الجن قبل إبطال الكهانة واستراق السمع من الملائكة الأعلى فيخبرون به بعض البشر فيخيل للناس أنهم يعلمون الغيب والحقيقة أنهم أخبروا بما أخبروا به لصلته بينهم وبين عالم الأرواح وإن كانوا يكذبون في كثير مما أخبروا به . ولنا الآن في مسألة استحضار الأرواح دليل قاطع حسي على إمكان اتصال البشر (ومنهم الكهنة) بالعالم الأخرى الروحية (ومنهم الملائكة والشياطين) وبذلك يمكن البشر الاطلاع على بعض المقيات من هذا الطريق كما يمكنهم أن يطلعوا على بعضه في طريق الأحلام الصادقة، فاتها من قبايا الوحي إلى بعض النفوس الصافية، وفيها يرى الله تعالى بعض عباده شيئا مما سيكون بإرادته كما كان يوحى إلى الأنبياء من قبل وليس للبشر في معرفة شيء من ذلك اختيار بل هو شيء يفعل الله متى شاء وكيف شاء .

أما علم أحد من تلقاء ذاته (أي بدون وحي أو سماع من غيره) بغيب حقيقي (أي لا يستدل عليه من موجود) فهو محال إلا على الله الفاعل المختار الذي يفعل ما يشاء متى شاء وكما شاء ودعوى معرفة أحد غيره الغيب دعوى باطلة كاذبة ولا يمكن لأحد الجزم بوقوع شيء من الغيب باليقين وما يقع منه مطابقا للخبر فلا يكون إلا اتفاقا ما لم يكن موحى به .

فالغيب المنفي علمه في القرآن الشريف هو هذا الذي ذكرناه أي الغيب الحقيقي لا مطلق الغيب . فان الغيب أمر اعتباري فما غاب عنك لا يغيب عن

غيرك وما لم تعرفه لجهلك بشيء ، ما يعرفه غيرك ممن علم هذا الشيء .
أما مسألة إنكار المعجزات بسبب مخالفتها لما اعتاده الناس فهي من السخافة
بمكان . نعم إن سنن الله تعالى في هذا العالم لا تتبدل ولا تتغير كما نطق به القرآن
الشريف في عدة مواضع منه ولكن خرق المادة ليس خرقاً للسنة فإن من سنة الله
إيجاد الشواذ في كثير من الأشياء المعتادة إذا اقتضت حكمته ذلك . ولذلك
شاهد في عالمي الحيوان والنبات من الشواذ التي يسمونها (الفتنات الطبيعية)
ما يصعب حصره وما قال أحد بأن هذه الشواذ خارقة لسنن الكون ونواميس
الوجود وإن كانت خارقة للمعتاد . ولو سألتهم عن حكمة وجودها أو عن كيفية
خلقها لعجزوا عن الجواب . أما نحن فنقول إن الحكمة في وجود مثل هذه الأشياء
الشاذة هي أن الله تعالى يريد أن يرينا شيئاً من مبلغ قدرته وعظمته وأن قدرته
تعالى لا تقف عند الحد الذي عهدناه بل هي أوسع من أن تحيط بها مداركنا وأما
كيفية خلق هذه الشواذ والعلل المباشرة لتوليدها فإنا نجهلها الآن كالمجهول وربما
علمنا عنها شيئاً في المستقبل . كذلك نحن نعلم حكمة إيجاد الله تعالى للمعجزات وهي
أنها تخيف الناس وتلجئهم إلى الاحتماء بالأنبياء فيتعلمون بهم ويؤمنون لهم ويتبعونهم
فصلح حالهم . وتفترقهم من أعمال السحرة والشعوذين وتبعدهم عنهم . ولكننا إلى
الآن لا يمكننا أن نفهم كيفية إيجادها ولا الأسباب التي تنشئها وغاية ما نقول إنه
هكذا أوجدتها القدرة الإلهية كما يقول الطبيعي عن الشواذ هكذا وجدت وإن
كان عقله لا يدرك كيفية وجودها .

قد يقول قائل إن هناك فرقا عظيماً بين المعجزات وبين هذه الشواذ
الطبيعية التي اتخذتها مثلاً لها فالمعجزات لا يشاهدها أحد الآن بخلاف الشواذ
فإنها تشاهد كل يوم فإن كانت المعجزات حقيقية وجارية على سنن الكون
فلم انقطعت الآن ؟؟ ونقول أما انقطاع المعجزات فهو لا تقضاء زمن الأنبياء
ولو وجد داع لها الآن لوجدت كما أن كثيراً من الشواذ في العالم الطبيعي
قد انقرضت الآن لانقراض الحيوانات، والنباتات التي كانت تظهر فيها . فكأن
سنة الله تعالى في هذا العالم هي أنه إذا وجدت الحكمة لظهور المعجزات تظهر

ولو وجدت بعض الأنواع من الحيوانات والنباتات البائدة لوجد فيها من الشواذ المخصوصة في خلقها وكيفية معيشتها ما يدعشئ الآن ويمد من العجائب والغرائب وقد كانت الأحياء في مبدأ أمرها تتولد من الجمادات مباشرة وهو ما يسمونه (التولد الذاتي) وقامت البراهين القطعية على ذلك والآن لا يوجد شيء منه مطلقاً فلم لا ينكره المنكرون لا تقضاء عهده الآن كما تقضى زمن المعجزات؟ إن هذا الأمر عجاب !!

بقيت كلمة واحدة تمة لهذا الموضوع وهي أننا قلنا فيما سبق ما معناه إن الله تعالى كان يؤدب الأمم السابقة ببعض أنواع من العقوبات المادية كالخسف والمسح والقصط فهل ما يقع الآن بالأمم من ذلك هو جزاء لهم على أعمالهم أم لا ؟

الجواب - إن ما يفهم من القرآن الشريف هو أن ما يقع بالأمم من المصائب المملوكة هو عقوبة لهم على أعمالهم (وما كان ربك مهلك القرى بظلم أهلها صلحون) وكذلك ما يصيب الأشخاص من المصائب هو في الغالب جزاء لهم على ذنب ارتكبه (إن ربك بالمرصاد) (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) ولكن لا يفهم من ذلك أن جميع المصائب هي بسبب ما كسبه الإنسان بل إن ذلك بحسب الغالب . فإن الآية لا تدل على التعميم وإذا فهم منها العموم فإنه ينحصر بمثل قوله تعالى (ولنبؤنكم بشيء من الخوف والجوع وقصص من الأموال والافس والثرات) الآية . أي إن بعض المصائب قد يراد بها الاختبار أو غيره لا العقوبة كما أن قوله تعالى (وأوتيت من كل شيء) لا يراد به ظاهره مع أنه أصرح في إقادة الكلية من قوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة) الآية . فالله تعالى لم يترك البشر في هذا الطور (طور العلم والمقتل) بدون مراقبة ومجازاة لهم على أعمالهم كلا !! بل هو أرحم من الأب الحكيم لا يترك أبناءه إذا كبروا بدون تأديب لهم إذا كثرت إجرامهم بل قد يتداخل في أمورهم ويماقبهم على ما يجرمون . فلا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون ، (المنارج) اتبع الدكتور فيما ذكر من ترقى الدين رسالة التوحيد وهذا هو الأصل

في نسخ الشرائع الذي يحتاج به عليه الشيخ صالح الياقيني في الرسالة التي بعد هذه وهو لا ينكره . ويرد عليه ان الخوارق لم تقطع ولكنها لم تعد حجة للدين في هذا العصر كالمصور الأول

باب المراسلة والمناظرة

﴿ ردّ الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين ﴾^(*)

١

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله بحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدي الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا آله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله (ص) وانه بلغ الرسالة وادى الأمانة صلى الله عليه وعلى آله واصحابه واتباعه الى يوم الدين

أما بعد فاني قد وقفت على الكلمات التي كتبها في الرد عليّ حضرة العلامة والمفضل الفهامة الدكتور محمد توفيق صدقي وقفنا الله وإياه للهداية والتوفيق آمين وحيث إنني رأيت لم يأت بدليل جديد وانما كرر كتابة ما قد بينت للقارئ فسادها في رسالتي السابقة أردت اختيار السكوت وان أفوض الى قراء المنار وغيرهم من علماء الاسلام تولى ترجيح أحد القولين والحكم بتخطئة أحد الخصمين بمد الفحص عن أدلة الطرفين. ولكن ألح علي في كتابة جواب الجواب من يعز علي من أهل البيت الاطهار نخبة الاخيار سيدي احمد بن حسين العطاس باعلوي سلمه الله وحفظه وكذلك كثير من حزب الله المفلحين المصلحين الصادقين محبي المنار الأغر فاخترت الله واستعنته على كتابة هذه الجملة المختصرة لأنه اخانا الفاضل علي أن ما كتبه في

(*) جاءت هذه الرسالة من الشيخ صالح اليافعي رد بها على الدكتور محمد توفيق صدقي ثانية فأثبتناها على طولها ليأخذ الموضوع حقه من البحث فانه من أهم المسائل الدينية في هذا العصر

١٢٦ شبهات الكفار على النسخ في القرآن (المناجج ٢٢ م ١٢)

هذا الرد هو نفس ما كتبه سابقا مما قد بينا والله الحمد خطاه وايضا هو لم يبطل شيئا مما كتبناه في رده لا بنص تقلي ولا بدليل عقلي

واما ما ذكر من شبهات غير المسلمين فهي مما لا قيمة لها اذا عرضها الفاحصون على معيار التحقيق وغاية محصلها أن تكون من اضعف الشبهات التي ربما تعرض وتعلق بخيالات غير الواقفين على حقيقة دين الاسلام - وما أنا ذا أقدم للواقفين بيان قيمة كل شبهة اوردها العلامة المدوح عنهم ووجه دلائلها ثم اتبع ذلك بردها وأتمس من حضرة سيدنا شيخ الاسلام ومرشد الانام مولانا السيد محمد رشيد رضا منشيء المنار أن يصلح ما فيها من القصور والخطل وان ينبه أحدنا على زلته ، ويده له على محل عثرته، ولولا أن بذل النصيحة في الدين واجب لم اكتب ولا حرفا واحدا ولكن امثالا لقوله صلى الله عليه وسلم « تناصحوا في العلم فان خيانة أحدكم في علمه أشد من خيائه في ماله وان الله مسائلكم » ولتشرع في المقصود بعون الجواد المعبود فاقول: قال العلامة الفاضل سلمه الله ووفقنا وإياه للسواب « الكلمة الاولى في تقرير بعض شبهات غير المسلمين على مسألة النسخ في القرآن » الى آخر ما نقل عنهم وحاصله أنهم اعترضوا على صحة دين الاسلام ورسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بوجود النسخ الذي يسلمه المسلمون في القرآن لانه أي النسخ لا يكون الا اذا كان المنسوخ ناقصا ومعيبا إما في مغزاه أي غاياته أو معناه أي مدلول لفظه أو بلاغته المنحل باعجازه أو ان الحكم لا يرضاه الناس أو أنه لا ينفعهم أو انه قد يضر بمصلحتهم

فمحصل ما ذكره ان النسخ لا يكون الا لذلك وكأنهم يريدون ان صدور ذلك من الرب واجب الوجود محال واستنتجوا من ذلك استحالة أن يكون دين الاسلام منزلا من الرب أي لوقوع ذلك فيه واعتذروا عن قبول العقلاء لذلك بأن سببه كمال محمد (ص) في الدهاء والتحليل بحيث صار يلعب به قول اصحابه وذكر عنهم ما ملخصه وحاصله ان محمدا (ص) لم يتم له ما أراد من التشريع الا بعد اصلاح ما وقع في دينه من العيب والنقص وابدال ما اتقده عليه المتقدمون أو عارضه المعارضون أو عرف انه يكون كذلك ولو بعد حين ولذلك تعاقب بدعائه الى اخفاء عيبه وعيب دينه بتجويز وترويج مسألة النسخ في قرآنه ونقل عنهم انهم قالوا وقد ضاع بسبب ذلك مما أتى به

(المارج ٢م ١٢) القول بالنسخ خير من الحاجة الى التأويل ١٢٧

من القرآن آيات كثيرة جاء ذكرها في أحاديث المسلمين وكأنهم يريدون بذلك انه كما انه يستحيل بزعمهم ان يكون القرآن منزلا من الله فهو أيضا غير محفوظ ولم ينقل اليها كلمة ودعوى المسلمين ان ذلك مما نسخ الله لفظه بحكم غير مقبول، اذ لم يقدر المسلمون على تعليل ذلك بعلّة معقولة - وقيل عنهم أيضا انهم يزعمون ان ما بقي من القرآن في أحكامه شطط وان عباراته متناقضة مختلفة - وذكر عنهم اعتراضا على بعض أجوبة المسلمين التي ذكرناها في رسالتنا السابقة لتسويغ نسخ لفظ القرآن حيث قلنا ما أدى وظيفته لا يلزم بقاءه فقل عنهم في معارضة ذلك ان القرآن مشتمل على مسائل خاصة بمحمد (ص) وأهل بيته ولا فائدة منها لأحد سواه قال فاذا صحح عند المسلمين نسخ الفاظ الآيات التي أدت وظيفتها وانقضت زمنها فلماذا لم تنسخ الفاظ مثل هذه الآيات الواردة في حالات خاصة وفي وقائع خاصة وقد أدت وظيفتها وانقضت زمنها وما حكمة آية الرجم مثلا مع بقاء حكمها في شريعة المسلمين !! انتهى

أقول والكلام على ما أورده عنهم من وجوه

(احدها) ان قول ان بعض هذه الشبهات كقولهم وما بقي من القرآن بعد هذا التصحيح والتفحيح تجرد شططا في كثير من أحكامه فضلا عما في عباراته من المتناقضات والاختلافات الى آخره لا ترد علينا ولا على من يقول ان القرآن الموجود فيه ناسخ ومنسوخ وانما ترد على خصوص مذهب الدكتور وهو لا ينفصل عن هذه الإيرادات ولا يستقيم مذهبه الا اذا سلك مسلك التأويل المناقض لظاهر الدلالات في هذه المواضع ، والتأويل اذا صار لا يصح الا بحيث يكون المعنى المؤول اليه انما يدل عليه بانفاذ غير ما عبر الله به عنه فهو يكون لا محالة من باب التبديل والتحريف للذين ذم الله أهلهم ونهى عنهم وكما ان مثل هذا التأويل مردود عند أهل الحق من المسلمين وغير المسلمين أيضا لا يقتنعون به وهو أعظم منفر لم عن الاسلام ، لجواز ان يعتقدوا ان ذلك لإصلاح خلل وتكميل قصص في القرآن والدين - فاعتراضاتهم السابقة على النسخ هي واردة على مثل هذا التأويل وقبولهم تكذيب ما نقله المسلمون فيما تقدم ضرب من المحال ،

اما نحن القائلون بجواز النسخ في الأديان ووقوعه في القرآن فلا ترد علينا هذه

الشبهات لا في الدين ولا في خصوص القرآن ، وانما يلزمتنا الاستدلال على جواز النسخ عقلا ويحسن منا إذا بنا حسنه وحكمته في المورد المعين ومن قصر عن إدراك ذلك فلا يضره ذلك ولا يضر الدين أيضا - لأن جهلنا بالشيء لا يستلزم عدمه في الواقع - وانما يضر لو كان بعض ما علمنا انه من الدين مخالفا للحقيقة في نفس الأمر وليس في الاسلام شيء من ذلك - فضلا عن الإيرادات والشبهات الواردة على دين أو مذهب مؤلف من هذه التأويلات المنفردات لمن يريد اتحاله التي لو أردنا إيرادها لطلال بها الكلام فان مدلول النسخ الذي يمكن ان ينكر وقوعه المنازعون أو يورد الشبهات عليه الزائفون والتأويل الذي يؤقل القرآن اليه حضرة الفاضل الدكتور متحد لا فرقى بينهما الا أن هذا الاخير يكون من الرب الذي يفعل ويأمر بالحكمة والعدل فليتأمل الناظرون ولينصفا اخونا الدكتور الفاضل - ثم ليدلنا على مورد شبهات غير المسلمين الصحيح - أهو على من يقول بوقوع النسخ في القرآن للمصلحة الراجحة والحكمة المادلة أم على من يعترف بصحة شبهاتهم ثم يعدل الى التأويل المذموم الذي لم يأذن الله به ولا دل عليه نبيه صلى الله عليه وسلم

وليعلم القراء الكرام ان ما اعترض به علينا في نسخ الاحكام غير المسلمين هو وان كان فاسدا كما سيأتي إلا انه وارد عليه أيضا لانه قائل بوقوع ذلك في السنة بل السنة القولية منسوخة عنده كما صرح بذلك مرات وناسخ ذلك احتمال تقدير سبب من جملة احتمالات لحديث أبي سعيد (رض) المختلف في رفعه ووقته الممارض بما هو أصح وأصرح منه ومتأخر عنه كل ذلك مع ترك العلة والسبب المنصوص في ذلك كما سيأتي بيان ذلك في الكلام على وجوب العمل بالسنة القولية النبوية فاتتظروه -

فاذا عرفت ذلك لم يبق مما ذكر من شبهات غير المسلمين ما ينحصنا الجواب عنه دونه إلا ما يورد على نسخ اللفظ فقط

(الوجه الثاني) ان مثل هذه الشبهات فاسدة في نفسها لا يصح ان يوردها الا من كان لا يجوز النسخ في الشرائع مطلقا أي ولا يجوز نسخ شريعة نبي متأخر

لشريعة نبي متقدم عنه مطلقا حتى ولا من بعض الوجوه في حكم من الاحكام لان من جوز ذلك في شيء مخصوص لزمه تجويزه فيما سواه اذا وجدت العلة أو نظيرها وبالاولى فيما هي به أولى . فاذا جاز نسخ شريعة نبي لشريعة نبي قبله فمن باب أولى جواز نسخ بعض شريعة لبعضها الآخر . لأن نسخ دين النبي المتقدم وشريعته الثابتة المقررة عند أمته وأتباعه أشق وأبعد من كل بعيد عن معتقداتهم الموروثة لاسيما اذا كان قد تدين بها أنبياء كثيرون لان ما جاء به العدد الكثير قد تستبعد بعض العقول نسخه بما جاء به الواحد - فما يسلمه الدكتور الفاضل من النسخ هو أولى بايراد الشبهات مما ينكره - ولما كان نسخ بعض الشريعة لبعضها الآخر يكون منوطا بمناسبة الاحكام لافراد معتققيها المعينين - كان كلما كثروا تتجدد الاحكام وتعديل على الحد الوسط المشترك بين أكثر مجموع الامة ليكون الدين شريعة عامة فلهذا ونحوه كان النسخ في الشريعة الواحدة لظفا حسنا وعليه فالنسخ في شريعة أي نبي من الانبياء حين حياته أبعد عن اعتراض المتراضين عليه منه فيها بعد ثبوتها فثبت ان حكم نسخ شريعة لشريعة أو بعضها لبعضها سيات مطلقا ان لم تقل جواز ذلك في الاخير أظهر والله أعلم

ثم نقول لمن لا يجوز النسخ مطلقا انا لا نسلم ان النسخ لا يكون الا نقص أو عيب في المنسوخ بحيث يستلزم نقص الشارع ومعاذ الله من ذلك لانا نقول ان النسخ في الأديان لازم ومساوق لترقي نوع الانسان فلنا ترق ديني وترق طبيعي ولا يكون الاول الاحكامه ومصاحبة راجحة ، فالحكم الثاني النسخ يوجد عند ما تكون الامة مستعدة له ونخطو إلى التقدم من المقام الاول الذي يحسن ان تنتهي مدة الحكم المنسوخ بجوازها له - لان ما يناسب البشر في أول نشأتهم قد لا يناسبهم بل قد يجب ان لا يكفوه في أوان كالمهم وما كانت الأمم السالفة محجورة عنه لمصلحة سد الذريعة قد يجب في هذه الازمان رفع حجرهم عنه إذ لو كلف الجهال ونحوهم ما يتسع له العلماء لازم وضع الشيء في غير موضعه المناسب له وهذا من لازمه قلب الحقائق ولو حجب على العقلاء البحث في الحقائق المستعدين لادراكها

وتقديرها قدرها كان في ذلك الظلم المنزه ربنا عنه ولو كلف الضعيف عقلا أو جسما ما لا يطيقه هو أو ما لا يطيقه إلا من هو أكل منه لكان كذلك وإذا استحال كل ذلك فلا شك ان حالات الام السالفة واستعداداتهم يخالف حالات الامم واستعداداتهم اليوم فتكليف بني الانساق اليوم بشرائع أولئك أو العكس اقل حالاته ان يكون تكليفا بما لا يناسب النشوء الفطري والترقي التعليمي وحينئذ لو كان ذلك تكون احكام الدين من باب تكليف ما لا يطاق أو من باب الحجر على المستعد عما هو مستعد له فيكون الدين سدا دون العلوم والمعارف . ولو أطلق للاولين الحرية واذن لهم بولوج ابواب هي مجهولة لديهم او لم يستعدوا لمعرفتها لكان ذكر تفريرها لهم وتكليفها لئلا يطيقونه وما كان كذلك فالله لا يرضى بقاءه بل لا بد من تغيير وتبديل فيه مساوقين لترقي معارف البشر وهذا هو حقيقة النسخ وما ذكرناه هو سببه وحكمته في الشرائع فالنسخ لا يكون لعيب وتقص في المنسوخ ولا الجهل الشارع تعالى عما يقول الظالمون بل يكون لاستعداد المكلفين لما هو خير لهم في الحال أو الاستقبال ونحو ذلك مما لا يخلو عن زيادة الخيرية التي ذكر الله انه لا بد منها في النسخ فالنسخ يكون قبل فحش التفاوت في مناسبة المنسوخ لحالة المكلفين كما ذكرنا ذلك في رسالتنا السابقة

ثبت بما ذكرناه وما لم نذكره من الحجج اليقينة أن النسخ في الشرائع لازم ومستحسن عقلا وكذلك هو واقع فعلا وثبت ذلك تقلا فان كثيرا من شرائع الانبياء قد نسخت واندثرت وأنسيت بشرائع انبياء بعدهم وذلك ظاهر لانطيل بذكره وان أبي المعترضون لزمهم فوق ما قدمناه من المحالات ان تكون شرائع الله المحكمة المحتم على البشر قبولها وامثالها والايان بها متضاربة متناقضة ، وذلك بأن يجب على الشخص الواحد المؤمن بجميعها فعل الشيء الواحد وتركه في آن واحد وهو محال من الله وعلى المباد

والاديان والشرائع قبل الاسلام وقع فيها كثير من الخلط والقلب - أما التكليف والصعوبات الشاقة والكلمات الموهمة خلاف الواقع والحكايات المستبعدة في كتبهم الدينية فيما أوجب على العقلاء منهم ومن غيرهم الجزم بان تلك الكتب

قد وقع فيها من التحريف والتبديل ما أوجب أن يحكم بعدم الوثوق بها وما كان كذلك فمن اللازم ان لا يبقى دينا للبشر الى آخر الدهر - ولذا ونحوه قال نينا صلى عليه وسلم « لا تصدقوهم ولا تكذبوهم » الحديث افليس من اللازم ان يبذل الله بهذه الشرائع شريعة عادلة محكمة محفوظة عن تغيير المبدلين وعبث العائنين ؟ ان تلك الكتب وشرائعها لا تصح وهي بالحالة التي عرفت حجة لله على عباده فارسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة وأيده بالمعجزات الباهرات والآيات الينيات فما من دليل يستدل به على رسالة رسول من الانبياء والرسل السابقين الا وقد ايد نينا (ص) بثله وبأظهر واوضح منه وصح لدينا قسلا لا يتره شك باسائيد صحيحة متواترة متصلة . ولو لا شهادة الله في كتابه القرآن وشهادة رسوله محمد (ص) في خطابه بصحة معجزات الرسل السابقين لم تبلغ تلك القول والقصاص فيها الى مرتبة الظن فضلا عن اليقين لأنها لو وزنت بميزان التحقيق في شرائط النقل لم تحصل منها ما يصح اعتباره مسندا متصلا عن النقلة المعروفين بشروط الرواية

وبناء على ما ذكرناه نقول اذا كان وجود النسخ في تلك الشرائع غير قادح فيها لكونها قد ايدت بالمعجزات - فكذا وجود النسخ في الاسلام أو في القرآن لا يصح أن يكون قادحا في صحته عن الله تعالى لما عرفت . وايضا فمن يقدح بذلك في دين الاسلام ورسالة محمد (ص) يكون في الحقيقة قادحا في صحة دين من تقدمه من الانبياء عليهم السلام من حيث يعلم اولا يعلم رضي ام أبي

وقول في الجواب أيضا (الوجه الرابع) ما يدري هؤلاء المشككين ان النسخ الواقع في شريعة الاسلام أو في القرآن قد كان سببه تلك التهم التي أوردوها ؟ فهل عندهم نقل يؤيدها ويصححها أو دلالة عقل تعينت على ما ذكره أم هو احتمال فرضوه وأوهام توهموها أو عماراة أو مماثلة انتجتها الاحقاد الموروثة ؟ وهل هذا الاحتمال متعين فما الدليل عليه وهل يصح ان يقوم مقامه احتمال غيره يقض مزعومكم أم لا ؟ وحينئذ لا يصح ان يدفع اثبات ويرد باحتمال من احتمالات هذا حالها . واذا كان النسخ في التشريع والاديان لازما عقلا وواقعا حتما يكون مستحسنا

كذلك تقلا وكانت رسالة نبينا (ص) ثابتة بالحجج اليقينية بأصح ما يمكن ان تثبت بها رسالة أي رسول — فنعين ذلك الاحتمال والوهم وحاله ما عرفت مع وجود ما يدفعه ويكذبه باطل لا يجوز لما قل ان يلتفت اليه أو يمتني بإيراده

أما قولهم ان محمدا (ص) قد باع من الدهاء أن صار يلعب بعقول اصحابه فجعلهم يقبلون منه ما لا يقبل من غيره. فالجواب عنه ان محمدا (ص) بأبي هو وأمي لم يكن من أهل الخيل والدهاء وإنما كان من الانبياء الاتقياء وقد عرف بالصدق والوفاء حتى صار ذلك وصفه الثابت حتى عند أعدائه أما أصحابه فقد عرفوا صدقه وصحة دينه بالدلائل الصحيحة الثابتة وهم لم يصدقوه فيما جاء من النسخ وغيره لضعف في عقولهم وهو ما جاء بما في دينه من النسخ بدعا مما جاء به المرسلون قبله واذا كان كذلك فمن البهت ان يقال ان اصحابه صاروا يصدقون ويقبلون منه ما لا يقبل من غيره لان تقول هو (ص) لم يأت الا بما يأتي به المرسلون ولم يقبل عنه أصحابه الا ما يقبل عن المرسلين والا لقلب الامر وكان النسخ في الشرائع محالا وقد تمت فسادة عقلا وشرعا

فباذكرناه يعرف الناظر فساد تلك الشبهة وانها في غير محلها وانها لا يتعين ورودها على شريعة دون غيرها من الشرائع — بل لو صح ايرادها على بعض الشرائع السابقة لراكاة ما عرف من تلك الشرائع وعدم صلاحيتها لتدين جميع البشر الى آخر الابد وللوهن في ثقلها وضبطها — فان صحة توجيهها على الاسلام ضرب من المحال وتقص عن الكمال لما في القرآن من الدلائل والبراهين على صحة كل احكامه وشرائعه وما كان فيه من منسوخ وناسخ موجود فقد ذكر سببه وحكمته بالصراحة تارة وبالتضمن والالتزام أخرى يعرف ذلك بطرق يعرفها من تلقى فهمه عن أنزل عليه (ص) فمنها ان يذكر الحكم الاول مقرونا بسببه أو بفائده وغايته أو غير ذلك مما يصح ان تدرك به علة هذا الحكم فاذا نسخته بأن انزل بعده حكما يناقضه بوجه من الوجوه فهو يندكر سببه أو غايته أو غير ذلك كذلك مما تعرف به الحكمة في النسخ وهذا بخلاف الشرائع السالفة فانها وان كان فيها أشياء من الاستدلال الصحيح الا انه لا يوجد في كل شيء ومع ذلك هو لم يبلغ بالاستدلال فيها الى المراتب الكاملة في التحقيق كما هي في القرآن ودين الاسلام ومع ذلك كله نحن لانحمل ذلك على

قص فيها كما يقول هؤلاء المعترضون وانما تقول إن تلك قد سبقت فيها الشرائع على طريقة تناسب عقول البشر واستعدادهم اذ ذلك وهي غير مؤيدة فناسب ان تكون كذلك حتى يترقى الانسان الى أعلا مقاماته مما تطوح به اليه خلقته وفطرته المحصورة وحينئذ يناسب ان يشرع له دين بالغ في التحقيق اقصى غاياته فكان الامر كذلك بدين محمد (ص) وشرعه

(لها بقية)

أناك عملك الحسنة

التربية والامهات

أنشدنا الشيخ معروف الرصافي شاعر العراق الاجتماعي لنفسه بيروت في المحرم

سنة ١٣٢٧

هي الاخلاق تبت كالنبات	إذا سقيت بماء المكرمات
تقوم إذا تهدها الربى	على ساق الفضيلة مشمات
وتسمو للمكارم باتساق	كما اتسقت أنابيب القناة
وتنعش من صميم المجدروحا	بازهار لها متضوعات
ولم أر للخلائق من محل	يهذبها كحوض الامهات
فحوض الأم مدرسة تسامت	بتربية البنين أو البنات
وأخلاق الوليد تقاس حسنا	بأخلاق النساء الوالدات
وليس ريب عالية المزايا	كمثل ريب سافلة الصفات
وليس التبت يثبت في جنان	كمثل التبت يثبت في الفلاة
فيا صدر الفتاة رحبت صدرا	فأنت مقرأسنى العاطفات
نراك إذا ضمت الطفل لوحا	يفوق جميع الواح الحياة
إذا استند الوليد عليك لاحت	تصاوير الحنان مصورات

لأخلاق الصبي بك انكاس،
وما ضربات قلبك غير درس
فأول درس تهذيب السجايا
فكيف نظن بالابناء خيرا
وهل يرجي لاطفال كمال
فما للامهات جهلن حتى
حنون على الرضيع بغير علم

أمّ المؤمنين اليك نشكو
فلك مصيبة يا أمّ منها
تخذنا بعدك العادات دينا
تقدسلكوا بهن سبيل خسر
بمحث لزمنا قعر البيت حتى
وعدوهن اضعف من ذباب
وقالوا شرعة الاسلام تقضي
وقالوا ان معنى العلم شيء
وقالوا الجاهلات اعف نفسا
لقد تذبذبا على الاسلام كذبا
اليس العلم في الاسلام فرضا
وكانت اما في العلم بجرا
وعلمها التي اجل علم
لذا قال ارجعوا ابناء اليها
وكان العلم تقينا فامسى
وبالتقرير من كتب ضخام
الم نرفي الحسان الفديقلا

مصيبتنا بجهل المومنات
«نكاد نفص بالماء الفرات»
فاشقى المسلمون المسلمات
وصدوهن عن سبل الحياة
نزان به بمنزلة الاداة
بلا جنح واهون من شذاة
بتفضيل الذين على اللواتي
تضيق به صدور الفانيات
عن الفحشا من المتعلات
زول الشم منه مزلزلات
على ابناؤه وعلى البنات
نحل لسائلها المشكلات
فكانت من اجل العالمات
بئس دينكم ذي الينيات
يحصل بانتياب المدرسات
وباقلم نمد من الدواة
اوانس كتابات شاعرات

وقد كانت نساء القوم قدما
يرحن الى الحروب مع الفزاة
يكن لهم على الاعداء عوناً
ويضمدن الجروح الداميات
وكم منهن من اسرت وذقت
عذاب الهون في اسر العداة

فإذا اليوم ضر لو التفتنا
الى اسلافنا بعض الثقات
فهم ساروا بنهج هدى وسرنا
بمتهاج الفرق والشتات
نرى جهل الفتاة لما عفاها
كأن الجهل حصن لفتاة
ونحترق الحلائل لا لجرم
فنونزين أنواع الاذاة
ونزمن قعر البيت قبرا
ونحسبن فيه من الهنات
لنن وأدوا البنات فقد قبرنا
حجبتناهن عن طلب المعالي
ولو عدت طابع القوم لو ما
فمشن بمجهلن مهتكات
وتهذيب الرجال أجل شرط
لما غدت النساء محجبات
وما ضر العفيفة كشف وجه
لجعل نسايم متهذبات
فدعى ثلاثن الاعراب نفسي
بدا بين الاعفاء الابهة
فكم برزت بحبهم الغواني
وان وصفوا لدينا بالجفاة
وكم خشف بمرهمهم وظي
حواسر غير ما مزيات
ولولا الجهل ثم تملت مرحي
بمر مع الجداية والمهاة
لمن أفوا البداوة في الفلاة

تقرير المطبوعات الجديدة

﴿ نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ﴾

اهدانا المعلم عبدالحميد الفراهي (من العلماء في الهند) بضع رسائل في تفسير سور
متفرقة من القرآن العزيز سماها بما ذكر في العنوان . وهي سورة التحريم والقيامة والشمس
والعصر والكافرون والمسد أو « بتت » وقد ألقينا على بعض هذه الرسائل لحة من

النظر فاذا طريق جديد في أسلوب جديد من التفسير يشترك مع طريقنا في القصد إلى المعاني من حيث هي هداية إلهية ، دون المباحث الفنية العربية ، ولكنه لا يفسر كل آيات السورة وكلماتها ولا يتكلم على ما يفسره بالترتيب وإنما يتكلم عن المسائل الكلية والمقاصد التي نهدي إليها الآيات كلاما عاما مبسوطا مفصلا معدودا بالأرقام . فن فصول تفسير سورة التحريم : (١) نظام السورة وموقع آياتها (٢) سنة الله في الاحتساب (٣) عمود السورة هو الاحتساب والتشمير له (٤) دين الفطرة هو الاعتدال بين الفسق والرهبانية (٥) تفرق الفسق والرهبانية (٦) نزول القرآن حسب احسن المواقع (٧) شأن نزول هذه السورة حسب الكليات (٨) شأن نزول آيتين ١ - ٢ حسب جزئيات الواقعة والفوائد الكلية منها وهي ست . الخ وان للمؤلف لها ثاقبا في القرآن وان له فيه مذاهب في البيان وطرائق في الاستطراد منها القريب والبعيد وإنه لكثير الرجوع باللغة إلى موارد ها والصدور عنها ريان من شواهدا فقد كتب في تفسير كلمة « صفت » من قوله تعالى « ان تورا الى الله فقد صفت قلوبكما » اكثر من صفحة على انه قد صنف كتابا في مفردات القرآن كما فعل الراغب الاصفهاني . وإن أدري أفسر القرآن كله على هذا النمط . هو يشتغل بذلك الآن ويريد طبع تفسير كل سورة عند إتمامها . وقد رأيت فيما قرأت ذكر كتب أخرى له في القرآن والدين كالمفردات وتاريخ القرآن والأمثال الإلهية وأصول الشرائع فحسى أن يتفضل باخبارنا عنها أهى تامة أم لا ، أطبع منها شيء أم لا ؟ هذا وقد أرسل لنا عدة نسخ من تفسير بعض السور لاجل بيدها عندنا وهي مطبوعة طبعا حجريا عن خط فارسي حسن فمن أحب ان يطلع عليها فليطلبها من ادارة المنار ومن تفسير سورة التحريم فرشان وماعدها فثمنه قرش او قرش ونصف

* * *

﴿ رحلة الحبشة ﴾

هذه الرحلة من أحسن الرحلات أسلوبا وقائدة وفكاهة ألنها بالتركية صادق باشا المؤيد المظم الفريق الأول بالجيش العثماني للسلطان عبد الحميد بأمره وهو الذي أرسله الى نجاشي الحبش بكتاب منه فكتب مارآه وشاهده في طريقه وفي البلاد

والمواقع التي نزل بها لاسميا الصومال وما ارتآه واستنبطه من المسائل العسكرية والاجتماعية وماعلمه من التقاليد والعادات مع شيء من التاريخ القديم والحديث عن الحبشة فجاءت رحلة جامعة لكثير من الفوائد المتنوعة من كل فن وذكر في آخرها الوقائع الحربية بين ايطاليا والحبشة مفصلة وختمها بذكر من نال شرف صحبة النبي صلى الله عليه وسلم من الحبش رجالا ونساء . وقد ترجمها بالعربية رفيق بك العظيم وحقي بك العظيم وطبعها شركة طبع الكتب العربية على النسق الذي طبعت به في التركية مزينة بالصور والرسوم ومنها صورة النجاشي بلباسه الرسمي ومتصلا بها خريتان احدهما رسم فيها الطريق الذي مر به والثانية رسمت فيها بلاد الحبش . وقد زادت صفحات هذه الرحلة على ٣٢٥ ومنها اثني عشر قرشا صحيحا

وانا نقل شيئا من كلامه عن مسلمي الصومال وتعلقهم بالدولة العلية . قال في سياق كلامه عن جيبوتي حاضرة مستعمرة الصومال الفرنسية مانصه

«ومنذ خرجنا الى البر أخذ الاهالي وكلهم من المسلمين يفدون علينا أفواجا مرحيين بنا بهبات الاحترام والتعظيم ولم يكتفوا بذلك بل انتظرونا بينما كنا عند الوالي و« آتو يوسف» خارج المحل وعند ما خرجنا راقفونا مهلبين مكبرين واستمروا كذلك كلما نخرج يراقفوننا من محل الى آخر ويتهزون كل فرصة لاطهار سرورهم العظيم من ورودنا ثغرهم فاذا طلبنا مركبة يجري العشرات منهم لاجتازها واذا سألناهم الطريق يقدم مئات انفسهم للقيام بخدمتنا وما كنا نحتاج لهم لأن الوالي كان ههب وصولنا عين سكرتيره ليكون (مهماندارا) لنا مدة اقامتنا في جيبوتي ولكن اعتذرت عن ذلك شاكرا انسانيته واكتفيت بجنود الشرطة الذين خصصهم لخدمتنا » وبعد قليل من وصولنا الفندق تكأأ المسلمون بعضهم على بعض في الردهة الكائنة امام الفندق وأخذ يزداد عددهم كثيرا فكانوا لا يقنعون برؤية الوفد المرسل من قبل خليفة الاسلام مرة واحدة بل كانوا يريدون أن يروه كثيرا على قدر استطاعتهم واستمر الزحام على هذا المنوال امام المنزل الى ما بعد العشاء

ثم ذكر انه قبل السفر من جيوتي آذنه خادم الفندق بقدم رؤساء بعض القبائل لزيارة الوفد السلطاني . قال

« هذا وقد غاب الخادم قليلاً ثم جاء معه الزائرون وكان عددهم ثمانية وهم رؤساء قبلي عيسا ودانجالي وهم سمر الوجوه لون البعض منهم يميل للجوزي وكلهم طوال القامة متناسبو الاعضاء تجلهم سمات الوقار والمهابة ويلبس البعض قيصاطويلا وعلى رأسه طاقية والبعض ليس عليه سوى (فوطه) وهو مكشوف الرأس . وشعرهم الكث فوق رؤوسهم يشبه الهامة المدورة الكبيرة يضمون في خلاله سهما طويلا مصنوعا أغصان الاشجار مثل (الدبوس) الذي يربط به السيدات الغريات قبائهن على شعورهن . ويستملون هذا السهم لحك جلد رؤوسهم عند اللزوم لانه لا يمكن وصول أصابهم لجلد رؤوسهم بسبب كثافة الشعر . وكان بعضهم وهم الذين كانوا يترددون على الحجاز يتكلم اللغة العربية جيداً والباقيون لا يعرفون منها إلا قليلا

وبعد المصافحة والسلام اخذوا يدعون وهم وقوف على الاقدام للحضرة العلية السلطانية وابلغني انه سيصل مساء وفود من طرف القبائل القرية من جيوتي للتسلم على الوفد السلطاني . ثم جلسوا فصاروا يسألون عن احوال الاستانة مستفسرين عن عدد سكانها وعن مساجدها الجامعة والمحلات المباركة فيها وعن الوجهة التي أقصدها وسبب سفري اليها

« وكسوة هؤلاء الرؤساء بسيطة جدا والبعض منهم حافي القدمين والبعض يلبس في وجهه نعلا مثل النعال الحجازية . ومع كل ذلك ترى الانسان يشمر بهيئتهم ووقارهم حال رؤيته لهم . وسمات الشجاعة والبسالة الظاهرة على وجوههم تجعل كلا منهم شبه تمثال للحرب والكفاح صنع من (البرونز)

« بينما كنا تتجاذب اطراف الحديث اذ جاء الموسيو بونهور والي الصومال الفرنسية لرد الزيارة ومعها حاشيته والكل مرتدون اريدتهم الرسمية وكان يمشي أمام مركبة الوالي فارسان من جنود الشرطة فلما رأى الوالي الموما اليه رؤساء القبائل الصومالية هس في وجوههم وصافحهم جميعا يدايد وسأل عن أحوالهم وصحتهم ولم يمض قليل من وصول الوالي حتي جاء أيضا (آتو يوسف) قنصل الحبشه في جيوتي وبعد ان

مكث الوالي برهة استأذن بالذهاب مذكرا إياي بالاجتماع عنده في دار الحكومة مساء لحضور المادة التي أهدتها اكراما للوفد السلطاني وقد كان الوالي دعائي ومن كان معي هذه المادة يوم وصولنا الى جيوثي »
ثم قال بعد كلام في حال البلد وشؤونها

« وفي الساعة العاشرة على الحساب الشرقي سمعت انفاما وأصواتا آتية من بعيد وبينما أنا أفكر في ما عسى أن يكون ذلك إذ أخبرت بورود وفد قبائل عيسا فخرجت إلى شرفة الفندق فرأيت جمهورا من الناس نحو من خمسمائة ذوي ألوان نحاسية كيري الاجسام متناسبي الاعضاء مسلحين بالحراب والمراوات ويكبرون مرة وينشدون الأناشيد الحربية مرة أخرى وجماهير الناس تمشي معهم محتاطين بهم للتفرج عليهم وبعد أن وصلوا أمام الفندق أخذوا يسلمون علينا بلسانهم ولما انتهوا من السلام تحلقوا وصاروا ينفون ويرقصون والبعض منهم كانوا يقارزون داخل تلك الحلقة ويمثلون حروبهم بأصوات خشنة مدهشة وبأوضاع خفيفة وسرعة عجيبة مما يدل على انهم اقوام حريون أولو بأس شديد وميل للحرب والبطان . وبعد ذهاب هذا الوفد أتى وفد الدانقاليين وبعدهم وصلت وفود العرب الوطنيين بطبولهم وزمورهم ثم انصرف الجميع شاكرين لما لقوه منا من الاكرام وكانت قد دنت الساعة الثامنة على الحساب الافرنجي فارتديت الكسوة الرسمية البيضاء وذهبت أنا ورفيقي لحضور المادة التي دعينا اليها » اه المراد

وفيه من العبرة ان للدولة العلية وسلطانها نفوذا معنويا في نفوس جميع المسلمين لم تحسن الانتفاع منه ولا النفع به في الماضي فحسى أن تتنفع به في هذا العهد الجديد الذي دخلنا فيه وهو آخر الرجاء في حياة هذه الدولة فحسى ان لا يقطعها أصحاب النفوذ بالمنازعات الجنسية والأهواء الشخصية . وفيه أيضا ان الوالي الفرنسي يعامل أولئك الناس الذين يعدم متوحشين بالاحترام ليؤنسهم بحكمه ويأمن جانبهم ويكسب مودتهم ودولتنا تحترق أمثالهم في اليمن والحجاز والعراق فينبذل جبههم لها بغضا وميلهم اليها نفورا وإعراضا فحسى ان لا تعود إلى ذلك في هذا الزمان وقد اتقنا على الرحلة ذكر الشهر الذي سافر فيه المؤلف (وهو نيسان) دون

ذكر السنة في أولها وجريانه على ذلك في اثنا عشر حتى انتهت في ١٢ تموز (يوليو) ولكن يعرف القاري أن الرحلة كانت سنة ١٨٩٦ م من ترجمة براءة الوسام الذي اهداه النجاشي الى صادق باشا وترجمة المكتوبات التي ارسلها اليه نزار النجاشي وآل بيته

﴿ عقود الجواهر . في تراجم من لهم ٥٠ تصنيفاً فثمة فاكثر ﴾

نشرنا في آخر الجزء الماضي اعلانا لجليل بك العظم محاسب المعارف بيروت عنوانه « ذيل لكشف الظنون » علم منه انه يعني منذ ١٦ سنة بجمع ما فات صاحب كشف الظنون من أسماء الكتب وما حدث بعده منها . وقد استحسن في اثناء بحثه ان يضع كتابا في تراجم المكترين من التصنيف الذين لهم خمسون تصنيفاً فثمة فاكثر وقد آتم الجزء الأول من هذا الكتاب وسماه « عقود الجواهر » وطبعه وهو يدكر العالم ترجمة مختصرة ثم يدكر مصنفاته مرتبة على حروف المعجم فجزاه الله خيرا . وقد اقترحت عليه في بيروت أن يجعل الذيل رأسا فيؤلف كتابا مستقلا في أسماء الكتب والفنون فحسى أن يلقي من المساعدة ما يرجح ذلك عنده

﴿ الاشتقاق والتعريب ﴾

قد علم قراء الملتاح في العام الماضي ما كان من أعضاء نادي دارالعلوم من المناظرات في مسألة التعريب . وقد عني الشيخ عبدالقادر افندي المغربي أحد محرري جريدة المؤيد في اثنا ذلك بوضع كتاب مستقل في المسألة وطبعه في هذا العام فبلغ زهاء ١٥٠ صفحة بقطع كتاب الاسلام والنصرانية . وقد ترجم المؤلف كتابه بقوله فيه « يبحث في ما يعرض اللغة العربية من تكاثر كلماتها بواسطة الاشتقاق والتعريب ، وأن هذا الاخير طبيعي في لغتنا وفي غيرها من اللغات » وان استعمال المعرب لا يحط من قدر فصاحة الكلام والاستشهاد على ذلك « فهو اذا مؤيد الرأي القائلين بمجاز التعريب والتصرف في اللغة بحسب الحاجة بل توسع في ذلك ، بما لا يوافقونه كعلم عليه فيما ظن

ودعم كلامه بضروب من الأمثلة والشواهد والدلائل لم يسبقه إليها الباحثون وقال في أواخر الكتاب ما نصه:

نتائج وملاحظات

قد تحصل معنا أن الكلمات التي تستعمل اليوم في اللغة وينطق بها المتكلمون بتلك اللغة — قد بان قسم عربي محض وقسم دخيل . والدخيل أنواع : منه ما أدخله أهل اللغة أنفسهم إلى لغتهم قبل الإسلام كسندس وإبريق . ويسمى في الاصطلاح معربا . ومنه ما أدخله المولدون في صدر الإسلام ويسمى مولدا . ومنه ما أدخله المحدثون بعد هذين الدورين ويسمى محدثا أو عاميا . والطريقة في أحداث النوعين الأخيرين المولد والعامي — قد تكون الاشتقاق : كالمرية والبارود والفسقية . وقد تكون التعريب : كالبوس والباذر والماهية وقد تكون التصرف في الاستعمال : بأن نستعمل الكلمة على خلاف المعنى المستعملة فيه عند العرب : كالتقطر والقطائف . والدخيل بأنواعه الثلاثة لا يحيط من قدر الكلام العربي إذا وقع فيه وإن كان في أصله غير عربي لما قدمناه من الأدلة على ذلك عند الكلام على التعريب ، والأدلة المذكورة تصحح أن تكون مقدمات منطقية تبيحها « أن الكلمات العربية المرربة عربية أو بقوة العربية » حتى لا يكون ثم فرق في صحة الاستعمال بينها وبين تلك التي تكون عربية الأصل : بحيث يصح لك أن تستعمل كلمة « رصاص » الأخرجية المرربة في كل موضع تستعمل فيه كلمة « صرْفان » العربية . وما يدرينا أن صرْفان وأمثاله من اللفاظ القديمة التي نحسبها عربية والتي لا رائحة فيها للاشتقاق من مادة عربية — غير عربية في أصلها وإنما هي دخيلة .

وقد ذكرنا في جملة تلك الأدلة دليلا لانزاع في صدق دلالته : وهو أن علماء اللغويات أنفسهم حصروا شروط فصاحة المفرد في ثلاثة أمور : خلوصه من تنافر صرف ومن الغرابة ومن مخالفة القياس ولم يشترطوا في فصاحته قط أن يكون عربيا بل الأشاوية فيه للمجتمعة .

وإنما عبت في الكلمة الدخيلة التي تؤدعها كلامك خلوصها مما ذكره علماء

البلاغة كان كلامك فصيح المفردات . وعليك بعد ذلك ان تراعي سائر ما اشترطه أولئك العلماء في فصاحة الكلام و بلاغته . حتى إذا فعلت كان كلامك فصيحاً بليغاً . لا يكون كلامك فصيحاً إذا أودعته من الكلمات العربية ما كان غريباً عن افهام المخاطبين أو ما تنبوه عنه اذواقهم وتجانى طباعهم مثل أن تقول « وكان الطهاة يعرفون ألوان الطعام بالفشليل ، والفشليل كلمة معربة عن قفليلز الأعجمية . ومعناها المفرفة - كما لا يكون فصيحاً إذا أودعته من الكلمات العربية المحضة ما كان من بابة تلك الكلمات : كأن تقول « أنا نا مختالا في مشيته . منفشلا للحيته » تعني منفشاً لها . أو تقول « لحاه الله من رجل عنفجش » أي فظ جانبي الطباع . ومن هذا القبيل الكلمات الانكليزية أو الالمانية مثلاً التي تكون مخارج حروفها صعبة متنافرة يتعذر أو يتعسر علينا النطق بها . ولم نهدها مثلاً في مخارج لقتنا . حتى إذا اضطررنا إلى ادخال كلمة من هذا الصنف في لقتنا كانت علينا حينئذ ان نشتبها ونهذبها ونوفق بينها وبين أوزان لقتنا ما استطعنا الى ذلك سبيلاً . كي تواتينا ويسهل علينا النطق بها . والا كان علينا أن نهجرها . ونهد الكلام الذي يتضمنها غير فصيح . كما اذا تضمن كلمة متنافرة مثلاً من الكلمات العربية الاصل كالهمنخ وهو اسم نبات . قيل لأعرابي أين تركت ناقك؟ قال تركتها زرعى الهمنخ . وكان يقول لا آخر : اياك أن تتزوج الهمنقة بضم الهاء وتشديد الميم المفتوحة . تعني الحقاء الورهاء . (١) واعلم أن الكلمات الدخيلة في لقتنا مهما كان اصلها ترجع إلى قسمين : قسم مدلوله الجواهر والاعيان مثل نرجس وجام . وقسم مدلوله المعاني والاحداث مثل البوس : فكلمات القسم الاول إذا شاعت بيننا . وحلت في اسماعنا وتداولتها الخاصة كما تداولتها العامة . وتزهت عن أن تكون من « الفاظ السفلة » كما سيجي

(١) النار : ان بعض ما مثل به من الغريب ليس مما يثقل على اللسان كنفشل ولكنه غير مألوف لعدم صقله بالاستعمال فهو لا ينافي الفصاحة . وما كانت ثقيلاً كالهمنخ الذي يذكرونه في كتب البلاغة انما ينافي مثله الفصاحة ويكره استعماله اذا كان له مرادف يقوم مقامه والاحسن استعماله عند الحاجة اليه ورأيت أكثر ادباء عصرنا غافلين عن هذا وذاك

(المارج ٢ م ١٢) قياسية الدخيل في أسماء الاجناس لا المعاني ١٤٣

في قول ابن المقفع - ينبغي أن يجوز لنا استعمالها وادماجها في كلامنا: لأن الكلمة التي من هذا القبيل إما ان لا يكون لها مرادف في لغتنا أو لها مرادف مهجور وحينئذ يكون الوجه في استعمالها ظاهراً . وعذرتنا فيه مقبولا . وإما أن يكون لتلك الكلمة مرادف معروف ومشهور فيكون لنا الحق في أن نستعملها أيضا اقتداء بأهل اللغة انفسهم الذين كانوا يتركون كلماتهم العربية الى مرادقاتها من الكلمات العربية الدخيلة مثال ذلك كلمة « كوسج » الاعجمية فانهم لا يكادون يطلقون على الكوسج سواها . وقلما تراهم يستعملون كلمة الاثط العربية . بل اذا وردت هذه في كلامهم فسروها بالكوسج . لكونها أشهر منها وعلق بأذهان الناس كما يفسر شراح الحديث كلمتي « الدجر » و « اللياء » العربيتين بكلمة اللوياء الاعجمية المعربة

وقد كثر استعمال الدخيل والأعراض عن الاصيل في كلامهم كثرة تشعر بأن هذا الصنيع طبعي في اللغة وضرورة لا يمكن دفعها . بل يشبه أن يكون قياسيا لأهل اللغة من ورائه غاية محمودة : هي توسيع نطاق لغتهم وتسهيل أمرها على ممارستها هذا في كلمات القسم الأول الذي مدلوله الجواهر والاعيان . اما القسم الثاني الذي تدل كلماته على المعاني والاحداث كاللبوس فهذا ربما ضر الإستكثار منه فيما أظن : اذ يكون مدرجه اضياع اللغة ومسئرها وتحويلها عن اصلها . وقلما تجدد العرب نقلوا إلى لغتهم فعلا أو مصدرا أو اسلوبا خاصا من أساليب كلام الاعاجم . وشاهد ذلك معاجم اللغة ودواوين آدابها وان كان شيء من ذلك فهو قليل جدا ككلمتي « الهرج . والنفاق » الحبشيتين . (١)

واكثر ما كان حدوث هذا النوع من الكلمات في زمن ترجمة الاصطلاحات العلمية في العصر العباسي . أما في زمن الجاهلية فلم يتخط القبايل التي عاشت مع الاعاجم وكثرت امتزاجها بهم كفسان ولحم وجذام . ومثل هذا لا يصلح حجة للقياس والجواز العام . نعم أن اللغة بمجموعها جواهر واحداثا محولة عن لغة اعجمية كما اثبتناه

(١) المنار : الكلمتان عربيتان ومعنى الأولى الفتنة التي يحدث فيها تداول واضطراب وقتل وقول ابي موسى ان الهرج في لسان الحبشة القتل لا يدل على ان العرب اخذتها عن الحبشة وربما كان العكس . والثانية مشتقة من النفاق (راجع ص ١١٨٨٥)

في صدر هذا الكتاب . ولكن هذا في تحول اللغة وتولدها المتوغل في القدم . لا في التحول التدريجي الذي يفهم من إطلاق كلمة التعريب . والذي كان يحصل على السنة العرب بعد أن قامت لغتهم بنفسها واستقلت بأصولها وقواعدها فانهم اذ ذاك ما كانوا يرجعون في وضع كلمات الاحداث والمعاني إلى الاستعانة بلغات غيرهم . وتما يرجعون إلى فضل ذكائهم وذلاقة لسانهم . وحسن طريقة الاشتقاق في لغتهم . فهم يضمنون أو يشتقون للمعاني التي تجول في نفوسهم من الكلمات ما يفنيهم عن التطفل في ذلك على سواهم . أما الجواهر والاعيان . فقد يتعذروا ويتعسر عليهم أن يضعوا لها كلمات . بعد ان ضرب المستضعون والتجار في طول جزيرتهم وعرضها . وهم ينادون باسم الخيار واللوريا والباذنجان والكوب والا بريق والمسك والبنفسج والسندس والاسْتَبْرَق والفيروز والبلور واللجام والداق والدرهم والدينار والعربون إلى غير ذلك اسماء الادوات والفرش والماعون . وقد ضاق ذرع العرب بهذه الاسماء . وأعجزتهم كثرتها فاضطروا إلى أن يرحبوا بها ويلقبوا جباها على غاربها اه المراد منه وثمن الكتاب خمسة قروش وهو يباع في المكاتب المشهورة

بَابُ الْحَبِيبِ الْأَكْبَرِ

نصيحة

﴿ لمسلمي بيروت عامة ، وفتيانهم الشجمان خاصة ﴾

اتني في كلامي عن البلاد السورية قد فضلكم على غيركم ، ورجوت منكم نخير البلاد ما لم أرجه من سواكم ، وانما كتبت ما اعتقدت ، بحسب ما رأيت واختبرت ، تنشيطاً للعاملين ، وتنبهاً للخاملين ، ذلك بأني رأيت من احترام الحرية عندكم ما لم أر مثله في طرابلس ولا دمشق ولا غيرها من البلاد ورأيت

فيكم حركة الى العلم والتربية لم أر نظيرها - على ضفتها - في غير بلدكم فحمدت الله تعالى على ذلك وحمدتكم .

ثم اتيت في بلدكم سبعة أسابيع متصلة بعد تينكم الزيارتين المتعاقبتين فرأيت فيه أمرا استنكرته وحزنت لأجله حزنا شديدا ، فأحييت أن أنصح لكم فيه كتابة كما نصحت فيه لكثير منكم مشافهة وخطابة ، عسى أن تكون الكتابة أعم وأنفع ، ولا أقول ان هذا الامر المتقدم خاص بكم وإنما أرجو ان ترجموا عنه بمجرد النصيحة وربما بقي عند غيركم الى ان تكون الحكومة الجديدة وتستقر ترجمهم عنه بالهوية القاهرة ان لم يترجموا خوفا منها .

ذلك الامر المنكر هو ما ذكرته في آخر خطاب ألقته في نادي الجامعة المصرية عندكم (ونشرت محصله في هذا الجزء) وأعني به ازعاج الحرية الشخصية في بعض الاوقات لا سيما حرية أصحاب الصحف . وقد حمدكم القلاء لاستنكاركم حادثة الشام وحملكم على المفسدين الذين أثاروا الفتنة فيها كراهة لحرية العلم والاستقلال في فهمه ونشره ولكن جرائد الشام الآن أوسع حرية من جرائدكم كما يعلم ذلك جميع القراء منكم فهل ترضون بهذا الانقلاب ؟

كاد يقع الخصام بل الالتحام في الصدام بين طائفتين منكم لان شيطاننا من شياطين الانس وسوس الى بعضهم: ان جريدة كذا نشرت آية من القرآن الكريم ونشر القرآن في الصحف إهانة له فيجب أن يهان صاحبها حتى لا يعود إلى ذلك . ذكر ذلك في مجتمع فيه كثير من العامة والخاصة فاشتد في الانكار بعض الشبان فابدى للدفاع عن صاحب الجريدة آخرون من ابناء حبه فساهل الاولون وانتهى الكلام باتتداب رجلين لسؤال صاحب الجريدة عن حقيقة الامر ولما جاءه السؤال كنت عنده وكان هو قد خرج لحاجة فراجعنا جريدته أولا فلم نجد فيها شيئا من القرآن وأقنعتنا بأن الإهانة لا تكون لا بالقصد وان من يقصد إهانة القرآن بعمل عمله يصير به مرتدا لا عاصيا فقط ولا يقع هذا من مسلم وإنما يكتب الآيات من يكتبها لاجل ان يكون في كلامه روح وبانية مؤثرة ينفع بها القارئ . وقلت لهما ان جميع جرائد المسلمين

في مصر وفي بيروت وغيرها من البلاد تزين بعض كلامها بالآيات الكريمة وتناوات من جرائد كانت بجانب نسخة من المويد فأطلعتهما على عدة آيات فيها بعضها في خطبة لأحد الاساتذة بنظارة المعارف المصرية. وما زلت بهما حتى خرجا مقتنعين بأن من من حرك هذه الفتنة لم يكن مخلصا في قوله وقبل أيدي بعدان كانا حديثهما معي حديث الخضم مع الخضم فدل ذلك على حسن نيتهما

ثم ان صاحب جريئة أخرى كتب في جريدته ان المسلمين مقصرون فيما يجب عليهم من العناية بالتربية والتعليم وما تقتضيه حال العصر من سعة الثروة وان جيرانهم وخطاؤهم من النصارى قد سبقوهم في هذا المضمار. فوسوس شيطان التفريق الى بعض الفتيان المتحمسين قال ان صاحب جريدة كذا قد أهان المسلمين وفضل النصارى عليهم !! فاضطربوا وغضبوا وأخذ بعضهم نسخا من بأثم تلك الجريدة فزقها وحاول طائفة منهم إهانة الكاتب بل إهانة بعضهم بالفعل، وطاف آخرون علي بعض المشتركين بالجريدة فرغبوا اليهم أن يقطعوا اشتراكهم فيها

وقد رأيت شابا يتأثر صاحب هذه الجريدة في بعض الشوارع فلما رأي استوقفته وتحدثت معه ثم تركته تبغني وسألني عما كتبه عن المسلمين فقلت له كتب كيت وكيت ليحث المسلمين على إنشاء المدارس والعناية بتربية أولادهم حتى يكونوا أرقى الأمم واعلمها وعلى تحصيل الثروة ليكونوا من أغنى الناس واعزهم. وأقنمته بأنه لا يعقل أن يكون قصد إهانة أهل دينه الذين يهان بهوانهم ويمتاز بعزتهم ويشرف بشرفهم من غير ان يكون له فائدة في ذلك ولا مجال للقول بأن له فائدة أو رجحا من الإهانة ثم ذكرت له شيئا من مفاسد هذا الشقاق الذي يلقه بعض أهل الأهواء بين المسلمين وهو أضر عليهم لا سيما في هذا الوقت من كل ما يتصور أن يضرهم. فأنشئ مقتنعا شاكرا

هذا ما تركت عليه بيروت يوم سافرت منها وقد دخلت القاهرة ليلة الخميس وفي اليوم الثاني من وصولي اليها صليت الجمعة في أحد المساجد فاذا بالخطيب فيه يصدع الناس بوعظ يقول فيه مامعناه: انكم قد تركتم الاسلام وأبى الدليل على إسلامكم وأنتم تصلون كذا وكذا حتى قال وتشبهت نساؤكم بالعاهرات. فقلت في نفسي لو كان

(المارج ٢ م ١٢) التفرق أضرم على الأمة من كل ذنب ١٤٧

هذا الخطيب في يروت لا نزله عن المنبر بالقوة ومنعوه من إتمام خطبته مع هذا كله أقول الآن كما قلت من قبل ان مسلمي يروت أقرب الى الخير والاستعداد للترقي من غيرهم وأبعد عن الفتن التي تحول دون الأعمال النافعة وأكثر ما يفتقد عليهم مما ذكر يقع منهم بحسن النية غالباً لا أعرف فيهم غير رجل واحد يجب إثارة الفتن بسوء نية ولعله يندر ان يوجد له أقتال ونظراء في ذلك

فالذي نصح به لم ولنيرهم هو ان يطهروا انه لا شيء أضرم على الأمم من التفرق والشقاق لأجل الخلاف في الفهم والرأي سواء كان في أمر الدين أو أمر الدنيا فضرراً كبير الكبار - كالقتل والزنا وشهادة الزور - هو دون ضرر التفرق والشقاق في الأمة لأن هذا الجرم هو المانع من وحدة الأمة وعزتها وقوتها وهي متى قويت تقدر على منع سائر الجرائم ومتى كانت ضعيفة بالتخاذل لا تقدر على منع شيء من المفسد ولا على إقامة شيء من المصالح . ولذلك توعد الله تعالى على التفرق والخلاف بما لم يتوعد على غيره بل جعل المتفرقين في الدين برآء من النبي صلى الله عليه وسلم ومن دینه فقال (٦ : ١٥٩) إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) وأنزل يوم تلاحى نفر من الأوس والخزرج وذكروا ما كان من مشقة بعضهم لبعض يوم بعث (٣ : ١٠٣) واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ١٠٤ ولكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ١٠٥ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليينات وأولئك لهم عذاب عظيم)

فالتدبر للقرآن يرى انه تعالى ينهانا ويحظر علينا التفرق والخلاف ويحتم علينا أن نكون أخوة متحابين ويفرض علينا مع ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن أهان أخاه واحقره أو آذاه لأنه قال أو كتب ما يخالف رأيه لا يكون آمراً بالمعروف وهل يوجد أحد من الناس يقول ان الاهانة والايذاء من المعروف ؟ وإذا كان الله تعالى قد أمر نبيه بأن يجادل المشركين بالي هي أحسن فهل يرضى

منا ان نجادل إخواننا المؤمنين بالتي هي أسوأ وأقبح؟ أما ما قال الله عز وجل (١٢:٥١٦) أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن . إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) اما قال مع ذلك (٢١:٣٣) لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) ؟ ان الله تعالى ما ذكر فرضية الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع النهي عن التفرق والاختلاف الا لأن هذه الفريضة هي سياج وحدة الأمة وحفاظها فإقامتها تمنع التفرق كما قال الاستاذ الامام فاذا جعلنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سببا للتفرق والخلاف والعداوة بين المسلمين نكون قد قلبنا مقصد الدين وتقضنا ميثاقه وقطعنا ما أمر الله به ان يوصل وافسدنا في الأرض (٢٥:١٢) والذين يقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار)

للامر بالمعروف والنهي عن المنكر شروط وآداب فصلناها في التفسير المنشور في الجزئين الثامن والتاسع من مجلد المنار العاشر ولا يصلح لها على الاطلاق الا أهل العلم والعرفان . فأني إفساد في الدين والدنيا شر من إغراء العامة بالافتيات على أهل العلم وحملة الاقلام والتصدي لأمرهم ونهيهم . بل وجد من شياطين الافساد والتفريق من اغرى العامة بمنع بعض خطباء المساجد من خطبة الجمعة !! حدثني بذلك بعض شبان بيروت فقلت له ان الخطبة فريضة دينية كالصلاة فهل يجوز لنا ان نمنع مسلما من اداء الصلاة لأننا غضبنا منه بحق أو يباطل؟ إذا جاز لنا هذا جاز لنا ان نمنع كل من اذنب ذنبا من اداء الصلاة والصيام والزكاة والحج وأن نشترط العصمة في كل طاعة من الطاعات . ولا يبيح لنا ديننا ان نقول بعصمة أحد بعد الانبياء وقد ختمهم الله تعالى ببعثة نبينا صلى الله عليه وعليهم أجمعين وسلم ولم يقل احد من المسلمين الذين يعتقد أحد من بعده الاما له الامامية من الشيعة في الائمة الاثني عشر من آل بيت النبي باسلامهم بعصمة عليه وعليهم السلام

فلم مما يناه أن التصدي لإهانة الناس الذين يظن أو يعلم انهم اخطأوا هو من المفاسد المحرمة شرعا والقيحة عقلا وكل من يغري بها فهو شيطان رجيم يجب

(النازح ٢ م ١٢) ما يستطيعه قتيان بيروت من خدمة البلد ١٤٩

عصيانه والبعد عنه والاستعاذة بالله من شره. والاجتماع لأجل هذه الجريمة والتعاون عليها يزيد في قبحها وإثمها قال الله تعالى (٢ : ٥) وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب

بعد هذا كله أقول لقتيان بيروت الذين يعرفون بقبح «الأبضيات» انكم أيها الشجعان البواصل قد عطرتم الأرجاء بمحمدة عظيمة ظهرت منكم في أيام إعلان الدستور ولا تزالون تحافظون عليها حتى اثني عليكم العقلاء في غير بلادكم بما لم يثنوا به على سواكم إلا وهي محاسنة خطائكم وعشوائكم في وطنكم من المشاركين لكم فيما عدا الدين من شؤون الحياة. فهل يليق بكم بعد فضيلة مسالمة هؤلاء ان تتأثروا برذيلة معاداة من يشارككم في كل شيء حتى في الدين فتكونوا كن نزل فيهم قوله تعالى (٥٩ : ١٤) بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون)؛ حاشاكم ان ترضوا بذلك عالمين به وانما يفشكم الفاشون فلا تكونوا آله لهم في اهوائهم

لا أقول انه ينبغي ان تخدموا بلدكم بائتمان كل واحد منهم لعمري فقط فانكم تستطيعون أكثر من ذلك. انكم تستطيعون ان تتعاونوا دائما على منع العدوان حتى يصير نادرا وتتعاونوا على إصلاح ذات الين عند ما يقع شقاق أو خصام بين اثنين أو جماعتين ولكنكم لا تقدررون على الهيمنة على العلماء والسياسيين والمراقبة على الخطباء والمحربين ونفع الأمة بايقاف هؤلاء عند حدود لا يتعدونها. وانكم اذا تصديتم لذلك تضرون الأمة ضررا عظيما. ولا تستقلوا ما قلت انكم لا تستطيعونه فانه أمر عظيم مقدم على كل أمر لأنه يتعلق بالامن والراحة العمومية وهو أول شيء تطالب به الحكومة فاذا قمتم في بيروت بعمل لا تزال الحكومة مقصرة فيه في كثير من البلاد فانكم تستحقون من الناس الثناء الجميل ومن الله الثواب الجزيل

رحلة صاحب المجلة

﴿ في سورية ﴾

٤

حمص، وحاملا الاجتماعية

سافرت في اليوم الثاني من شوال من بعلبك الى حمص والمسافة بينهما في القطار الحديدي ثلاث ساعات وقد وصل القطار الى محطة حمص الساعة ٨ و٥٥ دقيقة مساء فاذا بالصديق الكريم والولي الحميم السيد عبد الحميد افندي الزهراوي ينتظرنني فيها مع طائفة من أهل العلم وكرام البلد في مقدمتهم الشيخ احمد زهران الذي حبه الينا على البعد ما نبي الينا من عقله واخلاقه ووجهه للاصلاح مع علمه وحسن سيرته أقمت في حمص أربع ليال وثلاثة أيام في دار الزهراوي ولقيت فيها اكثر أهل العلم والمكانة من المسلمين والنصارى اذ كانت ادار خاصة بهم ليلا ونهارا وقد رأيت في هذه البلد من الوفاق بين الفريقين وحسن الألفة ما لم أراه نظيراني سائر البلاد السورية ولا بيروت فان جل مامدحتاه من أهل بيروت هو ترك القتال والتسافك ولا يزال كل فريق فيها بعيد عن الآخر في المعاشرة والمعاملة الا ما لا يخلو منه مكان بحكم طبيعة الاجتماع وحاجة بعض الناس الى بعض حتى اني قلت لكثيرين منهم اني أرى الوفاق الذي حمدناه لكم على البعد سلبيا لا إيجابيا وصرحت بذلك في نادي الجامعة الشامية ودعوت الناس في خطبة خطبتها في ذلك الى التزاور والتعامل وغير ذلك من اعمال الوفاق الايجابي

وقد كنا توهمنا ونحن بمصر ان الشقاق بين مسلمي حمص ونصاراها شديد لحادثة جرت في الاحتفال بعيد الحرية كبرتها الجرائد فوجدنا الأمر على ضد ما كتب في ذلك فتنني ما رأيت في بيت من بيوت طرابلس ولا بيروت مثلا رأيت في بيت الزهراوي من اجتماع الفريقين كل ليلة من ليالي الشتاء للسمر ومبادلة الآراء .

ثم اتى لم أر في حمص ما رأيت في غيرها من الاضطراب والاعتصاب والافتيات على الحكام والتبرم من جمعية الأتحاد والترقي . ومن أسباب ذلك ان اعضاء لجنة الجمعية المركزية كانت مؤلفة من أناس مؤلفين متعارفين لا ينقم الناس منهم شيئا ولا يشكون منهم إهانة ولا شذوذا وقلما اتفق هذا للجنة أخرى كما يعلم مما نكتبه بعد عن الجمعية

فم انه ينتقد على أهل حمص ما ينتقد على أهل طرابلس من الخمول والسكون فهم لم يشرعوا في عمل مفيد للبلاد . وقد حدثت طائفة من الوجاهة على تأليف جمعية خيرية إسلامية لأجل إنشاء المدارس الاهلية ومساعدة الفقراء على تزية أولادهم وتعليمهم فألفت منهم اربابا واستحسانا وقد مرت الشهور ولم يشرعوا في العمل ولكننا لم نأس من همتهم وغيرتهم فحسب ان يسمع منهم عن قريب ما تقر به العين هذا وان عمران حمص ينمو نمواً عظيماً والزراعة والصناعة تتقدم فيها تقدماً مينا ولكنها متخلفة عن طرابلس في ترف الحضارة وان كانت سابقة لها في مضمار العمران بل هي وسط في التائق في الاطعمة بين مثل طرابلس وبيروت ودمشق وبين القرى الكبيرة التي يوجد فيها أغنياء يعيشون في بلهنية فالظاهر ان التائق في حمص خاص ببعض أهل السعة والبيوت المطروقة واب القفير في طرابلس ليتنوق في طعامه ما لا يتنوق الاغنياء في كثير من المدن ، واني لأعلم ان المصري المقيم في القاهرة نفسها الذي يزيد دخله في الشهر على دخل الطرابلسي في السنة لا يأكل من الحلوى في السنة كلها بقدر ما يأكل الطرابلسي منها في شهر واحد . فقلة التنوق في الاطعمة بجمص محمداً لها عندي إذا كانت تحفظ ثروتها من التلف في غير ذلك من ضروب السرف وتبجمل حظاً منها عظيماً للتعليم والترية

طرابلس أيضاً

سافرنا من حمص قبيل الفجر من يوم السبت سادس شوال (٣١ أكتوبر) في مركبة من مركبات «شركة الشوسة» فوصلنا إلى طرابلس بعد العصر وطفقت أتياً للسفر إلى مصر ، وكنت عازماً على السفر في يوم السبت التالي لهذا السبت (١٣ شوال و ٧ نوفمبر) ولكن عرض ما حال دون ذلك

جمعية خيرية اسلامية بطرابلس

في يوم الاربعاء (١٠ شوال) وغبت إلى مقبي طرابلس أن يقوم بتأليف جمعية خيرية إسلامية كالجمعية التي بمصر وذكرت له موضوعها وأعمالها ووجوه الحاجة إلى مثلها في طرابلس وأمرها إنشاء المدارس لتعليم أولاد الفقراء على نفقة الجمعية وأولاد الاغنياء بالاجرة . فأجاب بأنه مستعد لذلك بحاله وحاله واستحسن أن أدعو الوجاه والاغنياء إلى ذلك فقلت له انت كبير البلد وزعيمها وانا قدصرت غريبا او كالفريب لاتي مسافر بعد ثلاث فاذا لم تقم انت بهذا العمل لا ينجح . ثم رضي بأن يكون هو الداعي لهم إلى الاجتماع على انهم متى اجتمعوا أخطب فيهم فان أجابوا الدعوة فاتي أوضحها لهم وأبين وجه الحاجة اليها كان هو أول العاملين والمساعدين في التنفيذ وأقول هنا ان رشيد افندي كرامي مقبي طرابلس على كونه سيدبلده وأوسع أهلها روة وجاها هو أقرب وجهاتها وأغنيائها إلى الخير وأبعدهم عن كل شر وأطيهم نفسا وأبسطهم مع القصد والروية يدا كما يظهر ذلك لمن يعاشره خلافا لما عليه أكثر الاغنياء في بلادنا فهو لا يدع لطالب الاصلاح في العلم أو العمل حجة عليه بل يجيب كل داع إلى خير كعبد الرحمن باشا اليوسف في دمشق ولكن لا يقدم واحد منهما على ابتكار العمل والنهوض به بل يقولان مثلا كان يقول هنا حسن باشا عاصم (رحمه الله تعالى) أوجدوا العمل وطالبوني بالمساعدة أجبكم اليها . وإنما كان هذا يساعد بالعمل وذاتك يساعدان بالمال فهما خير أغنياء بلادها

كان عنده حسن باشا عاصم في عدم الاقدام على الابتكار وإيجاد «المشروعات» هو عدم الثقة باجابة الناس وثباتهم على العمل ولا بن اليوسف في دمشق وابن كرامي في طرابلس مع مثل هذا العذر أعذار أخرى كثيرة أعمالها وما لا حاجة إلى بيانه الآن من حال البلاد وغير ذلك

ذهبت في ذلك اليوم (الاربعاء) إلى القلمون فبيأت ثيابي وحاجي وأرسلتها إلى الميناء في يوم الجمعة وعدت إلى طرابلس مع كثرة الأمطار مساء لان المفتي كان وعدني بجمع الوجاه ليلة السبت لاجل تأسيس الجمعية الخيرية فألفيته قد ارجأ

دعوتهم للاشتغال بانتخاب المبعوث عن طرابلس لان الولاية امرت باتمام الانتخاب يوم السبت ولكنرة الامطار التي كان يظن انها تحول دون عودتي من القاهون على قرب المسافة وقال ان اقرب وقت يمكن ان يجتمعوا فيه اذا نحن دعوناهم بمسد انتخاب المبعوث غدا هو ليلة الثلاثاء فوايت ان ارجى السفر اسبوعا لاجل اتمام هذا العمل الشريف

ملخص خطبة

وفي ليلة الثلاثاء اجتمع في دار عمر باشا المحمد نحو من عشرين رجلا لإجابة لدعوة المقي وهم من وجهاء لواء طرابلس لا المدينة نفسها فقط فخطبت فيهم خطبة بينت فيها فوائد الجمعيات وأنواعها وتأثيرها في ترقية البشر في الصالح والأعمال الدينية والدنيوية وكون الخيرية منها من الضروريات التي لا يخلو منها بلد من البلاد المرتقية حتى ان الرجل الأجنبي إذا مر في سياحته على بلد وأراد أن ييذل شيئا من ماله لمساعدة فقراء أهله فإنه إنما يرميه إلى الجمعية الخيرية في ذلك البلد وربما وضع أحدهم حوالة مالية في كتاب وكتب عليه « الجمعية الخيرية » ووضع في صندوق البريد من غير أن يسأل هل يوجد في هذا البلد جمعية خيرية أم لا كأن الجمعيات الخيرية من الأمور الضرورية التي لا يمكن ان يخلو بلد منها . وذكرت ذلك المشهود الذي جاء القاهرة وأراد بعد ان ربح بأهله فيها ربها عظيما أن يخصص ليلة بجمل دخلها للجمعية الخيرية الاسلامية فيها فكان ذلك سبب تأسيس الجمعية الخيرية الاسلامية ثم قلت: أهب السادة ان حكومتكم قد دخلت في طور جد يدفصارت ديمقراطية أمرها بيد الشعب بعد أن كنت استبدادية شبه الأرستقراطية بالأغنياء والشرقاء من النفوذ فيها واعلموا ان كثيرا من الأحرار الذين اقلبت السلطة الاستبدادية بسعيهم متطرفون في الديمقراطية وان معظم الأحكام ستكون في أيديهم عاجلا أو آجلا وأن الشعب سيحسرها هذا ريب اليه كراهة الكبراء والأغنياء فيكرههم وتنفخ فيه روح الاشتراكية فيهبج عليهم بالعمل فاذا جاء طرابلس متصرف متطرف من الديمقراطيين الذين أشرت اليهم وكان والي الولاية منهم أيضا فاعلموا ان ط تعودتوه من

الجاه والكرامة في وطنكم لا يبقى لكم الا اذا كان الشعب يحكم بتحكيم اليه قبل ذلك والا دهوركم واستقطكم كما فعلت قبله الشعوب الافرنجية بأولئك النبلاء الذين كانوا يملكون أوروبا ويتصرفون فيها تصرفا لم تصلوا الي مثله من كونت ودوق ومركيز ثم يقوم من طبقات الشعب الديان من يتولى الزعامة في البلاد بحق أو بغير حق . وما أظن ان صدوركم تنشرح لتلك الحال ولا ان اعينكم تبتهج برويته . وانني أحب ان تكونوا اتم زعماء بلدكم في زمن الحرية وتحت ظل الدستور بأن تتحبوا الي الشعب من اليوم بنشر الحرية والتعليم فيه ومواساة الفقراء والمساكين من أهله . انني لا أحب الارستقراطية وان كنت من بيت شريف ، وانني ما زلت من دعاة الديمقراطية بلسان السياسة ولسان الدين ، وانما أميل الي بقاء زعامة وطني في وجهائه واياكم أعني لا اعتقادي انه لا يوجد في دمهائه من يصلح للزعامة كما وجدني فرنسا عند ما صارت ديمقراطية

الفرق بيننا وبين فرنسا بعيد ، ان فرنسا كانت قبل ثورتها المشهورة قد استمدت ما لم نستعد بمثله نحن اليوم حتى نبغ فيها من دمهائه الشعب من يصلحون للزعامة بعلومهم وأعمالهم وآرائهم وأخلاقهم . انني لعلمي بهذا الفرق ولما رأيت في بلاد مصر التي تمتعت بالحرية قبل بلادنا من العبر وهبوط قوم وصعود آخرين أقول ما أقول عن خبرة وبصيرة وأحبان نعتبر نحن العثمانيين بحال الأمة الانكليزية التي هي أعرق الامم في الحرية وأكثرهن استفادة منها فهي الأمة التي حافظت على كرامة النبلاء وحرمة البيوتات فيها بعد الديمقراطية الراسخة واستفادت من ذلك كثيرا . وأرى ان إسقاط الشعب لكرامة أصحاب البيوتات منا وتساق أفراد الطبقات الدنيا للزعامة فينا مع ما هم عليه من الجهل يقف في طريق نهضتنا وأن عناية وجهائنا بحفظ كرامتهم وحرصهم على ان يكونوا هم زعماء الشعب يكون أسرع في تقدمه إذا هم أتوا البيوت من أبوابها فتهم في الغالب على شيء من الاخلاق والملم أو الاختبار

ثم قلت ان خدمة الأمة والتعجب اليها انما يكونان بالتعاون على تربية اولادها وتعليمهم ما به قوام حياتهم ومواساة المسكين والمعوزين من فقرائها وذلك لا يتيسر

الآن بتأليف جمعية خيرية يجعل معظم ريعها لانشاء المدارس وبقية لإغاثة التكوين
والمعوزين وهذا ما أودعكم الى الأ كتاب له بلسان فضيلة المفتي الحريرى على هذا
العمل المبرور الراضى في هذا السعي المشكور وسيجمعكم في ليلة أخرى لأجل المنفعة
في القانون الذي يوضع لذلك وانتخاب الاعضاء العاملين . ثم شرعنا في الأ كتاب
والنسخة المفتي في ورقة كتبت في اطلاقها ما نصه

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿

« وتعاونوا على البر والتقوى »

هذا بيان ما تبوع به الذوات المذكورة أسبأوهم بخطوطهم ادناه لتأسيس جمعية
خيرية إسلامية في طرابلس الشام لتشر التعليم الديني والدنيوي على الطريقة المصرية
ولإغاثة المساكين والتكوين المعوزين بمقتضى قانون مجرى العمل بمرجبه بعد إقرار
المكتوبين له في اجتماع خاص وقد جرى هذا في ليلة ١٦ شوال سنة ١٢٢٦
لهجرة الشريفة .

﴿ أسماء المكتوبين لتأسيس جمعية خيرية إسلامية بطرابلس الشام ﴾

وند كر أسماء المكتوبين مع الألقاب وهم كتبها مجردة كما هي العادقون رتبها
على حسب قيمة الأ كتاب

ليرة عثمانية

١٠٠	مفتي اللواء وشيد افندي كرامي
١٠٠	عمر باشا الحمد من اعيان اللواء
٥٣٠	عثمان باشا الحمد
٥٢٠	علي باشا الحمد
٥٢٠	مصطفى افندي عز الدين من كبار التجار
٥١٠	عبد القادر باشا الملا رئيس شركة الترام والشوس
٥٠٥	ابراهيم بك الاحمد من الاعيان

ليرة عثمانية

- ٠٠٥ احمد افندي سلطان وكيل الدعاوى (المحامي)
 ٠٠٥ خير الدين بك عدوه من كبار التجار
 ٠٠٥ عبد الحفي افندي المالك من الوجاه
 ٠٠٥ عبد القادر افندي القباقي اليربوعي الشير (وكان في طرابلس)
 ٠٠٥ عبد القادر افندي الدوق من كبار التجار
 ٠٠٥ محمد فؤاد افندي الدوق
 ٠٠٥ محمد سعيد بك (مير قلم مستوحي الولاية) الذي كان وكيل التصرف يومئذ
 ٠٠٥ محمد كامل بك البحيري صاحب جريدة طرابلس
 ٠٠٣ عبد الطيف افندي الفلايني وكيل الدعاوى
 ٠٠٣ محمود افندي الحداد من التجار
 ٠٠٢ الشيخ اسماعيل افندي الحافظ رئيس كتاب المحكمة الشرعية
 ٠٠٢ صبي بك شريف
 ٠٠١ عبد الرحمن افندي اديب من التجار

٣٣٦ المجموع

وقد وعدني بعض هؤلاء بأن يدفعوا أكثر مما كتبوا منهم مصطفى افندي عز الدين والشيخ اسماعيل افندي الحافظ لما وعد بعض من حضر وكتب اسمه ولم يمين مبلغا كبد الله افندي الثمين من كبار الوجاه أصحاب القوذف الادبي في اللواء وعضو مجلس الادارة الآن

هذا وان الذين اجابوا الدعوة وحضروا الاجتماع هم زهاء خمس من دعاهم المتي . وقد ابي حضورها بعض المتخربين بالمجد التليد الذين يرون انهم يستقنون به عن المجد الطريف ومنهم من صار يسمى بعد ذلك في ابطال العمل ويثبط عنه وكان لسعيهم هذا تاثير اوقف التنفيذ إلى أجل ولولا ذلك لما ذكرت عن امر هذه الجمعية إلا ان جماعة من أهل الفضل في طرابلس أسسوا جمعية خيرية إسلامية فلهن الشكر والثناء

يوجد في كل بلد أفراد مجردون من حب الخير ويرون أنهم أهل لأن يوصفوا بكل خير ويؤاخذونهم منظر الخير في غيرهم لأنه بعمله تحلى بما أعوزهم وأعجزهم فهم يقدمون بكل طريق من طرق الخير يصدون عنها ويفنونها عوجاً . لأجل هؤلاء أحب مقبي طرابلس أن لا تؤسس الجمعية الخيرية إلا بعد دعوة جميع الوجهاء حتى لا يستند بعد ذلك أعداء الخير بأنهم لا يساعدون هذا العمل لأنهم لم يدعوا إليه عند التأسيس ونعم ما أحب وما رأي

على أن بعض من دعي ولم يجب من ذكرنا ومفهم اتذبوا لإحباط العمل والتثييط عنه حتى ان منهم من لم يستح من مخاطبة المقبي نفسه بذلك ولما لم يجد وجهاء وجهاء للتثييط قل له انه لا ينبغي لسماحتكم ان تقرروا بهذه الجمعية عن دعوة فلان فأجابته المقبي جواب العاقل الفاضل فقال أولاً ان هذا العمل خير لا ريب في نفعه وفائدته فسواء كان من دعائي اليه دوني أو مثلي أو فوقي لا فرق في ذلك وثانياً ان الداعي الى ذلك هو واحد منا ومن أهل العلم والشرف فينا وليس له منفعة شخصية ولا غرض ذاتي حملي عليه ولا هو يريد الإقامة في هذه البلاد فتقول انه ينفرد بشرف العمل فيه حبا بالشهرة الخ

إني لما علمت بمثل هذا القول الذي قيل للمقبي ولغيره كفت عن السعي فيما كنت آخذاً فيه من تأليف لجنة مؤقتة لإدارة العمل والدعوة إليه الى ان يشترك في الجمعية عدد كبير تتألف منه الجمعية العمومية التي تنظر في القانون وتنتخب من افرادها اعضاء للإدارة . وكنت اسعى الى من اظن فيهم الخير في بيوتهم ومحل عملهم . وإنما كفت لأرى ماذا يصنع المعتذرون او المثبطون هل يتقنون مع المقبي وينهضون بالعمل ام يرتاحون الى السكوت عنه لأنه هو المتصود لهم بالذات؟ فتبين بعد ذلك انهم لا يريدون إلا إحباط العمل لأنهم لا يعملون الخير ولا يحبون ان يعمله غيرهم وقد كتبت في مذكري في أوائل شهر ذي القعدة مانصه : ذكر لي غير واحد من الوجهاء أن نجاح الجمعية الخيرية الاسلامية بطرابلس لا يرجي وان الذين اكتبوا إنما استعملوا اسمي وهم لا يعتقدون أنهم يدفعون شيئاً بل قالوا ان المقبي نفسه يسايرني مسaire وهدني بأن سينال جهده وهو يعتقد ان التصغير سيظهر من غيره . وألح علي (فلان) ...

بأن اترك التثبيت بالجمعية . وظهر لي انه يرى ان ذلك ينفرا القوم مني من حيث لا أستفيد مما أريد شيئاً » الخ ما كتبه في شأن افراد معيدين ، ن قائل ومقول فيه
 أ كتب هذا ليعلم أصحاب النية الصالحة في طرابلس كالمقني وغيره السبب في اكتفائي بذلك بانتقاء نفر من يرجى نجاتهم لإدارة الجمعية موقتا وايدان الممتي بذلك في يوم الاربعاء ٢٣ ذي القعدة (١٦ ديسمبر . ك ١) بعد دعوة كل واحد منهم على حدته ووعدته لي يبذل الجهد في ذلك الا واحدا منهم (وهو محمود افندي الملا) قال انه لا يدخل في العمل إلا بعد ان يشرعوا فيه بالفعل . وان لي رجاء قوي ياتي في همة المقني وغيرته وهمة أولئك الانجاد بأن ينهضوا بهذه الجمعية نهضة صالحة بعد هدوء الاضطراب الذي احده ضعف الحكومة الجديدة والاستواء على حال ثابتة . واتي اساعدهم بالهلم من هنا واكون عوناهم على اليأسين الذين لم اكتب ما كتبت الآن الا ليعلموا ان كدهم في تضليل «والله يقول الحق وهو يهدي السبيل»

حقوقنا المهضومة ونائب طرابلس الشرعي

لقد علم القاضي والداني من عماني وغير عماني أن حكومة الاستبداد الماضية قد أسرفت في الجور على يتنا وظلم أهلنا اتقاما مني (راجع فالحمة السنة الثانية عشرة في الجزء الماضي) وكان من ذلك الظلم انه لما توفي والدنا تعمد الله برحمته صرت أنا المستحق بعده للتولية على جامع القلمون الذي جدده فيها جدنا الثالث بحسب نظام التوجيهات الناطق وفاقا للشرع بأن يوجه ما ينحل عن الوالد من الوظائف المتعلقة بالاوقاف الى أكبر اولاده ولكن حكومة الرشوة والاستبداد وجهت تولية مسجدنا على رجل آخر اسمه عثمان النصرى واشتهر انه اعطى القاضي (نوري افندي) على ذلك اربعين ليرة . ثم اعطاه رجل آخر اسمه الشيخ محمود حسن . على مائتة واذاع . سبعين أو ثمانين ليرة فعزل عثمان النصرى بعد دعوى مائقة ووجه التولية على محمود حسن فلما أردت السفر من طرابلس الى مصر قدمت دعوى الى المحكمة الشرعية ملخصها ان تولية محمود حسن على جامع القلمون غير صحيحة واتي أنا صاحب الحق في هذه التولية فأطلب توجيهها علي عملا بالنظام واذا فرضنا أن توليته صحيحة فاني اثبت خيائه بترك معاهد الوقف عرضه للخراب وترك عمارة ماخرب منها في زمن

توليه والزيادة في التفتات والنقص من الربع. ووكلت عني وكيلين شرعيين تمهيات السفر فحدث ما ذكر آفا من التثبت بتأسيس جمعية خيرية ثم جاء بأبرقي بأن نيابة طرابلس (أي قضاءها الشرعي) وجهت الي عبد المجيد أفندي الجفري وأنه سيانفر من الأستانة قاصدا طرابلس ثم لم يلبث ان حضر

عرضت الدعوى على هذا النائب فقال لي اني أتول لك وان كان لا ينبغي للقاضي ان يصرح برأيه قبل الحكم ان حك ظاهرا وانني سأعيدك بعد استيفاء المعاملة الشرعية. وانا كنت على ثقة من ظهور هذا الحق اعتقدت ان الدعوى تنهي في اسبوع أو اسبوعين فأجلت السفر وتابمت سير الدعوى بنفسي وأنا أظن في كل اسبوع اني افرغ فيه من الدعوى وأسافر في الذي بعده وكنت عازما على الاقامة في سورية خمسة اسابيع فقط لكثرة شغلي في مصر فأقمت ستة اشهر والدعوى على حالها يزيدا النائب كل يوم فقيدا اني لم أك اجالس هذا القاضي برين أو ثلاثا الا وقد جزمت بأنه سيهان في طرابلس إهانة لم يسبق لها نظير فكنت حريصا على إنجاز قضيتي قبل ظهور حقيقة حاله التي تتضي ما توقعته بالفراسة وكشفت به غير واحد ولكن هذا القاضي لا ينجز عملا بل يقصد مثلي في نيل حقه على انه محق وقادر على إثبات حقه

انتأ هذا القاضي يوم جل جلسات الدعوى وبحث وكيلي الخصمين على كتابة ما شاء في جريدتها ويحاطل في قراءة ما كتبنا وقد ثبت لديه ان تولية المدعي عليه غير صحيحة وانه خائن تارك للعبارة الواجبة شرعا كما تبين بالكشف من قبل المحكمة وشهادة الشهود ومع هذا لم يحكم بشيء حتى آن الأوان ووضح الألف من الناس بالشكوى منه واجتمعوا عند المحكمة وهم أوف ينادون فليسقط القاضي الخائن المرتكب وشكوا أمره للشيخة الاسلامية فأمرت بالتحقيق وهم يشكون منه أمورا كثيرة ذكرت في جريدته لان الحال وغيرها منها التطويل في المرافعات وعدم الحكم فيها بعد انتهائها كما حدث معاني امتع الوكلاء (المحامون) عن الهجيء الى المحكمة ومنها أنه قد يحكم ثم يرجع بحكمه بعد كتابته ومنها كراحت الحكومة الدستورية واعتزازه بكونه من جمعية قفا كاران ملت e وقد علمنا بعد ذلك انه كان نائباً في صيدا فأحدث فيها فتنة حتى عرب من لبلال وان ذلك شأنه في كل بلد كان فيها حاكما

﴿ قانون المطبوعات وتقييد الصحافة بمصر ﴾

لم نكفد نستقر قدمنا بمصر بعد عودتنا من سورية (في الأسبوع الأخير من هذا الشهر) حتى صبح سمعنا نياً عزم الحكومة على العمل بقانون المطبوعات الذي وضع عقب الثورة العراقية لثلاث تقييد الجرائد ذلك التبريج سيرته الأولى ثم سمعنا ان هذا كان عن اتفاق بين الامارة المصرية والحكومة الانكليزية ون نظر الحكومة المصرية لم يكن لهم به من علم الا ان يكون رئيسهم الجديد بطرس باشا عالي وانهم عندما فوجئوا بطلب تقرير ذلك القانون ابوا وفضلوا الاستقالة على ذلك وروت بهي الجرائد الانكليزية ان سعد باشا زغلول ناظر المعارف ومحمد سعيد باشا ناظر الداخلية هما اللذان عارضا وكادا يستقيلان ثم اقفا فلم يستقيلوا وان الوزارة لم ترض اخيرا بتنفيذ ذلك القانون الا بعد تعديل ما وافق على عدم التصديق به على المدرجات ولا المراقبة على الكتب التي تطبع ولا المطابع التي تطبعها ونما يخص المراقبة الجرائد لتمنيتها من الاسراف في الطعن والهجاء الذي لم يسلم منه الامير ولا رجل الحكومة فضلا عن غيرهم ومن تبريج الناس على الاعمال التي قد تحدث الاضطراب وتثير السخط العام على الحكومة . وقد كان وقع نياً هذا القانون اليها شديدا على رجال الصحافة وغيرهم ويخشون ان يكون مبدأ شر اعظم منه الا من هم على رأي السلطة التي اعادته

كان الادارة الانكليزية في مصر مزيتان عظمتان لا نزاع فيها ويقول الكثيرون انه يكن لها من مزيتها سواها الا وهما يسر البلاد المالي وحرية الطباعة وقد ذهبت الصرة المالية منذ سنتين المزبة الاولى وكانت انكليزا قادرة على تبريجها كما فرجت عمرة أمريكا التي هي اعظم منها بكثير من الاضغف فاذا زالت المزبة الثانية بقانون المطبوعات القديم الجديد فاية مزية تبقى لهم في مصر بمنون سباعي البلاد وبقائرون بها الامم وكلا الأمرين حدث بعد مغادرة اورد كروم لمصر وهو الذي كان صاحب المزيدين عن ان الحزب الوطني وجرائده واكثر الجرائد الاخرى ونها الميزيد كادوا بمصر ون شكواهم من الاخلال في شخصه فصارا نكرهم اليوم تمتش بقول الشاعر :

رب يوم بكيت منه فلما صرت في غيره بكيت عليه

فيتر عبادي الذين يستمعون القول فيتمرون بحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المساجد

١٣١٥

بإذن الحكمة من نظام من يؤمن الحكمة قدأوتى
خبراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنفار الطريق

(مصر - الاربعاء ٣٠ ربيع الاول ١٣٢٧ - ٢١ ابريل (نيسان) سنة ١٢٨٥م ١٩٠٩م)

فَتَاوَى الْمُبْتَلِينَ

فتحا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسم اناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدرج غالباً ورمقاد منا مآخرا السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لكل هذا، ولن يرضي على سؤاله شهر ان او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا عذر صحيح لا فغاله

﴿ مسألة خلق القرآن وقدمه ﴾

(س ١٠) من جدة (الحجاز) لصاحب التوقيع

حكيم الاسلام بحر العلوم العقلية والنقلية تاج رأس السنة سيدي محمد رشيد
رضا افندي منشي مجلة المنار الفراء لا زال في مقام كريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - من العجب أني لم أعر في مجلدات المنار
على مبحث في القرآن المجيد المكتوب في المصاحف الخ تكونون كتبتموه أو ستم

(المعراج ١٢م ١٢) ضرر الفرق والخلاف والمذاهب. الاعتقاد بالقرآن ١٨٣

عنه ليكنخي عن أن نستكم قروم من غيرتكم على الدين الإسلامي أن تقيدون بما هو الحق الذي يجب اعتقاده في مسألة القرآن الواقع فيها الخلاف بين المناجاة وأتباع الحنفية والمالكية والشافعية الآن بالبيان الثاني الكافي بأدلة الفريقين وتوزيع أي الاعتقادين على الآخر لأنكم اقتدح المطي في هذا الفن ولكم الأجر والشكر في الدنيا والآخرة
محمد حسين

(ج) اعلم يا أخي قبل كل شيء أنه ما أضر الإسلام والمسلمين شيء كاختلاف والفرق فيه إلى شيع ومذاهب يوجه كل باحث منهم قواه إلى تأييد أقوال مذهبه الذي ينسب إليه وتفيد كل ما يخالفه وذلك وردت الآيات والأحاديث الشرعية في حظر الخلاف والتشجيع على التختفين حتى قال عز وجل لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم (٦ : ١٥٩) ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء () وقال للمسلمين (٣ : ١٠٥) ولا تكونوا كالتين فرقوا واختلوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) ولعل الجهل بمسألة من المسائل مع الوفاق والأجماع يكون أحيانا خيرا من العلم بها مع الخلاف فيها والفرق ولذلك كان النبي (ص) يريد أن يبين شيئا فيترك يانه لأجل خلاف المسلمين في الحاجة إليه كما فعل يوم أراد أن يكتب لم كتابا لن يضلوا بعده أبدا كما في صحيح البخاري . وقريب من ذلك ما كان حين أراد أن يبين لم ليلة القدر كافي الصحيح أيضا وغرضنا من هذا تذكير السائل الكريم بأنه لا ينبغي له ولا لغيره ان يسأل عن شيء لأجل تأييد ما يراه هو فيه ويبان خطأ المخالف له من المسلمين

واعلم يا أخي ثانيا ان المحاكمة بين المذاهب لأجل ترجيح بعضها على بعض هي من أقوى أسباب الجهل على تعصب أهل كل مذهب لمذهبه وملاحاة المخالفين لم ومعاداتهم وقتلا يوجد منسب إلى مذهب ينظر في قول المخالف وفي دلائله نظر المستجلي للحقيقة بل ينظر إليه بعين التقدير والبحث عن مواضع الضعف ولو في التعبير ليهجم عليه من موضع ضعفه فيقتض ببيانه وبين بطلانه

إذا علمت هذا وذاك وأنت تعلم ان النار أنشي للجمع والتوفيق لا للخلل والفرق بينك وجه المنذر في عدم الاجابة إلى ذكر أدلة المذاهب في المسألة

١٨٤ ضرر الفرق واخلاف والمذاهب . الاعتقاد بالقرآن (الشارح ١٢٣)

والرجيح بينها مكنيا بيان الحق فيها وهو ما كان عليه السلف الصالح من غير جدال ولا فضال ، ولا ما كره لنا الله من أهيل واتقال

ان هذا القرآن المكتوب في المصاحف المحفوظ في الصدور المتوار بالأسنة هو كلام الله المنزل على قلب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم والرسول المبلغ له من الله تعالى ليس فيه صنع ولا عمل . وأقول بأنه مخلوق على الاطلاق أو باعتبار قراءته أو كتابته من البدع المذمومة التي لم يأذن بها الله ولا قال بها رسوله ولا أصحاب رسوله ولا التابعون لهم في عدايتهم ولا هي مما يحتاج اليه الأمة في حفظ دينها ولا مصلحة دنياها . ومن البدع أيضا ان يقال ان حروفه مخلوقة وان قراءته مخلوقة وربما كان ذريعة الى ما هو شر منه مع عدم الحاجة اليه وضرر إضاعته الوقت في مثله

اننا لم نخض في مسألة اخلاف في خلق القرآن اتباعا للسلف ولكننا بينا في تفسير أول آية من الجزء الثالث من القرآن معنى كلام الله وتكليمه وكون كلامه عز وجل شأنا من شؤونه قديما بقدمه . واتباع مذهب السلف يمتنع من الخوض في اخلاف فحق نين الحق الذي نعتقه وندين الله به وندعو اليه ولا نزيد على ذلك . وقد كان الأستاذ الامام رحمه الله تعالى كتب في رسالة التوحيد جملة في مسألة هذا الخلاف ثم اعترف بأنه أخطأ مذهب السلف في ذلك وأمر بحذف تلك الجملة من الرسالة في الطبعة الثانية ولما وقفنا لطبع الرسالة ثانية مصححة بتصحيحه حذفنا تلك الجملة منها

ومن المعلوم ان فئة أهول بخلق القرآن حدثت في أول القرن الثالث غير اننا ان جعلها نسيا منسيا ونكون في ذلك كأهل القرن الأول والثاني . فإن قيل كان يكون هذا حسا لو رضي الناس به وجروا عليه ولكن المسألة لا تزال تهرأ في الكتب فتعلق شبهة البدعة ببعض الأذهان فوجب إبطال تلك الشبهة التي يزعم أصحابها انهم جاؤا بمحقق الفيلسفة اذ جعلوا القرآن عضي من كلام قضي وكلام لفظي وقالوا هذا حادث وذاك قديم . قلنا ان المجادلات النظرية تحيي تلك النظريات الفلسفية وإنما تميتها بالذهي عنها عنها وبيان الحق الذي كان عليه السلف لا يرى غير ذلك وبالله التوفيق

﴿ جعل الدية على العاقلة وحكمة ذلك ﴾

(س ١١) من بيروت لصاحب الامضاء

حضرة العالم الفاضل والغيور الصادق معتمد الأمة الاسلامية السيد محمد رشيد
رضا صاحب مجلة المنار الاغر

هل قضاء النبي صلى الله عليه وسلم بالدية على عاقلة الجاني (كما ثبت في
الصحيحين) جناية على الانسانية ، واجحاف بحقوق المدينة ، كما يظهر ذلك من
مقالة سطرت في جريدة - لبنان - الصادرة في ١٦ رمضان سنة ١٣٢٦
عدد ٧٧٧ تحت عنوان (مجلس الادارة وجريدة لبنان) أم هو نهاية في العدالة
ومحض خير للامة ، وغاية في حفظ دماء البشر ، وتعليم للناس ليعين بعضهم بعضا
إذا اخطأ ، وزرية لهم حتى لا يمكن أحدهم ابن حيه باللعب بمسدس مثلا ، أفيدونا
الجواب ، ولكم من الله الثواب ،

سبب المقالة فيما يظهر ان بعض اللبنانيين يود انتخاب أناس من مجلس الادارة
وبعضهم يروم انتخابهم من مشايخ الصلح ومنهم صاحب الجريدة . حجة الفريق
الاول ان بعض مشايخ الصلح أخطأ في أمر ما فلزم لهذا الاعراض عنهم وتيمم رجال
بمجلس الادارة لذلك قال كاتب المقالة ما نصه (بلا زيادة حرف)

« على انه إذا صح لنا تبديل النظام ونزع ذلك الحق من أيدي مشايخ الصلح
نخطأ ارتكبه واحد منهم صح استبدال نظام كل حكومة عند ما يرتكب أحد رجالها
جريمة من الجرائم ومجازاة كل مأمور بها . وكان مثلهم مثل العاقلة في الشرع
الشريف . فانه إذا قتل أحد الصاعقة مثلا في قرية وما أمكن معرفة قاتله وجبت
الدية على جميع ابناء حرقه وهكذا مشايخ صلح وجب بحسب تلك القاعدة إلقاءهم
جميعا تحت تبعة ما يرتكبه أحدهم » اه ثم رد على من يتفني الانتخاب من مجلس
الادارة اللبنانية وحض على الانتخاب من مشايخ الصلح اه كامل الفلايني

(ج) جعل الدية على العاقلة وهي عصبة المشيرة (العائلة) خاص بقتل الخطأ وحكمته تكافل المشيرة وتعاونها في المصيبة فهو من قبيل إيجاب الثقة للمسررين من الاقرين على الموسرين منهم على ما في هذا وذلك من التفصيل والخلاف . وهذا يرد زعم بعض الجاهلين بالشريعة أن الاسلام لم يقرر في امر العائلات شيئاً كأن المائل لا وجود لها في الاسلام على انه لا يوجد في شريعة الهية ولا وضعية من اقدم الشرائع الى أحدثها مثل ما يوجد في الشريعة الاسلامية الغراء من إحكام روابط القرابة ووشيجة الرحم من الاحكام والآداب ومن أهمها مسائل النفقات ومسألة جعل دية قتل الخطأ على عاقلة العائل (وربما كان لفظ العائلة محرفاً عن العاقلة) لأنه لما كان معذوراً بخطئه وكانت الدية ربما تذهب بثروته لاسيما اذا تكرر الخطأ منه جعلتها الشريعة في عاقلة يتعاونون عليها وقد تقدم في التفسير من هذا الجزء وفي غيره كلام في تكافل الامة فما بالك بتكافل المشيرة

وحكم العاقلة ورد في الحديث لا في القرآن وقال العلماء في شرح بعض الاحاديث الواردة في ذلك انه مخالف لظاهر قوله تعالى (١٨:٣٥ ولا تزر وازرة وزر اخرى) وأجابوا عن ذلك بجعل الاحاديث الواردة في ذلك مخصصة لعموم الآية بناء على قول جمهور أهل الأصول بتخصيص القرآن بأحاديث الآحاد ونقلوا عن بعض العلماء والمذاهب خلافاً فيها

قال في نيل الاطار: وعاقلة الرجل عشيرته فيبدأ بتخذه الاذن فان عجزوا ضم اليهم الأقرب فالأقرب المكلف الذكر الحر من عصبة النسب ثم السبب ثم في بيت المال . وقال الناصر انها تجب على العصبة ثم على أهل الديوان يعني جند السلطان . وقال ابو حنيفة انها تجب على أهل الديوان دون أهل المبرات ولم ينكر هكذا في البحر . ولا يخفى ما في ذلك من المخالفة للاحاديث الصحيحة . وقد حكى في البحر عن الأصم وابن علية واكثر الخواص ان دية الخطأ في مال العائل ولا يلزم العاقلة وحكي عن علقمة وابن ابي ليلى وابن شبرمة والبيه والبي ثور ان الذي يلزم العاقلة هو الخطأ المحض وعمد الخطأ في مال العائل ام

أقول وورد في بعض الاحاديث المتأخرة ما ظاهره نسخ العاقلة كحديث عمرو بن

الاحوص انه شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فقال رسول الله (ص) « لا يجزي جان الاعلى نفسه لا يجزي والد على والده ولا مولود على والده » رواه احمد واير داود والترمذي وصححه وابن ماجه . وحديث ابي رزمة قال خرجت مع ابي حتى اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت برأسه ردم حناء وقال لأبي « هذا ابنتك » قال نعم قال : أما إنه لا يجزي عليك ولا تجزي عليه » وقراً رسول الله (ص) « ولا تزروا ذرة وذرراً اخرى » رواه احمد ابو داود والنسائي والترمذي وحسنه وصححه وابن خزيمة وابن الجارود والحاكم وفيه روايات اخرى وحديث الرجل من بني يربوع قال اتينا رسول الله (ص) وهو يكلم الناس فقالوا يا رسول الله هرثلاء بنو فلان قتلوا فلاناً فقال رسول الله (ص) « لا يجزي نفس على نفس » رواه احمد بسند رجاله رجال الصحيح والنسائي . وقد ادخل الفقهاء الأحاديث التي باب التخصيص فأخرجوا الوالد والمولود من العاقلة والنسخ فيها اظهر ولكن العمل جرى على الأحكام . وكما أن العاقلة مخالفة لظاهر الآية التي استدلت بها الرسول في الحديث السابق هي مخالفة للقياس ايضا وقد أجاب الفقهاء عن الأول بما علمت من التخصيص وفصل الجواب عن الاثرين الامام ابن القيم في كتابه اعلام الموقعين فقال

(فصل) ومن هذا الباب قول القائل حمل العاقلة الدية عن الجاني على خلاف القياس ولهذا لا تحمل العمد ولا العبد ولا في الصلح ولا الاعتراف ولا ما دون ذلك ولا تحمل جناية الاموال ولو كانت على وفق القياس لحلت ذلك كله والجواب أن يقال لا ريب أن من اتلف مضموناً كان ضمانه عليه « ولا تزروا ذرة وذرراً اخرى » ولا تؤخذ نفس بحرية غيرها وبهذا جاء شرع الله سبحانه وجزاؤه وحمل العاقلة الدية غير مناقض لشيء من هذا كما سبقه والناس متازعون في الظل هل تحمله العاقلة ابتداء أو تحملا على قولين كما تنازعوا في صدقة الفطر التي يجب ادائها عن الغير كالزوجة والولد هل تجب ابتداء أو تحملا على قولين؟ وعلى ذلك ينبغي ما لو أخرجها من تحملت عن نفسه بغير اذن المتحمل لها فن قال هي واجبة عليه ابتداء قال لا تجزي بل هي كأداء الزكاة عن الغير وكذلك القائل اذا لم تكن له عاقلة

هل تجب الدية في ذمة القاتل أولاً بناء على هذا الأصل؟ والقتل قاتل غيره من الحقوق في اسباب اقتضت اختصاصه بالحكم وذلك أن دية القاتل مال كثير والعاقلة إنما تحمل الخطأ ولا تحمل العمد بالاتفاق ولا شبهة على الصحيح والخطأ يندرج فيه الإنسان فيجب الدية في ماله في ضرر عظيم عليه من غير ذنب قصده واهدأردم القاتل من غير ضمان بالكلية فيه إضرار بأولاده وورثته فلا بد من إيجاب بدله. فكان من محاسن الشريعة وقيامها بمصالح العباد أن أوجب بدله على من عليهم موالاة القاتل ونصرة فوجب عليهم إقامته على ذلك وهذا كإيجاب التعاقب على الأقارب وكسوتهم وكفالة مسكنهم وإعانتهم إذا طلبوا النكاح وإيجاب فكك الأسير من بلد المدون فإن هذا أسير بالدية التي لم يعتمد سبب وجوبها ولا وجبت باختيار مستحقها كالفروض والبيع وليست قليلة فالقاتل في الغالب لا يقتل على حمله وهذا بخلاف العمد فإن الجاني ظالم مستحق للعقوبة ليس أهلاً أن يحمل عنه بدل القتل وبخلاف شبه العمد لأنه قاصد للجناية متعدد ما فهو آثم متعدد وبخلاف بدل التلف من الأموال فإنه قليل في الغالب لا يكاد التلف يصجز عن حمله وشأن النعمس غير شأن الإهـ ولهذا لم تحمل العاقلة مادون الثلث عند الإمام أحمد ومالك لقلة واحتمال حمله وعند أبي حنيفة لا تحمل مادون أقل المقدار كأرض الموضحة وتحمل ما فوقه وعند الشافعي تحمل القليل والكثير طرداً للقياس وظهور بهذا كونها لا تحمل العمد فإنه سلعة من السلع ومال من الأموال فهو حملت بدله لحملت بدل الخيوان والمتاع وأما الصلح والاعتراف فعارض هذه الحكمة فيهما معنى آخر وهو أن المدعي والمدعى عليه قد يتواطآن على الإقرار بالجناية ويشتركان فيما تحمله العاقلة ويتصلحان على تعزيم العاقلة فلا يسري إقراره ولا صلحه فلا يجوز إقراره في حق العاقلة ولا يقبل قوله فيما يجب عليها من الفرامة وهذا هو القياس الصحيح فإن الصلح والاعتراف يتضمن إقراره ودعواه على العاقلة بوجوب المال عليها فلا يقبل ذلك في حقهم ويقبل بالنسبة إلى المصروف كنفائره

فتبين أن إيجاب الدية على العاقلة من جنس ما أوجبه الشارع من الإحسان إلى المحتاجين كأبناء السبيل والفقراء والمساكين وهذا من تمام الحكمة التي بها قيام مصلحة

العالم فإن الله سبحانه وتعالى قسم خلقه الى غني وفقير ولا ثم مصالحهم إلا بسدخلة
 الفقير فأوجب سبحانه في فضول أموال الاغنياء ما يسد خلة الفقراء وحرم الربا الذي
 يضر بالاحتاج فكان أمره بالصدقة ونهيه عن الربا أخوين شقيقين ولذا جمع الله بينهما
 في قوله (بحق الله الربا ويربي الصدقات) وقوله (وما آتيتم من ربا ليربوني أموال
 الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضمفون)
 وذكر سبحانه أحكام الناس في الأموال في آخر سورة البقرة وهي ثلاثة عدل وظلم
 وفضل فالمدل البيع والظلم الربا والفضل الصدقة فمدح المتصدقين وذكر ثوابهم وذم
 المرابين وذكر عقابهم وأباح البيع والتداين إلى أجل مسمى والمقصود أن حمل الدية
 من جنس ما أوجبه من الحقوق لبعض العباد على بعض كحقي المملوك والزوجة والاقارب
 والضعيف ليست من باب عقوبة الانسان بجناية غيره فهذه لون وذاك لون والله الموفق اه
 فتبين مما تقدم كله أن جعل الدية على العاقلة بشروطه هو من باب إعانة من
 يقع في مصيبة وتلزمه غرامة لم يعتمد سببها وانه من أسباب تكافل الأسر والعشائر
 (العائلات) وتضامنها وإحكام روابط المودة وتقوية وشائج الرحم بينها وان من كتب
 ما كتب في جريدة لبنان لم يفهم معنى كون الدية على العاقلة جملة ولا تفصيلا فكيف يفهم حكمته
 وهكذا رى شأن الذين ينتقدون احكام الاسلام تصرحيا أو تلويحا يقولون
 مالا يملون، ويهرفون بما لا يعرفون، فيجنون على العلم من جهة ويورثون الاضعاف
 الدينية من جهة أخرى وما كان أغناهم من الخالين اذا لم يكونوا متعمدين للافساد
 كما هو شأن الكثيرين منهم

﴿ القضاء والقدر ﴾

(س ١٢) من مشترك بالسودان

جناب مدير المنار الاغر

بمد التحية، ذكرتم في صحيفة ٧٢٣ (ج ١٠م ١) كلمة بخصوص مسألة القضاء
 والقدر. ولما كان المنار هو المجلة الوحيدة في العالم الاسلامي التي يهتما بالبحث في فلسفة

الدين وشؤون الاجتماع وال عمران . وكانت مسألة القضاء والقدر هي الامر الذي اعترف به الصديق والعدوانه السبب الوحيد في تأخر المسلمين . رأيت ان ما ذكره المارفي هذا الجزء والاجزاء السابقة لم يشف غليل العقول ولا هو زخزح شيئاً من أساس المبدأ الثابت في أدمغة العام والخاص القائل عنه (هي الدين بن تيمية) من سنين مضت :
 فمن كان من أهل السعادة اثرت أوامره فيه بيسير صنعة
 ومن كان من أهل الشقاوة لم ينل بأمر ولا نهي بتقدير شقوة
 وإذا كانت العباد مقسومة هذا للشقاء وذلك للسعادة وإن هذا الاعتقاد مستول على العقول فهمة المسلمين التي توجه للاصلاح والتقدم ليست الا ضرباً من التقليد والتشبه للام الحية التي لا تعرف شيئاً من هذه العقيدة المقيدة لهمم والعقول فتزول منهم اذا زالت عنهم الاسباب الاضطرارية الداعية لهذا التشبه . لان الدين أرسخ في الازهار من مبدأ وقي أثره تقليدي . اللهم الا اذا ضرب صفحا عن هذه العقيدة من الدين وتشبعت النفوس تدرجاً بالمباديء الطبيعية التي تسير مع تقدم الامم أو تكون هذه المسئلة على خلاف ذلك إذا إن ما ذكرتموه في المثال (عن ولي عهد المانيا وأخيه بمصر) لا يبرهن للاوربي الذي يتبرأ من هذه العقيدة انه كان من الازل مقرر اصابه أحد الاخوين بالحى ليتأخر عن الميعاد الذي حددده لسفره وانه لا بد ان يصاب به حتماً بل هو يقول لك كما يقول العقل والعلم : انه لو لم يتعرض للاسباب التي أوجبت هذا المرض لسبب عدم علمه بها السافر في ميعاده المحدد وانه كان في امكانه ان يتجنبها لو علم بها . فاذا مسألة اصابته بالمرض ليست محتمة له من الازل . ولا كان الله تعالى مخصصها اليه بالذات ولكنها تخصصت له منه تعالى بسبب جهله تلك الاسباب ليس الا وتقول (منه تعالى) تخصصت له انه خالق كل الاسباب التي يتعرض لها الانسان بإرادته سواء علم بتأثيرها أو جهلها . فاذا قلتم حسب مبدأكم ومبدأ (ابن تيمية) السالف ان ولي العهد مقدر له من الازل ان يحضر مصر وكان لا بد ان يمرض بمرضه هذا لقلت لكم ان اللص الذي قطعت يده بسبب ما سرق كان لا بد ان يسوقه الله تعالى للسرقه للزوم قطع يده الختمين وتكون هنا إرادة الانسان ومسئولته في الدنيا والآخرة عما يفعل ضرب (٤) من

ضروب السخرية وتتم رواية ليس لها نتيجة... ونكون كما قال (ابن تيمية) وحكمته العليا اقتضت ما قضت من الفرق بفهم ثم أيد ورحمة يسوق أولي التعذيب بالسبب الذي يقدره نحو العقاب بهزة ويهدي أولي التعميم نحو نعيمهم بأعمال صدق في خشوع وخشية وما دامت الأسباب التي هي حجة للتأنيق مقدرة حتمية... فالتأنيق بالطبع تابعة لهذا الإلزام. وعليه فالتقاضي والحساب في الآخرة ليس إلا لتعميم رواية كلامية وإذا كان هذا مبدأ المنار فلا يلومن الأمم الإسلامية الماضية وما كانت فيه من الاضمحلال... ولا داعي لاستخراج تأنيق فلسفية أو عمرانية للزوم الأخذ بأسباب الترقى والهرب من القديم... ولا عيب على حكومات الاستبداد... ولا مانع من البقاء في الجهل الخ. إذ إن الداعين للزوم تغيير المناهج لتغيير معها التأنيق ليسوا إلا معترفين بلزوم التسلط وتحرير القدر الإلهي القابض على الأسباب بيد حديدية

وعلى هذا... هل أقول مع (المنار) للذين يعتقدون من غير المسلمين أن عقيدة القضاء والقدر بهذا الشكل هي السبب في تأخر المسلمين: (إن ما ينتقد هلى المسلمين من ذلك لا يرجع منه شيء إلى الإسلام الخالص فما قدره فهو الحق الواقع في نفسه الذي لا يمكن لمؤمن ولا ملحد إنكاره) أم ماذا تقول إذا كان ما سبق هو ما يريد المنار وتقريره؟ وأشكركم سلفاً

(ج) لكل مقام مقال فتحرير النزاع ولرد الشبه مقال غير مقال التذكير بأمر مقرر، واعتقاد محروم، وقد كان ما ذكر في ص ٧٢٣ ج ١٠ م ١١ من المنار من القسم الأخير ونحن اتباعاً لهداية القرآن نكرر المسائل المهمة لا سيما في التفسير فنذكرها تارة بالأيجاز وتارة بالأطاب وما اشترم إليه هو قول الأستاذ الامام والفرض منه التذكير بأن الانسان ليس مستقلاً في عمله تمام الاستقلال لجهله وعجزه والنظريات التي ذكرتها لا تنقض شيئاً من قوله بل تؤيده وحكم القضايا الممكنة غير حكم القضايا المطلقة كما هو مقرر في المنطق فقولك إنه كان في إمكان ولي عهد ألمانيا ان يتجنب أسباب المرض لو علم بها وإذا الأئنفذ الترتيب الذي وضعه لسفره فمسألة

إصابته بذلك المرض لم تكن محزنة له من الأزل الخ قول ظاهر البطالان. لأن قضية مرضه جبهتها الإطلاق لوقوعها بالذلل والامكان لا يناقض الإطلاق. وبعبارة عامية: أنه كان لا يد من مرضه بدليل وقوته، وليكن ذلك لجهله بأسباب المرض. على أن هناك أمراضاً تعرف أسبابها كالسرطان وأمراضاً تعرف أسبابها وقد يتعذر اجتنابها كالحسل نكتفي بهذه الإشارة ولا نضيع الوقت في المناقشة الطويلة ببيان بطالان كل نظرية من النظريات الباطلة التي أوردتموها تقلاً أو رأياً وهي مشهورة لأن الإطالة في ذلك لا تزيد المسألة إلا تعقيداً كما صرحنا بذلك منذ سنين فقد قلنا في الدرس الرابع عشر من الأمالي الدينية التي كنا نلقينا بمصر الذي نشرناه في جزء المنار الذي صدر في غرة جمادى الثانية سنة ١٣١٨

« هذه المسألة من توابع البحث في العلم والأرادة وهي الفتنة التي ابتليت بها الأمم فوقعوا في بحار الخيرة تدافعهم أمواج الشكوك ويتلقاهم آذي الشبهات (أي موجها) حتى غرق فيها كثير الخائضين ونجا الأقلون ومن عجيب أمرها أن العامة أعلم بها من الخاصة، وأن الأميين أقرب إلى اليقين بها من الكتابيين، وإن شئت قل إن الجهل بحقيقتها، تابع لسعة العلم بمباحثها، فكما زاد الإنسان نظراً فيها زاد حمايتها عنها، لأن الخفاء كما يكون من شدة البعد، يكون من شدة القرب، الخ ما قلناه تمهيداً للقول « بأن المسألة في نفسها بديهية عوملت معاملة النظريات والبديهي كلما زاد البحث فيه بعد عن الإدراك » الخ

لقد قن علماء اللاهوت من النصارى في هذه المسألة كما قن المسلمون، وقد صنف المسلمون فيها مصنفات خاصة فما أغنت عنهم من شيء. وكانت تعد من المشكلات العقلية فألبسها أهل هذا الزمان ثوب المشكلات الاجتماعية وزعموا أنها سبب ضعف المسلمين ولاستاذ الامام مقالة طويلة في ابطال هذا الزعم وبيان أن هذه العقيدة من أسباب التقدم والارتقاء تطلب من المنار (ص ٢٦٥ م ٣) ومن الجزء الثاني من تاريخه (ص ٢٦٣)

إن الناس يأخذون من ديتهم في كل عصر من الأعصار ما يناسب حالهم الاجتماعية حتى أن العقيدة الواحدة تكون في الأمة الواحدة مصدراً لآثار متناقضة في زمنين

مختلفين كقيدة القدر كانت في زمن من الأزمان مصدر الشجاعة والاقدام والفتح
والعمران والكسب المسلمين وفي زمن آخر مصدر الجبن والكسل والتواني والتواكل
والإهمال . وأكثر الذين يتكلمون في ضعف المسلمين واسبابه غافلون عن
هذه القاعدة وجاهلون حقيقة الدين فهم يجعلون المسلمين حجة على دينهم والدين
حجة عليهم بدليل أنه في سلفهم أيام كانوا بدينهم مادات العالم في كل علم وكل عمل
ومن البديهي ان الناس يتمسكون بالدين في أول ظهوره أشد مما يتمسكون به بعد ان
يطول عليهم الامد، وتكون معرفتهم بحقيقته في أول العهد بأصح وأقوى منها بعد ذلك
ان السائل أو المتقدم لم يطلع فيما يظهر لنا على ما كتبناه في هذه المسألة بقصد إيضاحها
في السنين الأولى للنار وإنما وإن اطلنا القول فيها من قبل نذكر فيها الآن جملا
وجيزة يتجلى بها الحق لمن يطلب الحق بذاته لذاته بعد الاعراض عن النظريات
الفلسفية المشهورة في المسألة وهالك ما نريد يانه الآن

(١ - القضا) كان السلف يسمي هذه المسألة (مسألة القدر) ثم صار الناس يقولون
مسألة القضا والقدر . وقد ورد لفظ القضا ولفظ القدر في الكتاب العزيز بمعان
مختلفة لأنهما من الالفاظ المشتركة في اللغة العربية

ورد القضا بمعنى الفصل والحكم في الشيء . قولاً أو فعلاً وبمعنى الاعلام به وبمعنى
إتمام الشيء وإنهائه قال تعالى (١٧ : ٢٣) وقضى ربك ان لا تعبدوا إلا إياه أي حكم
بذلك قولاً في الكتاب المنزل على رسوله . وقال (١٠ : ٩٣) ان ربك يقضي بينهم يوم
القيامة) أي يحكم ويفصل بالفعل وقال (١٧ : ٤) وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب
لتفسدن في الأرض مرتين) الخ وقال (وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء
مقطوع مصبحين) وكلاهما بمعنى الإلزام بذلك والخبار بوقوعه وقال (٤١ : ١٢) قضاهن
سبع سموات في يومين) أي أم خلقهن . وقال (٢٨ : ٢٩) فلما قضى موسى الاجل
أي أمه . وأكثر ما ورد من هذا اللفظ قد جاء بهذا المعنى

ولم يرد في القرآن لفظ في القضا يظهر فيه معنى المشيئة ويكون اصلاً فيما نحن فيه
الاقوله (٢ : ١١٧) بديع السموات والأرض واذا قضى أمراً قائماً يقول له كن

فيكون — ٤٧:٣ قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) ومثله في ٣٦:١٩ و ٤٠:٤٨ فالآية الأولى في مقام خلق السموات والارض والثانية والثالثة في مقام خلق عيسى عليه السلام والرابعة في مقام ذكر الأحياء والأئمة . وقد ورد هذا المعنى نفسه بلفظ الارادة قال تعالى (٣٦:٨١ أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على ان يخلق مثلهم؟ بلى وهو الخلاق العظيم ٨٢ انما أمره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون) والمعنى في التعبيرين واحد وهو مما لم يختلف فيه الأديان فاليهود الذين سأل سائلهم المسلمين مستشكلا معنى القضاء بتلك الايات التي أوجها

أيا علماء الدين ذمي دينكم تحير ردوه بأوضح حجة

اذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم ولم يرضه مني فما وجه حيلتي

يقولون بذلك . وقد أجابنا عن سوء اله في (ص ٥١٢م ٣) وأجاب قبلنا غير واحد منهم ابن تيمية الذي أورد السائل بعض آياته . وكذا النصارى الذين منهم الأوربيون لا ينكرون كون الله تعالى اذا قضى أمرا وأراده ينفذه بقدرته حالا كما هو مفهوم العبارة (ويراجع تفسيرها في المنار وفي ص ٣١٩ من ج ٣ تفسير) لأنه لو عجز عن إيجاد ما يريد لم يكن إلها ولا إله شكلا في مسألة القضاء الإلهي فرع الايمان بوجود الله اذ لا معنى للبحث في الفرع مع إنكار الاصل . فحاصل معنى القضاء في هذا المقام ان الله تعالى اذا أراد شيئا أو أنفذه وأتمه فانما يكون ذلك على نحو ان تقول للشيء كن فيكون بلا إمهال ولا تمكث . ولا إشكال في هذا عند من يؤمن بالله مهما كان دينه

(٢ - القدر) القدر (بفتح الدال وسكونها) والمقدار والتقدير

ألفاظ وردت في القرآن بمعنى جعل الشيء بقياس مخصوص أو وزن محدود أو وجه معين يجري على سنة معاومة فهي داخلة في معنى النظام والترتيب قال تعالى (٢٣ : ١٨) وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الارض) أي بمقدار معين له نظام يتعلق بتشبع الجرب البخار ودرجة برودة الهواء كما قال (١٣ : ١٧) أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) أي بمقدار ما يسعه كل واد من الماء . وقال بعد ان ذكر بروج السماء وكواكبها والارض ورواسيها وإنبائه فيها « من كل شيء موزون » وما فيها من أسباب المعاش (١٥ : ٢٠) وإن من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله

الا بقدر معلوم) وقال (٥٤: إنا كل شيء خلقناه بقدر) فهذا القدر العام بمعنى ذلك القدر الخاص أيضا وقال في العموم بعد ذكر أموره خاصة (١٣: ٨ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تفيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار) أي ان لكل شيء من مخلوقاته سنا ونواميس ومقادير منتظمة كسنته في حمل الأنثى وعمقها وزيادة علوق الأرحام وتقصبا. ومن ألفاظ التقدير في مقام التخصيص قوله عز وجل (٣٦: ٣٩ والشمس قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) وقال في ذلك (١٠: ٥ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) وقال في خلق الإنسان (٨٠: ١٨ من أي شيء خلقه ١٩ من نطفة خلقه فقدره) وبين هذا التقرير بالانتقال من طور إلى طور في أول سورة المؤمنين . وقال في الزمن (٧٣: ٧٥ والله يقدر الليل والنهار) وقال في سرد الدروع وصنعها خطابا لداود عليه السلام (٣٤: أن اعمل سابغات وقدر في السرد) والتقدير في نسج الدرع وسردها هو جعل حلقاتها متساوية ونظامها واحدا . وقال في الطرق وترتيب السير بين قراها في قصة سبأ (٣٤: ١٨ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير ، سيروافيها ليالي وأياما آمنين) وقال في التعميم (٢٥: ٢ وخاق كل شيء فقدره تقديرا) فعلم من هذه الشواهد كلها أن عقيدة القدر والمقدار والتقدير في كتاب الله الذي هو أصل الإسلام وأساسه هي التي تعلم المؤمنين بهذا الكتاب ان لهذا الكون نظاما محكما وسنا مطردة ارتبطت فيها الاسباب بالمسببات وانه ليس في خلق الرحمن خلل ولا تفاوت ، ولا فيه قذفات مصادفات ، ولا خلل استبداد ، وأنه لا استثناء في الإيجاد والإمداد ، ومن فائدة هذا الاعتقاد أن أهله يكونون أجدر الناس بالبحث في نظام الكائنات ، وتعرف سنن الله في المخلوقات ، وطلب الأشياء من أسبابها ، والجري اليها في سننها ، ولا نعلم ان هذا البيان كان منفصلا في الديانات السابقة ولكني أقول أنه لا يقول عاقل شم رائحة العلم أو داق طعمه ان هذا الاعتقاد هو سبب تأخر المسلمين ، كيف وانه هو الجدير بتبريقهم وان أكثرهم أمسوا جاهلين لهذه الحقائق لانهم لا يأخذون دينهم من القرآن وإنما يأخذونه من كتب بعض الاموات

(٣- التدريية) كان السلف الصالحون يفهمون القدر بهذا المعنى ولذلك ضلوا التدريية الذين أنكروا الاسباب وقالوا « الأمر أنف » أي ان الله تعالى يستأنف ويتدىء ما يريد إيجاده كل شيء في وقته من غير تقدير ولا نظام سابق تجري عليه سنته فيه ولا أسباب يرتبط بعضها ببعض بل قال قدماوهم من غير علم سبق وإنما يعلم الشيء عند وقوعه وقد كفر هذه الفرقة السلف الصالحون وهي قد حدثت في عصر الصحابة . تلتقى بدعتهم هذه معبد الجهني عن سيدويه الجوسمي . ففي صحيح مسلم وكتب السنن الثلاثة ان عبد الله بن عمر (رض) سئل عنهم فقيل له انه قد ظهر فينا ناس يقرءون القرآن ويتفقدون العلم وذكر (السائل وهو يحيى بن يعمر) من شأنهم وانهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف . فقال ابن عمر إذا لقيت هؤلاء فأخبرهم أنني بريء منهم وانهم برآء مني والذي يحلف به عبد الله ابن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر . ثم ساق حديث جبريل وفيه « وتوؤمن بالقدر خيره وشره » أي ان كلا من الخير والشر يجري في الكون بمقادير وموازين وسنن وأسباب اقتضتها الحكمة البالغة . ومن مذهبهم ان الانسان إذا فعل شيئاً فإتما يفعله أنفاً أيضاً من غير أن يكون لله تعالى علم سابق بذلك أو سنة يجري عمل الانسان عليها فالانسان مستقل بذلك تمام الاستقلال . ثم ان المتأخرين منهم اعترفوا بأن لله تعالى علماً أزلياً بالاشياء ولكنهم أنكروا أن يكون له ارادة تتعلق بأفعال العباد مع أن معنى الارادة هو وقوع الفعل من العالم على حسب علمه

(٤- الجبرية) غلا أولئك فوقوا في طرف وعبدوا الله على حرف فجاء بعدهم آخرون وقفوا على الطرف المقابل لطرفهم وهم الجبرية فقالوا ان الانسان ليس له عمل ولا قدرة وإنما هو كالريشة المعلقة في الهواء تحركها رياح الاقدار، من غير ان يكون لها ارادة ولا اختيار، واننا نرى أ كثر الناس لا سيما المتفرنجين منهم يظنون ان عقيدة الجبر هي عقيدة القضاء والقدر لان الفاظ الجبر راجت في المسلمين بواسطة جهلة المتصوفة كما بينا ذلك مرارا كثيرة . آخرها ما في بحث التوكل والاسباب من (ج ١١ م ١١) وقد أوردنا فيه الآيات والاحاديث وأقوال السلف في إثبات

(المنار ج ٣ م ١٢) اعتقاد متأخري المسلمين . المتكلمون ونظرياتهم ١٩٧

الاسباب وإسناد عمل الانسان اليه . فاذا قال القائل ان الجبر من اسباب ضعف المسلمين فطالما ايدنا هذا القول ولكن الجبر ما جاء المسلمين عن دينهم وإنما جاءهم من فلسفتهم التي لونها بصبغة الدين لا وقموا في جميع علومهم وأعمالهم الدنيوية وهذه الفلسفة شرع بينهم وبين جميع الامم حتى الافرنج كما نبينه في المسألة السابقة وكأن السائل صاحب الاشكال نسي هذا وما فيه من تفنيد النزعات الجبرية حتى ردنا على الامام الغزالي في بعض ما أورده فيها وتعلق بهارة الاستاذ الامام المختصرة فألصق بها تلك الشبهات المشهورة في المسألة

(٥ - متأخرو المسلمين) المسلمون في هذه الازمنة الاخيرة قد اخلط عليهم الامر لمعوم الجهل وفساد طرق التعليم حيث يوجد ولذلك ترى في كلامهم ما يدل تارة على شيء من عقيدة القدرية وتارة على عقيدة الجبرية وتارة على عقيدة المعتزلة وقد بينا في العدد الثاني من سنة المنار الأولى ان الواحد منهم يجمع بين المقائد المختلفة (لاضطراب اعتقاده وعدم تلقيه عن العارفين فان المسلمين في فوضى دينية وعلمية لأنه ليس لهم رياسة دينية ولا مدارس منتظمة) وانهم في الغالب يميلون الى الجبرية في المسائل المتعلقة باقامة الدين أو خدمة الامة والقيام بالمصالح العامة والى عقيدة المعتزلة أو القدرية في المسائل الدنيوية فلا حجة في حالمهم على الاسلام بل الاسلام حجة عليهم

(٦ - المتكلمون) ان علماء الكلام سلكوا الطريقة النظرية العقلية في الرد على المخالفين من الملاحدة والابتدعة ورد الاشاعرة على المعتزلة والقدرية والجبرية . والمسائل النظرية مثار الشبهات والاشكالات وبذلك دخلت مسألة القضاء والقدر في قالب فلسفي نظري وكثر فيها القيل والقال والقرآن فوق ذلك كله لا تمسه الاوهام ولا تنال منه الشبهات كما علمت . وانما هي مباحث فلسفية تتعلق بقدره الله وارادته ومخلق الانسان وغرائزه وارتباط أعماله بعلمه وإدراكه وهي مشتركة بين جميع الامم ولا يوجد مذهب من المذاهب التي قال بها فلاسفة المسلمين من أهل الكلام والتصوف الا وقد قل بمثلها غيرهم ويقول بها بعض علماء أوربا اليوم

(٧ - فلسفة المسلمين والافرنج في الجبر) كان من فلسفة المسلمين في الجبر الذي ألبس ثوب القضاء والقدر أن عمل الانسان أثر طبيعي لا اعتقاده بالمنافع

والمضار وشعوره بالذات والآلام فهو يتبع علمه بذلك وعلمه صفة من صفاته أو حال من احواله لا يمكن دفعها ولا الانسلاخ منها والعلم بقسميه يحرك الارادة والارادة تزعج القدرة الى تحريك الاعضاء للعمل وهي سلسلة ضرورية لا يملك الانسان باختياره إبطالها ولا الفصل بين حلقاتها أو منع تحريك احداها بحركة الأخرى . وللغزالي شرح طويل لهذا المعنى أورد له مثالا بليغا وجرى على هذا فلاسفة الافرنج وأيدوا المسألة بمباحثهم الفسيولوجية والبيكولوجية فقالوا ان أعمال الانسان آثار طبيعية منعسكة عما في محنه من الآثار التي وصلت اليه من طريق الحواس أو ثبتت فيه بتأثير الوراثة والعادات ، فالاعصاب الحساسة تلقي ما تحمله من ادراك الحواس الى المخ ثم يعود منه إلى الاعضاء العاملة بواسطة الاعصاب المحركة التي تحرك العضلات بالفعل . فما في المخ ينعكس الى العضلات بواسطة الاعصاب فيحركها بسرعة أو ببطء فما كان بسرعة لا نشعر بأن لنا فيه اختيارا وما كان ببطء نشعر به فنسمي ذلك اختيارا وهو حتم لا يمكن التفصي منه . وقد سبق البحث في ذلك في المجلد العاشر وغرضنا مما أوردناه الآن ان نبين للسائل ان الافرنج أعرق من المسلمين في هذه العقيدة الجبرية فلا يخافن من تسجيلهم الضعف على المسلمين بمثل ذلك

وإذا قال ان هذا القول لا يخلو من شبهة على الدين قلنا انه ليس على الاسلام وحده بل هو شبهة على النصرانية أيضا وموضوع سوء ال السائل ان عقيدة القدر عند المسلمين من العقائد المشككة والضارة بمعتقدنا وقد بينا ان الامر فيها ليس كذلك . بل ربما كانت الشبهة على الاسلام هنا ضد الشبهة التي هي موضوع السوء ال أو تقيدها بأن يقال ان الاسلام يثبت الانسان عملا ومشيئة واختيارا وبذلك جملة مكلفا مطالبا بالاعمال الحسنة وإن فلسفتنا تقول لنا انه لا مشيئة له في الحقيقة بل هو مجبور مضطر في جميع ما يصدر عنه بمقتضى ذلك النظام المطرد المنعكس في التأثير والتأثير بين محنه وأعصابه وعضلاته فاذا كان لهذا الوجود وما فيه من النظام مصدر واجب قديم فيجب إسناد الافعال التي هي أثر الانعكاس بين محنه وعضلاته الى ذلك المصدر الواضع هو لنظامه وهو الله سبحانه وإلا قالى الضرورة العمياء ، التي أبدعت هذه العوالم كلها من الهباء (أرأيت كيف ان باب المباحث العلمية والنظرية

(المارج ١٢م٣) حكم الاسلام في عمل الانسان . علم الله وقدره وعمل الانسان ١٩٩

في المسألة واسع جداً حتى انه يمكن كتابة أسفار كثيرة فيه ؟)
(٨ - حكم الاسلام في عمل الانسان) إن دين الفطرة لا يكلف الناس
عناء هذه الفلسفة ولا يمنعهم النظر فيها وإنما يرشدهم الى الاعتقاد الحق الذي لا يضر معه
بحث بل يمكن معه الاستفادة من كل بحث وهو ان الله تعالى خلق كل شيء بحكمة
ونظام وقدر سابق على الفعل تجري عليه السنن العامة (النواميس) وأن معرفة
المخلوقات انما تكون بالنظر فيها مع التأمل والبصيرة وان منها نوع الانسان الذي
يعمل عن علم بما يعمل يرجح به ما يراه صواباً على ما يراه خطأ فيكثر صوابه بمقدار سمه
علمه بالواقع وأسبابه ويكثر خطاه على قدر جهله بالحقائق وسننها لأنه يسير في ذلك
على سنن الله في خلقه وقدره الذي قام به نظام ملكه « وكل شيء عنده بمقدار »
وأن عليه ان يتحرى العلم الصحيح بالمصالح والعمل الصالح بحسب ما يشعر به من
قدرته وتمكنه من ذلك مهما كانت علة ذلك وفلسفته . ونعني بالعلم هنا ما يستفاد
ولو بالمادة والتربية أي ما يعم العلم النظري والعلم الحسي والوجداني والعلم العملي
أي الذي يطبمه العمل في النفس

(٩ - علم الله بعمل الانسان واختياره) ان سبق علم الله بما سيعمله الانسان وتقديره له
ووضع سنن اجتماعية يسير عليها في عمله لا ينافي شيء من ذلك كونه خلقه ذاعلم واوادة وعمل
فان كونه كذلك هو أمر ثابت في نفسه معلوم بالحس والوجدان ، وهما أقوى أركان البرهان ،
ولا يقال إذا كان قد سبق في علمه تعالى ان فلان سيقول كذا فلا بد أن يفعل فيكون مجبوراً
على فعله لأن متعلق العلم الإلهي لا بد ان يكون والا لزم الجهل فانا نقول انما يصح هذا
إذا كان قد سبق في علم الله انه يفعل مجبوراً ولكن إذا سبق في العلم الأزلي انه يفعل
مختاراً فلماذا لا نقول انه يجب ان يكون مختاراً في فعله لانه كرم من الدليل؟ ويرد مثل
هذا في أفعاله تعالى فانها تقع وتحدث بحسب العلم الأزلي ولا يقال انه تعالى مجبور عليها .
كيف وان معنى الاختيار للفعل هو ان يكون تابعا لعلم الفاعل الذي يرجحه به
على غيره سواء كان العلم بذلك ضرورياً أم كسبياً بديهاً أم نظرياً . هذا هو المعنى
الذي نسميه اختياراً فان سماه غيرنا اضطراباً أو اسماً آخر فانما يكون الخلاف بيننا في
التسمية ولا مشاحة في الاصطلاح . وهذه المسألة التي تعد من مشكلات عقيدة

القدر ان صح استلزامها الجبر ليست في الحقيقة من عقيدة القدر في شيء، ولكنها مما يرد في مباحث العلم والارادة . وقد حللناها كيفما كانت

(١٠- حكمة الجزاء على الاعمال) يبقى من المشكلات في هذا الباب مسألة أخرى عدوها من لوازم عقيدة القدر وهي كيف يجازي الله الناس على أعمال لا مندوحة لهم عنها لأنهم غير مختارين فيها؛ ونجيب عنها جواً باعتراف إثبات الاختيار ومنع الجبر فنقول ان الجزاء على الاعمال هو أثر طبيعي لها في الدنيا والآخرة وذلك انه ما فرضت علينا طاعة إلا وهي نافعة لنا في تهذيب نفوسنا وسلامة أبداننا وحفظ حقوقنا وغير ذلك وما حرم علينا شيء إلا لأنه ضار بنا في أشخاصنا أو في نظامنا الاجتماعي ولذلك قالوا ان التكليف يقوم بحفظ الكليات الخمس: الدين والعقل والعرض والشخص والمال. ثم ان كل عمل يمتلئ الانسان يكون له أثر في نفسه إما في تركيبتها فتفعلح وتسهو وإما في تدسيتهما وإفسادها فتخبب وتثقى (٩١ : ٩) قد أفلح من زكاها ١٠ وقد خاب من دساها) ويظهر أثر ذلك تماماً كاملاً في الآخرة ولذلك قال (٣ : ١٨٥) وإنما توفون أجوركم يوم القيامة) (تقدم تفسيرها في هذا الجزء) وقد بينا كون الجزاء أثراً لازماً للعمل بحسب سنة الله تعالى في مواضع كثيرة من التفسير وغير التفسير فلا نطيل فيه هنا فالبحث فيه ينبغي أن يكون من البحث في نظام العالم وسنن الكون والاجتماع (١١ - الخلاصة) خلاصة ما تقدم وهو القول الفصل ان الاسلام أمر الناس بالعلم والعمل لما يجدون في انفسهم من القدرة والاختيار وعلمهم ان الله خلق كل شيء بقدر ونظام وانه لا يعجزه شيء ، فإذا قضى امراً و اراده يقع بلا تخاف ولا بطء ، وان له سنناً ونواميس ينبغي لهم ان يعرفوها وان لا يعملوا جزاء هو أثر طبيعي لها يكون بعضها في الدنيا وتمامه في الآخرة . وقد اتفق المسلمون بهذا ما فهموه ولم تضرهم الفلسفتهم المخالفة له هذا ما وسعه المقام لبيان الحق في هذه العقيدة وما يتعلق بها ويضاف اليها وقد سلكنا سبيل الايجاز في كل مسألة من المسائل العشر لما سبق لنا من البحث فيها من قبل ولان باب الفتاوى لا يسع أكثر من ذلك فان اشبهه السائل أو غيره في شيء منها فليسأل عنه وليختصر في السؤال بقدر الإمكان

باب المرسلات والمناظرة

﴿ ردّ الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين - لليافعي ﴾

۲

(الوجه الخامس) ان قول ان عدم معرفة حكمة النسخ لا تضر من جهلها بعد ان يعرف صحة رسالة الرسول (ص) وعدم علمنا بالشيء لا ينفيه وذلك امر ضروري لكل أحد - ولكنك في الجواب الاجالي عن شبه غير المسلمين بما ذكرناه خوف الاطالة الذي لا تحمله المجالات في نشراتها والا فالقيام بما له وعليه يجمل فيه الاسباب والتقيب عن النكات والاسباب على ان ما ذكرناه هو الباب وبه فضل الخطاب لمن يريد الصواب

اما اذا كان المعترضون من غير المسلمين متعصبون لا يريدون الحق ولا يقصدونه فسواء عليك أنذرهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون - ومثل هؤلاء اناس كثيرون في هذا الزمان فرحوا وبطروا بما عندهم من العلوم المادية والسياسية والاجتماعية وهؤلاء هم الذين كفروا بالنعم وقابلوا الاحسان بالاساءة اذ لم يدركوا ما ادركوه الا من الانبياء عليهم السلام فوافقوا فيه ما جاء به الانبياء عليهم السلام براه العقلاء صحيحا وما خالفوا فيه الانبياء فهو النقص والخطأ حتى انهم انفسهم صاروا يعرفون ما في هذا الاخير من الويلات والبلبات شيئا فشيئا. هؤلاء المفرورون تارات يستعجلون في تبهم قاصرو الهمم وضمفاء العقول او اسراء الشهوات فيظنون ان اوضاعهم تقى عن الشرائع الالهية مع استبعادهم لصحة النبوة والرسالة فهم لا يفرقون بين الانسان والحيوان الا بالصورة الذي هي في زعمهم انتخاب الطبيعة في ترقيا غير المقصود بعلم علم وقدرة قادر واردة مرید ويقولون ما في الانسان وغيره من الاسرار الغرائب والغايات والمعجائب انما وجدت قرتب عليها بعد وجودها ما يليق بها بالاستعداد

الطبيعي وبالقياس الثاني من المنفصل بداعي الضرورة ودام ذلك بناموس الارث الى غير ذلك من خرافاتهم الذي نخجل ناقلها وحاكيا فضلا عن ان يعتقد صحتها من يوسم بعقل وهم لم يحملهم على ذلك الا زهوم ببعض العلوم التي ذكرناها مع جهلهم بمخاتق تلك المعلومات كما اعترف بذلك كبارهم حيث قالوا انما عرفنا بعض آثار المادة وبعضها لم يزل محجوبا مستورا عنا وعليه فهم لا يمتازون عن العوام الا بمزيد معرفة في الآثار فقط اما الكنه والحقيقة فلم يدركوها البتة

نحن لا ننكر النشوء الطبيعي مطلقا وانما ننكر نشوءا مخصوصا وننكر استقلال الطبيعة والمادة بهذا النشوء الذي ليس هو ذاته لها وقد الشيء لا يعطيه على ان هذا النشوء الداروني يقابله الأنحطاط وبمجاراتهم على مذهبهم ليس اعتناء الطبيعة باحدها باولى من الآخر الا بمرجح وابطل كل باطل وافسد كل فاسد انكار ان يكون ما في الموجودات كالانسان وغيره من الاسرار والغايات غير مقصودة بالقياس الاول لغاياتها لان قولهم ناطقة بأن القابل الطبيعي لا يجوز ان يتخلف عن وجود ما هو قابل له لان القابل لا يكون قابلا طبعا الا اذا اندفعت الطبيعة في مجراها التكويني اليه لتؤدي وظيفتها الطبيعية التي لا يمكن طبعا الا منه وبه كالبارود المسدود عليه مثلا في صخرة ونحوها اذا دعر بالنار مثلا يفجر الصخرة بشق او خرق . ذلك الخرق والشق هو مجرى البارود المتفرقع ونتيجة تفرقه الطبيعي ولا يجوز عقلا ان يتقدم او يتأخر ذلك الخرق أو الشق عن سببه الطبيعي

فهل آلة الذكورة والأثوثة ونحوها مما اودع في الانسان كانت نتيجة مجرى طبيعي حين تكون في الرحم وهل كان هذا الجري مقارنا للتكون غير متقدم ولا متأخر عنه بان تكون الطبيعة قد أخذت اعمالا طبيعية من تلك الاعضاء في الرحم على نحو ما تتأدى بها الاعمال بعد وجود الانسان ان كان عندهم شئ بهذا فليخرجوه لنا والا فقولهم بين النطالان بنفسه على ما تقتضيه قواعدهم المقررة عندهم — فلا يبقى الا ان يقولوا مثلا ان هذه الاعضاء تكونت قدرة عالم الغايات مقصودة بالقياس الاول حين التكون وحينئذ لا يلزم محذور . على ان ما يستدلون به على المذهب الداروني انما هي احتمالات ملفقة وخرص يمد لا يمتين بها دلالة على خصرص

ما ذهبوا اليه كما أقر بذلك كبيرهم وهي مع ذلك لو أخذت بالمأخذ الصحيح لا تنافي
م جاء به المرسلون عليهم السلام في بيان بدء الخلق بل تكون مويدة له

وليس هذا محل الرد عليهم وإنما المقصود تعريف الناظرين واقراء ان مثل
هؤلاء قد يوردون الشبهات على الأديان ولا يريدون الرجوع عنها إذا وقفوا على
الجواب الصواب وإنما قصدتم التشكيك بما يناسب طريق أهل الأديان فان لم
يفلحوا في هذا الاقتراء زوروا غيره لما عرفت انه ليس في معتقداتهم إلا استحالة
الرسالة والنبوات (١) ونحن نحب ان شاء الله عن كل ما يذكر لئلا يظنوا
بأحد من المسلمين فتروج عليه شبهاتهم فيخسر الدنيا والآخرة

ولنعد إلى المقصود فنقول ما قدمناه هو الجواب الاجمالي مع غاية الاختصار
وهو كاف واف في رد هذه الشبهات إذ لم ترد على محل معين في واقعة معينة وما
كان منها كذلك فإليك جوابه والله المستعان وعليه التكلان

أما قولهم إن محمدا (ص) قد بلغ من الدهاء الى آخره . فجوابهم الذي تقوله
ان هذا اختلاق بحت وحبينا رسول الله (ص) سيرته مزبورة ونموته وأخلاقه
وشماله معروفة مشهورة فهل رأى الرايون أو سمع السامعون ان أحدا ممن عرفه
حتى ولو كان من أعدائه قد وسمه بهذه السمة أو وصفه بمدلول هذه الكلمة ؟
لا وإنما المعروف عن أعدائه قبحهم الله وخذلهم اطلاقهم عليه ضد ذلك فقالوا انه أذن —
ومنهم من قل مجنون ومنهم من قال شاعر واذا رأوا آية من آيات صدقه وهي المعجزة
قالوا ساحر تربص به ريب المنون — وهكذا الاعداء اذا عجزوا عن المعارضة
وأرادوا الأصرار والتعصب لمذاهبهم بعد قيام الحجة عليهم . والمؤمنون الذين
صاحبوه وعاشروه وعرفوهم قد عرفوا صدقه وكاله وانه رحمة للعالمين وعلى خلق
عظيم قد بلغ الرسالة حين كان وحيدا عن الانصار والاعوان ولم تأخذه في الله لومة

(١) ان القائلين برأي دارون لا يقولون باستحالة الرسالة كما قال ولا كلام
يدعي أن النبي (ص) محال ، بل يقول المحققون العارفون بسيرته منهم انه كان
صادقا ممتدا لما يقول وليس هذا المقال بالذي يتسع لبيان آرائهم في ذلك

لائم ولو خالف ما جاء به الثقلان فقول هؤلاء الذين هم من الناس كسقط المتاع انه اذا اتاهم بحكم واتضح له بعد التجربة انه لم يرض الناس عدل عنه والتجأ الى حيلته المشهورة وهي دعوى النسخ في الاحكام الى آخره - تقول في جوابه سبحانه هذا بهتان عظيم والواقع يكذبهم فانه (ص) لم يراع ولم يمالء فيما أمره الله بتبليغه أحدا من الناس كائنا من كان ولم يبال بمن لم يرض بذلك وقد آذوه في ذلك أشد الإيذا فهل احتال في التخلص من إيذائهم له بحيلة ولو مرة واحدة ؟ لا والذي أرسله بالحق بل كان يفعل كلما أمره الله به ولا يبالى بمانع فلما نزلت عليه (فاصدع بما تؤمر) جاهرهم بالعداوة حتى حقر آلتهم في المجمع والمحافل علانية وكان أبى هو وامى اذ ذلك وحيدا عن الاعوان فصبر على مقاساة المصائب ورموه بالحجارة حتى خضبت بالدماء فعلاه (ص) فهل يصح ان يقال انه كان يعدل عن احكام دينه اذا رأى ان ذلك لا يرضي الناس وهو بالحالة التي عرفت وهو هو (ص) كما انه لا يمالء الكفار ولا يسانمهم في دين الله كذلك هو في ذلك مع أصحابه لا يمالئهم ولا يسانمهم في دين الله وقد دل على ذلك وقائع كثيرة صحيحة فمنها صلح الحديبية فانه امضاه بهزم لا يمتريه تردد وقد استاء لذلك أصحابه وكرهوا ذلك غاية الكراهة ولم ينقل انهم استاؤا بشيء كاستيائهم بذلك حتى ان بعضهم رض قال له « أأنت رسول الله السنا على الحق » فلم يبال باستيائهم في مخالفة ما أمره الله به - هذا ونحوه أعظم برهان وأكبر دافع ومكذب لمثل هذه الشبهة التي هي مخالفة لما هو الواقع في نفس الأمر - فلهذا الحق ان اراد مثل هذه الشبهات لأدل دليل على تعصب هؤلاء المعترضين وانهم لم يعدلوا الى اراد مثل هذه الشبهات الواهية الضعيفة الا حيث لم يجدوا غيرها والمسلمون لا يعتبرونها الأدبلا على سخر عقول قائلها وانهم مماندون للحق والحقيقة وبدلا عن تكون مثل هذه الارادات شبهات اما تكون بمنزلة الحجج الدالة على صحة رسالة سيدنا ونبينا محمد (ص) فانه ليس بعد ظهور ضلال الخصم الا ثبوت الحق لدينا

وتقول هؤلاء انكم لا تستطيعون ان تدعون على حكم واحد جاء به الاسلام لا منفعة فيه أو انه مضرة لا ينسوخها ولا يحكم - بانته العجب أصبح ان يقل ذلك

في دين لم يعرف الحق من عرفه الا من تعلمياته ، ولم تبرزغ أنوار المعارف الا من مشكاته ، ولم تقم ميازين العدل الا بتلاوة آياته ، فدين الاسلام لم يفسخ منه شيء لاجل مضرة أو عدم مصلحة وانما يكون ذلك فيه لاجل زيادة في الخير تارة وتسهيل على الأمة أخرى ويكون تارة تنشيطا لها وتارة لتوحيد جامعتها وتارة لتقويتها في اظهار الحق على الباطل ودمغه ودمغ انصاره مع مراعاة ما يابق ويناسب الجمهور الا كبر كلما كثر عدد الافراد ومع ملاحظة احوال الزمان وقوة الأعداء وكثرتهم وما يلزم ان يكونوا عليه بإزاء ذلك معه وبعده فالعدد القليل الخائفون من المسلمين قد تناسب حالهم احكامهم هي أعظم كل نير بالنسبة اليهم أو لا يمكنهم الا الإتيان بها فقط فالعدل ان تكون التكليف والتعاليم كذلك بالنسبة اليهم والى ما احتف بهم من الاحوال

ان التشريع والحالة هذه يكون بالسنة كما يكون بالقرآن لا ينكر ذلك الامكار ولذلك كان النسخ فيها سبباً فاذا كثر المسلمون وكانت قوة الايمان والتصديق فيهم متناسبة متقاربة وضمف بعض ما يحذرون فلا يشك عاقل في حسن ان يشرع لهم احكام تناسب ذلك مع مراعاة المصلحة الرجحة وسواء في ذلك القرآن والسنة — فاذا صلحوا لمقاومة المهاجم أيا ما كان وهم بتلك الصفات التي تكاد ان تكون متساوية فلا يبعد ان يكفوا ما يرونه سهلاً في اعتقادهم والواقع ومثال الاول كون الصلاة اول ما فرضت ركعتين بالفداء وركعتين بالعشية فانه يمكن اخفاؤها إذ ذلك مع ضمفهم وقوة العسود والمثال الثاني إيجاب الخمس حين وقع بعض اختلاف بين الكفار حيث وجد فيهم من يؤمن المسلمين وكب بعضهم عن إبداء المسلمين ومن بقي من الكفار حريصاً على الايقاع بهم فانما كان يكون منه السب والضرب بالكف والعصي ونحو ذلك والمسلمون قد زادت عددهم بعض الزيادة فكاتبوا قاصدين على المدافعة في بعض الأحيان ولم يؤمروا بالهجرة ولا القتال فلما أمروا بالهجرة إلى عبة (المدينة المنورة) حين اشتد عليهم أتى الكفار مرة أخرى وظهر لهم المأرى ونصرهم الأتقاء وكان المسلمون تشابه صفاتهم في صلاة الدين بالخوة والقوة البسدية والدينية — فلا غرو ان يوجب الله عليهم قتال المسلمين

الظالمين وهذا القتال هو الذي سماه الاسلام والمسلمون بالجهاد وهو قتل أهل الاصلاح
لاهل الفساد اندي لاينكره عقل عاقل لان غايته ان تكون كلمة الله هي العليا
والنصارى أنكروا على المسلمين هذا القتال سوليتهم عملوا بماقواوا حتى لا يكونوا
من الذين يقولون مالا يفعلون

فرض الجهاد على المسلمين وكان الواجب عليهم اذذاك وهم كما عرفت
ان لايفروا من عشرة اضعافهم من المبطلين لأن الاستشهاد ونحوه لا تخور به
عزائمهم وهم بالحالة التي عرفت ففي هذه الصورة وهي المثال الثالث لا ضرر ولا
نقص في هذا الحكم بل لو بقي ابد الآبدن فليس فيه نقص ولا حيف بالنسبة
الى كثير من المسلمين . وانما اذا تبدلت الحالة وصار انصار الحق كثيرين أو
كان فيهم من يضعف اعتقاده أو يحرص على حياته أو نحو ذلك فلا نشك ان زيادة
الخبر تكون في رفع صفة الحكم كالوجوب والازوم وبعوض عنه حكم يناسب صاحب
الحق ويميزه عن صاحب الضلال وهو لزوم ان لا يهرب المستعد النصره الحق عن الاثمين
من انصار الباطل لانه ان ضعف مؤيد الحق المستعد عن ذلك تلزم مساواة أثر الحق
لاثر الباطل وهذا لا يصح ولا يحسن فالحكم المنسوخ في هذا المثال انما هو الوجوب
اللازم لا الإباحة أو الندب لمن يطبق ذلك

فبهذه الامثلة يظهر للمنصف حسن النسخ سواء كان في القرآن أم في السنة
لان القرآن من حين البعثه لم ينزل ينزل بالاحكام ولم يكن زمن مخصوص بالتشريع
بالسنة وزمن مخصوص بالتشريع بالقرآن بل القرآن لم ينزل على سيدنا محمد رسول
الله (ص) بما يناسب حال المعيزين من معتقيه ولم ينزلوا يزيدون والاحكام كذلك
ماين احكام مبتسأة عند وجود عللها وأسبابها وناسخة من خير الى ما هو أكثر خيرا
منه كان ذلك يكون الى ان مكن الله لدينه ودخل الناس فيه أفواجا وصارت الامة
بحيث يصح ان تكون مثلا لكافة الناس فلما آن اوان اقطاع الوحي بتحويل رسوله
(ص) الى امدار الباقية اكل الله شرعه بما يصح ان يكون ديننا لاهل الأرض
اجمعين الى يوم الدين

فمثل هذه الحكم كان النسخ - والمسلمون يعرفونها فكيف يقال انهم لم يستطيعوا

ان يملوا ذلك بطل مقبولة - هم أيضا يعلمون ان كل ذلك كان يكون للاعتراض معترض ولا لا تنقاد متقدم علموا ذلك بالعلم الضروري من سيرة الشارع (ص) ومن نشوء الاسلام ومن زعم غير ذلك فليمن من هو المعترض والمتقدم وعلى أي محل اعترض وانتقد وما هو الاعتراض وأين السند المقبول والا فالمسلمون لا ينظرون الى هذه الايرادات والشبهات الا بعين الاستحقاق وباللغة العجب هل وجد في كفار العرب من قريش أو غيرهم من عارض شيئاً من القرآن معارضة صحيحة؟ وهل ظفروا بشيء مما قال هؤلاء ان في انشائه شيئاً لم يرق له بعد اذاعته؟ ولم يعارضوا ما هذا حاله؟ اليس لو وقع شيء من ذلك لتوفرت دواعي الكفار والمسلمين الى نقله اما المسلمون فلا بد ان يوجد عندهم ولو لرده وتوهينه كما تتلوا عن مسيلة الكذاب وغيره وأما الكفار فهو غاية بعيتهم ومدار حجتهم فلو وجد فلا يعقل أن يهملوه فعدم النقل لما هذا حاله أدل دليل على العدم

فلا يبقى للخصوم الا ان يقولوا ان هذه الشبهات احتمالات مفروضة وقد قدمنا ان فرض ما يخالف الواقع في مثل هذه الاشياء لا يصح عند من له مسكة من عقل وايضا تجوز مثل هذا الاحتمال الظاهر البطلان يلزمه عدم جواز النسخ الذي عرفت حسنه عقلا وبقطرة فلو جاز اتهام من ثبت نبوته ورسائله بالمعجزات والحجج البينات بهذه التهمة اوجب ان لا يكون للبشر الا شريعة اول نبي ارسله الله فقط ولما جاز ان يرسل الله رسولا بعد رسول بشريعة تفسخ بالا يناسب احوال الامم المتأخرة وقد عرفت ان هذا يؤهل الى انظلم المحال على الله وما استلزم المحال فهو مثله محال فينتج ان اتهام نبيا (ص) بعد ثبوت نبوته بتهمة انه ما اجاز النسخ في دينه الا حيلة يتوصل بها الى اصلاح القصد والعيب الذي يمكن أن يرى في دينه هو تهمة كاذبة كما قدمنا ذلك وان فرضها محال

فوجب ان يكون نسخ الاصل وانساؤ في القرآن كنسخ الحكم لمصالح وحكم ونحن وان قصرنا عن ادراكها كلها لاسباب كثيرة لكن نعم ان الكتب الالهية وبالخصوص القرآن هي لنا اصل تعليم الدين والنظام الاجتماعي واستمداد الناس متفاوت في التعليم والتعلم ومن لازم ذلك ان تكون مواد التعليم أي كتبه الدراسية

كذلك فلهذه الحكمة وحكم أخرى كثيرة كان القرآن الكريم سورا طوالا وقصارا ومتوسطة وقد اشرنا الى ذلك في رسالتنا السابقة فالنسخ والانساء اللفظي هو معلل بحكم وغايات هي من جنس ما يعال به تعدد السور ومن جنس ما يعال به البقاء ما اختصروه من الكتب البليغة لطوله وقد تكون هناك علل واسباب أخرى وقد صح ان بعض آيات القرآن تنفوت في الفضل وثواب التلاوة ولا بدع في ذلك فان فضيلة الكلام تابعة لفضل معناه وكثرة فوائد مرماه — فاذا انزل الله آية هي نص في واقعة مخصوصة وهي انبب بافهام المخاطبين المعينين لاي سبب ثم بعد رسوخهم في الفهم وقبولهم لزيادة التامهي ونحوه بحيث يكونوا قد ترزحوا من طور الى طور لا يقبح بل يحسن ان يأتي الله بآية بدلا عنها جامعة لما دلت عليه الاولى وزيادة عليه — اذ لو بقيت الاولى الدالة على المعنى المخصوص فقط لجاز ان تكون آيات القرآن إنما تدل على معاني جزئية ومن لازم ذلك الطول المفرط الذي يمكن ان يقال انه لا يلائم التعاليم وللازم ايضا جواز تعرية القرآن من جوامع الكلم حين استعداد الناس للفهم والقبول

وبما ذكرناه يظهر جليا انه لا فرق يعتد به بين النسخ في الاحكام والنسخ والانساء في الالفاظ لأن ناموس الترقى جار في الامرين بلا عيب ولا نقص ولكل حال ما يناسبه من الافعل والاقوال (*)

فيا حضرة اخونا الدكتور لايهوانك ما بهذي به المبطلون المتعصبون فانهم على

المنار نمجل فنقول ان صديقنا الاستاذ الياهي لم يأت بحكمة ظاهرة لنسخ وانساء عبارة القرآن ولفظه تنطبق على ما نقل من ذلك لاسيما ما كان معناه محكما ولا يظهر معنى الترقى والاختصار في كلام الخالق الذي هو متهى الكمال ولو اختصر منه شيء لحذف قصة موسى من بعض السور . وما يأتي قريبا في بيان حكمة نسخ ما روي من آية الرجم غير ظاهر لاسيما مع بقاء آية الجلد على اطلاقها . وأذكره بذلك من الآن لعله يقدح زناد فكره ويراجع ذاكرته فيما قرأه لعله يجد لذلك حكمة ظاهرة فان معظم الاشكال عند الدكتور ومثله كثير من المسلمين وغيرهم محصور في هذا وهو يقول بأصل النسخ وحكمته بل كتب في ذلك أيضا

غير محجة وليس بأيديهم حجة - ونحن قد اضربنا عن كثير من الحجج والمسوغات هنا واكتفينا بما كتبناه خوف الاطالة ولكن فتحنا الباب لذوي الالباب وفيه الكفاية
وفصل الخطاب لمن يريد الصواب

اما قول المشككين ان في القرآن من المسائل الخاصة بمحمد (ص) واهل بيته ولا فائدة فيها لأحد سواه (وقد كذبوا بل فيها من الفوائد ما لا يقدر قدرها إلا من عرفها وقد علم ذلك العالمون من المسلمين واستفادوا منها وما علينا إذ لم تفهم البقر *) - ما هو أولى بالنسخ قالوا كالأيات الكثيرة من سورة الاحزاب والتحريم وبعض آيات سورة الحجرات والمجادلة فاذا صح عن المسلمين نسخ ألفاظ الآيات التي أدت وظيفتها وانقضت زمنها فلماذا لم تنسخ ألفاظ أمثال هذه الآيات الواردة في حالات خاصة وفي وقائع خاصة وقد أدت وظيفتها وانقضت زمنها - والجواب ان تقول ان هذه الآيات هي محكمة وفيها فوائد تتعلق بالأمة أيضا ونحن لم نقل ولا قال أحد غيرنا ان النسخ والنسخ سبب للنسخ بل الأمر عكس ذلك وتقيضه والمسائل والآيات الخاصة بمحمد (ص) واهل بيته هي أجدر بان لا يكون ولا يقع فيها النسخ لأن اتحاد من تتعلق به الاحكام وكذلك تبين أهل البيت الواحد لذلك بعيد عن وقوع التفاوت واختلاف الحالات الذي هي المسوغ الا عظم للنسخ وهذا بخلاف ما يتعلق بالأمة الكثيرة الافراد المختلفة الطبائع باختلاف الزمان والبلاد - فظهر ان النسخ فيما ذكروا انه أولى به باطل وان القياس الصحيح لا يجوز النسخ في ذلك وكذلك وقع

أما قولهم انها قد أدت وظيفتها وانقضت زمنها فجوابه انها حين إمكان النسخ والتبديل لم تنفذ وظيفتها ولم ينقض زمنها وأما بعد وفاة النبي (ص) فقد فات وقت النسخ والمسلمون لا يجوزون الزيادة ولا التقيص ولا بحرفون ولا يبدلون في كتب الله وشرعه بعد ثبوتها وانما يفعل ذلك من بعده الله وغضب عليه ولعنه على السنة أعيانه وهذا الاعتراض والایراد دليل على ان هؤلاء يقولون ما لا يفهمون انها لما انتهى اهلهم ومن اضل ممن يتبع الهوى ليصد عن الحق

أما قولهم وما الحكمة في نسخ الفاظ آية الرجم مع بقاء حكمها في شريعة المسلمين
فجوابه ان تقول ان مسألة الرجم للزاني المحصن قد أنزلها الله في كتابه القرآن
وهي ثابتة في توراة موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام فكانت نزولها
لحكمة توافق الكتابين وليعرف المسلمون هذا الحكم العظيم ويشتركوا في تلقيه
كغيره من القرآن وفرق بين تلقيهم السنة والحديث وتلقيهم للقرآن فان القرآن يتلى
تعبدا في الصلاة وغيرها اجتماعا وانفرادا والله جل شأنه شرع هذا الحكم بالعدل
وفق الحكمة فان هذه الفاحشة مفسدة للأنام وأقوى ذائع الخصاص مهلكة للأموال
وللبلدان، ومنهكة للأبدان ومبيدة لنسل الانسان في أكثر الأحيان، وازا كان حدها
الاعدام، وأقسى الاحكام، ولما كانت المنفعة بما ذكر قد تتفاوت رفع لفظ آيتها حين
لا يخفى خفاء الحكم إذا دعت الحاجة وانضمررة اليه — وما رفعه الا تسهيل ويسر
ورحمة وستر — ولثلا يظن المسلمون ان الثواب في التقيب والتطلع على الناس
فيتسابقوا الى الشهادة بهذه الجريمة قياسا على فضل تلاوة آيتها ورفع الله لفظ هذه
الآية لهذه الحكمة وانما خصها دون ما سواها من آيات الحدود لانها أشد الحدود
وأعظها ولان قباحة الزناء من المحصن فوق كل قباحة ففي رفع هذه الآية إشارة
للمسلمين على ترك التجسس للشهادة كما قال تعالى « ولا تجسسوا » وإشارة إلى
ترك الاقرار بذلك والعدول إلى التوبة — ولذلك اشترط في الشهادة بالزناء ما لم
يشترط في غيره حتى عاقب الشاهد الواحد والاثنين والثلاثة بمقوبة حد القذف
واشترط في ذلك المعاينة التي لا شبهة فيها والله يجب الستر على عباده — فقال
« ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا
والآخرة » وقال (ص) « تعافوا الحدود بينكم فما بلغني من حد فقد وجب »
فاذا لم ترد شهود في الحدود فلا يبقى الا اقرار فاعلمها بها ورضاه باقامة الحد على
نفسه بان لم يتب ويرجع عن طلب اقامة الحد على نفسه فلو أقر بذلك وطلب
اقامته ثم رجع وتاب جاز للعالم اعتمائه من اقامة الحد أو اتمامه بعد الشروع فيه
وهذا هو ما اختاره شيخنا ابن تيمية رحمه الله وهو الحق عندنا الذي دلت عليه السنة
الصحيحة عن رسول الله (ص) وذلك فيما روى بريدة (رض) قال جاء معزز

بن مالك إلى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله طهرني فقال «ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه» قال فرجع غير بعيد ثم جاء فقال يا رسول الله طهرني فقال النبي (ص) مثل ذلك حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله (ص) «فيم أطهرك» قال من الزنا فقال رسول الله أبك جنون؟ فأخبر أنه ليس به جنون فقال «أشرب خمرًا؟» فقام رجل فاستنكبه فلم يجد منه ربح خمر فقال (ص) «أزيت قال نعم» الحديث وفيه جاءت امرأة من غامد من الأزدي فقالت طهرني فقال «ويحك ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه» الحديث رواه مسلم وفيه أنها ابت الأقامة الحد على نفسها وكانت حبلى فأبى (ص) أن يقيم عليها الحد حتى تضع ماني بطنها وتكمل رضاعته وبعد ذلك جاءت وأقام عليها حد الرجم وعن أبي هريرة عند الترمذي وابن ماجه أن ماعزا (رض) فرحين وجد مس الحجارة ومس الموت فقال رسول الله (ص) «هلا تركتموه؟» الحديث وفي رواية «هلا تركتموه لعله أن يتوب فيتوب الله عليه» وهذا نص في أن المقر بالزنا إذا استغنى عن الحد جاز للامام أن يسقطه ولذا وذلك ولأن الحدود تدرأ بالشبهات ولا تقام في أرض العدو رفع لفظ آية الرجم وهي حكمة بالغة وقد دل عليها الكتاب والسنة وبقيت آية الرجم ثابتة الحكيم بما ذكرناه وبالسنة الصريحة مقيدة بقيوده كما عرفت وهي مع ذلك كله موجودة في القرآن ظاهرة للعلماء خفية عن العوام قال ابن عباس (رض) الرجم في الكتاب لا يفوض عليه إلا غواص وهو قوله تعالى «يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب» الآية وقيل أنها موجودة في غير ذلك أيضا فظهر بذلك الحكمة في رفع آية الرجم مع أن بدلها في القرآن موجود وما ذكرناه من التعليل لا ينافي ما علل به بعضهم قلت وقد رأيت السيوطي (رح) قد أشار بالاختصار إلى ما ذكرته - وصرح بان القرآن الموجود بين أيدينا الآن في المصحف فيه البديل عن كل ما رفع من هذا النوع وغيره قلت والأمر كذلك

وفوق ذلك كله تقول هؤلاء المتراضين زعمتم ان نبينا (ص) الصادق الامين لم ينم له ما تم الا بعد اصلاح العيب والنقص الذي براه او يتوقعه في شرعه وكتابه الذي انزله الله عليه وقد كذبتم وكذبكم الواقع المعروف من سيرته كما قدمنا

ذلك وحالة التشريع وكيفية نزول الوحي عليه (ص) يعلم بها فساد قولكم - أليس انه (ص) كان ينزل الله عليه ما شاء ان ينزل من الاحكام واقرآن حين وقوع الحاجة الى نزوله وبمحض من اصحابه غالبا وقد تنزل عليه (ص) عدة آيات دفعة واحدة والقصة الواحدة كذلك والسورة الكاملة ايضا في بعض الاحيان وبعض ذلك يكون حين وقوع السؤال ووجود السبب الموجب ارتجالا - ومع ذلك كله لم يكن (ص) يعرف الكتابة بل كان يحفظ ذلك ويحفظه اصحابه (ص) ويتلوه عليهم ثم يأمر أحد الكتاب أن يكتب ذلك في سورته من غير ان يراجع المكتوب الاول منها ويتأمل المناسبة والمناسقة وكان يشهر بين الناس آيات كتاب الله ويعلمه الخالص والطام والعدو والصديق فهلا امكن اعداءه ان يأخذوا عليه شيئا مما ضف انشاؤه في كتابه وردوه واتوا بمثله ولو بعد حين ؟

ان من يراجع مكتوباته ويتأمل في تأسيس احكامه ليصلح ما فيها من العيب والنقص لا بد وان يكون كاتبها وقارئا مطالعا على كتب غيره ليراجع ما فيها من الآراء فيرجح ويضعف حينئذ او يترقى بفكره الى احسن مما فيها لكن لا يمكنه ذلك الترقى الطبيعي في الأفكار الا بعد اطلاعه على آراء من تقدمه والا بطلت سلسلة الترقى الذي يسلمها أكثر الناس واذا كان لا يمكن الرد والقدح والاصلاح والتكامل والتنقيح الا بهذه الاسباب ونحوها غالبا فان حصول علوم جميع اهل الارض لاسيما علوم الامم المضحلة والبائدة والمتباعدة ولاسيما الخفية منها والمهجورة وبالخصوص في ذلك الزمن الذي بهت فيه نبينا محمد (ص) - ان حصول ذلك كله لرجل واحد لا سيما اذا كان من العرب الذين قد عرفوا باعترالهم علوم سائر الأمم لمن المحال الذي لا تسلم به عقول العقلاء فما بالك باليتيم الأعمى (ص) الذي قد عرف منشأه ولم يزل اعداؤه يتربصون به الدائر حتى وضعوا عليه العيون والرقباء هل يمكن من هذا حاله المراجعة والاصلاح لما هو بمثابة تهذيب علوم أهل الارض وتكامل أخلاقهم اجمعين ؟ فيالعقول المتعصبين أين يذهب بها الهوى

قلنا ذلك لا نأرأينا ما لم نكن نحسب عاقلا يقوله : رأينا من على شاكلة هؤلاء المتعرضين حين يطلعون في الاسلام يجمعون ماقدروا عليه من اقوال ومذاهب الأمم

الغابرة ثم يقابلون بينها وبين شرائع الاسلام وما فيه من القصاص وغيرها ثم يقولون ان هذا أخذه محمد (ص) عن أوثك ثم يقولون قد ردنا الفرع على أصله وما لم يقدروا أن يجدوا له نظيرا يقولون سيكشف المستقبل حاله ويقولون ان محمداً (ص) قد اطلع على ذلك وحفظه وهذبه وأصلح فيه حتى ساقه في قوالب كلامه الفصيح البليغ الذي اعجز العرب!! قلت أي واعجزهم ايضا ان يعرفوا جميع مصادره وما أخذه هو لاء يريدون أن يطعنوا في صحة الاسلام وما درى المساكين ان ذلك ينقلب عليهم ويصير من اعظم الحجج المؤيدات لصحة دين الاسلام — لانه اذا بطل قولهم وصح ان محمداً (ص) لم يكن قبل نزول الوحي يعرف شيئاً مما ذكره او ان ذلك لا يمكن حصوله لبشر بدون وسائله وان تلك الوسائل لا يمكن تسيرها في ذلك الزمان والمكان لا سيما لمن كان مثل محمد (ص) — ثبت باليقين كذبهم وصحة دين الاسلام وانه وحي الله وامره والله اعلم

انه مامن علم يوجد عند البشر سابقين ومتأخرين الا وقد نبه على بعض مسائله في معرض الاعتبار والاتماظ ونحوه او الاستدال وما شابهه يسوق ذلك سوقاً يعرف من تأمله وحققه انه كلام مختبر عالم بدقايقه وغوامضه ولذلك تراه يختار من كل شيء صحيحه ونقيه لا يلتفت الى سواه وان اجتمع أهل ذلك العصر على سواه ولم يكتف بذلك حتى اخبرنا بكثير من اخبار الايام الآتية التي قد وقع ووجد مصداق كثير منها عياناً وقد ذكر من ذلك كثيراً مما لأمته به نعلق وهو يذكر ذلك في معرض التنبيه كما انه يذكر من اخبار الايام الماضية ما يذكر كذلك فيا هو لاء هل يمكن المحصل بدون الوحي ان يطلع على ذلك كله مع اشتغاله بتلك المشاغب وقيامه بتلك الوظائف لا سيما اذا كان يتما امياً في بلاد قاصية عن الامم المتدنة وبين امة امية؟ فان جوزتم ذلك فهل يمكنكم ان تأتوا بنظيره في كل ما حكياه عنه (ص) والحالة ما ذكرنا لان ما يجري على النوايس الطبيعية لا بد وان يتكرر بل لا بد وان يترقى كما هي قاعدة النشوء الطبيعي واذا لم تفعلوا فانتم مقفرون مكابرون وسيعلم الذين ظهروا أي منقلب ينقلبون

قلت وبما ذكرناه يطل قولهم ولو وقع وصحة ما دلت عليه الاحاديث تبطل

دعوى أخينا الفاضل الدكتور ان أحاديث الآحاد كلها لا تهيد غير الظن مطلقا

ولنعد الى ابطال الشبهات المذكورة على النسخ زيادة على ما ذكرناه سابقا
فقول ان كان اعتراضكم هذا صحيحا وانه لم يتم له (ص) ماتم الا بما ذكرتم فلم لم
يقم في وجهه أعداؤه الى يومنا هذا في صلحو أو يكملوا أو ينقضوا ويرموا ويتعاضدوا
ويتعاونون فصحاءهم وخطبائهم وشعراؤهم ليأتوا بمثل قرآنه بزعمكم أو يأتوا بسورة من
مثله؟ لم يفعلوا وهو يناديهم هل من مبارز هل من معارض؟ ويتلو عليهم في كتابه «قل لئن
اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض
ظهيراً» ويتلوه في «فأتوا بسورة من مثله - أو - قل فأتوا بعشر سور مثله» لو كان
الأتيان بالقرآن أو بمثله مما يمكن البشر الواحد ولو بالأصلاح والتمهل كما نقولون فهلا
قدر واستطاع ان يجيء بمثل سورة قصيرة منه جميع العرب العرباء والمستقرين
والمتمرين جمعا وانفرادا ولو بعد الأصلاح والتكامل المزعوم؟ وحيث استحال ذلك
بمضي تلك المدة الطويلة وعجز فطاحل العرب وفصحاءهم وقتوا ولم يخلفهم مثلهم
لكن من خلفهم هو أعجز منهم علم فساد قولكم وكذبه وسقوطه

ان نفس التحدي بسورة من القرآن معجزة لانه لا يمكن أحدا من البشر العقلاء
ان يدعيها لنفسه من قبل نفسه، ولما يأتي به من عند نفسه ومن يأمن ان يأتي الزمان بمثله
أو بأحسن منه واذا لم يكن عنده يقين بذلك فكيف بشرط صحة دعواه عليه ويعلقها
بهذا التحدي فما بالك بمن قد صرح بصحة جسده وكمال عقله وتدبيره العدو والمخالف
والصديق الموافق. أما لو كان هذا التحدي بغير أمر الله لكان من أبعث كل بعيد
وأحل كل محال صدوره من سيدنا محمد (ص)

هذا بعض ما نقوله في الجواب عن هذه الشبهات الواهية اضربنا فيه عن الاطالة
وما تركناه اكثر وما عند الكاملين اكثر واعظم وما عند الله خير وأبقى «ان في ذلك
لذكرى لمن كان له قلب أو أتمى السمع وهو شهيد»

فقول الدكتور الفاضل وبمنه ترى ان اعتمادهم فيها (اي في إيراد الشبهات) انما هو على
روايات الآحاد التي يتمسك بها المسلمون الى ان قال ما محصله - فهل اردتوا هذه

بدلاً عن ان يقوموا في وجهنا ويردوا مذهبنا في هذه المسائل بما هو في الحقيقة طعن في أصول الدين وبمثابة تسليم سكا كين للخصم ليقطع بها منهم الوتين، انتهى وأقول قد عرفت جوابنا عن هذه الشبهات وانت اذا تأملت عرفت ان فسادها بديهي فلا سكا كين وانما هي شوك مخضود وبذاء من القول مردود فلا وخز نخافه ولا قطع ونحن لم نرد عليه مكفرين له مع تأويله ولكننا بينا فساد بعض أقواله وضمنااه وقلنا انه لا حاجة تلجئنا اليه وهو حفظه الله انما خاف من غير مخوف وظن السراب ماء وليس ما نبحت فيه مع الفاضل الممدوح مما يليق بالعلاء ان يقولوا فيه تمصبا وتحيزا ولا فخرا وممارسة بل هو الدين وارادة الحق وطلبه للفوز برضاء الرب ولذلك قلنا في رسالتنا السابقة ان طالب الحق لا يليق به ان يستدل باقوال الناس وانما يستأنس بها بعد البحث والتنقيح وامامنا ناقض منها حكم الله في كتابه أو في سنة رسوله (ص) فننا نضجر منه ونكاه ونرفضه لانه من الغلطات التي غايتها ان يتفرقائلها اذا لم يقصر ومن تتبع الشواذ وقع في الغلطات وانه لولا التأويل بحسن قصدلزم كل غلط لوازم فظيمة مكفرات ولو التزم كل غلط لوازم قوله لفحص الخلاف وبعد الائتلاف ولحكم بكفرا كثر الغالطين ولذلك كان القول الحق ان لازم المذهب ليس بمذهب اما ما ذكره الفاضل في كلمته الثانية من التفصيل فهو وان كنا نعتقد الحق زيادة عليه الا انه قول قد قاله كثير من الائمة ومع ذلك فله حظ من النظر الا قوله في آخرها « اما الروايات التي تفيد نسخ لفظ القرآن » الى آخره قلنا لا نسلمه له لا سيما وقد عرفت مما قدمناه عدم مخالفة نسخ وإنشاء لفظ القرآن للحكمة والعقل فاذا صحت الرواية عن الثقات الضابطين بالحفظ والمراجعة أو بالكتابة المصونة بأن آية كذا كانت قرآنا وأنها نسخت أو أنسيت أو رفعت أو نحو ذلك قبلنا ذلك وحيث كان لم يقصد من هذه الروايات اثبات زيادة على القرآن الموجود فهي غير معارضة ولا مناقضة لما ثبت من القرآن بالتواتر حتى على قول من يشترط التواتر في اثبات قرآنية القرآن - وترجيح المتواتر على الآحاد انما هو اذا اتحدت الدلالة من جميع الوجوه حذو النعل بالنعل مع عدم معرفة المتأخر اما اذا لم تتحد كالعالم وانخلص والمطلق مع المقيد او ما تأخر تاريخه فلا معارضة ولا مناقضة لا شرعاً ولا

عقلا ولأن الآخذ بالدليلين هو المتبين والا للزم اهل احدهما - واصل منشأ
اشراط التواتر انما هو في الوصف بالقرآنية الذي من احكامها المفرعة عليها التلاوة
في الصلاة ونحوها واثباتها في المصحف الى غير ذلك على خلاف مشهور في ذلك
لاهل العلم والنظر ولذلك نرى الحق عدم جواز نسخ السنة للفظ القرآن المثبت في
المصحف واما حكمه مع بقاء اللفظ فهو محل الخلاف والحق عندنا جواز نسخ الحكم
بالسنة الصحيحة لأن ثبوت الاحكام لا يشترط فيه التواتر كما سيأتي ولأن
اقتضاء الحكم للتكرار امر زائد على مفهوم مجرد الامر وكذلك الاستمرار كلاهما
ظني وخبر الأحاد اقل حالاته اذا كان صحيحا ان يكون ارجح لكن هل ذلك
واقع فعلا ام لا ؟ ولا شك ان من بعد غوزه في فقه الدين يعرف ان ذلك لم يقع
وان السنة مينة ومفسرة لما دل القرآن عليه ولو بدلالات خفية او تأتي باحكام يكون
القرآن ساكتا عنها او زيادة على ما فيه وهذا اجمال يدرك المنصف ما وراءه من
الفوائد اكتفينا به عن التفصيل والاطالة

تكلم حضرة الدكتور الفاضل في الكلمة الثالثة من رسالته على قوله تعالى « ما
نسخ من آية أو نسيها نأت بخبر منها او مثلها » الآية - وحاول ان يثبت ان يكون
المراد بالآية المعجزة وقال انها على حد قوله تعالى « ولقد ارسلنا رسلا من قبلك
وجعلنا لهم ازواجا وذرية وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله ، لكل اجل
كتاب » يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب »

اقول واعلم انه لم يقل أحد ممن يفسر القرآن بالمأثور ان مدلول الآية هي
المعجزة في الموضعين معا او ان معناها واحد كذلك والمعروف عنهم ان
هذه الآية في المعجزة وتلك في آيات الاحكام وسيأتي ان بعضهم حمل الالحاء
على نسخ آيات الاحكام أيضا عكس ما يقوله الدكتور الفاضل وقوله تعالى ما نسخ
من آية أو نسيها قد عرفناك تفسير السلف لها في رسالتنا السابقة واما قوله تعالى « وما
كان لرسول ان يأتي بآية إلا باذن الله » فلا شك ان المراد بالآية فيها المعجزة خارقة
العادة فليس الى أي رسول الإتيان بها بل ذلك إلى الله عز وجل يفعل ما يشاء
وبحكم ما يريد - فقوله « لكل أجل كتاب » أي لكل مدة مضروبة كتاب

أي مكتوب « وكل شيء عنده بمقدار » ألم تعلم ان الله يعلم ما في السموات والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير » فالمراد بالكتاب ما يعم معلومات الله الكونية والشرعية الدينية بان جهل لكل مدة مضر وبة عنده كتابا - وبعض السلف قدرها بالسنة وقد اختلفوا في المحو والإثبات هل يكون في كل شيء أم في شيء دون شيء فقال بعضهم يمحو الله ما يشاء الا الشقاء والسعادة والحياة والموت وقيل غير ذلك أيضا والذي دلّت عليه الأحاديث الصحاح أن ذلك كائن في كل شيء . واختلفوا هل هناك كتب وكتاب غير هذا أم لا وليس الاطالة في ذلك من غرضنا هنا فان شئت ذلك فارجع اليه في مكانه - فهذان قولان في الكتاب ومدته والقول الثالث ان المراد بالكتاب كل كتاب أنزله الله من السماء على رسوله وهو قول الضحاك بن مزاحم وكان يقول في قوله « لكل أجل كتاب » أي لكل كتاب أجل « يمحو الله ما يشاء » منها « ويثبت » يعني حتى نسخت كل باقرآن الذي أنزله الله على رسوله صلوات الله وسلامه عليه . فقول الدكتور الفاضل يمحو الله ما يشاء من الآيات السابقة فلا يعيدها مرة أخرى للامم اللاحقة الى آخره قول مبتكر لم يدل عليه أثر ولا قاله أحد من السلف ولا ندرى كيف أجاز لنفسه القول في كتاب الله برأيه

وتقول معجزات الانبياء التي قد اظهرها الله لا يقال إنه محاها او نسخها بل يقال كتبها وقدرها وفي الواقع اظهرها وأمضاها وقد فرغ عنها - والمحو انما يكون لما كتبه وقدره قبل وقوعه اذا لم يوقعه وما وقع فأنما يقال كتبه وأوقعه طبق ما كتب فالدكتور غلط هنا في مواضع - وحاصله ان الكتاب في هذه الآية ان كان كتاب المقادير والمعلومات فالامحاء فيه لا يكون في المعجزات التي قد اظهرها الله لتأييد انبيائه وان كان المراد به كتبه التي انزلها على انبيائه لكل أجل ما يناسبه من من كتب الاحكام وآياتها فالآية نص في رد ما زعمه حضرته

اما قوله : واعلم ان نظم الآية التي نحن بصدد تفسيرها يعني قوله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها » الآية لا يقبل أي معنى آخر سوى ما اخترناه فيها ولذلك

ختمت بقوله تعالى « ألم تعلم ان الله على كل شيء قدير » الى آخر ما قاله في هذا المعنى وأقول نحن قد ذكرنا تفسير السلف لهذه الآية في رسالتنا السابقة وهم الذين تلقوا عن رسول الله (ص) بيان القرآن وهم الذين شاهدوا الاسباب والوقائع وهم الذين نزل القرآن بلسانهم فتفسيرهم للقرآن لا يجوز لنا الخروج عنه بالكلية وما ذكره الدكتور الفاضل واختاره هو لم يختره من أقوال السلف ولم يقل به أحد منهم وهم قد صرحوا بأن هذه الآية انما نزلت في آيات الاحكام فحمل ذلك على المعجزات انما هو من باب الخرص والقول بالرأي في كتاب الله وهو لا يجوز (« تفسير الآية في هذا المقام بالمعجزة فقط متعذر من حيث النقل وسياقها لا يقتضي ذلك وكذلك معناها ومدلولها لا يصح ان يكون هو المعجزة عقلا

وما ذكر عن الاستاذ الامام شيخ الاسلام المقري الشيخ محمد عبده رحمه الله فان صح عنه ذلك فلعله قاله من باب الاستنباط والاشارة والاياء — زيادة على ما يدل عليه الظاهر — ذلك هو الواجب على الصادق في موالاته . الاستاذ الامام وما أدراك ما مرتبته وفضله ومقدار محبة أهل الحديث له في جميع الارض كيف لا وهو امامهم وحامل لواهبهم الذي هزم الله به المبشدين ، وكسر به صولة المقلدين الجاملين . نصر الله به السنة واتباعها وحفظها به عن ضياعها ، سمعت بعض الناس يقول ان الاستاذ الامام لا يقبل أحاديث الآحاد الصريح — فقلت له كيف علمت ذلك ؟ قال لانه قال في بعض كلامه انما لا تقبل الحديث الا إذا تحققت كما تحققتنا وجود مكة والمدينة . فقلت له ويحك ما ذا تقول ان الاستاذ الامام رحمه الله يصح ان يتحقق الاحاديث الصحيحة ونحوها كذلك وانما اتسع علم الانسان ظهوره ما خفي على غيره وكل أئمة الحديث كذلك ، حمدا لله (لما بقية)

(« المار : تفسير القرآن بالرأي عبارة عن تفسير المرء له لاجل تأييد رأي ينشده أو مذهب يتقلده فهو بمعنى تفسيره بالهوى ، وليس معناه تفسيره بما يخالف المأثور عن الاولين ولا يمكن ان يكون هذا هو المراد بحديث انكار التفسير بالرأي على ان الحديث لا يصح والسلف قد فسروا القرآن بفهمهم وخالف فيه بعضهم بعضا وأكثر ماورد عنهم من ذلك لا يصح له سند وكلمة الامام احمد فيه مشهورة

الدولة العثمانية بعد الدستور

﴿ جمعية الأتحاد والترقي ﴾

تصريحات كامل باشا في سبب سقوط وزارته

نشر كامل باشا مقالا طويلا في سبب اسقاط الجمعية اياه من الصدارة بعد إخراجهم هو ناظر الحربية واستعفاء ناظر البحرية من الوزارة وهما من أعضائها . وانا ننشر ترجمته برمته للبيان في الحال والتاريخ في الاستقبال ، قال كان يوم السبت الموافق ٣١ كانون ثاني « يناير » في مجلس المبعوثان يوما عبوسا قطريا لهبوب اعصار الافكار حتى ان بعض الاعضاء وبلغ عددهم زهاء السبعين تركوا المجلس وانصرفوا حذرا من نتائج هذه الزوبعة التي كانت منحصرة بين جدوان دائرة المجلس المذكور وبينما كان الذين يلغهم خبرها في الخارج لا يصدقون بصحة وقوعها كان الذين داخل المجلس في غاية القلق والتأثر من السطوة التي يرونها من بعض اناس كانوا يتخللون صفوفهم ومما كان يلقي على مسامعهم من ان تسكين هذا الهياج الذي دام نحو ساعتين لا يتأني الا باسقاط الوزارة التي كانت قد ضعفت باستعفاء ثلاثة من اعضائها وهذا لا يكون إلا باقرار المجلس على عدم الثقة بها . فلما رأى الاعضاء الحاضرون ذلك بادروا لحسم الازمة على الوجه الذي أريد منهم وأقروا على عدم الثقة بالوزارة فلما منهم انهم خدموا بذلك سلامة الوطن والمملكة ولم يكن مبعث هذا الهياج الا المساعي العظيمة التي بذلت في سبيل احداثه إذ بعثت البعثات الخصوصية قبل ذلك الى أدرنه وسلاطيك فاذاعوا هناك ان الحكومة تقصد إعادة الحكم الاستبدادي وبذلك حركوا بعض ضباط الفيلق الثاني والثالث وأهاجوا سنخطهم

ثم أرسلوا باسم هؤلاء الضباط وسائل برقية إلى بعض أنحاء السلطنة تشير بانهم (أي الضباط) مستعدون للوقوف امام كل حركة تدبر من الحكومة بقصد

بها ارجاع الحكم الاستبدادي كما انهم أوعزوا إلى بعض ضباط الاسطول بإرسال رسالة برقية إلى مجلس المبعوثان يطلبون فيها عزل ناظر البحرية الذي عين بالوكالة ويلتقون المجلس انهم لا يعرفون رئيسا لم سوى مجلس الامة العثماني وقد تلي هذا التفراف في المجلس وتم لم بذلك ما يقصدونه وهو اظهار المملكة في حالة فوضى امام الناس لذلك كنت أردت وقتئذ ان أبين ما بالمملكة من الأضرار من جراء هذه الازمة المتعقدة والمقصودة قصدا وان أذيع المسائل المهمة والاسرار السياسية التي لا ضرر من افشائها وانما رأيت ان أوجل إيضاح ذلك الى وقت آخرأ كتر مناسبة متظرا زوال هياج الافكار المار ذكره وها قد أتيت الآن بالإيضاح الموعود مقرونا بالأدلة الواضحة بقدر ما تسمح لي به الظروف في الحال وما يفرضه علي حسب تجنب الهاذير السياسية :

لا يخفى أنني كنت قد ذهبت بالذات إلى المجلس النيابي في أوائل انعقاده وأوضحت امام الأعضاء برنامج الوزارة السيامي انذي حاز وقتئذ قبول الهيئة المحترمة ورضاهها ووعدت الوزارة بأنها تسير على مبدأ هذا البرنامج مع ان القانون الاساسي لم يصرح بشيء عن دعوة الصدر الاعظم وشيخ الاسلام للاستيضاح منها عن بعض الامور وانما فعلت ذلك بقصد خالص من كل الشوائب تطبيقا لمصالح البلاد على الحكم الشوروي الحقيقي ومراعاة للإدارة الدستورية ولوضع مثال للمستقبل ولا يؤخذ من ذلك انه يتحتم على الصدر الاعظم ان يحضر الى المجلس في الساعة واليوم اللذين يطلب فيها كما انه لا يفهم من طلب تأخير الصدر ميعاد الايضاح بضعة أيام انه يريد بذلك الغاء هذا الاختصاص الذي أعطاه القانون الاساسي للنظار بناء على حكمة كبيرة والوارد في جميع قوانين الدول الدستورية الاساسية . ان الاصرار في هذا الباب يعد خرقا صريحا لاحكام القانون الاساسي . وقد كنت عزمت عند ما وصلتني رسالة الدعوة من رئاسة مجلس المبعوثان في مساء يوم الخميس الموافق ٢٩ كانون الثاني (يناير) ان أذهب في اليوم المطلوب الى المجلس للاجابة على الاستيضاح حذرا من اخلال الاحوال الموضوعة ولكنه جاء في اليوم التالي (الجمعة) رسول من قبل سفير روسيا يخبرني بأن السفير سيحضر يوم السبت الى

الباب العالي لتماثلي والمذاكرة معي في المسألة البلغارية حسب تفراف ورد عليه من بطرسبرج وفي الحقيقة حضر السفير المشار اليه في اليوم المذكور . فلاجل ذلك ولاشتغالي ببعض مسائل سياسية مهمة كتبت إلى رئيس المجلس بإرجاء موعد الايضاح إلى يوم الثلاثاء المقبل

وبعد عصر يوم السبت المذكور وردت علي رسالة من رئيس مجلس المبعوثان يقول فيها انه بناء على بعض إشاعات وصلت إلى مسامع المجلس هاجت أفكار الاعضاء وهو يرى من الضروري ذهابي في الحال إلى البرلن لاعطاء الايضاح اللازم فكتبت الى الرئيس جوابا قلت فيه ان الاشاعات التي بلغت المجلس عارية عن الاهمية وان لا أصل بالمرّة لما قيل من حدوث هياج في المدينة واني سأحضر الى المجلس يوم الاربعاء وكان قصدي من هذا الإرجاء (أولا) ان توصل بما عندنا من الزمن الى ربط المسائل السياسية المهمة للماسة بمرافق الدولة الحيوية بالأصول التي كنا تصورناها الى هذا اليوم (ثانيا) ان أتمكن من استخراج الوثائق الرسمية من محافظتها (دوسياتها) استعدادا للايضاح أمام المجلس ولتقديمها لهيأة المبعوثان بصورة غير علنية حتى يقتنع الاعضاء بصفة قطعية بما سأقوله :

ورد بعد قليل رسالة ثانية من رئاسة المجلس فأعدت جوابي الاول بايضاح أكثر فلم يأت بفائدة ، بل أرسل أحمد رضا بك بضرورة حضوري الى المجلس لبيان الايضاح المطلوب نظرا لهياج الأمة والمجلس الناشيء من تبديل بعض النظار وما عقبه من اشاعة الخلع الكاذبة (أي خلع السلطان) واستهفاء بعض النظار مما جعل سياسة الدولة في الخارج والداخل في حالة غموض وإبهام

فلما رأيت هياج الافكار الذي كان منحصرًا فقط في اعضاء المجلس دون الاهالي أي لا أثر له في الخارج باشرت التحقيق في الحال لأقف على الطرق والمساحي التي بذلت في سبيل احداث هذا الشعب وعلمت أنه ازداد عدد الحزب المعارض لي في المجلس وما تقرر لديهم من أمر مما لماتي في حالة ذهابي مما يسبب حدوث أمور غير مرضية تحط بقدر مجلس المبعوثان . فتجنبنا لذلك كله كتبت الى الرئيس أعلمه بأني مستعد لتقديم الاستقالة من منصبي الى الحضرة السلطانية اذا لم يراع

نص المادة ٣٨ من القانون الاساسي ملقيا تبعة ما ينشأ من الاضطراب داخلا وخارجا على عاتق الذين كانوا السبب في حدوثها . فلما يأت الجواب وحصل ما حصل في المجلس من الامور الفريية . وقد جذبت الاحوال المذكورة انظار الاجانب الذين كانوا موجودين وقتئذ في دائرة المجلس واستوقفت ابصارهم الطرق والوسائل غير القانونية التي اتخذت للوصول الى اجبار الاعضاء على التصويت ضدي واعطاء قرار بعدم الثقة بي كما ان شيوع هذه الامور التي هي بمكان من الغرابة قد شغل افكار الجمهور

وزد على هذه الحالة الخلة بالقانون بصفة خصوصية ذهاب رئيس مجلس المبعوثان مساء اليوم المذكور وبرقته بعض اعضاء المجلس الى القصر السلطاني وطلبه من الحضرة السلطانية فضلي من مناصبي قبل ان استقبل منه وتعيين خلفي الذي رشحته الجمعية (جمعية الأحماد والترقي) من قبل

ومن الامور التي تستدعي دقة النظر المنشور السلطاني الذي استصدره بتوجيه منصب الصدارة العظمى على حسين حلمي باشا والذي تلي في الباب العالي إذ ورد فيه هذه الجملة بحروفها :

« بناء على انفصال كامل باشا حسب الايجاب من منصب الصدارة » وهو مثل ما كان يحصل في الزمن الاستبدادي عند فصل الصدور من مناصبهم بناء على دسائس اصحاب الاغراض مع انه كان يجب ان يبنى انفصالي على استعفائي

وسبب هذا الهياج الذي لم يكن ليوجد لو لم يحدته البعض عن قصده وتعيين ضيا باشا في منصب نظارة المعارف التي كانت شاغرة من قبل وتعيين حسن باشا من أمراء الجند البحري في منصب نظارة البحرية بالوكالة بدلاً عن عارف باشا الذي استقال وترك الخدمة بصفة رسمية وتعيين علي رضا باشا ناظر الحربية مندوبا ساميا للدولة في القطر المصري نظرا لبعض الايجابات السياسية الواردة فيما بعد وتعيين ناظم باشا قائد الفيلق الثاني في منصب نظارة الحربية بدلا عنه

ولما كان تأليف الوزارة من حقوق اصدر الاعظم الذي رفع الى الحضرة السلطانية أسماء من يعتقد قدرتهم وكفايتهم لتولي مناصب النظارات كنت أرى وجوبا

للاعتراض على التبديل الذي حصل في الوزارة وقتئذ كما وقع قبله تبديل نظار الداخلية والمارف والاقواف والعدلية ورئيس شوري الدولة حسبما ظهر انه المصلحة ولم ينسب احد يفت شفة اعتراضا على ذلك

وقد ظهر فيما بعد ان سهم الاعتراض في التبدلات الوزارية الاخيرة كان مصوبا بوجه خاص الى تعيين ناظم باشا في منصب نظارة الحرية حتى انه في مساء اليوم الذي كان تعيين فيه المشار اليه ناظرا لوزارة الحرب حضر اليّ رجل يدعى ناظم بك من جمعية الاتحاد والترقي وكانت امارات اهلتي واضطراب البال بادية على وجهه وقال ان الجمعية تستغرب تبديل بعض الوكلاء (النظار) وتستوضح منكم جليلة هذا الامر الذي حدث من غير ان يكون عندها علم به فاجبته بأن ليس في الأمر ما يوجب كل هذا الاستغراب . وفي اليوم التالي اجتمع مجلس الوكلاء واشتغلنا بروية الامور حسب العادة وزدنا عليها المذاكرة في الاحوال المهمة السياسية واقترح أعضاء الوزارة في الساعة ٢ ونصف (بالحساب العربي) وكانهم على اتفاق تام ولم ينتصف الليل الا ووردت استقالة حسين حلمي باشا من نظارة الداخلية وفي اليوم التالي استقال رفيق بك ناظر العدلية وعقبه ورود استقالة حسين فهمي باشا و يظهر ان استعفاء هؤلاء الوزراء من مناصبهم لم يكن نتيجة اتفاق بينهم اذ لا يعقل ان يكونوا اجتمعوا في تلك الليلة ليتفقوا على الاستقالة لبعدها الثقة بين مساكنتهم التي يحول بينها البحر ولكن كان حسب مشورة ونفوذ رجال الغيب (أي جمعية الاتحاد والترقي) ولقد بذلت المساعي في حمل توفيق باشا ناظر الخارجية على الاستقالة اسوة بزملائه المستقيمين ولكن الرجل رفض الاستقالة غير متأثر بنفوذ أصحاب هذه المساعي . ويروى ان سبب استعفاء الوزراء المشار اليهم هو تبديل وزيرى الحرب والبحر على ان وزير البحرية استقال من تلقاء نفسه وكتاب الاستعفاء الذي رفعه الى الصداقة محفوظ في قلم الاوراق والذي سمي بدلا عنه لم يعين الا بالوكالة فقط . اذن لا وجه البتة للقبيل والقائل في هذه المسئلة . وأما مسألة تعيين علي رضا باشا مندوبا في القطر المصري واقامة ناظم باشا ناظرا للحرية بدلا عنه فساوضحها فيما بعد مقرونة بالاسباب التي اوجبت هذا التبديل

وفي الحقيقة انه لم يكن هناك موجب لاستعفاء النظار الثلاثة كل على حدته وهم

خارج المجلس بل لو كان زملائي النظاراتأوا أثناء المذكرات وهم في المجلس ان تبديل ناظر الحرية مخالف لقواعد الشورى والدستور ومضر بمراقب الدولة لكنت اقدم استقالي في الحال هربا من الوقوع تحت تبعه المهلكة والخطر اللذين كنت أراهما يتخللان تيارات الاحوال الحاضرة . ولكن الحقيقة لم تكن كذلك بل كان القصد من إجبار هؤلاء النظار على الاستقالة (من قبل رجال الغيب) انما هو اظهار الحالة الحاضرة بمظهر الاضطراب وان يعدوا بذلك وسيلة لاحداث الهياج المطلوب في مجلس المبعوثان ولا يوضح الامور التي اوجبت تبديل ناظر الحرية يجب قبل كل شيء ان اذكر الحقيقة الآتية:

كان بعض الفتيان اوذوي الافكار الفنية من المستخدمين الملكيين أو الضباط العسكريين وأصحاب الكلمة النافذة من الذين اتسبوا بعد اعلان القانون الاساسي الى جمعية الاتحاد التي لها الخدمات المشكورة في إعادة الحكم الدستوري جعلوا ديدنهم وضع ادارة الحكومة تحت السيطرة والمراقبة الى أن تتأيد الحكومة الدستورية وذلك خوفا من عودة الاستبداد على زعمهم . على ان جميع العناصر العثمانية قبلت اصول الشورى بكمال الحمد والشكران والسرور واثبتوا انه لم يكن ليوجد بينهم من يريد الرجوع الى الحكم الاستبدادي كما ان الجنود العثمانية كلها اقسمت وتعاهدت على الذود عن أحكام القانون الاساسي فلا موجب والحالة هذه لوضع ادارة الحكومة تحت السيطرة والمراقبة المار ذكرهما . ومع هذه البدايه كانت المداخلات باسم الجمعية في شؤون الحكومة تتوالى وهو الامر الذي اخل بانتظام ادارة الحكومة وعرقل مساعيها جدا ووضع العقبات في سبيل معاملتها وأوجب طروء الضعف على القوة الاجرائية من مداخلات الجمعية التي تألفت في الولايات العثمانية واختل من جراء ذلك امر الضبط والربط والنظام كما ان اتقسام الضباط الذين هم القوة المحركة في الفيالق الثاني والثالث الى قسمين ووقوع الخلاف بين الذين ينتسبون الى الجمعية والذين لا ينتمون اليها أدى الى الإخلال بالنظام العسكري

ولا يخفى انه بمقدار ما تراعى فيالقنا النظام العسكري ويكون جنودها يدا واحدة في اتحادهم بما يشبه الجسم الواحد بمقدار ذلك يكون التأثير في الاعداء وتنكسر

شرتهم وبعكس ذلك يتحرأ العدو على تجاوز حده ويتمرد ويطغى ومن جهة ثانية لا يعود في قدرة الجيش قمع الفتن الداخلية فلذلك كله كان الواجب على الضباط ان يتجنبوا الاشتغال بالسياسة وان يتعمدوا عنها وان يراعوا سلسلة المراتب حسب ما نص عليه القانون ولكن بدلا عن ذلك صار الضباط يلقون الخطب السياسية في الملاهي « قونسر » والاجتماعات والمظاهرات وانشأوا يقيمون المناورات الحربية والاستعراضات العسكرية في المراسح فكنت ترى فرق الجند العثماني تمر بأسلحتها وضباطها من امام المتفرجين في مراسح التشخيص وهو مما يحط بالشرف العسكري وكل ذلك كان منشؤه ضعف ارادة علي رضا باشا ناظر الحربية المطلوب منه حسب وظيفته منع كل هاته الامور المحلة بنظام الجيش والذي لم يكن ليقدر على تنفيذ أوامره وتنبهاته بإزاء نفوذ كلمة الضباط المنتسبين للجمعية . على اني اشهد أن علي رضا باشا رجل على غاية من الاستقامة والحلم ولكنه غير قادر على الوقوف امام حركة الضباط التي اخلت بنظام الجيش كما مر ذكره آنفا فحفظا لشرف الجيش واعادة النظام والانتظام الى صفوفه تقرر تعيين ناظم باشا قائد الفيلق الثاني الذي اثبت اقتداره باصلاح الفيلق المذكور واعادة النظام اليه في مدة لا تزيد عن الشهرين ناظرا للحربية وبودر في الحال لانفاذ هذا القرار وهو الوسيلة الوحيدة لسلامة الامة والوطن ولكن جمعية الأتحاد والترقي التي لا تريد الا استبقاء نفوذها اجبرت زملائي الوكلاء «النظار» على الاستعفاء واخذت مجلس المبعوثان تحت امرها وبذلك اعدت الوسائل اللازمة لإسقاط وزارتي . وهنا يجب ان اسرد بعض امور حدثت قبل سقوطي وكانت مقدمة لإثارة الافكار ضدي فكانت السبب في انهال الجمعية مني واليك الأسباب

كنت من زمن حدوث الانقلاب اروج بقدر الامكان وازمان اقتراحات من كان يرجعني بصفته عضوا في الجمعية واستمر الحال كذلك الى ان حضر ليلة الى منزلي « بذلك قبل افتتاح مجلس المبعوثان باسبوعين » البكاشي اسمعيل حتي بات و معه رحمي بك الذي يدعي انه قائم مقام الوكيل السيامي عن الجمعية وقال ان

(المارچ ۳) (۲۹) (المجلد الثاني عشر)

الجمعية لا تدخر وسعا في اكرام اعضاء اللجنة البلقانية الانكليزية المؤسسة في لندره الذين حضروا اخيرا الى الاستانة وانه صار دعوتهم لوليمة عشاء يحضرونها نهار غد في منزلي !! فقلت لهم اني اجهل وصول هؤلاء الاعضاء الى الاستانة ولا اعلم مركزهم ومنزلتهم في بلادهم لعدم ورود شيء يعرفني عن ذلك لامن سفير الدولة في لندره ولا من سفير انكلترا هنا فاستغرب دعوتكم لاشخاص لا معرفة لي بهم ، ولم يسبق المقابلة معهم ، الى تناول العشاء في منزلي من غير ان يكون عندي علم بذلك كأنكم تدعونهم الى فندق وهو أمر لا استصوبه لعدم موافقته للاصول بل يجب ان اتعرف بهم قبل كل شيء واقابلهم و بعد ذلك أعد لهم الوليمة في يوم معين احتد اسماعيل حقي بك ورفيقاه من كلامي هذا وخرجا من المنزل وذهبا في الساعة الرابعة من الليلة المذكورة نفسها الى القصر السلطاني وقابلا احد قرناء الحضرة السلطانية وقالاه : « اعرض الآن لحضرة السلطان ان يسترجع الختم السلطاني من الصدر الاعظم » أي ان يعزله « والا نذهب غداً بالقوة العسكرية الى الباب العالي ونخرجه منها قسرا على أنه قد تقرر أن يعزل في أول اجتماع من مجلس المبعوثان » فقال هذا الكلام القرين فأجابهم قائلا : « وما السبب في ذلك ؟ اني لا استطيع عرض هذه المسألة على جلالتة في مثل هذا الوقت فالاحسن أن تحضرا غدا لنفهم ما في الامر ونعرضه على الحضرة السلطانية . »

وعلى ذلك ذهبا وعادا في اليوم التالي وبرفتها ضابط آخر واجتمعت بهم بدعوة خصوصية حسب الارادة السنية الصادرة لي وكان معنا أحد القرناء فسألهم من قبل من أرسلوا ؟ فقالوا انهم حضروا من قبل الجمعية . فقلت لهم هل الجمعية راضية عن مراجعتكم للحضرة السلطانية في مثل هذا الطلب ؟! اجابوا نعم ان الجمعية توافق على كل ما نعمله . عند ذلك اعدت ما قلته لهم في الليل من عدم موافقة اقتراحهم في مسألة الدعوة وزدت عليه ان عزل الصدر الاعظم بلا سبب ودون ان يستقيل هو مغل بما نصه القانون الاساسي وان خدمتي الآن في هذا الزمن المحفوف بالمخاطر ليس الاقادياني في حب الوطن وليس لأجل التفاخر ولا لجر منفعة . قلت هذا الكلام بشدة واشتمزاز قماموا وانصرفوا من غير ان يفوهوا ولا بكلمة

وبعد ذلك صدرت ادارة سنية تبلغتها بالواسطة بوجوب دعوة اعضاء اللجنة البلقانية المذكورة الى الشاي بعد حصول التعارف بهم وصادف أن حضر الاعضاء الموما اليهم الى الباب العالي حيث زاروني وكان عددهم اثني عشر بين ذكور واثنا عشر فدعوتهم لتناول العشاء في اليوم التالي عندي حيث حضروا هذه المأدبة كما حضرها ايضا بعض اعضاء جمعية الاتحاد والترقي فكان عدد الجميع ٢٤ مدعوا ما عدا رحمي بك الذي لم يثأ أن يحضرها

واللجنة البلقانية هذه كانت تألفت من بعض وجوه ومعتبري الانكليز بقصد انساني ألا وهو تذكير الحكومة الانكليزية بحماية السكان البلغاريين من أهالي مقدونية من مظالم العثمانيين وقد طاف بعض اعضائها القطر المقدوني بعد الانقلاب ليتحققوا بأنفسهم عما اذا كان البلغاريون لا يزالون في حاجة الى الحماية الاجنبية ثم حضروا الى الاستانة وقد قصدت جمعيتنا باكرام هؤلاء الاعضاء أن تقيم اللجنة لهم على الاخوة التي حصلت بين المسلمين والبلغار وان تكسب بذلك رضا اللجنة المذكورة وتحوز بواسطتها انعطاف الامة الانكليزية على ان الامة العثمانية كانت قد اكتسبت حسن نظر وانعطاف الشعب الانكليزي العظيم بما أظهرته عقب انقلابنا السعيد من الاستعداد لادارة دستورية سالمة

وهنا يجب عليّ أن اترك الحكم الى أرباب الفكر والاذعان في مسئلة الذهاب الى القصر السلطاني وطلب اسقاط الوزارة من أجل اني رفضت طلب دعوة أشخاص الى منزل صدر اعظم بدون اذنه ولم يسبق التعارف بهم مما هو مخالف لاصول وآداب المعاشرة ولائي قابلت هذا الطلب الغريب بصورة معقولة وهذا أمر جدير بتوجيه الانظار اليه

لذلك صرفت الجمعية كثيرا من المساعي لاسقاط الوزارة عقب انعقاد مجلس المبعوثان ولكنها اخفقت امام ميل الرأي العام الطبيعي ولما رأت الجمعية ذلك وعلمت أن لا قبل لها بالوقوف امام الرأي العام أوفدت من قبلها طلعت بك بك وانور بك فحضرا اليّ ليلة وأبلغاني بأنه قرر أن يكون السير حسب رأي فشكرتهم

على قرارهم هذا وقلت لهم اننا كلنا جسم واحد فيجب أن نسعى معا في سبيل خدمة
الامة والدولة .

مضى ١٥ يوما على ذلك فصادف ان احتفلت فرقة الأحرار في عيد مضي ٦١٠
سنوات على استقلال الدولة العثمانية فدعيت الوزارة أيضا الى المأدبة التي أقيمت
لأول مرة في (برا بالاس) فرأيت ان أحضر هذا الاحتفال احتراماً لذلك اليوم
المقدس فلم يرق ذلك في نظر الجمعية فأوفدت إلي احمد رضا بك في اليوم التالي
فاشار في كلامه معي الى عدم استحسان ذهابي الى الحفلة المذكورة فقلت له اني
بصفتي رئيس الوكلاء (النظار) يجب علي أن احضر الاحتفالات التي تقام من قبل
أي حزب كان تذكارا لثمل هذه الاعياد الوطنية المقدسة ، وان
هذا امر طبيعي . فزاد كلامي هذا في موجدة الجمعية علي وجدد حزازاتها وصارت
تنتظر الفرصة لاسقاطي حتي تقرر تعيين رجل نشيط نادر المثال مثل ناظم باشا في
منصب نظارة الحرية وعلمت الجمعية ان النظام العسكري سيعود قريبا الى ربوع
الجيش بواسطة الناظر الجديد فلم يرق في نظرها ذلك فأحدثت الهياج المار ذكره .
على ان التخلص من هذه الازمات الخطرة والرجوع الى الحالة الطبيعية مع
توقي الضرر والمهلكة هو من وظائف الحكومة المسؤولة امام العموم والحيولة بين
الحكومة وبين اداء هذه الوظيفة هو بمعنى الرضا بالهلكة وقبولها . واذا كانت
الحكومة العثمانية لا تستند الى مجلس نيابي يحوز اعضاؤه على حرية الفكر فانه
لا يمكن الوقوف امام المخاطر والمهلك الآتية . واذا أصرت الجمعية على التمسك
بتيار نفوذها هذا واستمرت في السير معه فالنتيجة تكون مجهولة بسبب مضادة الرأي
العام للسير على النوال المذكور وذهاب الضباط وامراء الجند مذاهب شتى

على ان الحكومة العثمانية تقرب شيئا فشيئا من مستلتين سياسيتين مهمتين إذا لم تنحسما
بالطرق الحكيمة الضرورية في زمن غير بعيد يخشى من أن تجد الدولة نفسها أمام
غائلة كبيرة . الاولى مشكلة كريد وقد كانت الحكومة وقتئذ اتخذت الوسائل اللازمة
التي توصل الى حلها حلاً يوافق مصالح الدولة العثمانية واهالي الجزيرة وهو جدير بمواقفة

الدول الاربع الحامية لكريد . ولا أدري بالنظر الى الحالة الحاضرة في أي طور
ستدخل هذه المسئلة المهمة الآن

واما الثانية وهي المسئلة البلقانية فهي أهم من مسئلة كريد وقد زاد مركزنا اشكالا
فيها تضارب المصالح السياسية بين الروسية والنمسا في هذه الآونة فاذا لم يحكم مركزنا
هذا في الوقت اللازم باستعمال الوسائل الرشيدة كانت العاقبة وخيمة جدا علينا
ولا ينبغي أن نقوة أساس كل شيء فاذا كان ناظر خارجية إحدى الدول لم
يشأ قبول اقتراح سفير دولة أخرى كان من الواجب أن يظهر لمان ٣٠٠ الف
حربة وراء ذلك الناظر مستعدة لنصرتة كما قاله البرنس ميترنيخ «ناظر خارجية النمسا
السابق» لرفضت باشا مندوب الدولة العثمانية السامي ولو كان عندنا في شهر اوغسطس
الماضي قوة مهيأة مجهزة للدفاع عن مرافقنا في الروم ايلي لما كانت بلغاريا تجرأت على
اعلان استقلالها ولما اقدمت النمسا على ضم البوسنة والهرسك لبلادها وهذا الحال
يمكن تطبيقه في المستقبل فاذا اهلته قوانا الحربية كما كانت اهلته من قبل لا تتمكن
الدولة من الوقوف في وجه الاعداء وتخرج بلاد الدولة العثمانية قطرا بعد قطر من
يدها وهذا ثابت بدليل حدوث أمثاله مرارا لذا رأيت تعيين ناظم باشا المشهور بقدرته
على اصلاح جيشنا في بضعة شهور ناظراً للحربية امر ضروريا ليتمكن الاصلاح في
مدة قليلة قبل فوات الوقت. أفلا بعد الوقوف في سبيل الحكومة لمنها من اصلاح
كهذا ضارا ومروجا لمقاصد الذين يرجحون اغراضهم الشخصية على مصالح الدولة
إن اعلان الدستور الذي كان نتيجة مساع عظيمة صرفت في هذه السبيل
اكسب الدولة انعطاف اور باعلها واطمئنانها اليها والثقة بها فاخذ أصحاب رهوس
الاموال يوفدون وكلاءهم الى الأستانة والبعض منهم حضر بنفسه للقيام بالمشروعات
المفيدة الاقتصادية النافعة للبلاد مثل انشاء الخطوط الحديدية وارواء الاراضي من
الانهار واستثمار المناجم والمعادن وتجهيف المستنقعات والبرك مما يستنزى بذل الملايين
في البلاد العثمانية وبذلك يجد المهوزون والفقراء من سكان البلاد الذين كثيرا ما
يلجأون بسبب ضيق ذات اليد الى ارتكاب المحرمات شغلا بأجر وفيهم يوفروهم أسباب
المعيشة ويكفي الحكومة مؤنة الاهتمام بهم وبجرائهم المضرة بالسكان والبلاد

الناشئة عن الفقر والاحتياج . ولكن اختلال النظام في المملكة العثماني من تغير شكل الحكومة ودخول ادارة السلطنة تحت نفوذ جمعية غير مسئولة مما لم يحصل مثيله في الممالك المتمدنة استوجب بكل اسف انسلاب ثقة اوربا وعدول ارباب رؤوس الاموال من الغربيين عن ارسال ملايينهم الى البلاد العثمانية انتظارا لرجوع المياه الى مجاريها الطبيعية واستتباب الامن في البلاد تحت إدارة حكومة شرعية يرتاح اليها ارباب الاموال وقد كنا آملين ان تساعد زيادة الايرادات المتظر حصولها من المشروعات الاقتصادية المار ذكرها ومن احتكار بعض البضائع التجارية الواردة في البروتوكول العثماني النمساوي وتزيد رسم الجمارك على سد العجز الذي في الميزانية العمومية

وأما الآن فان المرء يتساءل كيف يمكن للدولة ان تقوم بادارة حركتها مع نقص الملايين في ميزانيتها ومع عدم وجود الامل في زيادة الايرادات بالنظر لامتناع ارباب الاموال عن انفاذ المشروعات الاقتصادية في المملكة واخلال ان الدول لا ترضى بسبب حالتنا هذه بزيادة رسم الجمارك وترويج اقراح الدولة في مسألة الاحتكار خصوصا وان الحكومة مضطرة لإعاشة اكثر من ٢٥٠ الف جندي في هذا الزمن السلمي ولا نستطيع تخفيض هذا العدد بسبب القلاقل الضاربة اطنابها في المملكة ووقدان الامن في انحاءها وعدم مساعدة احوال الدولة المالية لانفاق كل هذه المبالغ بصورة دائمة وليس في الامكان مع الحال الحاضرة ايجاد منابع ايراد لها كل هذا يجعل المرء في حيرة من حالة الدولة وكيفه ادارتها مع ماهي عليه من التضعضع المالي . ولو زال هذا الارتباك وحل محله النظام وعادت المياه الى مجاريها الطبيعية لاستتب الامن والراحة في المملكة . ويمكن حينئذ صرف عدد كبير من الجند وادارة ما بقي منه ضمن دائرة الميزانية كما ان الجنود التي لازوم لها تنصرف الى الاشتغال بالزراعة والفلاحة في بلادها فيزيد بذلك المحصول في المملكة ولكن هذه الملاحظات بعيدة جدا على ما أرى عن النظر والامعان كان قد ذكر على الألسن في الايام التي دعيت فيها الى الذهاب لمجلس المبهوثان اشاعة الخلع (أي خلع السلطان) فقد انصل بنا خبر من هذا القبيل عند ما كنا

ناظر الداخلية ملازما فباشه من مرض أصابه وقد صار حينئذ أتخاذ كل الطرق اللازمة لمعرفة ما اذا كانت هذه الاشاعة حقيقية أم هي فرية من المفتريات التي نشرت في الجرائد الاوربية وفي ذلك الوقت نفسه أشيعت أرجوفة أخرى بأنني أنوأنظم باشا نريد إعادة الحكم الاستبدادي وأرسل بعض ضباط الفيلق الثاني والثالث رسائل برقية إلى بعض البلاد في المعنى المذكور واستدلوا على ذلك بطلب إعادة توأير الصيادة الى الفيلق الثالث على ان لأصل البتة لكل ما قيل من هذا القبيل والحقيقة هي ان السكان المسلمين الذين هالم خبر تسليح الحكومة اليونانية للأروام القاطنين قرب الحدود في ولاية يانيا قد طلبوا من الحكومة ارسال أربعة توأير في أسرع ما يمكن كما انه قد وردت برقيات من أهالي تلك الجهات الى نوابهم في مجلس المبعوثان في هذا المعنى نفسه وزادوا على ذلك أن أهالي (قاقانندن) تسلحوا واجتمعوا وانهم مستعدون للقيام بما يجب عمله اذا لم تحضر الجنود في الحال فبناء عليه صدر الأمر الى نظارة الحربية بوجوب ارسال اربعة توأير من الفيلق الثالث الى يانيا وانه اذا لوحظ ان أخذ اربعة توأير من الفيلق المذكور يؤدي الى إضعاف قواه العمومية — خصوصا وان كثيرا من جنده كان قد أرسل طاشليجه لتقوية الحدود الصربية لقاء هياج الصربيين وقتئذ — فلا بأس من إعادة التوأير التابعة للفيلق الثالث والمرابطين الآن في الاستانة . هذا هو الأمر الصادر الى نظارة الحربية وقد أجاب ناظم باشا عليه قائلا ان الفيلق الثالث أجاب بأنه لا يمكن أخذ جند فوق ما أخذ قبلا من قوى فوق الفيلق وان المسألة انحسرت بتدابير أخرى بلا حاجة إلى إرسال الجند الى يانيا

بقي علي أن اشرح بعض تقطفي مسألة رغبتنا في إعادة الحكم الاستبدادي فاقول: إنني عندما كنت صدرا أعظم للمرة الثانية قبل ١٤ سنة وجدت تغيرا عظيما في أصول الإدارة ورأيت أن نتيجة شكل الإدارة على هذا النمط سيكون وبالاعلى الدولة . فرفعت في الحال تقريرا مفصلا الى الحضرة السلطانية وطلبت من جلالها أن تسلم الإدارة هيئة عمومية تكون مسئولة أمام العموم وأن تستريح من عناء الاعمال فقبلت الحضرة السلطانية كل ما عرضته وصدرت الارادة السنية بتأليف الوزارة

حسبما ورد في التقرير الآنف الذكر . ولكن لم يمض يومان الا وصار فصلي بصورة غريبة من الصدارة بناء على افساد بعض المقرين الذين يرجحون منافعهم الشخصية على صوايح الوطن والامة وعينت واليا على حلب بمرار من مجلس الوكلاء (النظار) ثم نفيت الى ازمير فبقيت هناك ١٢ سنة وأنا اذوق الامر من الفسدة الذين سلطوا علي عن قصد . وفي النهاية صدر الامر بنفي الى رودس حسب تسويلات اصحاب المآرب

كل هذا يعرفه الجمهور كما يعرف كيفية خلاصي من النفي المؤبد الاخير الى رودس وحضوري الى الاستانة . ولو فدى اخلافي قليلا من مصالحهم في سبيل صالح الوطن وساروا على الطريق الوطني الذي سرت عليه أنا لما دامت الادارة السابقة ودام معها تخريب البلاد

وأما اتهام ناظم باشا مني بانه يريد اعادة الحكم الاستبدادي فيكفي لدحض ما قيل فيه أن أقول إن الرجل نفي الى ارزنيجان لسبب طفيف بعد أن جرد من رتبته وألقاه وأهني في غيابة السجن وقضي على هذا الحال سبع سنوات هناك وهو لا يملك بارة واحدة وعائلته واولاده يئنون تحت أثقال الجوع والفقر ولم يعد الى الاستانة الا بعد اعلان الدستور مما ثبت أن ما أشيع في حقنا نحن الاثنين كذب واقتراء شنيع

اني لم أقبل منصب الصدارة الذي اسندته الحضرة السلطانية إلي وأنا في هذا السن عقب اعلان الدستور وفي زمن سخط الرأي العام على الادارة السابقة وتهيجه الا تهديئة الافكار التي بلغت متهى التهيج والقيام بما يجب علي حسب الحمية الوطنية من المساعدة على تأسيس الحكم الدستوري مستعينا على ذلك بتوفيقات الله الصمدانية ولم يكن لي ارب في حيازة المناصب قط . واني أتني لأخلافي أن يؤدوا الخدمات النافعة للوطن المقدس والامة والدولة وهم بهيدون عن كل تأثير ونفوذ واختم كلامي بتحويل قرار عدم الثقة بي الصادر من مجلس المبعوثان وتقديره على الرأي العام العادل

الصدر الاعظم السابق

كامل

الدستور وجمعية الاتحاد والترقي

﴿ وسائر الجمعيات ﴾

أعلن الدستور العثماني منذ بضعة أشهر ففتننا له مع الهاتقين ، ورحبنا به مع المرحيين ، وهما به سرورا وشفقا ، وملأنا ديار مصر وسورية مقالات فيه وخطبا ، ولكن سرورنا به لم يكن سالما من كل شائبة ، ورجاءنا فيه لم يكن خلوا من كل مخافة ، فقد أودعنا المقالة الأولى التي أنشأناها في الاسبوع الأول من اعلان الدستور ترحيبا به هذه الجمل (راجع ص ۱۷ م ۱۱)

۱ - فالواجب على هذه الجمعيات المدبرة ، والقوى المنفذة ، ان تكفل الدستور الذي نالته الامة حتى تأمن عليه من دسائس اعوان الاستبداد ، الذين قاموا بتنظيم حكومة الجواسيس أعظم قيام ، وأول عمل يجب عليها هو السعي لإبعاد اعوان الاستبداد عن دار السلطنة - لاعن دار السلطان فقط - ومحاكمة من يمكن ان يسترد منهم العدل ، ما وهبهم الجور والظلم ، وتشكيل وزارة حرة تقوم بأعباء السلطنة ، وتنقي الولاة والمتصرفين والقضاة ورؤساء العدلية من اخيار الأحرار ، الذين يرجى ان تصلح بهم الادارة ويستقيم القضاء ، ويحفظ الامن ، ويستقر العدل ، لتندفع الامة الى الاعمال النافعة في ظل الدستور الظليل ، ثم العناية بأمر انتخاب النواب الخ . . .

۲ - إذا نحن كفينا شر المستبدين الاولين ، ونننا وزارة من الاحرار المستقلين ، فالواجب علينا ان نقف عند هذا الحد من المطالب في العاصمة وأن تعود السيوف إلى أعمادها ، وتنصرف الضباط الى سابق شأنها ، مع احكام الروابط الخفية ، بينها وبين الجمعيات السياسية ، ويتوجه الاحرار الى إصلاح حال المملكة ، بجميع الوسائل الممكنة ، والحدو والحدو ، من عواقب نشوة الظفر ، الحدو والحدو

من إهانة شخص السلطان ، والتسلى إلى عرشه بالبغي والعدوان ، فإدام السلطان مستويا على عرشه فهو رئيس الأمة ومرجع سلطتها ، ومنفذ قوانينها وشريعتها ، والوزارة هي الواسطة بينها وبينه ، فاعتماد المرءوس على الرئيس بإدلال القوة ، دون القانون والشريعة ، مجلبة للفوضى ومدعاة للخلل ، ويخشى في مثل الحال التي نحن فيها ان يفضي إلى الخطر « الخ

٣ - « ان افصل ما نفاخر به الآن هو اننا نلنا الدستور من غير اراقة للدماء ولا إيقاع للبلاد في فوضى الثورة ، ولا غير ذلك مما يذم ويكره ، فيجب أن نحافظ على هذه الفضيلة ، وان لا نرتكب في طلب الفرع ، ما عصمنا الله في طلب الاصل ، عسى ان يكون تاريخنا في هذا الطور انظف من تاريخ جيراننا فيه »

٤ - « إن امامنا عقبات كثيرة منها ما يتوقع من مقاومة بعض الحكام الظالمين للحرية التي يرقص لها طلاب الدستور طربا ، ويهيمون بها شغفاء ، ومنها ما هو اقرب الى الوقوع كالنزاع بين الاحرار المستقلين ، وبين المتعصين والمقلدين ، ومنها مسألة تكون الجنسية العثمانية ، وما يقع في طريقها من جنسيات الشعوب التي تألف منها جسم الدولة العلية ، »

٥ - « الحق أقول : إنه لا يخشى علينا من سلب الحرية ، وإنما يخشى علينا من سوء استعمال الحرية ، ومن الجهل بطرق المحافظة على الحرية ، : يخشى أن تدفع الحمية بعض الأحرار الظافرين ، الى مثل عمل المستبدين ، وان تهبط العبودية الموروثة بكثير من الجاهلين ، الى ان يكونوا عوناً على انفسهم للحكام الظالمين . » هذا بعض ما كتبناه في حال السرور باعلان الدستور في الاسبوع الأول من إعلانه وقد وقع جميع ما توقعناه وخفناه

اخذت جمعية الاتحاد والترقي على نفسها كفالة الدستور وحفظه فألفت لها لجانا واحداثت لها شعبا في جميع بلاد السلطنة ، وأبعدت أعوان السلطان عنه وسعت في محاكمة بعض المعروفين بالظلم منهم ، وتداخلت في انتقاء الحكام والعمال واتخاب المبعوثين اتدبت للقيام بكل ما قلنا انه لازم واجب - لا لأننا قلنا بل لأنها تعلم ما علمنا - ولكنها لم تحسن العمل في كل ما تشبثت فتم سرورنا بعمالها

سافرنا الى الديار السورية ووزرنا اهم مدن الولايتين وراينا تصرف جمعية الأتحاد والترقي فيها وما كان من عمل «اللجنة» المرخصة التي ارسلتها من سلانيك . فرأينا خلاا وخطلا وسوء تصرف كنا نعتذر عنه للناقين عليها ، حتى انه لم يوجد لها من دافم عنها كما دافعنا ، وليس تفصيل تصرفها في سورية من موضوع هذا المقال الذي وضع لبيان الحال العامة .

ثم عدنا الى هذه البلاد التي يعرف من فيها ما لا يتيسر عرفانه لمن في سورية فسمعنا ممن كانوا في الاستانة من العثمانيين الأحرار ومن غيرهم أمورا متقدمة فوق ما كنا نعلم بل رأينا أكثر العثمانيين لاسيا الترك متغيرين عليها . وانا نذكر مجموع ما ينتقده عليها الناس في مصر وسورية في موضوع مطالبنا التي اشرفنا اليها آنفا وهو (١) ان سلوك الجمعية مع أعوان الاستبداد لم يكن سلوك من يريد القضاء على الاستبداد بازالته نفوذ أهله وإخضاعهم للدستور بل سلوك من اغتم الفرصة للاستفادة منهم فقد كانت تأخذ المبالغ الكبيرة منهم وتدعهم وشأنهم او تضمهم اليها وقد حدثت الثقات من أهل الشام ان اللجنة المرخصة التي ذهبت لاجل التحقيق في الحادثة التي جرت لي في آخر شهر رمضان قد أخذت مبلغا عظيما من النقود باسم الاعانة للجمعية من رؤساء الفتنة وزعماء الاستبداد الذين بلغ من جنونهم في محاربة الدستور أنهم تحدثوا بنصب خليفة في الشام يبايعونه ويقاومون به الحكومة الدستورية (٢) انها لم تحسن في انتقاء العمال والحكام فقد ساعدت كثيرين من أعوان الاستبداد حتى على الترقي في الوظائف وأهملت شأن كثير من الأحرار والمجربين . وقد كان اكبر رجاء لي في حكومتنا الجديدة الانصاف في اختيار الموظفين من الاكفاء لاسيا المجربين في مثل مصر . ويتهمون الجمعية بأنها كانت تبيع الوظائف العالية بالمال ، والله أعلم بحقيقة الحال .

(٣) انها جعلت هم لجانها في جميع البلاد النفوذ في الحكومة لا مجرد المراقبة عليها لتلا تخرج عن القوانين ولا مساعدتها على حفظ الأمن الذي اختل بعد إعلان الدستور في جميع الولايات كل ولاية بحسب درجتها في الأخلاق وحال الاجتماع (٤) — انها لم تحسن الاتقاء والاختيار في تأليف شعبها ولجانها فأدخات فيها كثيرا

من المتقهرين أو الرجعيين وعادت آخرين . وظهر في بعض لجانها التعصب للجنس التركي حتي كان يكون الاعضاء من الترك هم أصحاب الشأن ومن معهم من غيرهم كالات . وقد سمت كثيرا من الشكوى في ذلك فكنت أدافع بالتي هي أحسن (٥) حمل الضباط في جميع البلاد على الاستقلال بالسياسة وجعل نفوذهم هو الأعلى في لجان الجمعية وهذا خطر على الدولة كان يجب التشديد في منعه ، والاكتفاء بأن يكون بين الجمعية وبين الضباط صلة خفية كما قلنا وانصراف كل الى عمله : الضباط الى العمل العسكري المحض الذي لا شائبة فيه للسياسة والجمعية لمراقبة سير الدستور من غير مشاركة للضباط في ذلك . فان ظهرت قوة تسمى لإلغاء الدستور وإبطال مجلس الامة أو الاستبداد والظلم جاز حينئذ استنجد الجمعية بالضباط لمقاومة ذلك . وانه لا يختلف عاقلان من علماء الاجتماع في وجوب منع الضباط من الاشتغال بالسياسة والادارة حتي اذا ابوا أخرجوا من الجيش وفي كون الجند الذي يدخل في الثورة يكون خطرا على الامة فاذا لم يتيسر استصلاحه حالا وجب إخراجه من الجندية أو قتله (٦) نصر فها مع السلطان . انتقد عليها شي ، منه لا يجب الخوض فيه ولكننا نقول إن الذين يرون ان السلطان هو روح الحركة التي وجهت في هذه الايام الى اسقاط الجمعية يقولون لولا أنها أخرجته لما كان شيء من ذلك

(٧) سيرتها في حمل الناس على انتخاب المبعوثين : رأيت بعيني بعض ذلك في طرابلس الشام وقد كنت أدافع عن الجمعية بقدر الامكان لئلا تشتد الفتنة ويستشري الفساد .

(٨) طريقه تأييد نفوذ الجمعية في « مجلس المبعوثان » بما كاد يكون مهددا لسائر الاعضاء سائبا لاستقلالهم

(٩) اتهمت الجمعية أيضا بالتعصب للجنسية التركية وينقلون عنها أمورا كثيرة في ذلك وهو أخوف ما نخافه على مستقبل الدولة وربما شرحنا ذلك في مقال خاص (١٠) العبث باستقلال الوزارة بحيث كانت الجمعية مانعة من وجود وزارة

مستقلة مسئولة امام مجلس الامة وحده عن عملها

(١١) الجهل بمداواة الشعور الديني في الامة فقد أظهر بعض أعضائها

المشهورين أمورا منكورة في نظر الدين جمعت لأعدادها مجالا واسعا للتفكير منها . وقد اعترفت هي اليوم بهذا التقصير

(۱۲) ظهورها بمظهر السلطة المستبدة غير المسئولة حتى صرت تسمع من العثماني الحر والمتقهر ومن الاجنبي المتطرف والمعتدل هذه الكلمة التي اذاعتها الجرائد: ان جمعية الأتحاد والترقي قد أزالستبدا المايين وأدالت منه استبدادها هي . وتفرع عن هذه الكلمة كلام كثير منه قول الكثيرين ان استبداد السلطان ابن السلطان ابن السلطان أهون علينا من استبداد أوشاب من الناس لا يعرفون فان السلطان أشرف منهم والذل له أقل عارا من الذل لهم وإرضاءه أسهل من إرضائهم لأنه شخص واحد يمكن ان يعرف ما يرضيه ولا يعرف ما يرضي هؤلاء الكثيرين هذا مجمل ما خطر في بالنا الآن من أقوال الناس في جمعية الأتحاد والترقي بعد ذلك الاجماع على الثناء عليها في أول العهد باعلان الدستور قبل يعقل ان يكون كله كذبا واختراعا من الجماهير المتفرقين في ولايات وممالك كثيرة ؟ وإلا فما سبب شيوعه والتهيج به في البلاد والممالك ؟

لم يحصل بعد الدستور شيء من السلطة لمحمد الأهدوء الاستانة وحسن السير في حل مشكلتي البوسنة والبلغار . كان الفضل الأكبر في ذلك الكامل باشا ولكن الجمعية لم تلبث ان اسقطت كاملا من كرمي الصدارة وغيرت وزارته لأنه كان معارضا لنفوذها الفعلي في الحكومة فانتقدت سياسة أوربا بهذا العمل وعدوه استبدادا من الجمعية في الحكومة وقال بمثل قولهم كثير من في الدولة لانهم لم يصدقوا انه كان مضادا للدستور كما ادعت ثم قتل حسن بك فهمي رئيس تحرير جريدة سرستي عميلة ففهم السواد الاعظم في الاستانة وغيرها ان الجمعية هي التي انقذته لأنه كان ينتقد أعمالها فانتقد السخط عليها وانفجر بركانه وكان بعض أعضاء الجمعية اقتبح في مجلس الأمة تعديدا حرية الطبوعات ونشر في أثناء ذلك مقال كامل باشا الذي بن فيه سبب إسقاط الجمعية لوزارته وما كان من شأنه وشأنها قبل ذلك ولم تحسن الجمعية التصرف في شأن حادثة قتل حسن فهمي الذي عد قتيلا للحرية الشخصية واستقلال الفكر ففكرت الاستانة على الجمعية وكان انداء الثورة يوم دفن حسن فهمي فسقطت وزارة حسن فهمي في ذلك اليوم

وزارة الجمعية بعد ان أهين لمروره بمركبته من حيث تشيع الجنازة وعدم حضورها تبعاً لزعماء الجمعية الذين لم يحضروها . وفر أعضاء الجمعية هاربين من الاستانة وقتل كثيرون من البرآء، وجرح آخرون ودمرت اندية الجمعية وادارات بعض جرائدها واستحوذ الرعب على أهل العاصمة وخافوا من سوء الماقبة

سواء صح ما قيل في الجمعية كله أم صح بعضه فان حسنتها التي لا ينازعها فيها أحد هي انها هي التي أخذت الدستور باليمين فلا تهبه بالشمال فهي أحرص على حفظه وبقائه من جميع العثمانيين . وهو الآن كالطفل يحتاج الى تربية وكفالة، وله أعداء فيحتاج الى دفاع وحماية ، فاذا قيل إن الحكومة المسؤولة ومجلس الامة يقومان بتربيته ، فهل يستطيع أحد ان ينكر اختصاص الجمعية بالقدرة على كفالته ، وهل جاءتها هذه القدرة إلا من الجيش ؟

إذا لا بد من بقاء الجمعية ولا بد من بقاء صلتها بالجيش ولكن لا يجوز بحال أن تتداخل في أعمال الحكومة ولا ان تعبت بحرية المجلس ولا ان تدع ضباط الجيش يشتغلون بالسياسة ولا ان تقاوم من يخالفها في الرأي بالقوة ولا حاجة بها الى ذلك في حماية الدستور ولكن قد يشتهر رجال من الجمعية لأنه من تمتع القادر المنصور لا يوجد في البلاد قوة يمكن ان تقف في طريق الجمعية إلا قوة السلطان في العاصمة وقوة عصابات، الأشقياء في بعض الولايات فاما العصابات فيمكن تذليلها بالقوة ولو بعد حين وأما السلطان فانه بنفوذه المعنوي المصبوغ بلون الدين وبأعوانه الكثيرين وبماله الكثير وبدهائه العظيم يمكنه في كل وقت ان يعمل عملاً كبيراً فهو أخوف ما يخاف على الدستور اذا لم يخلص له والناس فيه رأيان أحدهما إن إزالته من امام الدستور ضرورية فان خطره دائم بدوامه ، والثانيها أنه يمكن أن يؤمن خطره بأموار ترضيه كلها ترجع الى ان يرى ما صار اليه خيراً مما كان فيه ، لأنهم يفتنون بتأمينه على نفسه ومنصبه ونظامي جرح وجدانه ولو مع إبعاد رجاله المدبرين فقد يفتنون به عنه ولكن الجمعية جرحته جروحاً نفاية وأخرجت من قصره الحرم من الجرحين الذين ويظن ان حياته متوقفة عليه فهل تطيب لها بعد ذلك نفسه ، ه تطيب ان تتركه أم لا بد له من الكيد لها ، والسعي للانتقام منها ؟

الجمعية المحمدية

واقننا انباء الاستانة وأنا في سورية بأنه قد ظهر فيها جمعية جديدة سميت بالجمعية المحمدية غرضها المطالبة بالحكم بالشريعة وتطبيق القوانين عليها فما وجدتني مرتاحا لهذا النبا على اني قد وقفت نفسي على الدعوة الى الاسلام والدفاع عنه والتوفيق بين أحكامه ومصالح البشر في كل طور من أطوارهم مهما ارتقت. وما ذاك الا لأنني خفت أن يكون الغرض الباطن منها محاربة الدستور باسم الدين، كما ان نفسي لم تكن مرتاحة للجمعية الاخاء العربي - وأنا من صميم العرب - لأنني خشيت ان تكون مفرقة بين العرب والترك ومحركة للعصية الجنسية التي أخاف على الدولة شرها وكنفت أصرح برأيي بذلك في كل محفل ومقام

سألني الأمير شكيب أرسلان عن رأيي في الجمعية المحمدية ونحن في ملاء بنادي الاتحاد العثماني بيروت قهلت إن خوفي منها غالب على رجائي فيها فان كانت تطالب مجلس الأمة بأن يأخذوا قوانين الدولة كلها من كتب الحنفية بالشروط المعتمدة عندهم في الفتوى فهذا حرج عظيم وما أظن ان مؤسسها في درجة من الارتقاء يطلبون فيها المحافظة على أصول الاسلام الثابتة من الكتاب والسنة والاكتفاء بعدم الخروج بالقوانين عنها بل لا أرى انهم يرضون بذلك وانني أقول انه ليس في ديننا شيء ينافي المدنية الحاضرة المتفق على نفعها عند الامم المرقية الا بعض مسائل الربا وانني مستعد للتوفيق بين الاسلام الحقيقي وكل ما يحتاج اليه العثمانيون لترقية دولتهم مما جربه الافرنج قبلهم وغير ذلك ولكن بشرط ان لا ألزم مذهباً من المذاهب بل القرآن والسنة الصحيحة. وأرجو أن يكون ذلك مقبولاً عند جميع العناصر العثمانية الا التقليدين المتعصبين لمذاهبهم من المسلمين. فأورد علي بعض الحاضرين مسألة الشهادة فأجبت بما أقنعه واقنع غيره من الحاضرين

وقع ما كنا نحاف وأكثروا ظهور ان هذه الجمعية هي التي قامت بالفتنة الحاضرة في الاستانة حتى انها استماتت اليها العسكر الذي جاءت به جمعية الاتحاد والترقي من سلانيك لتحافظ به على الدستور، وعسكر الاسطول أيضا، ولا غرو فباسم الدين تقدر ان تستميل جميع عسكر الدولة ان هي أدلت بخراطيمها اليه. وتفيد أخبار الاستانة أن

قائدها في هذه الفتنة هو مراد بك الداغستاني الشهير الذي كان من زعماء جمعية الاتحاد والترقي من بضع عشرة سنة فخانها مع الخائنين وسلم أوراقه للسلطان ورضي بأن يتقاضى منه مالا على ذلك بعد ان كان من أشد المبالغين في الطعن فيه والتحريض عليه . وبعد الانقلاب طلب ان يدخل في الجمعية لا رأى من نفوذها (وهو كالدينامع القائم) فأبت عليه فحاول الانتقام منها وإحباط عملها فهكذا يكون الرجال المصلحون !!

جمعية الاحرار

كان جميع طلاب الاصلاح من العثمانيين يلتصون بالاحرار ثم تألف حزب في الاستانة سمي بحزب الاحرار وصار له جمعية خاصة به والمشهور ان هذا الحزب على رأي صباح الدين افندي سبط آل عثمان الشهير فيما يعبر عنه بعدم المركزية كما نوهنا بذلك من قبل فهو حزب سياسي لا خطر منه إن كان ظاهره وباطنه سواء وان كانت ولايات الدولة غير مستعدة الآن لأن تكون على رأيه برمته وكم في أوروبا من حزب يدعو الى رأيه سنين طويلة ولا يضر الامة مخالفته لرأي السواد الاعظم ولسائر الاحزاب فيها ولكن جمعية الاتحاد والترقي تشتد في مقاومة هذا الحزب حتى إنها اتهمت بقتل محرر جريدة سربستي كما علمت وذلك غلو كان من أسباب الفتنة الحاضرة . وهو قدامتهم أيضا بالسعي في إسقاطها ومن الناس من يتهم بعض رجاله بمقاومة الدستور ومالنا ولاتهم قدامتهم احمد رضا بك بمشايعة الساطان على هدم الدستور أيضا

الثورة العسكرية والفتن الداخلية

بعد كتابة ما تقدم علمنا إن شيطان الاستبداد تمكن من احداث ثورة عسكرية في الاستانة غرضها الظاهر إبادة جمعية الاتحاد والترقي وبمخشي ان يكون الباطن محو الدستور وإعادة الاستبداد الماضي على ان اسقاطها يعيده بالطبع . وقد فر رجال الجمعية من الاستانة ولجأوا الى مركز قوتهم في سلانيك ثم زحفوا بم جيشهم على الاستانة ليحكموا السيف والمدفع في الأمر ، ففسأل الله لهم التوفيق والنصر ، وان يحفظ الدولة من الخطر وقد ولدت الثورة بالعاصمة فتنة في ولاية اطنه فهب الترك لذب الأرمن وهو عمل يتبرأ الاسلام منه ومن فاعليه ، ولكنه لا يسلم معه من طعن الامم فيه ، فهيمجية هؤلاء الاقوام ، صار المسلمون حجة على الاسلام

بِسْمِ هَادِي الدِّينِ بِسْمُونَ الْقَوْلِ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
أَوْلَكَ الدِّينَ هَدَاهُمْ اللهُ وَأَوْلَكَ هُمْ أَوْلُوا الأَلْيَابِ

المساجد

١٣١٥

بُؤْتِي الحِكْمَةَ مِنْ بِنَاءِ مَنْ بُوْتِ الحِكْمَةَ قَدْ أُوتِي
خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْهَبُ الأَوْلَى أَوْلُوا الأَلْيَابِ

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر - الاربعاء ٢٩ ربيع الآخر ١٣٢٧ - ١٩ مايو (ايار) سنة ١٢٨٥ هـ ١٩٠٩ م

فَتَحْنَا لَكُمْ الْمَبْتَلَانَ

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع اناس مائة ونشرط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً وبقاقد من انا ما خرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أحيانا غير مشترك لثقل هذا . ولن يرضى على سؤاله شهر ان او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا عذر صحيح لاففاله

﴿ اسئلة من جاوه ﴾

(س ١٣ - ١٦) من صاحب الامضاء في مالاغ (جاوه)

نؤمل من فضلكم متع الله الوجود بوجودكم وأفاض من بحر علومكم وجودكم أن تنفيذونا عن حكم الله ورسوله في نكاح الرجل المسلم المرأة غير المسلمة هل يجوز أم لا اذا وعدته باسلامها بعد عقد النكاح كما هو جار عندنا لاسيما من الصينيات فهل يجوز له الهجوم على نكاحها وهي على دين قومها أم لا في إسلامها بعد وهل تستثنى من غير المسلمات الكتايات ومن هن الكتايات فهل الافرنج اليوم على اختلاف مذاهبهم في النصرانية وعقائدهم وتبديلهم يعدون كتايبين؟ تفضواوا يا سيدي افيدونا بحكم الله تعالى في هذه المسألة فهي وان كانت واضحة لديكم فهي لدينا من العضلات فلا تهملوها واخوتها لوضوحها لديكم ولعله قد سبق كلام فيها فالأمول الاعادة لعم الافادة فنحن في قلق حتى يفد الينا جوابكم الشريف لأن السؤال من الوقائع الحالية عندنا اه ونسألکم أيضا أطل الله بقاكم عن اجماع علماء الهيئة في هذا العصر على كوروية الارض ودورانها حول نفسها وغيرها إنني يا سيدي لم أكدا فهم التوفيق بين هذا الاجماع

وبين قول الله سبحانه في قصة ذي القرنين «حتى اذا بلغ مغرب الشمس سوحتى اذا بلغ مطلع الشمس» وأين يكون المطلع والمغرب اذا كان هناك للأرض كروية ودروان؟ واذا قلنا ان المطلع والمغرب هنا بحسب رأى العين لنا فما ينتلج الصدر به هذا لأن المطلع اذا كان بنسبة رأى العين لنا فهو بالنسبة لهوم آخرين هناك يسمى مغربا وكذلك المغرب كيف هذا والاخبار للعموم من غير نسبة لهوم دون آخرين وكروية الارض أظنها تمنع ان يكون للشمس مطلع أو مغرب في نحل مخصوص تفضلوا بينوا لا بنكم المخرج من هذا الاشكال لأنني ياسيدي لسوء فهمي وسقم قريحتي حاولت التوفيق بينهما بنفسى ولم أظفر به وكثيرا ما حصل الخوض بين جماعة عندنا في هذه المسئلة وما استطاعوا الخروج من ربة الاشكال وكلهم أشاروا على الحقير برفع هذا السؤال لحضرتكم والمأمول ان يجبروا خاطرنا بالافادة متع الله بكم أمين اه

ونسألکم لازلتم سراجا المهتدين عن الحضور في معرض ادارة الصور المتحركة للتفرج عليها هل هناك في الشرع الشريف ما يحظر علينا ذلك تفضلوا بينوا لنا حكم الله سبحانه فان عثرتم على ما يهذرنا بين يدي الباري جل وعز في حضورها بينوه لنا وما الاصل فيها التحريم أم الحل بينوا الجميع لنا على صفحات مناركم اه

ونسألکم لا برحتم ملجأ لحل المضلات في الخبر المبالغ بواسطة البرق هل يعتبر به عندنا في الشرع كالصلاة على الغائب المبلغ خبره بواسطة البرق وما يترتب على ذلك في الأمور الشرعية كالهلال في الصوم أو الافطار هل يجوز الاخذ بذلك تفضلوا وضحو لنا الجيم ولكم من الله جزيل الاجر ودمتم محمد بن هاشم بن طاهر

﴿ أجوبة المنارج ﴾

زواج المسلم بغير المسلمة وهل الاوريون نصارى

ذهب بعض السلف الى انه لا يجوز للمسلم ان يتزوج بغير المسلمة مطلقا ولكن الجمهور من السلف والخلف على حل الزواج بالكتائية وحرمة الزواج بالمشرقة ويريدون من الكتائية اليهودية والنصرانية واحل بعضهم المجوسية أيضا وبالمشرقة

الوثنية مطلقاً بل عدواً جميع الناس وثنيين ماعدا اليهود والنصارى ومن الناس من قال أنهم من المشركين ولكن التحقيق انهم لا يطلق عليهم لقب المشركين لأن القرآن عندما يذكر أهل الأديان بعد المشركين أو الذين أشركوا صنفاً وأهل الكتاب صنفاً آخر يمطف أحدهما على الآخر والمطف يقتضي المفارقة كما هو مقرر وكذا المجوس في قول وسيأتي بيان ذلك

والذي كان يتبادر إلى الذهن من مفهوم لفظ المشركين في عصر التنزيل مشركوا العرب إذ لم يكن لهم كتاب ولا شبهة كتاب بل كانوا أميين

والأصل في الخلاف في المسألة آيتان في القرآن إحداهما في سورة البقرة وهي قوله تعالى (٢: ٢٢١) ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن (الآية ١٠ واثنية في المائدة وهي قوله عز وجل (٥: ٥) اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) وقد زعم من حرم التزوج بالكتابات ان هذه الآية منسوخة بتلك وردوه بأن سورة المائدة نزلت بعد سورة البقرة وليس فيها منسوخ فان فرضنا ان أهل الكتاب يدخلون في عداد المشركين يجب ان تكون آية المائدة مخصصة لآية البقرة مستثنية أهل الكتاب من عمومها والا فهي نص مستقل في جواز التزوج بنسأهم

وقد سكت القرآن عن النص الصريح في حكم التزوج بغير المشركات والكتابات من أهل الملل الذين لهم كتاب أو شبهة كتاب كالمجوس والصابئين ومثلهم البوذيون والبراهمة واتباع كورنوفو شيوس في الصين وقد علمت ان علماءنا الذين حرص بعضهم على إدخال أهل الكتاب في عداد المشركين لا يترددون في إدخال هؤلاء كلهم في عموم المشركين وان ورد في الكتاب والسنة ما هو صريح في التفرقة والمفارقة فكما غير القرآن بين المشركين وأهل الكتاب خاصة في مثل قوله (٩٨: ١) لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة) وقوله (٣: ١٨٦) ولتسعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً) وذكر أهل الكتاب بقسميهم في معرض المفارقة في قوله (٥: ٨٢) لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، وتجدن

أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) الآية كذلك ذكر الصابئين
والمجوس وعدمهم صنفين غير أهل الكتاب والمشركين والمسلمين فقال في سورة
الحج (٢٢: ١٧) إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس
والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد) فهذا
العطف في مقام تعداد أهل الملل يقتضي ان يكون كل من الصابئين والمجوس
طائفتين مستقلتين ليسوا من الصنف الذي يعبر عنه الكتاب بالمشركين وبالذين
أشركوا. وذلك ان كلا من الصابئين والمجوس عندهم كتب يعتقدون انها إلهية
ولكن بعد العهد وطول الزمان جعل أصلها مجهولا لنا ولا يبعد أن يكون من جاؤا بها من
المسلمين لأن الله تعالى يقول (٣٥: ٢٤) إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان
من أمة الا خلا فيها نذير) وقال (١٣: ٧) إنا ان من نذر ولكل قوم هاد)
وإنما قويت فيهم الوثنية بعد العهد بأبيائهم على القاعدة المفهومة من قوله تعالى
(٥٧: ١٧) ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا
يكونوا كالذين أتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم
فاسقون) ومعلوم أن فسق الكثير من أهل الكتاب عن هداية كتبهم ودخول نزغات
الوثنية والشرك عليهم لم يسلبهم امتيازهم في كتاب الله على المشركين وعدمهم صنفا
آخر كما ان فسق الكثيرين من المسلمين عن هداية القرآن ودخول نزغات الوثنية
في عقائدهم لا يخرجهم من الصنف الذين يطلق عليه لفظ المسلمين ولفظ المؤمنین
وإن كانوا هم الذين يعنيهم الخطباء على المنابر بقولهم « لم يبق من الاسلام الا اسمه »
ويطبق العلماء عليهم حديث الصحیحين « لتدعن سنن من قبلکم شبرا بشبر وذراعا
بذراع » قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قل « فن » وبهذا يرد قول من حاولوا
ادخال أهل الكتاب في المشركين ونحوهم التزوج بنسائهم مستدلين بقوله تعالى
بعد ذكر اتخاذهم احبارهم ورجالهم أو بابا من دون الله (٩: ٣١) سبحانه وتعالى عما
يشركون) فان إطلاق اللقب على صنف من اصناف الناس لا يقتضي مشاركة
صنف آخر له فيه إن أسند اليه مثل فعله كما يبناء في تفسير آية (٢: ٢٢١) ولا
تنكحوا المشركات) لا سيما اذا كان الفعل الذي أسند الى الصنف الآخر ليس

هو اخص صفاته وليس عاما شاملا لافراده كاتخاذ أهل الكتاب احبارهم ورهبانهم
أربابا يتبعونهم فيما يحلون لم ويجرمون عليهم قلت وصفهم الاخص اتباع الكتاب
وان كثيرين منهم يخالفون رؤسائهم في التحليل والتحريم ومنهم الموحدون
كأصحاب آريوس عند النصارى وقد كثر في هذا الزمان فيهم الموحدون القائلون
بنبوة المسيح بسبب الحرية في أوربا وأمريكا وكانوا قلوا باضطهاد الكنيسة لم
والظاهر ان القرآن ذكر من أهل الملل القديمة الصابئين والمجوس ولم يذكر
البراهمة والبوذيين وأتباع كنفو شيبوس لأن الصابئين والمجوس كانوا معروفين عند
العرب الذين خوطبوا بالقرآن أولا لمجاورتهم لم في العراق والبحرين ولم يكونوا
يرحلون إلى الهند واليابان والصين فيعرفوا الآخريين والمقصود من الآية حاصل
بذكر من ذكر من الملل المعروفة فلاحاجة الى الإغراب بذكر من لا يعرفه المخاطبون
في عصر التنزيل من أهل الملل الأخرى ولا يخفى على المخاطبين بعد ذلك ان
الله يفصل بين البراهمة والبوذيين وغيرهم أيضا

ومن المعلوم ان القرآن صرح بقبول الجزية من أهل الكتاب ولم يذكر أنها
تؤخذ من غيرهم فكان النبي (ص) والخلفاء (رض) لا يقبلونها من مشركي العرب
وقبلوها من المجوس في البحرين وهجر وبلاد فارس كما في الصحيحين وغيرها
من كتب الحديث . وقد روى أخذ النبي الجزية من مجوس هجر أحمد والبخاري
وأبو داود والترمذي وغيرهم من حديث عبد الرحمن بن عوف انه شهد لعمر
بذلك عند ما استشار الصحابة فيه . وروى مالك والشافعي عنه أنه قال : أشهد لسمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « سنوا بهم سنة أهل الكتاب » وفي سنده
اقطاع واستدل به صاحب المنتقى وغيره على أنهم لا يمدون أهل كتاب وليس
بقوي فان إطلاق كلمة « أهل الكتاب » على طائفتين من الناس لتحقق أصل
كتبها وزيادة خصائصها لا تقتضي انه ليس في العالم أهل كتاب غيرهم مع العلم
بأن الله بعث في كل أمة رسلاً مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم
الناس بالقسط كما ان إطلاق لقب « العلماء » على طائفة معينة من الناس لها عزايا
مخصوصة لا يقتضي انحصار العلم فيهم وساببه عن غيرهم

وقد ورد في دوايات أخرى التصريح بأنهم كانوا أهل كتاب قال في نيل الأوطار عند قول صاحب المتقى: واستدل بقوله سنة أهل الكتاب على أنهم ليسوا أهل كتاب. مانصه: لكن روى الشافعي وعبد الرزاق وغيرهما بإسناد حسن عن علي « كان المجوس أهل كتاب يدرسونه وتعلم يقرءونه فشرّب أميرهم الخمر فوقع على أخته فلما أصبح دعا أهل الطمع فأعطاهم وقال ان آدم كان ينكح أولاده بناته فأطاعوه وقتل من خلفه فأصري على كتابهم وعلى ما في قلوبهم منه فلم يبق عندهم منه شيء » وروى عبد بن حميد في تفسير سورة البروج بإسناد صحيح عن ابن أبرى. لاهزم المسلمون أهل فارس قال عمر اجتمعوا (أي قال للصحابة اجتمعوا للمشاورة كاهي السنة المتبعة والفريضة اللازمة) فقال ان المجوس ليسوا أهل كتاب فنضع عليهم الجزية ولا من عبدة الأوثان فنجري عليهم أحكامهم. فقال علي بل هم أهل كتاب. فقد ذكر نحوه لكن قال فوقع على ابنته وقال في آخره فوضع الاخدود لمن خلفه. فهذه حجة من قال كان لهم كتاب. وأما قول ابن بطال لو كان لهم كتاب ورفع لرفع حكمه ولما استتى حل ذبايحهم ونكاح نسائهم فالجواب ان الاستثناء وقع تبعا للأثر الوارد لأن في ذلك شبهة تقتضي حقن الدم بخلاف النكاح فانه يحتاط له. وقال ابن المنذر ليس تحريم نكاحهم وذبايحهم متفقا عليه ولكن الاكثر من أهل العلم عليه اه

اذا علمت هذا تين لك ان العلماء لم يجمعوا على أن لفظ المشركين والذين أشركوا يتناول جميع الذين كفروا بنينا ولم يدخلوا في ديننا ولا جميع من عدا اليهود والنصارى منهم فهذا نقل صحيح في المجوس ومنه تعلم ان للاجتهاد مجالا لجعل لفظ المشركات والمشركين والقرآن خاصا بوثني العرب وأن يقاس عليهم من ليس لهم كتاب ولا شبهة كتاب يقر بهم من الاسلام كما ان أهل الكتاب فيه خاص باليهود والنصارى ويقاس عليهم من عندهم كتب لا يعرف أصلها ولكنها تقر بهم من الاسلام بما فيها من الآداب والشرائع كالمجوس وغيرهم ممن على شا كلهم وقد صرح قتادة من مفسري السلف بأن المراد بالمشركين والمشركات في الآية العرب كما سيأتي وعلى هذا لا يكون قوله تعالى « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » نصا قاطعا

في تحريم نكاح الصينيات الذي أكثر منه المسلمون في الصين وانتقل الاقدياء بهم فيه الى جاوه او كاد. وقد كان ذلك من اسباب انتشار الاسلام في الصين. ولا أدري مبلغ أثره في ذلك عندكم وبنفي كونه نصا قاطعا في ذلك لا يكون استحلاله كفرا وخروجا من الاسلام والالساغ لنا ان نحكم بكفر من لا يحصى من مسلمي الصين. هذا وان المشهور عند العلماء ان الأصل في النكاح الحرمة وان كان الأصل في سائر الاشياء الاباحة وعلى هذا لا بد من النص في الحل ويمكن ان يقال اذا لم نقل بأن هذا يدخل في القاعدة العامة بأن الأصل الاباحة في كل شيء حتى يرد النص بحظره فاننا نرد الأمر الى الكتاب العزيز فنسمة يقول بهدالنهى عن نكاح أزواج الآباء (٤: ٢٣) حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي ارضعنكم او اخواتكم من الرضاة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ، ان الله كان عفورا رحيفا (٢٤) والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين) الآية

فقول على أصولهم ان قوله تعالى « وأحل لكم ما وراء ذلكم » لا يخلو ان يكون قد نزل بعد ما جاء في البقرة من النهي عن نكاح المشركات وفي سورة النور من تحريم نكاح المشركة والزانية أو قبله ، فان كان نزل بعده صحح أن يكون ناسخا له وان كان نزل قبله يكون تحريم نكاح المشركة والزانية مستثنى من عموم « وأحل لكم ما وراء ذلكم » بطريق التخصيص سواء سمي نسخا ام لا كما يستثنى منه ما ورد في الحديث من منع الجمع بين البنت وعمتها قياسا على تحريم الجمع بين الاختين او إلحاقا به وجعل ما يحرم من الرضاة كالذي يحرم من النسب على القول المشهور في الأصول بجواز تخصيص القرآن بالسنة على ان الجمهور وأحلوا التزوج بالزانية. وعلى كل حال يكون نكاح الكتابيات ومن في حكمهن (كالمجوسيات عند من قال

بذلك كما نقل الحافظ ابن المنذر) داخلا في عموم نص « وأحل لكم ما وراء ذلكم »
وأكد حل نكاح الكتائيات في سورة المائدة التي نزلت بعد ما تقدم كله
وخلاصة ما تقدم ان نكاح الكتائيات جائز لا وجه لمنعه ونكاح المشركات
محرم وكون لفظ المشركات عاما لجميع الوثنيات او خصوصا بمشركات العرب
محل اجتهاد وخلاف بين علماء السلف . قال ابن جرير في تفسير (ولا تنكحوا
المشركات) : « وقال آخرون بل انزلت هذه الآية مرادا بحكها مشركات العرب
لم ينسخ منها شيء » وروى ذلك عن قتادة من عدة طرق وعن سعيد ابن جبير
ولكن هذا قال « مشركات أهل الاوثان » ولم يمنع ذلك ابن جرير من عدّه قائلا
بأنها خاصة بمشركات العرب . ثم قال بعد ذكر سائر روايات الخلاف « وأولى هذه
الاقوال بتأويل الآية ما قاله قتادة من أنه تعالى ذكره عنى بقوله « ولا تنكحوا
المشركات حتى يؤمن » من لم يكن من أهل الكتاب من المشركات وان الآية
عام ظاهرها خاص باطنها لم ينسخ منها شيء وأن نساء أهل الكتاب غير داخلات
فيها » الخ ما اطال به في بيان حل نكاح الكتائيات

هذا ما يظن بالبحث في الدليل ولما كنا لم نطالع على قول صريح لأحد من العلماء
في حل التزوج بما عدا الكتائيات والمجوسيات من غير المسلمين قد صرح بمحل
المجوسية الإمام أبو ثور صاحب الامام الشافعي الذي تفقه به حتى صار مجتهدا
وصرحوا بأن تفرد لا يعد وجها في مذهب الشافعي . فالشافعية لا يبيحون نكاح
المجوسية فضلا عن الوثنية الصينية

ولا يأتي في هذا المقام قول بعض أهل الاصول ان النهي لا يقتضي البطلان
في العقود والمعاملات وهو مذهب الحنفية فانهم استثنوا منه النكاح وعملوا ذلك بأنه
عقد موضوع للحل فلا انفصل عنه ما وضع له بالنهي المتتضي للحرمة كان اطلاقا بخلاف
البيع لأن وضعه للملك لا للحل بدليل مشروعته في موضع الحرمة كالأمة المجوسية
فلذلك كان النهي عن محرم منه غير مقتض ابطال العقد . فلا يقال عندهم ان
نكاح الصينية يقع صحيحا ما لم يكن محرما

وأما اجتهاد في الرأى بوجوه حكمة التمسك به فقد في ذلك في آية النهي

٢٦٨ الفرق بين مشركي العرب وغيرهم في نظر الاسلام (المترجم ٤ م ١٧)

عن التاسخ بين المؤمنين والمشركين في آية البقرة بقوله (أولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه) وقد وضعنا ذلك في تفسير الآية وبيننا الفرق بين المشرك والكتابية فيه فيراجع في الجزء الثاني من التفسير (من ص ٣٥٧-٣٦١) ومنه ان أهل الكتاب لكونهم اقرب الى المؤمنين شرعت موادتهم لأنهم بمعاشرتنا ومعرفة حقيقة الاسلام منا بالتخلق والعمل يظهر لهم ان ديننا هو دينهم مع مزيد بيان واصلاح يقتضيه ترقى البشر وإزالة بدع وأوهام دخلت عليهم من باب الدين وما هي من الدين في شيء . . . واما المشركون فلا صلة بين ديننا ودينهم قط . ولذلك دخل أهل الكتاب في الاسلام مختارين بعد ما انتشر بينهم وعرفوا حقيقته ولو قبلت الجزية من مشركي العرب كما قبلت من أهل الكتاب لما دخلوا في الاسلام كافة ولما قامت لهذا الدين قائمة . ومن الفرق بينهما في القرب من الاسلام أو الدعوة الى النار ان أهل الكتاب لم يكونوا يعذبون من يقدرون عليه من المسلمين ليرجع عن دينه كما كان يفعل مشركو العرب

ثم ان للاسلام سياسة خاصة في العرب وبلادهم وهي ان تكون جزيرة العرب حرم الاسلام المحمي وقلبه الذي تندفق منه مادة الحياة الى جميع الاطراف وموتله الذي يرجع اليه عند تألب الاعداء عليه ولذلك لم يقبل من مشركي جزيرة العرب الجزية حتى لا يبقى فيها مشرك بل أوصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن لا يبقى فيها دينان كما بينا ذلك في الفتوى الرابعة المنشورة في الجزء الثاني (ص ٩٧) من هذا المجلد وتدل عليه الاحاديث الواردة في كون الاسلام يارز في المستقبل الى الحجاز كما تأرز الحية الى جحرها . وهذا يؤيد تفسير فتادة المشركين والمشركات في الآية واذ كان الازدواج بين المسلمين والمشركين ينافي هذه السياسة التي هي الاصل الاصيل في انتشار الاسلام وكان تزوج المسلمين بالنسيئات مدعاة لدخولهن في الاسلام كما هو حاصل في بلاد الصين فلا يكون تعليل الآية للحرمة صادقا عليهن وكيف يعطى الضد حكم الضد

وقد حذرنا في التفسير من التزوج بالكتابية اذ خشي أن تجذب المرأة الرجل الى دينها ملها وجمالها وجهه وضمف أخلاقه كما يحصل كثيرا في هذا الزمان في

في تزوج بعض ضعفاء المسلمين يمض الأوريات او غيرهن من الكتابيات فيفتنون بهن وسد الذريعة واجب في الاسلام

كروية الارض ومطلع الشمس

مطلع الشمس المكان الذي تطلع منه ومغربها المكان الذي تغرب فيه وهو يختلف باختلاف المواقع لكروية الارض اذ لو كانت سطحها هندسيا لما حصل هذا الاختلاف في المطالع والمغرب . ويعبر كل قوم عن مشرقهم ومغربهم بحسب ما يرون وان خالفوا فيه غيرهم فيقول بعضهم إن الشمس تطلع من جبل كذا وتغرب في البحر وبعضهم غير ذلك . واذا رحل أحدهم الى أقصى ذلك المكان من جهة المشرق يقول قد وصلت الى مطلع الشمس . وقد تتعارف امم كثيرة تختلف مواقع بلادهم ومشارقتها ومغاربها على تسمية قطعة من الأرض بالمشرق وقطعة بالمغرب مع ان ما يسمونه مشرقا يكون مغربا لقوم آخرين وما يسمونه مغربا يكون مشرقا لقوم آخرين كما سميت بلاد مراکش بالمغرب الأقصى حتى ان أهل امريكا يعبرون عنهم بذلك وان كانت في جهة المشرق منهم . ومثل ذلك التعبير عن بلاد الدولة العلية مثلا بالشرق الأدنى وعن بلاد الصين بالشرق الاقصى . ويطلق الافرنج لفظ الشرق على قارتي آسية وافريقية مع ان بعض بلاد افريقية هي في جهة المغرب من بعض بلادهم فاذا أريد بمطلع الشمس ومغربها في قصة ذي القرنين ما كان يسمى في بلاده مطالعا ومغربا صح ذلك واذا فرضنا انه كان لهم عرف في المطلع والمغرب كبعض العرف المشهور الآن صح ذلك . والاظهر أن المراد بالمطلع والمغرب في قصته أقصى المشرق وأقصى المغرب الذي تيسر الوصول اليه بأسباب السياحة والسفر التي كانت في عصره وبالنسبة إلى بلاده فكان في سياحته كالذين يحاولون الآن اكتشاف القطبين الشمالي والجنوبي

هذا وان الاشكال الذي هو محل الوقفة عندكم يرد على استعمال لفظ مطلع أو مشرق ومغرب مطلقا كما أشرتم الى ذلك فاذا كنتم لا تجيزون استعمال هذه

الألفاظ الا في حقيقة لا تختلف باختلاف البلاد فقد خطأتم جميع البشر في عرفهم واصطلاحهم والخطب سهل والمراد ظاهر ولا مشاحة في الاصطلاح

الصور المتحركة

لا نرى وجها للسؤال عن حل رؤية هذه الصور أو حرمتها فلا أصل للحل . إننا نسمع ان أحدا من علماء المسلمين قال ان النظر الى الصور محرم ولا وجه لجعل الحركة سببا للحرمة . ويظهر لنا من هذا السؤال انكم لستم جاهلين لا باحة رؤية هذه الصور ولكن عندكم أناسا متطعين يحبون التحكم والاشراف على المسلمين بالأمر والنهي من سماء الدين فيحلون ويحرمون بغير علم وما جراً أمثال هؤلاء في المسلمين على تحكيمهم حتى ضيقوا عليهم دائرة دينهم الواسعة الا التقليد الأعمى ويزعم هؤلاء المصممون المقادون ان الاجتهاد هو الذي يضيع على العامة دينهم ويكثر الذين يتحكمون في شرعهم والأمر بالعكس فان الذي لا يقبل منه القول الا بالدليل لا يستطيع أن يتحكم ولا أن يهتث كالذي يقبل قوله بلا دليل بدعوى ان طلب الدليل نزوع الى الاجتهاد المنوع

الاخبار البرقية

هذه الاخبار التي تبلغ بالآلات الكهربية التي يعبر عنها بما ذكر و بالتفرافات هي قطعة الاداء فكل من ثق بخبره اذا كلك بلسانه ثق بخبره الذي يبلغه بالبرق لا يتردد في هذا أحد في العالم المستعمل فيه التفراف ومتى صدق الناس الخبر تبعه العمل بما يترتب عليه من الاحكام الشرعية لاسيما اذا كان من جهة رسمية يطرد صدق برقياتها وكيف تطيب نفس المسلم ان يفطر في نهاره في ليله خبر برقي بروية هلال رمضان فصدقه تصديقاتا مالا شبهة فيه ولا احتمال (وراجع المبحث في ص ٦٩٧ م ٧)

﴿ أسئلة من الجبل الأسود ﴾

(س من ١٧ - ٢٠) من ح . ح . في نقشيك

ما قولكم دام فضلكم ونفع المسلمين بعلمكم

فيهن بخطاب بالبرقية في أرض الترك ثم يترجم بعض ألفاظ الخطبة باللسان

التركي ليفهمها الحاضرون لانهم لا يفهمون إلا باللسان التركي ولا سيما بعض الاحكام اللازمة كصدقة الفطر مثلا فهل يمنع من هذه الترجمة المذكورة وادخال الالفاظ التركية خلال الخطبة .

وفيمن بقي الناس بجواز الجهر بالتكبير في الاسواق عند تشييع الحجاج في سفرهم الى الحج من بلادهم مع ما يترتب على الجهر المذكور من المفسد التي منها امتنان الاسم الشريف في محل القاذورات وذلك مناف للتعظيم ومنها انه يكون سبياً لاجتماع النساء والرجال ومنها ضحك الكفار واستهزاؤهم بذلك الذكر الشريف فيكون سبياً لهذا الاستهزاء وربما وقعت الفتنة بين القبائل بسبب ذلك وهل العمامة المسنونة يلزم فيها تغطية جميع الرأس حتى لا يبقى من القلنسوة شيء أم السنة هو الوجه المعتاد عند أهل الحرمين وغيرهم من استدارتها على الرأس وترك أعلا القلنسوة من غير تغطية

وهل الاعلان بموت الميت على المابر بالصلاة والسلام عليك يا رسول الله جائز أم مكروه؟ اقتونا مأجورين

﴿ أجوبة المنار ﴾

ترجمة الخطبة بالانجليزية

لا يمنع الخطيب في مثل الحالة المسوأل عنها من ترجمة أحكام الخطبة لأن الضرورة تلجئ الى ذلك مادام المسلمون مقصرين في تعلم لغة دينهم والا كانت الخطبة عند أولئك الترك وامثالهم من الاعاجم رسماً صورياً لا يحصل به الفائدة المقصودة من الخطبة وبعض الاعاجم يحاوط فيترجم الخطبة ويشرحها بعد صلاة الجمعة وبلقني انهم يفعلون ذلك في الصين

التكبير عند تشييع الحجاج

التكبير عند تشييع الحجاج ليس مطلوباً شرعاً ولا يمنع اذا لم يتخذ شعاراً دينياً ولم يترتب عليه مفسدة فان اتخذه قوم شعاراً دينياً يرون انه لا بد منه شرعاً وترتبت عليه مفسدة منع منه ولو كان مطلوباً شرعاً كما يطلب في الايام المعلومات لما صح ان

يكون من موافقه اجتماع النساء والرجال ولاضحك الكفار(٨٦:٢٩) ان الذين أجروا كانوا من الذين آمنوا يضحكون. وإذا مروا بهم يتغامزون) والامتهان لا يتحقق الا في نحو الخانات أو الكنف وما يهد في العرف العام إهانة
 واما الفتنة وبغني بها السائل فيما يظهر المتخاصم الذي ربما يؤدي الى الضرب أو القتل فهي محل النظر لاني موضوع السؤال بل في شعار الدين الثابتة كالإذان والصلاة والتكبير في العيد فاذا كان الكفار يؤذون المسلمين قهراهم بشعار الاسلام وفروضة وجب على المسلمين مقاومتهم ولو بالقتال إن قدروا فان لم يقدروا قهراهم وضعفهم وجبت عليهم الهجرة من دار الكفر والتعصب الى حيث يكونون في أمان وحرية في دينهم . وقد زدنا هذه الفائدة في الفتوى عملا بالسنة من جواب السائل باكثر مما سأل عنه عند الحاجة الى ذلك

العمامة المسنونة

العمامة (بكسر العين) هي كما قال بعضهم كل ما يعقد على الرأس سواء كان تحت المنقر او فوقه او لما يشد على القلنسوة او غيرها
 وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يلبس العمامة فوق القلنسوة تارة ويلبسها بغير قلنسوة تارة أخرى كما لبس القلنسوة بغير عمامة وفي حديث عمرو بن حريث في صحيح مسلم قال « رأيت رسول الله (ص) على المنبر وعليه عمامة سوداء قد ارنى طرفيها بين كتفيه » وفي حديث جابر عند مسلم ايضا انه دخل مكة وعليه عمامة سوداء ، ولم يذكر انه كانت لها ذؤابة بين كتفيه قال ابن القيم فدل على ان الذؤابة لم يكن يرخبها دائما . وكان يلتمحي بالعمامة تحت الخنك أحيانا ومن فوائده انه يمنع السقوط . ويحصل الغرض من لبسها بأية كيفية كانت وورد في العمامة عدة روايات ضعيفة واهية . وهي من العادات لامن أمور الدين ولكنها زي المسلمين الاولين ومفيدة في حفظ الرأس من الحر

إعلان الموت على النار

هذا العمل بدعة لم يأذن بها الله تعالى ولا مضت بها سنة رسول الله عليه وآله وسلم . وإنما نقول انه بدعة اذا أتى به على انه مطلوب دينا بهذه الصفة اي جعله

في مكان اداء شعيرة الأذان وقرنه بأذكار مخصوصة . أما الإعلام بالموت لأجل ان يسعى من يطعمون به الى تجهيز الميت وتشييعه ودفنه ، والصلاة عليه فذلك مشروع وان ورد في بعض الأحاديث النهي عن النعي وهو في اللغة الإعلام بالموت وإذاعته فالمراد به نعي الجاهلية . قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري إنما نعي عما كان أهل الجاهلية يصنعونه وكانوا يرسلون من يمان بخبر موت الميت على الدور والأسواق . ومن ذلك انهم كانوا يرسلون رابعا فيقول « نساء فلان » ويطلق النعي على اخذ الأثر فقد كانوا اذا نعو القليل يحرضون على التأثره . وقال ابن الأثير ان النعي الاعلام بالموت والندب . وقال ابو بكر العربي يؤخذ من مجموع الأحاديث ثلاث حالات (الاولى) إعلام الأهل والأصحاب وأهل الصلاح فهذا سنة (الثانية) الدعوة للمفاخرة بالكثرة فهذا مكروه (الثالثة) الاعلام بنوع آخر كالتباينة ونحو ذلك فهذا يحرم اه نقل ذلك عنه الشوكاني وقال بعده وبعد تقول أخرى فالخاصل ان الاعلام للفصل والتكفين والصلاة والحمل والدفن مخصوص من عموم النهي لأن إعلام من لا يتم هذه الأمور الأبه مما وقع الاجماع على فعله في زمن النبوة وما بعده وما جاوز هذا المقدار فهو داخل تحت عموم النهي اه فعلى هذا يكون الاعلام المسؤول عنه منها عنه فأقل حالاته ان يكون مكروها . وعندى انه يباح للناس ان يطعموا من لا يتولون ما ذكر من الأعمال ولو لتباهي بكثرة المشيعين والمعزين بشرط ان لا يجطلوا ذلك من الدين

﴿ الرقص والتغني والانشاد في مجلس الذكر ﴾

اوسلنا السؤال الآتي من بعض البلاد العربية لعرضه على علماء الأزهر فأقضى فيه من اطلم عليه بما ترى في الجواب وهذا نص السؤال

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

ما قول العلماء الاعلام السادة الكرام في قوم عوام يجتمعون وينشدون الأشعار بالألحان المحدثه والنغمات المطربة ويصفقون بالسج وتمايلون بتكسر وثمن هل

(المنار ج ٤) (٣٥) (المجلد الثاني عشر)

فعلم جائز أيضا وإذا قلنا بکراهة ذلك في أحد المذاهب الأربعة هل يجوز للانسان التقليد ليرقص مثلهم . وما الحكم في مذهب الامام مالك بالرقص إذا كان يتكسر وتثن كرقص المختلين هل هو حرام أو مکروه فقط أفيدونا بالجواب الشافي لاخلت منكم الديار في جميع الاقطار

الجواب

الحمد لله أما بعد فقد سئل الطرسوسي رحمه الله في مثل ذلك فقال مذهب الصوفية ان هذا بطالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ان الرقص والتواجد أحدثها أصحاب السامري لما أخذهم عجل جسداله خوار فأتوا يرقصون حوله ويتواجدون ، والرقص دين الكفار وعباد العجل ، فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها ، ولا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر ان يحضر معهم ولا يعينهم على طلبهم . وهذا مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم . قال العلامة ابن حجر الشافعي هذا هو الحق وغيره هو الباطل وان الرقص يتكسر أو تثن حرام على الرجال والنساء وقال العزبن عبد السلام اما الرقص والتصفيق فخفة ورعونة مشابهة لرعونة الإناث لا يفعلها الا أرعن أو متصنم جاهل ان الشريعة لم ترد بهما في كتاب ولا سنة ولا فعل ذلك أحد من الانبياء . وانما يفعله الجهلة السفلاء . الذين التبت عليهم الحقائق بالاهواء . وأما نشيد الاشعار بتلك الالحان المحدثه والنفثات المطربة فهو حرام لا يفعله إلا أهل الفسق والضلال . ان هذا من الغناء المنهي عنه . قال القرطبي في نحوه ائتي الامام مالك بالحرمة وهو مذهب أهل المدينة والنخعي والشمعي وسفيان الثوري وأبي حنيفة وأهل الكوفة . ولكل من الشافعي وأحمد قول به مثل ذلك ونص على الحرمة الامام الرافعي في الشرح الكبير والنووي في الروضة . وقال الامام الأذري اني أرجح تحريم النفثات الملحنة وسماعها . قال عليه الصلاة والسلام ان الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل . وقال أبو العباس القرطبي الغناء لم يكن من عادة النبي صلى الله عليه وسلم . ولا فعل بحضرتة ولا اعتني بمن يفعله

فليس ذلك من سيرته ولا سيرة خلفائه من بعده ولا من سيرة أصحابه ولا عترته ولا هو من شريعته . بل هو من المحدثات التي هي بدعة وضلالة وقد يتعاضد عن ذلك من غلب عليه الهوى . قال عليه الصلاة والسلام من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ — وان رجلا استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الغناء من غير فاحشة فقال لا آذن لك ثم توعدده ان عاد اليه بالضرب الوجيع وحلق رأسه تمثيلا به تعزيرا وبالنفى عن أهله وبإحلال سلبه لفتيان المدينة . ثم قال عنه وعن أمثاله هو لاء العصاة . ثم توعددهم بأن من مات منهم بغير توبة حشره الله يوم القيامة كما كان في الدنيا مختثا عريانا كلما قام صرع . ومن أدلة التحريم قوله تعالى «واستغفر من استطعت منهم بصوتك» . فسره مجاهد بالغناء والمزامير . ومنها قوله تعالى «أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون» أي مقنون على لغة حمير كما قال عكرمة وابن عباس . وقال مجاهد هو الغناء بلغة أهل اليمن . من هذا كله تعلم ان المذاهب كلها على تحريم ما يصنع أمثال هؤلاء وان فطلمهم هذا ممقوت عند الله وعند العلماء والعقلاء . وان مجلسهم مجلس الشيطان لا مجلس الرحمن . ولا يجوز افشاء السلام عليهم لأن بينهم وبين الشريعة حربا عوانا والمحارب لا سلام ولا أمان له . فيترك السلام خوف ان يفتلوا انهم محقون مكرمون مرضي عنهم . واذا كان الأمر كذلك فكيف يقدمهم في هذه الأباطيل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر

كاتبه

كاتبه

عبد الغني محمود المالكي بالازهر حسين والي الشافعي المدرس بالازهر

العمل المذكور بالسؤال غير مشروع عند الحنفية

كاتبه

عبد الباقي المغربي الحنفي المدرس بالازهر

(المنار) هذا التشديد في الغناء خاص عن يفعله على انه عبادة ودين كمض المتصوفة وكذا شدد فيه بعضهم مطلقا وقد فصلنا القول فيه تفصيلا في الجزئين الأولين من المجلد التاسع . وخبر الذي استأذن الرسول بالغناء لا يصح وانما ذكره تقوية للتفسير

أحدى الكبر* وكبرى العبر

خلع عبد الحميد خان . نفيه من دار
السعادة . وضعت تحت المراقبة العسكرية . ضبط
أمواله وذنخائره وعقاره . أباحت يلكز للامته . توليت
مولانا السلطان محمد الخامس

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ،
وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ، وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ ، وَتُنْزِلُ مَنْ
تَشَاءُ ، يَدُوكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *
(سورة آل عمران ٣ : ٢٦)

جلت قدرة الله ونفذت مشيئته ، وغلب قدره وعلمت كلمته ، جعل الأيام
دولا ، وجعل للدول نواميس وسنناً ، فلا مبدل لسنة ، ولا محول لنواميس خلقه ،
فلا يفرنك إملاؤه للظالمين ، واستدراجه للفسدين ، « ١٤٤ : ٤٢ » إنما يؤخرهم ليوم
تشخص فيه الأبصار ٤٣ مهطمين مقنعي رهوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفندتهم
هواءً ، وأنذر الناس يوم يأتهم العذاب

لا ينفذ من قدره حذر ، ولا ينفذ من محيط سننه سلطان البشر ، فلا يهولنك
ما ترى من رسوخ الاستبداد ، ولا يؤسئك ما تشاهد من غلبة الاستعباد ، ولا
يفزعك ما ترى من الحصون والأجناد ، فقد مضت سنة الله بأن الشيء إذا جاوز
حدده ، جاوز ضده ، وإن شدة الضغط توجب شدة الانفجار ، وإن الأعمال بالخواتيم ،

١٢٨:٧٥ والعاقبة للمتقين ، ، ١٣٥ : ٢٥ والذين يتقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار إلا وإن مشيئة الله في إتياء الملك ونزعه ، وخفض الملك ورفعها ، واعتزاز السطان وإذلاله ، ليست مشيئة استبدادية ، مفيرة لسنته الاجتماعية ، وإنما جعل لكل شيء سبباً ، ولكل أمر مقادير وسنن ، فإما من أمة تفرقت كلمتها ، وغلب عليها الجهل بحقوقها ، واعتقاد وجوب التقديس لأمرائها وملوكها ، وكثر فيها المناقون ، وقل فيها الصادقون ، والأبليت بالمستبدين ، ومنيت بالظالمين ، يسومونها سوء العذاب ، ويقطعون بها الأسباب ، فيأكلون الأموال ، ويستذلون الرجال ، ويجعلون الحرائر إماء ، ليتمتعوا بالمثات من النساء ، ويعبثون بالشرعية والقانون ، ويجنون على الأخلاق والآداب ، فيذلون أممهم ، ويضعفون دولتهم ، فإذا استيقظت الأمة من سباتها ، واجتمعت بعد شتاتها ، وعرفت حقوقها ، وغبرت ما بأنفسها من تقديس السلاطين ، وأرادت أن تجعل الحكم فيها للشرعية والقوانين ، فإن الله يغير ما بها من النذل والعبودية ، فتستبدل بهما العز والحرية ، من حيث يذل ظالمها ، ويهلك مذليها ، ، ١٣ : ١١ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال

لقد صدقنا الله وعده ووعدته ، وأرانا بأعيننا مصداق كتابه ، فهذا عبد الحميد خان وأعوانه ، وقرناؤه وخصميانه ، وجواريه وغلاناه ، قد بغوا في الأرض ، وتركوا السنة والفرس ، وعطلوا الشريعة والقوانين ، واستبدوا بجميع العمانيين ، وجمعوا القناطير المقنطرة من الأموال ، وحشدوا لحمايتهم الألوف المولفة من الرجال ، وأقاموا حولهم المعاقل والحصون ، ليمنعوا أنفسهم أن يصلوا عليها المظلومون ، ، ٥٩ : ٢ وظنوا أنهم ما نعهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار

نعم ان في ذلك لكبرى العبر ، ان يعقل ويتدبر ، ، ٧٤ : ٣٢ ككلا والقمر ٣٣ والليل إذ أدبر ٣٤ والصبح إذا أسفر ٣٥ إنها لإحدى الكبر ٣٦ نذيراً للبشر ٣٧ لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ، فقد أدبر ليل الظلم والاستبداد

وأُسفر صبح الدستور فيز بين الإصلاح والإفساد ، وذهب الفهي وجاء «الرشاد» ، وكانت هذه الحركة العثمانية إحدى الكبر ، نذيراً للمستبدين من البشر ، تعلمهم انه لا ينفع حذر من قدر ، كما تعلم من شاء أن يتقدم أو يتأخر من الأمم ، كيف يكون السير في الطريق الأمم ، وإنما مدار التقدم والتأخر على العدل والاستبداد ، ورسوخ جذور إحدى الكفتين في البلاد ، « ١٤ : ٢٤ ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ٢٥ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ٢٦ ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وبضل الله الظالمين ويفضل الله ما يشاء » لقد ذهبت هذه العبرة بأعداء اليائسين من رَوْحِ الله ، وتعلات القانطين من رحمة الله ، الذين يتركون العمل ، ويفيشون ظلال الكسل ، إذا غلقت في وجوههم الأبواب ، ونقطعت بهم الأسباب ، جهلا بعناية الله بالإنسان ، وسننه في نظام الأكوان ، فها نحن أولاء ، قد رأينا عبد الحميد خان قد غلق جميع الأبواب التي يتصور التوصل منها إلى خاتمه ، وقطم جميع الأسباب التي يتخيل انها تقضي إلى أخذه ، حتى أنه منع الاجتماع والجمعيات ، وحجر حتى على كثير من الألفاظ والاصطلاحات ، فأبطل من المحاكم الشرعية لفظ الحجر والجنون ، وان يحكم بالحجر على مجنون ، ومنع لفظ الخالعة والخلع (١) ، منها وما يطبع من كتب الشرع ، لأنه يذكر بلفظ الخلع (بالفتح) كما أبطل من جميع المطبوعات ، أمثال هذه الكلمات ، عبد الحميد . سلطان (الأعداء ذكره) ، مراد . رشاد . ثورة . حرية . جمعية ، مبعوثان الخلع وكان لمرآقي الجرائد في ذلك من الأمر والنهي ، والاثبات والحج ، ما يضحك الشكلى ، ويكي اليأس الذي جاءته البشرية ، وأمر بحذف دعاة القنوت من كتب التعليم ، وكلمة خلع النملين مما يطبع من

(١) الخلع بالضم الطلاق بعوض . وقد رفع إلى محكمة التمييز إعلام بحكم شرعي في مخالفة فردته إلى المحكمة الابتدائية لاجل تصحيحه بحذف كلمة خلع منه . وقد نهت على ذلك بالأرقام كقولها (مثلا) بحجب تفسير الكلمة الرابعة من السطر الثاني والعاشر من السطر الثالث وهلم جرا

كتب الفقه والحديث ، لثلا يخطر خلمه في البال ، عند ذكر خلع النعال ، او يسبق الى فهم المعلمين او المصلين ، ان كلمة « ونخلع من يفجرک » في القنوت توجب خلع الفجار من السلاطين ، هكذا رأياه قد اتقى كل شيء الا الله ، « ٢٨ : ٨١ فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله » ٢ : ٢٧٠ و ٣ : ١٩٢ وما للظالمين من أنصار . عز عليه ان يسلب بالدستور والحرية ، ما كان يتحلله من صفات الربوبية ، ككونه يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد ، لارادة لأمره ، ولا معقب لحكمه ، ولا حدود لأمره ونهيه ، يحمد على السراء والضراء ، « ٢١ : ٢٣ لا يُسئل عما يفصل وهم يُسألون » يعطي ويمنع ، ويضر وينفع ، ويصل ويقطع ، ويفرق ويجمع ، ويخفض ويرفع ، يسلب من يشاء ما شاء ، ويقتل من أراد مني أواد ، ويعبد من يكره ، ويقرب من يحب ، فرأى بعد الدستور أن أمر الشريعة والدستور فوق أمره ، وان نفر ذجمية الأتحاد والترقي فوق نفوذه ، وان الالسنه والاقلام التي كانت مكرهه على ترتيب آيات إطرته ترتيباً ، والتسبيح بحمده بكرة وأصيلاً ، صارت تسمى أعماله ووقائع تصرفه باسمائها ، بعد ان كانت تطلق عليها أسماء اضدادها ، اذ كانت تسمى الظلم عدلاً ، والنقص فضلاً ، والجهل علماً ، والسفاهة حلاً ، والباطل حقاً ، والكذب صدقاً ، والإفساد إصلاحاً ، والخسر فلاحاً ، والتخريب عمراناً ، والاساءة إحساناً ، الى غير ذلك . راعه ان يكون بشرا يوصف بصفات البشر ، وان تكون رعيته من جنسه لا من القم والبقر ، فضايق بهذا الدستور صدرا ، وعجز عن مبارزته جهراً ، فلجأ الى الكيد والاحتيال ، وفتح ما ادخره لمثل هذا اليوم من كنوز الاموال ، فآلف بها الجمعية المحمدية ، وبث دعواتها في العاصمة وجميع الولايات العثمانية ، فطفقوا يوسوسون لعامة المسلمين ، ان الدستور مناف للدين ، وان جمعية الأتحاد تريد بث التهلكيل والإلحاد ، وتحويل الحكومة الاسلامية الى حكومة أوربية ، بل بشوا فتنهم في الجيش فشقه نصفين ، ودبروا مكيدة لايقاع المذابح بين المنصرين ، (المسلمين والنصارى) « ١٤ : ٤٦ وقد مكر و امكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال » أما لو وقعت الواقعة ، وقرعت الدولة هذه القارعة ، لرجت الأرض رجاً ،

وبستت البلاد بساً ، (١) فكانت هباء منبثاً ، (٢) ولكن لطف الله بهذه الأمة ، وأراد انتقاد هذه الدولة ، فانتهك السر ، وانكشف السر ، وظهرت بوارد الثورة على الدستور في القسطنطينية ، قبل أن تصل دعواتها الى جميع الولايات العثمانية ، فقتل الثائرون بعض أعضاء مجلس النواب ، ودمروا على نادي جمعية الأتحاد ، فتهربوا ما علوا تبييراً ، وكادوا يدمرون المماهد تدميراً ، فأرز (٣) أهل التدير الى سلانيك وهي مصدر الدستور ، ومطلع هذا النور ، واستصر نحو ذلك الجيش المنصور ، فلباهم سليل الفاروق ، مبادراً الى فتح فروق ، والقضاء الاخير على الاستبداد ، واصطلام آخر جرثومة له في البلاد ، والتنكيل بما له من الاحزاب والأضار ، (١٣: ١٠) سواء منكم من أسر القول ومن جهز به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ، (٤)

عباً (محمود) الأمة ، و (شوكة) الملة ، تلك الكتابب الشعواء ، وهي كالتضاء المنزل من السماء ، فكان هومنها كما قال شوقي من قبل في مدح جيش هيد الحميد تبعاً لمدحه

يقود سرابها ويحيي لواءها	سديد المراني في الحروب مجرب
يحيي بها حيناً ويرجع مرة	كما تدفع اللج البحار وتنجذب
ويرمي بها كالبحر من كل جانب	فكل خميس لجة تضرب
وينفذها من كل شعب فتقتي	كما يتلاقى العارض المتشعب
ويجعل ميناها لها تنبري له	كما دار يلقي عقرب السير عقرب
فظلت عيون الحرب حيرى لا ترى	نواظر ما تأتي الليوث وتغرب
تبالغ بالرامي وتزهو بما رمى	وتعجب بالقواد والجد أعجب

(١) أي خربت فكانت أجزاء متفتة ، اوسيق أهلها كما تساق الغنم (٢) الهباء الغبار والنبت المتناثر المتفرق (٣) أي اجتمعوا وانضم بعضهم الى بعض كذا فسر الاصمعي الكلمة في الحديث . وفي اللسان أرز (كجلس) تهبض وتجمع وثبت ، ويقال أرز الى المكان اذا كان مأمته ومنعته (٤) اي ويقال لم سواء منكم أيها الخارجون على الدستور من امير القول للجنود وغيرهم بالحث على الفتنة ومن جهز به الخ ، والسارب الظاهر البارز كالولئك الجنود المصاة

أو كما قل اليوم يخاطب هذا الجيش مفتخراً بسمه في أخذ عبد الحميد وخلعه
يا أيها الجيش الذي لا بالدعي ولا الفخور
يخفى فان ريع الحمى لفت البرية بالظهور
كأليث يسرف في الفما ل وليس يسرف في الزنبر
اخاطب العالما بال ارواح غالية المهور
عند النهين ماجرى في الحق من دمك الطهور
يتلو الزمان صحيفة غراء مذهبة السطور
في مدح « أنورك » الجري « وفي « نيازيك » الجسور
« يا شوكت » الاسلام بل يافتح البلد العسير
وابن الأكارم من بني « عمر » الكريم على « البشير »
القابضين على الصلح ل كجدهم وعلى الصرير
هل كان جدك في ردا لك يوم زحفك والكرود
قنصت صياد الاسود د وصدت قناص التهور
وأخذت « يلدز » عنوة وملكت عتقاء الثغور

نعم كثر الفاروقي بمجيشه وضيون الأمم الاجنبية شاخصة اليه ، وقلوب الشعوب
العثمانية محومة عليه ، وزحف على الآستانة ، مصوبا مدفعه ممتثقا حسامه ، فلقية
جنود عبد الحميد ، وكانت الحرب كاسيل يقذف جهودا بجلود ، فطل الاخ دم
أخيه ، وخرق القريب صدر قريه ، فكانت جنودنا كما قل البحرى

اذا اشتجرت يوما ففاضت دماؤها تذكرت اقربى ففاضت دموعها
ولكن شتان ما بين الباعثين ، وما أبعد ما بين الداعيتين ، ففريق ينصر الملة
بنصر الثورى والدستور ، ويحمي الأمة بحماية مجلس المبعوثين ، وفريق ينصر الاستبداد
بنصر ذلك الشبح البال ، والمسرف المال ، والخلون الفال ، (٣ : ١٣) والله يؤيد
بنصره من يشاء إن في ذلك لهبرة لأولي الأبصار

أيد الله الحق على الباطل ، ويمكن جند الدستور من تلك الحصورن والمعاقل ،

حتى كأن قائده يحمل سيف جده عمر ، الذي كتب الله له النصر والظفر ، فكان هو الفاروق الفاضل ، بين المدل والظلم والحق والباطل ، وقد أعجب أهل الحرب في أوربا بسرعة حركته ، وحسن تمبئته ، كما أعجب أهل السياسة بإحكامه للنظام ، وحفظه للأمن ، وفرح العثمانيون بنصر الله الدستور على الاستبداد ، وحكم الشورى على حكم الأفراد ، « ٤٠ : ٥١ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » ٥٢ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار »

سقطت « يلدز » ذات الحصون المشيدة ، والملاجئ المتعددة ، بعد أن حاصرها جيش الدستور ، وقطم عنها الزاد والماء والنور ، وفيها أربعة آلاف من النساء والفتيان ، والحصيان والأعوان ، والحرس الداخلي والحجاب ، والخدم والكتاب ، والسواس والحوزية ، والأريسين والبستانيه ، كانوا يأكلون كل يوم ما تشبیه الانفس من اصناف الألوان ، ويتمتعون بما احبوا من نبات الحان وممقتات الدنان ، وقد استعد عبد الحميد فيها لكل شيء ، الا الحصار فانه لم يكن في الحسبان ، وسبحان من لا يشغله شأن عن شأن ، أراد ان يجعلها كجنة الخلد ، فاذا هي في يوم الحصار دون جنة آدم في الأرض ، فقد قال الله لا آدم (١١٨ : ٢٠) ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى ١١٩ وانك لا تضاماً فيها ولا تضحى) وقد جاع وطمى في جنة عبد الحميد حتى القادات ، وصار من فيها كالسوامم يقتاتون بورق النبات ، نعم ذاقوا يلدز طعم الجوع ، بعد ان كانت مئات الموائد توزع من فضلاتها على الجموع ، وتجميع الألوف من الجنود وغير الجنود ، وذاقوا لباس الخوف والرعب ، بعد ان كانت تخيف جميع الشعب ، فصارت عبرة للمعتبرين . ومثلاً للآخرين . ١٦٥ : ١١٢ ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون »

ولما ضيق عليها الحصار ارتفع الصراخ والمويل ، ممن قال فيهن شاعر النيل

أبن الاوانس في ذراها من ملائكة وحوار
المرعات من النعيم الراويات من السرور
العائرات من الدلال التاهضات من الفرور

الآمرات على الولاية الزاهيات على « الصدور »
 الناعمات الطيبات العرف أمثال الزهور
 الذاهلات عن الزمان بنشوة العيش النصير
 المشرفات وما اتقلن على المالك والبحور
 من كل « بقميس » على كرمي عزتها الوثير
 أمضى نفوذاً من « زبيدة » في الامارة والامير
 بين الرفارف والمشا رف والزخارف والحرير
 في مسكن فوق السماء وفوق غارات النصير
 بين المعائل واقنا والليل والجسم العفير
 سموه « يلدز » والافو ل نهاية « النجم » المنير
 دارت عليهن الدوائر في المحادع والحدور
 أمسين في رق القبيل وبن في أسر العشير
 ما يتبين من الصلا ة ضراعة ومن النذور
 يطلبن نثرة ربهن ورهبن بلا نصير

ولماذا صار ربهن عبد الحميد بلا نصير ، ولا ولي ولا ظهير ، الجواب من سورة
 الشورى التي كان يقمها (٤٢ : ٨) والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير) ومنها
 (٣٥) وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير (٣١) وما أتم
 بمعجزين في الأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير)
 بعد أن ضيق جيش الدستور على يلدز الحصار ، خيرها بين التسليم وبين
 السيف والنار ، فلم ذلك الماهل ، انه جاء الحق وزهق الباطل ، فأمر بالتسليم مدعياً إثار
 السلام ، على الحرب والصدام ، وأن العسكر المهاجم كالحرس من أولاده ، لا فرق
 بين الداعم والهادم لاستبداده ، فلم من كان فيها من الجيش سلاحه وذخائره مأسوراً ،
 ثم خرج منها مذموماً مدحوراً ، وخرج وراءه رؤساء الموظفين والكتاب والقراء ،
 فالخصيان والخدم والنساء ، فكان عسكر الدستور يخرج كل فريق فيعرف غير النساء
 منهم فرداً فرداً ، ويحصبهم بالمقابلة على الجداول التي يده عدا ، ثم يرسلهم محفوظين

إلى المواضع التي أعدها لهم ، إلى ان يصدر الحكم المصري الفاروقي فيهم ، بل ذلك حكم الله وسنه في نظام الاجتماع ، « ٤٠ : ١٨ ما للظالمين من حميم ولا شفيع بطاع » ، وصدق عليهم بعد اباحة بلاد الأمة « ما نزل في فرعون وقومه » « ٤٤ : ٢٥ كم تركوا من جنات وعيون و٢٦ وزروع ومقام كريم ٢٧ ونعمة كانوا فيها فاكهين ٢٨ فإنا بكت عابهم السماء والأرض وما كانوا منظرين »

وقد وضع الفاروقي فروق تحت الأحكام العرفية ، وشكل فيها المحاكم العسكرية ، لمحاكمة ، منفذي الفتنة الحميدية ، لإبطال حكومة الشورى الشرعية ، وإعادة الأحكام الشخصية الوثنية ، وهذا أمر لا بد منه ، ولا تقوم المصلحة العامة إلا به ، والقتل بهذه الأحكام العسكرية ، هو من قبيل ما يطلق عليه الفقهاء اسم الأحكام السياسية . وقد صرحوا بأنه يجوز قتل الكافر لإصلاح الكافرين ، فان قيل انها أحكام ربما تصيب بعض البراءة ، قلنا وقد يقع مثل ذلك في أحكام القضاء ، « ٨ : ٢٥ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب »

وقد كان من امر الولايات العثمانية ، عند ما علمت بكيد عبد الحميد خان للحكومة الدستورية ، ان كتبت الى مجلس الأمة بوجوب خلعهم ، ونقض اليد من بيعته ، وإعلامه بأن الجنود مستعدة لمحاربه ، والاهالي يتطوعون مع الجيش لمساعدته ، فلما أمن المجلس بأس ذلك السلطان ، اجتمع المبعوثون والأعيان ، واستفتوا شيخ الاسلام ، في خام عبد الحميد وتولية رشاد ، وهذه ترجمة الاستفتاء والفتوى بالمرية :

« اذا حذف زيد امير المؤمنين بعض المسائل الشرعية المهمة من كتب الشرع المقدسة ، ومنع ومزق وأحرق الكتب المذكورة ، وبذر وامسرف في بيت المال بدون مسوغ شرعي ، وقتل وسجن ونفى رعاياه بدون سبب شرعي ، وتعود ارتكاب غير ذلك من المظالم الأخرى ، ثم بعد ان أقسم بأن يرجع الى الصلاح حث يمينه وأصر على إحداث فتن عظيمة تخل تمام الإخلاق بانتظام أمور المسلمين واحوالهم ، وحرص على المذابح ، واذا كانت الأخبار تتوالى من جميع أنحاء البلاد الاسلامية طالبة خلعهم نخلصا من ذلك الجور ، وكان في بقاءه ضرر محقق ، وفي زواله صلاح ملحوظ ، فهل يجب تنفيذ ما يرجعه أرباب الحل والعقد وأولو

الأمر من إزامة التنازل عن السلطنة والخلافة أو خطمه ؟

(الجواب) نعم .
كتبه الفقير السيد محمد ضياء الدين

عفي عنه

بعد تناول هذه الفتوى من شيخ الاسلام التي هي أصبح قدرى صدرت في هذه الأزمان ، لرد الشأن فيها إلى أولي الأمر كما أمر القرآن ، اختار أول الأمر من المبعوثين والاعيان ، ان يخلفوا السلطان عبد الحميد الثاني ، لأنه ثبت لديهم أنه يصدق عليه ما ذكر في الاستفتاء من المظالم والخنازي ، وأن يبايعوا بالخلافة والسلطنة ، محمد رشاد افندي ولي عهد المملكة ، وهذه ترجمة قرار المجلس بالعربية

« في الساعة السادسة ونصف من يوم الثلاثاء وهو السابع من شهر ربيع الآخر سنة ۱۳۲۷ الموافق ۱۴ نيسان سنة ۱۳۲۵ (مالية) تقرر في جلسة المجلس الوطني العماني المؤلف من مجلسي الأعيان والمبعوثين خلع السلطان عبد الحميد الثاني وإسناد السلطنة والخلافة إلى ولي العهد محمد رشاد افندي باسم (محمد الخامس) وذلك بناء على اختبار الخلع على التنازل الاختياري بالاقتراع وهما الخلان المينان في الفتوى المذيلة بتوقيع شيخ الاسلام محمد ضياء الدين افندي المنلوة في الجلسة »

ثم ان المجلس ارسل وفدين ، لتبايع قاره للسلطانين ، ليبلما ان الأمر لأول الأمر ، لا لرجل واحد يسمى ولي الأمر ، لأن الله تعالى اسند في كتابه إلى الجمع ، ولم يسنده قط إلى الفرد ، وليكون الأول عبرة للمستبددين الظالمين ، والآخر سلفاً ومثالاً للدستوريين الآخرين ، فبايع الوفدان القراديين ولسان الحال ، يرتل قول الملك المتعال ، « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير اذك على كل شيء قدير »

دخلوا على عبد الحميد الجبار ، الحقود المنتقم القهار ، وهو نبي مأمنه الذي ، لأنه بالمسدمات ، وجعل فيه الملاجيء ، والمفارات والمدخلات ، وفي كل حجرة منه تمثال ، يمثله في حال من الاحوال ، فمنها التائم على السرور المرفوعة ، ومنها المنكى على الأرائك الموضوعة ، ومنها المكب على كتابته ، ومنها الممثل لقراءته ، محتاط بذلك لخيانة الجنود والأحراس ، وغفلة الرقباء والأرصاد ، حتى اذا ما دمر عليه محتمل ، يحاول

الفك والاعتقال ، وافق ان اهتدى الى بعض حجراته ، التي يارز اليها في خلواته ،
يشره التمثال فيهم عليه ، فينفذ رصاص المسدسات الحديدية من بين كفيه ، وان
عبد الحميد لا يخطئ المرمى ، فقد تمرن على الرمي حتى صار كني ثمل أو أرمي ، -
دخلوا عليه فإوارته مخباته ، ولا حته مسدساته ، ولا دافعت عنه رجاله ، ولا أضنت
عنه أمواله ، بل غلب على هذا الخلوغ الجبن الخالع ، فإذا هو خاضع خانع ، قد
خرس لسانه ، وقاله ، وقرأ لسان حاله ، « ٢٧ : ٦٩ ياليتها كانت الناضية ، ٢٨ ما أغنى
عني ماله ٢٩ هلك عني سلطانيه » يتعنى لو كانت مكيدته قضت على الدستور ،
وجعلت زعماءه وأنصاره من سكان القبور ، ثم طلب أن يقوا عليه كما أبقى على أخيه
مراد ، ويحسبوا إليه لأنه بري ، مما وقع من الفساد ، ، وطلق يلوك باطيل الاعذار ،
ولو كان صادقا لما انتهى الى هذا « القرار » ، « ٢٨ : ٣٨ ام نجمل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ام نجمل المتقين كالفجار ؟

لماذا خضع وذل عبد الحميد ، وهو الجبار العنيد ، لذلك الوند ، الذي لم يكن
معه غير ثلاثة من ضباط الجند ، أتواضها كتواضع الخلفاء ، ام هي شنشة الجبناء ، ان
قدروا بنوا وعتوا ، وان عجزوا ذلوا وعنوا ؟ أذا هو السلطان المستبد ، القاصي
المكبر ، الحريص على حياته ، المحافظ بقوة الدولة ومالها على شخصه ، هو بهينه
عبد الحميد ، الذي دخل عليه وفد مجلس الأمة من غير مراضة ولا نفيش ، فوقف أمامهم
خاضعا ضارعا ، متوسلا خاشعا ، يسألهم الإبقاء عليه . وترك روحه العزيزة بين جنبيه ، ؟
سبحانك اللهم ما أجل حكمتك ، وما أعدل سنتك ، يا أصدق وعدك ووعيدك ، فقد
بينت لنا أن العاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وقات « ٤٠ : ٢٠ أولم
يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة
وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق »

أين تلك القوة القاهرة ، أين تلك الإرادة النافذة ، أين تلك المظمة والكبرياء ،
أين ذلك الشم والإياء ، أين ذلك المسرف المال ، أين ذلك المعجب الختل ،
أين السلطان عبد الحميد ، الذي ظن انه يبقى فعلا لما يريد ، فلم يكن يقبل ان يوجد
في المملكة من يقول هذا نافع في السياسة وهذا ضار ، وهذا حلال في تصرف

الادارة وهذا حرام ، ابن السلطان عبد الحميد الذي جعل نفسه هو الملك وهو الأمة ، هو القانون وهو الشريعة ، الذي كان يرى ان الملك ملكه ، والزمان غلامه ، والناس عبيده أو عباده ، وان له الحق ان يحرف كتب دينهم ، وان يفسر أسفار تاريخهم وتاريخ غيرهم ، وان عليهم ان يقابلوا إساءته بالشكر ، وظله بالرضا والحمد ، ابن السلطان عبد الحميد الذي كان لا ينزل إلى موكب صلاة الجمعة في الأسبوع ، إلا بين صفوف من الجيوش كالبنان المرصوص ، فيحرم الصلاة على الألف من المسلمين لأجل حالته ، التي يجعلها عنواناً على خلافته ، فيتزلف اليه فيها بآيات مميعة من القرآن ، لا يتجرأ أن يتلو غيرها قارئ ولا خطيب ولا إمام ، ولو قرأ قارئ على مسامحة آية من آيات التي تنذر الظالمين الهلاك والدمار ، وتوذنتهم بالزوال والبوار ، لأخذ منه باليمين ، وقطع منه اليمين ، أو زجه في ظلمات السجن ، أو نفاه من الأرض ، ابن عبد الحميد الذي كان يزور الخرقه النبوية الشريفة ، تذكراً للمسلمين بأنه هو الخليفة ، فتحرس له الجنود طريقه إليها طربل السنة ، فإذا قرب الموعد أخليت من جانبيها الفنادق والدكاكين والأمكنة ، وغلقت الأبواب والنوافذ والكوى ، وحشرت الجنود تملأ ما بين الرجا إلى الرجا ، لتلا يطعم أحد بالدنوايه ، أو يكون في مكان أعلى منه ، ٤٤ : ١١٥ ما أغنى عنه ما له وما كسب ، ولا وقاه ما أكدى وما وهب ، ولا نفعه رأي ثقائه ، ولا سلاح حماته ، بل سلمت فنته الباغية المفروزة ، لفنة الدستور المنصورة ، ودم هو عمل منغذي فنته وتبراً منهم ، وزعم انه كره عملهم ولكن عجز عنهم ، ٤٨ : ٨ ، واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفتنان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب »

بعد اسبوعين من خلع عبد الحميد ، أنفذ الفاروقي حكم أولي الأمر بنفيه الى سلانيك ، واخرج معه من دار السعادة اثنان من صفار اولاده ، واحدى عشرة امرأة من جواريه ونسائه ، وحيى به الى محطة سكة الحديد تخفر مركبه مركبات الجنود . وارسل كذلك مخمورا في قطار مخصوص ، ولما وصل الى محطة سلانيك اختار ركوب احدى مركبات الاجرة ، الى ان وصل الى الدار التي أعدت له ، وهي دار

الأثني باشا قائد الشرطة ، وقد حضر له ولن معه طعام ذلك المساء من إحد مطاعم السوق ، وطلب تقيصا فاشترت له أيضا من السوق ، وكان في عامة أوقاته كاسف البال ، كثير المواجس والأفكار ، وقد تضرع الى القائد الذي استقبله ، بأن يضمن له حياته ، فهذا القائد اضطرابه ، وسكن روعه ، ولو كان جدا الحميد صاحب عزة وإباء ، لما حرص في مثل هذه الحال على البقاء ، ولا أقول لفعل ما فعلت الزباء ، على ان البخم والاعتبار اذا كان محرما في الاسلام ، فشدة الحرص على الحياة ليست من شأن أهل الإيمان ، فقد قال تعالى في في الذين لا يؤمنون (٢: ٩٦) ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذي اشركوا يود احدهم لو يؤتئذ ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر بالله بصير بما يعملون)

اما مولانا السلطان محمد الخامس فقد بويغ في ذلك اليوم بنظارة الحربية ، باختيار اولي الأمر ونواب جميع الأمة العثمانية ، فان كان قد قل في حفلة المبايعة اني اول ملك في عهد الدستور والحريية ، فاننا نقول ان مبايعة اول مبايعة جرت على الصورة الشرعية ، فقد كان سلفه يأخذون الملك بمجرد الإرث ، وهو قد ناله هو باختيار أهل الحل والعقد ، وقد بويغ بالمصافحة كما بويغ الخلفاء الراشدون ، لا بلهم الراحة وتقبيل الأذيال كما جرى عليه اسلافه المستبدون . وأول من بايحه الشريف حيدر بك من أعضاء مجلس الاعيان ، ثم الصدر الاعظم وشيخ الاسلام ، ثم تقيب الاشراف فرئيسا لمجلسي الاعيان والنواب ، فأعضاء المجلسين فالامراء والضباط ، ثم من حضر من خيار الناس ، وقد صرح مولانا عقب مبايعة ، بأن كل رغبته ورجائه في سعادة امته ، وبعد عدة أيام حلف في نظارة الحربية ، بين التزام الشريعة والدستور والمحافظة على حقوق جميع الأمة العثمانية ، ثم حلف أيضا في مجلس نواب الأمة ، كما استحلهم على الاخلاص لها وله ، فأقسموا طائمين ، وأطاعوا مختارين ، ودعوا له مخلصين ، والأمة من ورائهم تقول آمين ، والماقبة للفقين ، « ١٣ : ٢٩ الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب »

ونسأله تعالى ان يجعل لسال حال سلطاننا الأواب ، هذه الآية الكريمة من الكتاب « ٤٠ : ٣٨ وقال النبي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد »

باب المناظرة والمراسلة

﴿ رد الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين - لليافعي ﴾

٣

تمة بحث النسخ

ولنعد الى ما كنا بصدده فتقول قد بينا في رسالتنا السابقة بعض حجج ما ذهبنا اليه وسنزيد ذلك ايضاحاً فتقول - ان الكلام اذا سبق فالتام يساق بمناسبة المتأخر لما تقدمه وابنى عليه ودونك ما قبل هذه الآية لتعرف دلالة السياق وان الكلام مسوق في أي شيء أهو في ذكر المعجزات كما قال الدكتور الفاضل ام في ذكر الدين وشرائعه واحكامه ومن هنا تعرف ان ما ذكرناه عن السلف في تفسير هذه الآية هو المناسب لسياقها قال تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا واسمعوا للكافرين عذاب أليم - ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) ففي اول هذه الآية حذر المؤمنين من موافقة الكافرين في إطلاق الالفاظ الموهمة كقولهم راعنا ثم اخبرهم في آخرها بشدة عداوة الكفار لهم وانهم يكرهون نزول الخير اليهم وذلك الخير الذي تفضل الله به على عباده المؤمنين هو الشرع التام الكامل (٥) الذي شرعه لنبينا محمد (ص) واختصه وامته به والله

(٥) المنار: الكلام صريح في بيان سبب إنكارهم لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم وهو أن أهل الكتاب يحسدون العرب فلا يودون ان ينزل الوحي على رجل منهم فهم لذلك ينكرون نبوة محمد (ص) والمشركون ينكرون النبوة من حيث هي فالكلام في النبوة لا في الأحكام الجزئية التي في الوحي وهي أقل ما فيه . والشرع المحمدي عقائد ومعارف إلهية وآداب وعبر واخلاق كريمة ، واحكام عملية ، والعقائد هي الاساس والكلام في ركن النبوة منها لأن غيره يبنى عليه فالمناسب ان تكون الآية ما يؤيده

(المجلد الثاني عشر)

(٣٧)

(المنار ج ٤)

يخص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم — وعلى مناسبة ذلك قال « ما نسخ » من هذا الخبر وهو الشرع الحمدي « من آية أو نساها » فليس من باب تفويت أو احرامكم بعض هذا الخبر الذي فضلنا به عليكم بل فعل ذلك لأنتم بغير منه اذا نسخته أو بطله اذا قصرتم في حفظه ونسيتموه — أما قوله « ألم تعلم ان الله على كل شيء قدير » الى آخره فالما ذكره في عقب هذه الآية كالدليل بالشيء على نظيره وذلك مثل استدلاله جل شأنه على البعث وامكانه بالخلق الاول وياحيائه الارض بدموتها وقد ذكرنا في رسالتنا السابقة مناسبات أخرى فارجع اليها وليتأمل الفاضل في هذا المقام وليعطه حقه من النظر

وتقول ايضا نحن قد قدمنا وقلنا غير مرة انه قد علم من ديننا بالضرورة ان القول بالرأي في الدين وبالأخص تفسير القرآن لا يجوز مطلقا فما بالك برأي مخالف لما قاله السلف ولما نقلوه (١)

ثم تقول حضرة الدكتور الفاضل هب ان السلف لم يتكلموا ولم ينقل عنهم في تفسير هذه الآية شيء أفليس الواجب ان نرد كل لفظ الى اصله ونحمله على معناه الحقيقي ولا نتقدم على القول بالمجاز ولا نعدل اليه الا اذا تعين بقرينة فاذا عرفت ذلك قول قال في القاموس نسخة كمنه ازاله وغيره وابطله وأقام شيئا مقامه والشيء نسخة والكتاب كتبه عن معارضة كاتسخنه واستنسخه المنقول منه نسخة بالضم وما في الخلية حوله الى غيرها انتهى والمضيان الاخيران لا يصح حمل الآية المتنازع في تفسيرها عليهما اتفاقا فلا يبقى الا الازالة والتغيير والابطال — فاذا كان المراد بالآية في قوله تعالى ما نسخ من آية المعجزة كما يقول حضرة الفاضل فامعنى ازالتها أو ازالة مثلها فانه لا يزال ولا ينقل الا ما كان ثابتا في الخارج واما ما بعدم يفوت بفوات وانقضاء زمنه فلا يقال ازاله ولا يزيله نعم يقال في مجاز اللفظ ازلت حجته بمعنى بينت كذبها وعدم صحتها فاذا اريد بالآية المعجزة فلا يجوز حملها على

(١) ان من يفسر آية بغير المروي عن واحد او ٣ من السلف لا يسمى مخالفا

للسلف لاسيما اذا اختلفوا والا لكان جميع العلماء مخالفين للسلف حتى الائمة المشهورين وإنما مخالفة السلف المذمومة هي مخالفة سنتهم التي جروا عليها في امر الدين والابتداع فيه

معنى الازالة لا حقيقة ولا مجاز ابقى التفسير والابطال والقول فيهما كاقول في الازالة وهل يصح ان يقال ان الله غير وابطل معجزات الانبياء السابقين فاذا فسد التفسير يحمل الآية على المعجزة تبين حملها على آيات الاحكام ونحوها من آيات القرآن لصحة قولنا ازلت حكم كذا واقت مقامه حكما آخر او ازلت الكلمة واقت مقامها كلمة أخرى فما ذكرناه في تفسير الآية هو الحقيقة التي لا يصلح ارادة غيرها وبذلك قال السلف كما عرفت ذلك عنهم فيما سلف - ولو جوزنا المدول عن الحقيقة الى المجاز بلا قرينة ولا مرجح للمدول وسلمنا ما قلنا بان النسخ قد يكون بمعنى الترك - فكذلك لا يصح ارادة ما قلناه الفاضل ولا يجوز أيضا - لأن ترك الشيء لا يكون الا إذا أمكن فعل ذلك الشيء نفسه والمعجزة الفعلية الذي وقعت واقضى زمنها كاقلاب عصا موسى عليه الصلاة والسلام حية مثلا لا يمكن ان تعاد نفسها لاسيما مع عدم وجود المصافان قبل المراد مثلها قلنا وهذا مجاز بتوسط تأويل - ولو سلمناه أيضا فانه لا يصح حمل الآية عليه لانه لا يصح الا بعد ان يثبت ان الله قدس وكتب في الكتاب الذي كتبه لكل مدة مضروبة بأن سيويد محمدا (ص) بمثل تلك المعجزات الماضية مماثلة من كل الوجوه فاذا قدر انه عدل عن ذلك الى ما يماثلها من بعض الوجوه جاز ان يقال ترك هذا المثل لهذا المثل ولا يخفى ان الهجوم على ذلك بلا توقيف جراءة واستبداد على الله

فان قيل لا نقول إنه ترك ما كتب وقدر انه يؤيده محمدا (ص) كما ذكرتم قلنا ان نظير ذلك كقول النسخ في هذه الآية بقوله (يحجوا لله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) صريح فيما ذكرنا فساد. ونقول أيضا ان ما هو نحو المعجزات من الافعال التي مضت واقضت هي الآن ممدومة فان قيل المراد مثلها الموجود في بعض الاذهان فيجوز تركه قلنا ذلك ممنوع لأن الموجود في الاذهان المذكورة انما هو التصديق بتلك المعجزات ونسخه انما يكون بنقضه وتكذيبه وهو محال وايضا ما في اذهانهم لو أوجده الله في الخارج فهو لا يكون الا نفس المعجزات الماضية التي قد عدت والافعال التي قد وقعت لا يمكن ان تعاد نفسها وما كان كذلك فلا يقال انه تركه وعليه فالنسخ بمعنى الترك لا يمكن ان يفرض الا فيما يماثل من بعض الوجوه

ما حفظه بعض الناس من معجزات الانبياء وحينئذ لا يكون المنسوخ في الآية ما قد وجد ولا مثاله الموجود في اذهانهم بل هو ما يماثل مثاله من بعض الوجوه وهذا إنما هو معدوم لانه غير موجود في الاعيان ولا في الازهان ومعلوم ان الله لم يرد انه نسخ أو ترك المعدوم المطلق أو انه أيد نبينا (ص) بنجر منه أو مثله لان الخبرية والمثلية لا يوصف بها المعدوم فظهر بذلك ان المعنى الذي حمل الآية عليه خضرة الفاضل لا يصح الا فرضه في المعدوم المطلق وسياق الكلام ومعناه يأبى ذلك والا للزم وضح ان يقال ان كل ما أوجده الله فهو بدل ومثل ومسبب عن ترك معدوم مطلق لم يقدر في كتاب وهذا لم يقله أحد

هذا بعض ما نقوله في المنسوخ الذي ذكره الله في قوله « ما نسخ من آية أو نساه » وقد عرفت انه لا يصح ان يفرض شيئا مما قدمنا بيانه أمام معجزات نبينا (ص) فلا شك انها قدوت وقامت بتأييد رسالته (ص) كما قدوت معجزات الانبياء السابقين بتأييد رسالاتهم وزيادة لكن اطلاق ان هذا نسخ لهذا لا يصح في تفسير قوله تعالى (ما نسخ من آية أو نساه) وقوله فكل آية من آيات الانبياء السابقين الى قوله قد أتى الله بمثلها في الاقتناع والهداية أو بنجر منها قلت نعم والامر كذلك الا انا قد قدمنا فساد فرض المنسوخ بمعنى المعجزة وعليه فما أتى الله ومن به على نبينا من المعجزات فليس بدلا عن معجزات الانبياء السابقين على معنى ان تكون ناسخة لتلك ولو كان كل معجزة لني متأخر ناسخة لمعجزات من تقدمه لكانت معجزات محمد صلى الله عليه وسلم ناسخة لمعجزات عيسى عليه الصلاة والسلام ومعجزات عيسى عليه السلام ناسخة لمعجزات من تقدمه وهم جبرائيل وعليه فما أتى به محمد من المعجزات لا تكون بدلا لكل معجزات الانبياء السابقين والا للزم نسخ المنسوخ حين هو منسوخ (١)

(١) المنار: كل هذه الوازم التي اوردتها ممنوعة ويمكن ايراد معنى الماثلة من كل الوجوه او بعضها على التفسير المشهور للآية وان من يفسر الآية هنا بما يويد الله به الانبياء كأبي مسلم لا يقول اذا زال الله ما يويد به بعض رسله من آية في زمن رسول آخر وابده بغيرها فانه يكون ناسخا لسابقة باللاحقة بل يقولون ان المعنى إذا لم يويد الرسول

وتقول ايضا يلزم الفاضل المذكور في الادلة المتعددة المختلفة الحقائق على صحة المدلولات المتماثلات والمدلول الواحد نصحيح اطلاق ان كل واحد منها ناسخ للآخر فليتأمل الناظر وليحكم بما شاء بشرط الانصاف

اما قول الفاضل الممدوح واذا كان المراد آيات الاحكام لا المعجزات فهل اتى تعالى بدل الآيات المنسوخة بآيات خیر منها؟ إن كان ذلك صحيحا فكيف نسخ كثيرا من احكام القرآن بالسنة على قول بعضهم؟ واقول قد عرفت انه لا يمكن حل ذلك على غير آيات الاحكام وتقول نعم انه قد عوضنا بدل كل آية نسخها ورفعها بما هو مثلها وافضل منها وذلك موجود في هذا القرآن الذي بين ايدينا - أما قوله فكيف نسخ كثير من القرآن بالسنة على قول بعضهم فجوابه انه لم يفضل احد احكام القرآن على احكام السنة لان الكل من الله والحكم الناسخ سواء كان في القرآن او في السنة هو اكثر خيرا من المنسوخ ولا تفاوت في نفس الحكم الا أن هذا يكون اصح من هذا كما سيأتي بيانه . نعم أفاظ القرآن هي افضل من أفاظ الأحاديث ولم يقل أحد أن لفظ الحديث ناسخ لفظ القرآن فما اراد ايراده غير وارد فتأمل

ونحن قدمنا الكلام في اختلاف العلماء في النسخ فأرجع اليه فمن يجوز نسخ القرآن بالسنة بعضهم يقول ان ذلك جائز لكنه لم يقع واما من يقول منهم بوقوعه فلهم أن يفرقوا بين نسخ الآية ونسخ حكمها بأن يقولوا إنه من المعلوم بالضرورة ان الدين كله سواء كان قرآنا او وحيا غير قرآن - وهو السنة - انما عرفناه بتوسط محمد (ص) الذي عرفنا صدقه وصحة نبوته ورسالته فلا يجوز لنا ان نقبل بعض ما

— المتأخر بآية المتقدم بأن ازال تلك الآية وما أراد إعادتها فإنه يؤيده بمثلها او بخير منها في اثبات الرسالة . ويمكن ان يفسر لفظ النسخ على هذا الرأي بما ورد في المأثور من انه بمعنى الاثبات في الكتاب ويكون معنى الآية عليه ما ثبت من آية في الكتاب الذي هو القرآن خطأ ومعنى فيعرفها الناس او ننسها الناس بترك الاعلام بها فإنا نأتي بخير منها أو مثلها في تأييد رسالتنا . وبذلك يبطل قول بعض الكافرين (٢١: ٥) فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) وما في معناه مما حكاه الله تعالى عن المعاندين

جاء به وترك البعض الآخر اذ لو فعلنا ذلك لكننا مكذبين له (ص) في ذلك البعض وذلك كفر في دين الله وبه كما قال تعالى « أفتمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض - بناء عليه يجوز ان يكون بعض احكام السنة خيراً من الحكم المنسوخ الذي كان في القرآن - واذا كان المراد بالخيرية ان يأتي بخير منها أي يبدل ذي مصاحبة راجحة فلا قباحة في أن يقوم الحديث النبوي بدلا عن لفظ آية وحكمها معا أما الوصية للوالدين والأثر بين الوارثين فالجمهور يقولون ان النسخ لها إنما هي آية الموارد والسنة مينة وشارحة لذلك النسخ. هذا بعض أجوبتهم وهو مانع ودافع لكل ايراد، قلت الأيراد الصحيح في هذه الآية إنما يتوجه على مذهب حضرة الدكتور الفاضل لأنه إذا منع النسخ في القرآن مطلقا به أو بالسنة لزمه ان الواجب للوالدين الوصية والنصيب الذي فرضه الله لكل واحد منهما في آية الموارد - وحينئذ يمرض عليه ويقال إنه إما أن يكون ما فرضه لها وافيا بحتمها أو ليس بوافي بحتمها وعلى كل تقدير إما ان يلزم النقص أو الظلم (* لا يقال ان الوصية إنما ندب اليها ولم يوجبها لأننا نقول ان الاعتراض وارد على الاستحباب أيضا على ان في قوله تعالى « كتب عليكم » في أول الآية وقوله « حقا على المتقين » في آخرها دلالة ظاهرة لا يمتريها شك ونص في الوجوب فلا اعتراضات الواردة الصحيحة إنما ترد على مذهب الفاضل الدكتور

قال الفاضل وأين البديل للآيات التي نسخ لفظها وحكمها معا كقوله عشر رضعات معلومات يحرم - الذي نسخ على زعمهم بقوله - خمس رضعات معلومات ثم نسخ لفظ هذا الأخير ولم يأت بدله ؟ قلت والجواب من وجوه وهو يختلف باختلاف مشارب الناس في هذا الموضوع

(الأول) من لم يشترط التواتر في نقل القرآن وهؤلاء يقولون ان آية (٢) الخس

(*) ورد عن علي وابن عباس وهما أعلم السلف بالتفسير ان الآية خاصة بمن لم يرث ويمكن للدكتور ان يقول به وهو ليس ممن ينكر التخصص وان سمي نسختها على انه يمكن منع استلزام الظلم والنقص بجعل الوصية خاصة من وجه آخر كأن يكون بعض الورثة فقيرا عاجزا عن الكسب وبعضهم غنيا فيوصي للعاجز الفقير

الرضعات المعلومات هي آية (١) من القرآن الكريم وهي محفوظة بهذه الرواية ونحوها ولها عندهم حكم القرآن المتلو ومن يقول بذلك فلا يرد عليه اعتراض حضرة الدكتور الفاضل هنا من أصله فان كان يرد عليهم اعتراضات أخرى فأنهم قد أجابوا عنها -
(الثاني) قول من يقول ان القرآن لا يثبت إلا بالتواتر وناسخه لا يكون إلا قرآنا أو سنة كذلك

(الثالث) انا نختار ان قول لا شك ان العشر الرضعات قد ثبت انهن كن فيما نزل من القرآن وثبت انهن نسحن ونقل المنسوخ لا بشرط فيه التواتر لان اشتراط التواتر في القرآن انما التزمه من التزمه لان من خالف الاجماع يكون شاذا مخالفا لما نقله جميع الصحابة من حصرهم القرآن المحكم في هذا المصحف الموجود بين أيدينا واذا صرح وقيد الناقل ان ذلك قد نسخ لفظه أو وحكه فلا شك ان ذلك يخرج عن الشذوذ فلا يكون مخالفا للاتفق عليه من القرآن لجواز ان يكون الصحابة (رض) تركوا نقله لكونه منسوخا لفظا

بقي البحث في النسخ وهو الخمس المعلومات ثم هذه الخمس المعلومات هل من قرآن محكم باق لفظه وحكمه أم ليس هن قرآن وقد قدمنا قول من لم يشترط التواتر وبعض من يشترط التواتر يقبل الحكم ولا يقبل القرآنية فمن يقول ان القرآنية المقولة بنقل الواحد ونحوه إذا خالفت المصحف كانت شاذة فمخالفة الجمهور اسقطت القرآنية لاحتمال ان يكون الراوي الواحد ونحوه نقل ما كان منسوخا لفظه ولم يعلم بنسخ لفظه أو انه ظن ان ذلك قرآن اما الحكم المتضمنة له تلك الرواية فهو غير معارض بنقل الجمهور للقرآن وباب الحكم غير باب اللفظ والقرآنية فمن هنا قالوا بقبول الحكم ورد القرآنية ففكر

وآية عدد الرضعات المرفوعة المنسوخة هي ليست في الحقيقة مما يصح ان يورد عليها ما أورده الفاضل يعرف ذلك بجميع اطراف الرواية ودونك ذلك - روي عن عائشة (رض) انها قالت كان فيما نزل من القرآن «عشر رضعات معلومات يحرم من» ثم نسحن بخمس معلومات فتوفي رسول الله (ص) وهن فيما يقرأ من القرآن رواه مسلم وأبو داود والنسائي - وفي لفظ قالت وهي تذكر الذي يحرم من الرضاعة نزل

في القرآن عشر رضعات معلومة ثم نزل أيضا خمس معلومة رواه مسلم وفي لفظ قالت نزل في القرآن عشر رضعات معلومة فتسخ من ذلك خمس رضعات الى خمس رضعات معلومة فتوفي رسول الله (ص) والامر على ذلك رواه الترمذي. وفي لفظ كان فيما أنزل الله عز وجل من القرآن ثم سقط لايجرم الا عشر رضعات أو خمس معلومة رواه ابن ماجه والنظر يرى ان الصديقه (رض) لم تذكر الا النسخ ولا المنسوخ بلفظه ولا سياقه ولم تبين محله نعم روايتها ظاهرة في ان عدد الرضعات كان قرآنا في الجملة وبعضها ظاهرة في ان العشر نسخن بالخمس ورواية الترمذي هي صحيحة ولا تبين دلالتها على ان الخمس التي هي بدل عن العشر انها كانت قرآنا ولا تدل على ان النسخ وقع بالخمس أيضا وبناء على ما تقدم قولا (رض) فتوفي رسول الله (ص) وهن فيما يقرأ من القرآن أي ان بعض من لم يبلغه النسخ كان يقرأ ذلك وهو مع شذوذه عما نقل الجمهور لم يثبت قراءته في المصحف ولعله رجع عن ذلك ثم يحتمل كلامها ان من بقي يقرأ كان يقرأ العشر والخمس معا أو انه كان يقرأ الخمس فقط فلاننا ان ذلك لم ينسخ وهذا الاحتمال الاخير بعيد . فهذه احتمالات . وأما حديث ابن ماجه عنها فظاهر ان العشر أو الخمس انما هو آية واحدة ودلت هذه الرواية على ان الكل رفع - وبناء على ذلك ان من لازم نسخ العشر ان تنسخ الخمس معها وترفع برفعها لكونها جزءا من آية ولأن الخمس انما هي معطوفات على العامل في العشر فهي منسوخة بالتبع لعدم جواز بقاء لفظها بعد نسخ اول الآيه والابقيت غير معلومة المعنى ومثل ذلك لا يجوز بقاءه او وجوده في القرآن فاندفع ما اوردته الدكتور الفاضل - فقوله في حديث مسلم رح ثم نسخن بخمس معلومة أي بقاء حكم جزء الآيه المرفوع لفظه بالتبع وهي الخمس المعلومة ناسخ للعشر المقصود رفعها ونسخ حكمها بالاصالة والذات - وبقي بعض من لم يبلغه رفعها ونسخها يقرأها هكذا : لايجرم الا عشر رضعات او خمس معلومة

قلت وقوله تعالى (وامهاتكم اللاتي ارضعنكم) يصح ان تقول انه بدل عن هذا المرفوع ورواية ام المؤمنين (رض) قد اثبتت ان حكم المدد محكم فتحريم الامهات الرضعات في هذه الآيه وارد في رضاعة معلومة وهي الخمس الرضعات وعائشة (رض)

يتمين ان تكون سمعت من رسول الله (ص) ان حكم الخمس باق وقد روت في ذلك أيضا أمره (ص) سهلة امرأة أبي حذيفة ان ترضع سالما خمس رضعات ومن يشترط الخمس الرضعات فهو يقول ان هذا كله منسوخ حكمه ونفظه وناسخ ذلك الاطلاق في قوله تعالى «وامهاتكم اللاتي ارضعنكم» فاوصل الجوف هو الرضاع المحرم ومنهم من قال ان الله اطلق تحريم المرضعة والمرجع في ذلك الى السنة وقد ورد ان المصية والمصتين والرضعة والرضعتين والإملاجة والإملاجتين لا تحرم وحديث عائشة (رض) فيه إنباطة التحريم بخمس معلومات فوجب المرجع اليه فيما نستقد وقدما توجيهه، بذلك اندفع اعتراض الدكتور الفاضل ايضا وثبت ان الناسخ لذلك هو القرآن مفسرا المراد منه بالسنة أو بماله حكم السنة وظهر بما قدمناه ايضا النكته في نسخ لفظ الخمس والله اعلم وأما آية الرجم فقد قدمنا الجواب عن رفع لفظها وحكمته فلا نعيده واذا قدر غنا عن جواب كل ارادات الفاضل في مسألة النسخ فلنشرع في الجواب عما اورد من الشبهات على وجوب العمل باحاديث الآحاد الصحاح فنقول (مما بقية)

الانقلاب العثماني الميمون

﴿ بخلع عبد الحميد ﴾

(رأي جرائد مسلمي الهند فيه)

أرسل الينا صديقنا مولوي محمد إنياء الله صاحب جريدة «دوطن» الغراء التي تصدر باللغة الاوردية في «لاهور» مقالين في الانقلاب احدهما من تلمه نشرها في فائحة أول عدد صدر من جريدته بعد العلم بالانقلاب الاخير وخلع عبد الحميد ثم ترجمها بالعربية والثانية نشرت في جريدة «ابرزور» باللغة الانكليزية وسألنا رأينا فيها فنحن ننشرها ثم نبدي رأينا فيهما وهذه هي الأولى نشرها مع إصلاح قليل لبعض الألفاظ يحدد المعنى ولا يضيع منه شيئا (وعنوانها الانقلاب المشؤم في الدولة العلية) لقد طير البرق الينا اليوم النبا المشؤم الذي فتت الأكبادة، وأبس القلوب ثوب

(المجلد الثاني عشر)

(٣٨)

(المآرج ٤)

الحداد ، وقد ساد الأسف بمجرد سماعه على العالم الاسلامي في الهند وسائر اقطار
المعصوم ، ومن التألم الناشئ منه تنفتت الصدور ، وذلك النبا العظيم الذي آلم العالم
الاسلامي بأسره هو نأ عزل جلالة السلطان عبد الحميد الثاني عن عرش الخلافة
والسلطنة العثمانية بقرار مجلس الامة اجماعا على عزله ولا ادري هل انزل جلالة
من عند نفسه او اعتزك جمعية الأتحاد والترقي التي كانت عند اول ظهوره في بدء
احياء الدستور العثماني اخيراً مظهرة عزيمتها على ارتكاب هذه الجريمة الشنعاء لكون
اعضائها من الناقمين من جلالة او الخائفين من ذاته على الدستور . ولكن علنا بعد
صدور الإرادة الشاهانية باعلان الدستور واقلاب الوزارة وقبول بعض مسند الصدارة
الى سماحتو (؟) كامل باشا الصدر الأسبق ان المعتدلين والمقلد من حزب تركيا الفتاة
لا يرون لزوم عزل جلالة عبد الحميد بعد ان صار محبا للدستور وحلف على حفظه
وصرح بعزمه على تهورية الحزب المذكور لا سيما الجمعية الأتحاد والترقي التي لعبت
دورا مهما في ملعب احياء الدستور وترقية البلاد حتى صار جلالة لا يرم امرأ ولا
يصدر اواذة من غير استشارة الجمعية ويطيع لها في كل الامور وقبل صدارة شرف
الجمعية وفاء بها علنا . وقد مال بكليته الى الجمعية حتى عاداه حزب الاحرار من
تركيا الفتاة وغيره بالتخلف عن فرائض الملك الدستوري بوضعه نفسه تحت يد جماعة
غير مسئولة عن صلاح البلاد والعباد وبعد ما ترك استبداده بالحكومة قد وقع
نفسه تحت نير الاستبداد الأشأم والأشر من الاستبداد الاول ولكن كل هذه
الملاينة والاعتقاد لم يجد لجلالته نفعا وصارت الجمعية تلهو وتلعب به كما تلعب الهرة
بالفأرة التي تريد اقتراسها — وقد أخذت الجمعية تمهد السبيل لعزله فأبعدت عما كر
الاستانة وارسلتها الى الولايات ووضعت دار الخلافة تحت حماية الصاكر الموالية
للدستور التي جاءت بها من سلانيك وغيرها ، وطلبت من جلالة السلطان عبد الحميد
ان يرضى بوضع فيلق الحرس الهايوني ايضا تحت أمره نظارة الحرية وقد رد جلالة
هذا الطلب غير مرة ولكن لما رأى الجمعية مصرة على ذلك اجاب طلبها (وان كانت
الاجابة خطأ — كما ظهر الآن) لان جلالة اراد ان يبرهن للعالم (أصالة) وللجمعية
تبا حسن نيته وميله الى جهة الدستور

ان جمعية الاتحاد والترقي كانت لا تزال تعتمد على الجيش في حفظ الدستور ولذلك لم تكن تسمح بإبعاد السواكر الموالية للدستور الى الولايات وان كانت نار الفتن الداخلية متأججة في جميع الجهات والضرورة داعية لارسال السواكر الى الخارج كي يمكن اخادها واعادة النظام الى البلاد - ولما اراد الصدر الاسبق والرجل المحك كامل باشا استعادة النظام العسكري والطاعة في الجيش امتعت الجمعية عن ذلك واخذت تعرقل مساعي الصدر المدوح وحكومته في اصلاح المملكة الداخلي فلما منها ان خروج الجيش من يد الجمعية يضعف قوتها ويخرج مركزها ويكون خطراً على الدستور - لا قدر الله - وصارت الجمعية تأخذ على مجاري أمور الحكومة بالقوة القاهرة كأنها حكومة في حكومة بل وفوقها مستمدة على الجيش وقد شوهدت الدستور بسيطرتها على الحكومة ومجلس الأمة حتى انقسم حزب تركيا الفتاة الى حزبين حزب الجمعية وحزب الأحرار وناغلب حزب الجمعية بفضل الجيش وكثرة اعضائها في مجلس الأمة وانهمز حزب الأحرار شرهزيمة في عدة مواضع اندفع في انتقاد اعمال الجمعية بصدق الابهجة وكشف الفطاعن نيتها المشوهة للدستور وانتشر بغض الجمعية بين الأنام بعد ان كانوا محبين لها لهجين بشكرها في اعادة الدستور وهاج اهالي الاستانة وعساكر دار الخلافة مشهري بن سيف عدائهم في وجه الجمعية وقلبوا لها ظهر المجن - وفر جميع انصار الجمعية من اعضاء مجلس الأمة تاركين مراكزهم في الاستانة الى متر مركز الجمعية في سالانيك - واخذت الجمعية تجند الجنود لكبح جماح الخارجين عليها والباغين بدعوى المحافظة على الدستور واخيراً قد فازت الجمعية على مخالفيها وأجرت الاحكام العسكرية في دار الخلافة واخذت تبحث عن الذين سموا في نحو الدستور واعادة الحكم المطلق (بزعمها) وكلما نظر في خلال هذه الحادثة المؤلمة من أولها إلى آخرها نجد جلالة السلطان عبد الحميد محافظاً على الدستور وموالياً للأمة - والوطن - لم يتعرض لمجلس الأمة قط بل صرح في مثل هذه الحالة الخرجة أيضاً عند تعيينه لملي كمال بك (كذا) صدرا لمجلس الأمة ان مستقبل البلاد لا يقوم الا بالمحافظة على الدستور وهذا دليل بين وبرهان عظيم على كون جلالة محياً للدستور - ومحافظاً عليه باراً

بيمينه محتباً إراقة دماء الأبرياء وزرى البعثين أو حزب تركيا الفتاة تأهين في تبه الضلالة وناسين واجبات صلاح الدولة والمملكة بأسراعهم في عزل عبد الحميد عن عرش الخلافة وعدم تبصرهم في غوائل الأمور وخاصة عاقبة مثل ذلك الفعل القبيح — لأنهم لو تأملوا بمجوات انقلاب السلطنة الأخيرة لوجدوا انه لم يكن لجلالة عبد الحميد يد فيها لأنه كان قادراً على ان لا يسمح بإبعاد حرسه الخاص قبل أسبوعين من تلك الكارثة أو جمع عدد عظيم من الصاكر لحفظ مركزه — وعلى الأقل — حض الصاكر الموجودة في الأستانة الذين بقوا وطفوا على الجمعية (واغرائهم) بالثبات والاستقلال في الحرب وجود قصره على عدم قبول طاعة المهاجرين من غير مدافعة — بل وإسلامهم للاعداء — كما صرح ضباطهم عند التسليم «انا نسلم أسلحتنا بأمر من جلالة السلطان لأنه أبي إراقة الدماء وقال لنا ان المهاجرين أيضاً من أولاده وهو لا يرضى ان يصيبهم مكروه» وغير هذا كان من الممكن لجلالته ان يأخذ لنفسه حماية أقوى دولة من الدول الأجنبية — ولكنهم يفعل كل ذلك بل سلم نفسه للمة وأثبت للملأ انه محب مخلص للامة والوطن ولا يريد محو الدستور أبداً وإراقة قطرة من دم في سبيل حفظ مركزه على طريق الواجب أيضاً فكان من واجبات الجمعية وحزب تركيا الفتاة ان يحترم عواطف ذلك السلطان الشقيق والسياسي المحنك الذي عند قبضه على صولجان الملك كانت السلطنة في أسوء الحال من الأفلاس — وعدم قوة الحرية — وخلل نظام الداخلي — وهجمات الأعداء الخارجي — وكانت الأمة جاهلة عارية من العلوم الحديثة منقسمة على نفسها أي اتقسام أدى ذلك الاتقسام الى ضعفها واضمحلالها الى حد حكم العالم بموتها — فشر على ساق الجسد وقوى مركزها بين الدول وأصلح الخزانة وعمرها حتى جعل لها اعتباراً مالياً في أسواق أوروبا باعتبار أقوى الدول في العالم — ودرّب الجيش على قواعد الحرب الحديثة وأكمل تسليحه بأحدث الآلات — حتى صار الجيش نفسه اليوم عليه بعد ان كان له ، وكل فضل الجيش في الترية والعدة والمدد من بركات عبد الحميد لا غير فانظر يا أيها القاري كيف انقلاب الحال !! سعى في اقتشار التعليم والعلوم الحديثة في البلاد وأقلع صدأ الجهل عن

مرآة قلوب العباد ، الى ان صاروا يفهمون معنى الوطنية والاتفاق والاتحاد ، فالذين علمهم الوطنية والاتحاد صاروا اليوم يرمونه بعدم محبة الوطن ومخالفة الدستور ان هذا شيء يراد

قضى ثلاثا وثلاثين سنة يجهد وراء سعادة الامة والملة وعمل اعمالا اثمرت رفاه البلاد والسلطنة : عمر الطرق وبنى السكك الحديدية واجرى الترع والقنوات واخصب المغاوز والقنار ، وأوصل الاقطار بالاقطار ، حفظ السلطنة من الضياع امام اعداء اشداء حتى أقر العدو والصديق انه من أمهر السياسين في السياسة وداهية العصر في الدهاء وفاز في كل المواقع السياسية المشهورة بهمة السماء غير مضيع نفسه ومضعف مركزه وكان في كل زمان عاملا نشيطا وسلطانا حازما لا يعرف الملل ولا يتريه الكسل - كان من عادته ان يعمل ثمانى عشرة ساعة في كل يوم ويشغل في مهام السلطنة كأدنى خادم للملك والملة ، لم يكن له شغف بالراحة ولا كان يعرف الاستراحة فبعد ما عانى من المشاق ما عانى سوعمل لصالح البلاد ما عمل لما رأى ان غراسه أينعت وأثمرت ، والملة لحكم الدستوري اشتاقت ، اعطاها هذه النعمة مرتاح البال وصار يفذيهم بلبان الافضال يقوم باقامتهم ويقعد باقتادهم كأنه ترك حمل القوم على غاربهم ليظروا استعدادهم ومعارفهم عادت الامة عليه ورمته بالسعي في اعادة الحكم المطلق من غير بينة ولا برهان حتى اذا لم يجد مسوغا لتجريمه استعان بتقوى الشرع من شيخ الاسلام وصوبت اليه سهام الملام ، وأنزله من عرش آباءه الكرام ، وهو في هذا الحال أيضا راض من الامة غير منكسر البال بما فعلت به لانه يعرف ان القوم مخطئون وهم لا محالة يوما على صنعهم سيندمون .

فارحم الله باطنك هذه الامة الخاطئة التي كفرت بنعمتك الجزيلة ولم تعرف قدر ذلك السلطان الجليل الذي كان خير سلطان لها في مثل هذه الحالة الحرجة والموقع الصعب وأهداها الالم بجاه نبيك ان تكافي سيئتها بحسنة إعادة السلطان عبد الحميد على سرير الملك وان لم تفعل ذلك فحفظ حياته وتحترمه احترام ما يليق به وتتفهم من آرائه وتجار به وحنكته من حيث هو مشير مخلص خير في نظم المملكة وترقية السلطنة ان لم تتفهم به من حيث سلطان قابض على زمام الملك وتن يا مولانا له

وخلفه وأمه خير نصير انك على كل شيء قدير وبالاجابة جدير

حضرة الرصيف الفاضل :

بعد السلام والاحترام ترسل اليكم اليوم مقالنا الافتتاحية التي سطرناها في جريدتنا في أمر عزل السلطان عبد الحميد. ومهما مقالة أخرى المنشورة في جريدة أوبرور - وغرضنا ان نشر وهما في جريدتكم الغراء لتعلم الامة العثمانية بأفكار المسلمين الهنديين في ذلك الباب وان كان ما كتبناه عن عدم العلم بالاحوال الموجودة أو خلافا للوقائع فلكم ان تهندوا أقوالنا لتكون على بصيرة في المستقبل فيما كتب بأمر الدولة العلية ولكم الفضل هذا واقبلوا فائق احتراماتي افندم - وودتم

كاتبه المخلص محمد إنشاء الله

٦ مايو سنة ١٩٠٩

محرر ومدير جريدة « وطن »

(لاهور - بنجاب) الهند

(المئراج) وهذه ترجمة جريدة ابرور وهي مفتحة بيتين لشكسبير شاعر الانكيز

في مصرع يوليوس قيصر الروماني . قال

خلع السلطان عبد الحميد

لقد خلع السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني سلطان تركيا وخليفة الاسلام وأمير المؤمنين ونودي بمن يخلفه . ان هذا الحادث المحفوف بأعظم الاخطار الممكنة سيؤثر تأثيرا مزعجا في العواطف الاسلامية في العالم بأسره ومن شأنه أن يؤدي الى قلق عظيم في جميع الممالك الاسلامية من النيجر في أقصى الغرب الى الصين في أقصى الشرق

ان الزمن القصير الذي مضى على هذا الحادث لا يبيح لنا الحكم بمقدار تأثير خلع عبد الحميد في السياسة العثمانية ومستقبل الاسلام فقد يكون فيه خيرا لتركيا وقد يكون بداية القضاء عليها ولكننا نعلم علم اليقين ان خلعها قد ذهب من مسرح العالم السياسي بشخص مفرد كان له نفوذ عظيم في تكيف التاريخ الأوربي مدة ثلاثين

سنة وقبض في راحته على مفاتيح الاسرار الدولية في الغرب وكان احسانه قتل حجارة الشطرنج على رقعة السياسة الأوربية موضع اعجاب ساسة المسيحيين وحسد هم وبأسهم. وكان حسن تبصره في مشاكل الشرق الأدنى هو الباعث الوحيد على اتخاذ تركيا من الوقوع في أيدي جاريتها القوية الطماعة . اذ لا يخفى ان الدولة العثمانية انما فقدت بلغاريا والبوسنة والهرسك على عهد الحكومة الدستورية (؟) وسيفتح التاريخ فصلا كبيرا خطيرا لوصف حكم عبد الحميد العظيم الشأن ويعترف بأن الفضل في سلامة المملكة من الفوضى وتحول الاتحاد الأوربي عليها عائد الى حنكته وحكمته فانه لم يسبق لملك آخر سواه من المتقدمين أو المتأخرين ان لاقى ملاقاه عبد الحميد من العقبات الشديدة داخلا وخارجا وهو معرض كل يوم للفتن المرتبة والبلاغات الأخيرة الواردة عليه من كل جانب ومع ذلك فانه كان ينبغي عنه غبار تلك الحوادث ظافرا فائزا بفضل حكمته وحنكته وهو الآن قد ترك العرش في ظروف محزنة منجعة بعد أن قضى حياته في التعب والعناء تارة في صفاء وطورا في شقاء وهو في الحالتين قد امتاز بحسن تقديره للواجب الشريف والدأب على العمل لسعادة مملكته

ان التاريخ لم يرو لنا أنكى من هذه الحادثة وأكثر مفاجأة من هذه الفاجعة التي رأينا فيها سلطان الامة الجليل والخليفة الشيخ الذي ظلما تولى الأمور بيد قادرة وكانت ارادته نافذة في أمته وكان عاملا نشيطا لرقى وتقديم شعب متأخر - تلك الحالة التي رأينا فيها بهبط من علياء مجده ومكاته على أثر ثورة قام بها « أبناءه » وهو يتوسل اليهم أن يبقوا على حياته وحياة أولاده ويندر أن يأتينا التاريخ برجل حامت حوله الآراء المختلفة كما حامت حول سلطان تركيا الخلع فقد نادوا به منقادا بلاده كما قالوا انه أفسد قومه . وأطروه فقالوا انه موجد الدستور العثماني ومانحه وأهانوه فقالوا انه أشد خصوم الدستور . وفرحوا به فقالوا انه الذي رفع الامة المتأخرة وأحياها من العدم ثم أساوا اليه فقالوا انه منبع الأنحطاط ومصدر نعاسة الامة العثمانية . جعلوه عنوان المفاخرة برجل تمكن بدائه وحكمته من رد مساعي أعداء وطنه . وزعموا أنه ظالم مستبد

ضعيف العقل لاهم له إلا ترويج مصلحته الخاصة . على أن خصومه وأعوانه قد اتفقوا على الاعتراف بمقدرته السياسية وفوزه في افساد مساعي الاعداء الذين أحاطوا به من كل جانب وجه الذي لا ينكر للاسلام وجميع ماله علاقة به وإنما المستقبل وحده يستطيع أن يحكم الحكم البات في شخصيته وأعماله يثني عليه أو يقضي ببدل على الذين دسوا الدسائس خلفه

على ان الدور الأخير من حياته جاء موافقاً لما علمناه من حياته الشريفة فإنه منع سفك الدماء ووعد ان لا يهجر يلدز ورضي بالخلع المقدر له من أمته ولم يطلب من القوم الا أن يسمحوا له ان يقضي بيه حياته مع أولاده في القصر الذي ولد فيه على انهم لم يجيبوا طلبه بل نقلوه الى مدينة بعيدة سجننا في بلاده محروماً من جميع مظاهر الابهة معرضاً لمعاملة مكذرة لرجل حساس نظيره وهو مع كل ذلك قد نصرف بأنفته الممهودة وصبره المعروف الذي يليق أن يفاخر به الهيكل العثماني والملك الكبير والرجل الذي صح اسلامه

قد قال بورك « يا لها من ثورة » ونحن نقول أي قلب لا يتأراذيتأمل في ارتفاع عبد الحميد الى مستوى تزيع فيه الأبصار ثم سقوطه الفجائي . من كان يظن وهو ذاهب يوم الجمعة الفائت الى حفلة السلامك محاطاً بالهتاف والدعاء ان مثل هذه النكبة تحل به بعد يومين من أمه حوت كثيراً من الشجعان والاشراف والابطال لقد كنا نظن ان عشرة آلاف حسام بل عشرة ملايين حسام تجرد من اغنادها لننتقم له من نظرة احتقار أو أقل اهانة

ولكن قضت الأقدار غير ذلك ونقل عبد الحميد ليقضي بيه أيام حياته في قصر الاتيني الذي كان مسكناً لاحد قواده اه

﴿جواب المناجرات﴾

كما نعلم ان الجرائد الهندية تطري السلطان عبد الحميد وتنوء به ولكن لم يكن يخطر لنا ببال انها تجهل احوال الدولة العثمانية في عهده جهلاً مطلقاً بحيث لا تدري حقيقة شيء منها ألبتة كما ظهر لنا من هاتين المقالتين

كنا نظن ان اصحاب هذه الجرائد يملون بعض الحقائق عن الدولة وسلطانها من الجرائد الاوربية التي لم يتمكن عبد الحميد من استئجارها المدحة، وأنهم يكتبون هذه السيئات ويذيعون بعض أماديج الجرائد الألمانية التي كانت مكرهة على المدح بالباطل وبعض الجرائد الأوربية والمصرية المستأجرة أو المخططة في اجتهادها أو المنزلة العامة بنوال ذلك السلطان الذي يعطي العطاء الجم لمن يواتيه ويسمى الى هلاك من يناويه وكنا نلتبس العذر لمن نحسن الظن فيهم ونعتقد حسن نيتهم كصديقنا صاحب جريدة «وطن» بأنهم لا يحبون ان يبينوا الحقيقة كما هي لئلا يصف تعلق مسلمي الهند بالدولة العلية التي يودون كأنها وجميع المسلمين الذين سلط عليهم الاجانب لو تكون أقوى الدول وأعزها وان تبقى صلهم بها قوية شديدة كما هي سياسة جرائد مسلمي مصر سواء منهم من كان يستفيد من عبد الحميد ويطمع في المزيد ومن ليس كذلك كنا نعتقد مع الخامس هذا العذر ان مدح الجرائد الاسلامية في مصر والهند لعبد الحميد والدفاع عنه ضاراً بالدولة سواء منه ما كان بحسن نية وما كان عن طمع في ماله أو رتبته وأوسمته لأن ذلك يجعل قلوب الملايين من المسلمين متعلقة بشخصه وهذا شيء يضر (لو كان سلطانا مصلحاً فما بالك وهو سلطان مفسد مخرب) لأنه يجب أن يكون التعلق بالدولة لا بالشخص ولأن في كل قوة لعبد الحميد إضماراً للأمة العثمانية والدولة العلية اذ اتخذ الأمة عدوة له وجعل الدولة صوراً متحركة في يده اذا حاول أحد الوزراء او المشيرين أو الولاة أو القضاة فمن دونهم ان يعمل عملاً ما مستقلاً فيها بحسب الشرع والقانون يتوه من جسم الحكومة براء، وكان عاقبة أمره خسراً، فأبي سلب للاستقلال واضماراً للحكومة يكون شراً من هذا ومن الشواهد على ذلك ما حدثني به احمد مختار باشا الفازي غير مرة من أنه حاول جهده ان يقنع عبد الحميد بجعل القضاء مستقلاً دون السياسة والإدارة ليأمن الناس على حقوقهم وانفسهم واستعان على ذلك ببعض كبراء الدولة فكان السلطان يغضب لهذا الاقتراح ويرفضه أشد الرفض، وهل تقوم للدول قائمة أو ترقى الامم بغير قضاء مستقل ؟

وكنا نستقدان ذلك المدح الذي غر المسلمين بالسلطان ضار بأولئك المسلمين انفسهم ايضا لانصرافهم به عن استمدادهم واتكالمهم على من لا يفهمهم وقد كتبت في مقالة نشرت في جزء المنار الذي صدر في ١٧ المحرم سنة ١٣١٧ ما نصه :

« ان امام المصريين وسائر المسلمين سداً منيعاً من الوهم يحول بينهم وبين السير في طريق الترقى فاذا استطاعوا ان يظهروه او يقبوه - ولا أقول ان يدكوه - يتسنى لهم الايجاف والايضاع في ذلك المنهاج الواضح ، والمبهم الواسع ، وان ذلك السد هو الاعتماد على دولهم وحكوماتهم التي امست أغللاً في اعناقهم وسلاسل في أيديهم وقيداً في أرجلهم وغشاوة على ابصارهم ووقراً في أسماعهم وورينا على قلوبهم ، وكل ما نزل بالمسلمين من بلاء فأتانا نزل من سماء عظمتهم واستبدادهم ، وان تعجب فعجب قول من ليس للدولة العثمانية في بلادهم أمر ولا نهي ولا نفوذ ولا سلطان (١) » ان حياتنا بين يدي المايين وان السعادة ستهبط علينا من أفق الباب العالي ، وهم يعلمون ان البلاد الي تحت جناح المايين ونفوذ الباب العالي تنقص من اطرافها ويتمزق أهلها كل ممزق ولا ينال تلك البلاد وأهلها من المايين والباب العالي الا الاعتراض على من مزق الأشلاء وشرب الدماء

« ماذا جني وبجني أهل جاوه والهند ومصر من الظهور القولي في حب الدولة العثمانية ؟ لعمرك انهم لا يجنون الا الخنظل والزقوم فان هولاندا وانكفترا كلما آتسنا منهم اليها ميلاً ، أو سمعنا منهم فيها قولاً ، نزيدان عليهم الضغط والاضطهاد ، والقهر والاستبداد ، أو لا يرون ان الدولة لا ترجع اليهم قولاً ، ولا تملك لهم ضراً ولا نفعاً ،

« ولا أقول لهؤلاء المسلمين أبغضوا الدولة ولكني أقول اذا احببتموها فآتموا حبها ولا ترجوا منها ما لا ينال واعتمدوا في رقيكم على المعونة الالهية ثم على جدكم وكذكم وعلمكم وعملكم فان رأيتم من الدولة نهضة عملية فأنهضوا معها ان كنتم صادقين ، كل عاشق يحذر العذال والرقباء فكيف لا تحذرون ، ألم تعلموا ان الدولة لا ينالها من كثرة لعنكم بذكرها إلا مثلما ينالكم من الضغط الأوربي والاضطهاد

(١) كلمة قالتها في تلك الأيام جريدة يومية من جرائد المسلمين بمصر

« نعم ان السلطان يفرح ويسر من خضوعكم له ولهجكم بمداحه ولكن تشرون فرح شخص وسروره بمصالحكم ومصالح الدولة ؟؟ أقول هذا وأنا أعتقد انه لباب النصح الذي يوجب علينا ديننا وإخلاصنا لأمتنا ودولتنا ومن بين لنا بالبرهان اننا مخطئون فائنا نرجع الى رأيه ، وإذا كان القول صواباً فعلي إخواننا المسلمين أن يتدبروه وعلى جرائدهم ان ترجع صداه ، والمتنظر من الجرائد الهندية التي تفضل دائماً بترجمة مقالات المنار أن تنقله الى لغتها ليحيط به قراؤها علماً ، اه ما كتبناه منذ عشر سنين ولم تكن سيئات عبد الحميد قد ظهرت لنا جلية بل كنا نحسن الظن فيه ونداقم عنه ظهري هذه الأيام من صدق رأينا أن التفتي ، دح عبد الحميد كان مضراً بالدولة فانا نرى أصحاب بعض جرائد المسلمين ومن تلقح برأيها منهم يسيئون الظن اليوم بالأمة العثمانية وبمحاكمة الدولة كلها ويزعمون ان العثمانيين أحرارهم وجاهيرهم وعسكرهم ونوابهم كلهم مخطئون كافرون للنعمة جانون على الدولة وان عبد الحميد وحده هو المصيب وان استواءه على عرش السلطنة هو الذي يحفظ الدولة والاسلام وان سقوطه عنه خطر على الدولة والاسلام ! ، فيالله وللعقول كيف كان هذا السلطان مصلاً مرقياً للأمة والدولة وهي بعد ثلث قرن من إصلاحه لا تصلح ان تسوس البلاد وتحفظ كيان الدولة ولا تعرف قيمة من يقدر على ذلك ؟ وكيف تبقى دولة يتوقف بقاؤها على وجود شيخ هرم بلغ من الكبر عتياً ، لم يزد فيه إلا كبراً وعتواً

كان من سوء تأثير اطراء الجرائد المصرية لعبد الحميد قريب مما كان في الهند ولما أعلن الدستور اجتمع جمهور عظيم من المصريين للاحتفال بهذا الطور الجديد للدولة العلية ومما كان في الاحتفال من العجائب أنه كان يصبح جمهور عظيم ليحي السلطان عبد الحميد ولتسقط تركيا الفتاة ! ، وما تركيا الفتاة إلا الأمة العثمانية الناهضة بالإصلاح والقائمة بأمر حكم الشورى الذي يبر عنه بحكم الأمة نفسها بنفسها . ما أضعف البشر الذين يوجد فيهم من يتخيل عبد الحميد في هذا العصر كما كان يتخيل قدماء المصريين فرعون الذين قال لهم « انا وبيكم الاعلى » ثم قال لهم « ما علمت لكم من اله غيري » فأطاعوه وعبدوه كما عبد كثيرون غيره من الملوك بعد هذا التمهيد العام أئين للرصيفين الفاضلين غلطهما فيما كتبا بالتفصيل الا

ما كان من المدائح الشعرية لعبد الحميد وادعاء ان العالم الاسلامي بأسره يبكيه ويحزن نخله وحسبنا ان عالمنا الاسلامي العثماني بذلك سرورا لم يسر بمثله في حياته . وأبدأ بدعاوى صديقي صاحب جريدة وطن ثم اذكر ما انفرد به الآخر فأقول
يقول صديقنا الغيور ان عبد الحميد أثبت للعالم حبه للدستور واخلاصه له واستدل على ذلك بأمر (١) إعلانه الدستور عند طلبه من غير سفك دم (٢) تصريحه بذلك عدة مرات (٣) عدم تعرضه لمجلس الأمة بسوء (٤) وضع حرسه تحت أمر نظارة الخربية واخراج حرسه وعساكر الاستانة منها ووضعها تحت حماية عسكر الدستور الذي جيء به من سلاويك وغيرها (٥) أمره أخيرا الحرسه بالتسليم لعسكر الدستور الذي دخل الاستانة عند ما أراد الاستيلاء على « يلدز » قال وكان قادرا على ان لا يسمح بإبعاد حرسه وعلى جمع جيش عظيم لحفظ مركزه وعلى حرض العسكر الذي طفق وبني على الجمعية على الحرب (٦) تركه طلب حماية أقوى دول أوربا وإنما ترك ذلك حبا في الدستور واخلاصا للمملكة والوطن !!

وقول انه لا يصح من هذه الأدلة شيء (١) فاعلانه الدستور لم يكن عن رضى واختيار بل فاجأه هذا الطلب المقرون بإنذاره الزحف على الاستانة بالجيوش والكتائب اذا لم يجب اليه فجمع مستشاريه وأعوانه الذين أفقر الدولة لا غنائهم وأذلها لأهزاهم ومن يرجع اليه عند المشكلات من غيرهم وهو سعيد باشا وطققوا بأنمرون الليل بطوله فاجمعوا أمرهم في الصباح على ان المقاومة بالقوة غير مستطاعة فان عساكر حصون الاستانة متفقة مع عسكر سلاويك فهي تساعد ولا تقاوم بل قيل له ان دساتيمهم متصلة بحرسه فصديق ذلك وناهيك باحتياطه وحنده وجبنه واستغنى شيخ الاسلام في عصيان عسكر سلاويك ليحاربهم باسم الدين ويوقع الفشل فيهم فقال له شيخ الاسلام لا يمكن الأفتاء بعصيانهم وخروجهم على الخليفة لأنهم يطلبون منه أمرا مشروعا وهو جعل الحكم بالشورى كما أمر الله عز وجل . فلما لم يجد في قوس المقاومة منزعا أمر بالإجابة على كره وعزم على استعمال سلاح المكر والحيلة والكيد الذي فتك به بالدستور ورجاله أول مرة كما ظهر في الفتنة الأخيرة واضحا جليا كالشمس ليس دونها سحاب ولعل هذا قد علم الآن عند اخواننا الرصفاة في الهند فانهم قد كتبوا ما كتبوا عند ما علموا بنبا الانقلاب وقيل العلم بالاسباب

٢ — وأما أقواله وتصريحاته بحب الدستور فهي دعوى لا دليل عليها .
ومثله إظهاره الرضا عن جمعية الأتحاد والترقي وكونه منها أورئيسا وقد كان يستعمل
هذه المصانعة والمراوغة والدهان في أيام جبروته وعنفوان استبداده واتناكرف عنه
من ذلك ما لا نود ذكره الان

٣ — وأما عدم تعرضه لمجلس الأمة فلم نفهم ماذا يعني به الكاتب . أيعني انه لم
يرسل حرسه لقتل نواب الأمة أم ماذا يعني ؟ هل كان يمكن التعرض لهؤلاء النواب
مباشرة وأقوى جنود الدولة بحرسهم والاسطول معه ظهير ؟ كلا ان هذا لم يكن ليأتيه من له
مسكة من عقل أو إدراك لانه على فحش قبحه في أعين الامم والدول غير ميسر
للاستبداد ما لم تسقط القوة الذي أوجده فلذلك وجه عبد الحميد كيد وفكره لا يسقط
جمعية الأتحاد والترقي بتغيير الأمة منها باسم الدين والى التفريق والشقاق بين
الجيش ليضرب بما يستميله اليه منه ما يبقى في جانبها وجانب الدستور وإن هلكت
بهذه المكيدة الامة وسقطت الدولة

٤ — وأما مسألة تغيير حرسه واستبدال بعض عسكر الدستور بعسكر الاستانة فقد
راوغ فيه مرارا ثم انفذ بالقوة ولم يكن من سبيل الى المقاومة فيه بعد ان شرعت الحربية
في اعدام الذين يخالفون الاوامر العسكرية بحسب القانون مع علم الحرس وعبد الحميد
ان الاسطول تابع للحكومة ولعسكر الدستور لا للمابين وانه يمكنه أن يدمر يلدز عليه
وعلى حرسه تدميرا

٥ — وأما أمره لحرس يلدز بالتسليم عند ما وصل اليهم جيش الدستور بعد
استيلائه على حصون الاستانة ومواقمها العسكرية بالقوة القاهرة فسببه يقينه بأن المقاومة
في هذا الوقت تفضي الى تدمير يلدز بالمدافع بعدما كان من حصرها وقطع الماء والزاد
والنور عنها ، وفي ذلك ذهاب حياته العزيزة الذي جعل الدولة والامة حفاظا لها مدة ثلث قرن
٦ — واما دعواه انه كان يمكن ان ينال عبد الحميد حماية أقوى الدول
الاجنبية ولكنه لم يفعل جاني الدستور فنقول فيها ان هذا لم يكن في استطاعته لاسيما
بعد ان ينس من الفوز والظفر بمكيدته الاخيرة

و يالبت شعري كيف يتصور صحفاؤنا في الهند ان يحارب الألوف من عسكر الاستانة

إخوانهم الذين جاؤا من سلايك لتأييد الدستور اذا لم يكن السلطان هو المحرك لهم؟ خرجوا عن طاعة قائدهم وصاحوا في مواقع كثيرة: ليستطد الدستور وليعش السلطان وحاولوا قتل جميع اعضاء لجنة الاتحاد والترقي، فعلى اي دعامة كانوا يستندون؟ وأية قوة كانوا يعززون؟ أما أنه لو لم تظهر الدلائل الحسية القاطعة بعد ذلك على أن عبد الحميد كان هو المدبر لهذه الفتنة والمنفق عليها لكان العقل وحده حاكما بذلك

وإذا كانت عبد الحميد قدر على إفساد الجيش الذي جاءت به الجمعية عليها ودفعه للتكامل بها وبالدستور فكيف كان يكون اندفاعه في مكيدته لو كان الحرس الذي رباه في حجر الرفاهة والدلال بقي عنده؟ أفلا يدل هذا على ان الصواب هو ما فعلته الجمعية من إخراج ذلك الحرس الفاسد (الذي لم يطع نظارة الحرية إلا بالقوة) من قصر هذا السلطان الذي مرد على الاستبداد حتى امتزج بلحمه ودمه وعصبه؟ أليس هذا الدليل أصح من دليل صديقنا على كون الرضا باخراج ذلك الحرس كان خطأ

هذا هو القسم الأول من الكلام وهو ما يتعلق بالدفاع عن سيرة عبد الحميد في عصر الدستور وأما القسم الآخر منه وهو في سيرته قبل الدستور فيشتمل على عدة دعاوي لم يقترن شيء منها بدليل

١ - قال « انه أصلح الخزانة وعمرها حتى جهل لها اعتباراً مالياً في أسواق أور باموازيلا اعتبار أقوى الدول في العالم » وتقول ان هذه الدعوى أغرب ما كتبه الرصيف الصديق وانتي لا أذكر ان أحداً من الذين كانوا يطرون عبد الحميد بالإكراه أو بالأجرة قال ذلك أو ما يقرب منه بل كانوا يطرونه بأمور أخرى لا تظهر مخالفتها للحس كهذه فقد أفسد عبد الحميد مالية الدولة حتى لم يعد لأحد من أوربا ولا من غيرها ذرة من الثقة بها ولم يعد أحد يقرض الدولة قرضاً ما الأضمان يستولي به على مورد من مواردها بالفعل حتى صارت موارد الدولة الأساسية في يد إدارة الديون العمومية وغيرها وبهذا صار لبعض الأمور المالية شيء من النظام. وحسبك انه لم يكن للدولة في هذه السنين ميزانية تجري عليها الحكومة بل كان عبد الحميد يفتال الملايين من الدخل ويساط عمال الحكومة على الاستماضة عن مرتباتهم التي لا يصل

اليهم منها إلا القليل بسلب الأمة ونهبها بشرط أن يجعل له كبارهم كالولاية
والتصرفين نصيباً مما ينهبون . وحسبك ان الحكومة قد عجزت الى الآن عن
تقديم الميزانية إلى مجلس الأمة وفر موسيو لوران المالي العظيم الذي جاءت به
الحكومة من فرنسا لينظم ماليها متعجباً من الخلل الذي وجده مصرفاً بان إصلاحه
من أشق الأمور حتى انه يكاد يكون متعذراً . نعم انه عمر بخراب مالية الدولة
ماليته الشخصية فكنز الملايين في صناديق يلدز وفي مصارف أوروبا وأمريكا
وافقى الملايين على الشهوات والجوايسيس وهو يعلم ان عسكر الدولة كان يموت
جوعاً وعرياً حتى انهم كانوا يقتاتون في نجد بينذر الخنظل فقطع أمعاءهم والعياذ بالله
٢ - قال انه درّب الجيش على قواعد الحرب الحديثة . وقول ان الدولة
العثمانية هي دولة حرية بالطبع وكان السلطان محمود رحمه الله تعالى هو الذي بدأ يجعل
نظام عسكريها على الطراز الأوربي وقد سارت الجندية فيها على ناموس الارتقاء
ولكن اعترضها من سوء سياسة عبد الحميد ما جعل سيرها بطيئاً وعرضة لضروب
من الخلل والفساد منه ما حل بدور الصناعة البحرية والعسكرية (الترسانة ، والطوبخانة
والبارودخانه) حتى رجعت القهقري ولوسارت على سنة الترقى لامتغنيتهما عن شراء السلاح
من أوروبا بأثمان غالية كانت من وسائل سلب الملايين للأموال المخصصة للعسكرية
وكم ظهر في ذلك من الخيانات وهذا الضرب من الفساد يجعلنا عالة على أوروبا في
قوتنا الحربية (ومنها) مقاومته للتعليم العسكري في الاستانة حتى انه حاول غير مرة
إبطال المدرسة الحربية التي زعجها بالجوايسيس (ومنها) ترقية الضباط بالارادة
السنية من غير استحقاق (ومنها) نفيه وإذلاله للضباط المتعلمين البارعين الخ مالا
محل لتفصيله هنا . ولو كان المقربون منه جاروه على كل وساوسه في العسكرية لجعلها
أثراً بعد عين ولكن نحمد الله تعالى ان مكنها من القضاء عليه قبل ان يقضي هو عليها
٣ - قال انه سعى في انتشار التعليم وبث العلوم الحديثة وقول ايضا ان التعليم
من ضروريات كل دولة وكل امة في هذا العصر وكان من مقتضى سنة الارتقاء ان
نكون فيه مثل اليابان ، إن لم نكن مثل الفرنسيين او الألمان ، ولكن عبد الحميد حارب العلم
في أمته ودولته اشد المحاربة حتى جعل اكثر مدارسها ملاعب أطفال (راجع ص ١١٠)

و ١١ من نار هذه السنة) وأبطل امتحان طلاب العلوم الدينية فتركوا الطلب والاشتغال واعترفوا في جميع البلاد بعد إعلان الدستور وصدور الأمر بامتحانهم انهم عاجزون عن الامتحان فاعفاهم مجلس الأمة منه في هذا العام ليستعدوا له . وقد علم العامة كاتلخاصة في جميع بلاد الدولة أن العلم الديني والدينوي هو أكبر الجرائم في نظر السلطان عبد الحميد فصاروا يتحامونه وحدثت في السنين الأخيرة من حكمه المشؤوم بدعة تفتيش الحكومة لبيوت الناس وأخذ الكتب منها ومعاينة اصحابها فصار الناس يحرقون كتبهم بأيديهم ومنهم من دفنها في الأرض حتى أحرق في سورية عشرات الألوف من الاسفار القديمة والحديثة في سنة واحدة . فانظر ما أشد حرص عبد الحميد على العلم وعنايته بنشره وما كثر المجتهدين والمخترعين المكتشفين في أيامه !!

وقد أقيمت خطبة في رحبة القشلة العسكرية ببيروت في أواخر رمضان الماضي بينت فيها كيف كان ظلام الجهل ممدودا على البلاد العثمانية وكيف كان المدم واقعا في ذلك الظلام ببناء الدولة : معارفها وقضاؤها وادارتها ومالياتها وعسكريتها ، وبناء الأمة : ثروتها وآدابها وأخلاقها . ولعلنا نراجع الذاكرة فنكتب ما تمليه علينا منه

٤ - قال انه « قضي ثلاثا وثلاثين سنة يجهد ويجتهد وراء سعادة الملكة والملة » والصواب انه اشقى الملكة شقاء لا نظير له واخواننا مسلمو الهند الذين يقولون هذا القول لم يروا ولم يجربوا ونحن نسمع باذاتنا ونرى بأعيننا بل الشقاء وقع على رؤسنا واحاط بنا من كل جانب بسوء سياسته

٥ - قال انه عمر الطرق وبني السكك الحديدية وحفر الترع والجداول والصواب انه لم يفضل من ذلك شيئا للأمة الاسككة حديد الحجاز التي حملها على الرضاء بها وسواسه الذي يخيفه من اقامة خلافة عربية بالحجاز . وما سمح به من امتيازات السكك الحديدية للاجانب فسببه انه كان من موارد ثروته لأنه كان لا يسمح بامتياز الا اذا اخذ نفسه مائة اعظيما من المال وكثيراً من سهام الشركة فقد كان يبيع مصالح الملكة بذلك ويعاود ذلك كان يعطي هذه الشركات من الضمانة الكيلومترية مالا يعهد له نظير في مملكة أخرى . ونسأل صديقنا الكاتب ان يدلنا على مكان الترع والجداول التي احياها الزراعة اين هي وما هي الثروة التي تجددت للفلاحين منها ؟؟

٦ - قال انه حفظ الملكة من الضياع . وتقول إنه اضاع بسوء سياسته ثلثها ولو بقي على عرش استبداده سنة أخرى لأضاع الولايات المكونة اثلاثة فان جمعية الاتحاد والترقي ما عجلت بهذا الانقلاب قبل ان تتم عدته الا لعلها علم اليقين أن الدول اتفقت على ذلك وانه لا عاصم منه الا الدستور . وكان كثير من السياسيين يقدرون ان الدولة لا تكاد تعيش مع ذلك الحكم اكثر من خمس سنين وأن سبب تأخر سقوطها هو تنازع الدول فيما بينهم . وقد سمت كلمة من احمد مختار باشا الغازي اكبر مشيري الدولة وقواد جندها واعلمهم بحالها سمعتها منه مرات كثيرة في السنين الاخيرة من حكم عبد الحميد وهي اكبر شهادة نطق بها لسان وأيدتها وقائع الأحوال وقد صار نقلها عنه الان جائزاً فلمصل اخواننا مسلمي الهند يعتبرون بها قائل « لو اجتمعت أوربا واتفقت على أن تضر بالدولة والاسلام كما أضرت بهما عبد الحميد لعجزت » هذا ما ندين به خطأ الجريدتين بالايجاز ويزيد كلمة في الرد على ما افرد به صاحب جريدة الأبرور اذ قال إن الدولة فقدت البغار والبوسنة والمهرسك على عهد الحكومة الدستورية . وتقول ان هذا غلط عظيم فان هذه الولايات قد ضاعت منا بمر بنا الاخيرة اروسية وإنما كانت تلك الحرب برأي عبد الحميد ودسائسه ليشغل الأمة عن الدستور ويتمكن من إبطاله وقد بذل مدحت باشا (رحمه الله تعالى) جهده في سبيل تلافيتها فعجز ولا يقال انها كانت برأي مجلس الأمة الأول لما هو معلوم وقال إن أعداءه شهدوا له بالدهاء والسياسة وتقول اتنا لانكر أن له دهاء ومر او غتني السياسة الخارجية كان يستعين عليها برشوة نساء السفراء أو اهدائهن الجواهر الثمينة ولكن نطلب من الكاتب أن يأتينا بشهادة لها قيمة من الأعداء او غير الأعداء بأن عبد الحميد رقى ثروة أمته ومالية دولته أو اجرى فيها العدل أو نشر العلم أو جرى على طريقة ميكادو اليابان وقال لا ينكر حبه للاسلام . وتقول اما دين الاسلام نفسه فلم ير من ملوكه من عبث مثله بكتب الحديث والمقائد والفقه من منع بعضها وتحريف البعض الآخر ولو كان في غير عصر المطبوعات وكان جميع المسلمين تحت سلطته لما بعد عليه ان يطمع في تحريف القرآن وتغيير آيات الشورى ونحوها فيه . واما أهله فقد كان الاضطهاد

(المارچ ٤) (٤٠) (المجلد الثاني عشر)

عليهم في دينهم شديداً من حيث لا يخطئ غيرهم كما كان الظلم أشد وطأة عليهم من غيرهم. نعم انه كان ولو عاباً بحيا لقب الخلافة والحرص على تعظيم المسلمين الذين تحت سلطة الأجانب له لأجل ان تحترمه دولهم فلا تنقص عليه التمتع باستبداده وأما ما ذكرنا من كثرة عمله فهو على المبالغة فيه عمل ضار في الغالب لأنه نظر في رسائل الجواسيس الذين يشنون ويمحنون رجال الأمة وقد قيل ان هذه الرسائل مخنونة كلها في « يلدز » وربما عجز واحد عن قراتها في مثل المرة التي جلسها عبد الحميد على كرسي السلطنة . وأما زعمهم انه كان لا يحفل باللذات فهو باطل فإنه كان يشرب أجود الخمر وجمع مئات من الغواني الحسان للتمتع والفناء والعزف والرقص والتثيل وغير ذلك . ولعلم اخواننا مسلمو الهند اننا لم نقل ما قلنا إلا عن علم وخبرة وتأيداً للمصلحة العامة بالحق والصدق اذ لنا من الذين يتوسلون بالشر الى الخير وبالباطل الى الحق واننا لنا من المشيعين لجمية الأحماد والترقي التي كان لها الأثر العظيم في هذا الاقلاب الميمون فقد رأوا اننا جمعنا في الجزء الماضي من انقاد المتقين عليها ما لم يجمعه كاتب ونحتم الرد بكلمة في الخطر على الدولة فان الكاتيب يخافون ان ينزل بالدولة الهلاك بعد عبد الحميد . ونحن نقول لا شك ان عبد الحميد كان يسير بالدولة الى الدمار والهلاك كما مرت الاشارة الى ذلك فان سقطت (لا قدر الله لها الا العلاء والاققاء) فانما يكون هو الذي أسقطها وان نجت فانما تنجو بالدستور الذي هو آخر سهم في الكنانة

﴿ استغاثة أهل البيت الحرام ﴾ جميع بلاد الاسلام ﴿

جاءتنا الرسالة الآتية من صديقنا الفيور الأستاذ السيد عبدالله بن صالح الزاوي رئيس اللجنة العليا بمكة لجمع الاعانات لتعمير عين زبيده ونشر المعارف في الحرمين الحمد لله وحده

جناب ذي القدر العلي والمفخر السني كريم الشيم علي الهمم حضرة الأستاذ الفاضل السيد محمدرشيد رضا المحترم محرر المنار الأغر زاده الله مجدداً وعلوا وقر بامن ملك الملوك ودنوا بهد ابلاغ جزيل السلام وأداء مراسم التعظيم والاحترام نعرض انه لا يخفى على انظاركم السليمة ما هو معلوم لدى جميع أهل هذا الدين القويم أعني ما لهذه البلدة السعيدة من خطورة

اقدر وسمو المرتبه بكونها موضع بيت الله الملك الرحيم ومسقط رأس النبي عليه أفضل الصلاة والتسليم منها ظهر الدين ونما حتى برز التمدن منه بأبداع الاشكال والاشهرت انعاليم وكثر العلماء حتى علوا الى أعلى ذروة الفضل والكمال كيف لا وهي تحت ملك الملوك ومقر بيته السميد الذي يخضع لجماهه الملك والصلوك وقد اغتصبت في الأزمان العابرة حقوقها ولم يفت أحد من القائمين بإدارة مصالحها من المتولين عليها الى ملاحظة دوام علوها ورقبها بنشر العلم والتعلم ومساعدة المهلبين والمتعلمين فذلك قل فيها العلم وأهله وقلت الصنائع وعارفوها والآن بحمد الله تعالى تفسير الحال وأملنا ان تعود الى أحسن مآل حيث ان القائمين بإدارة مصالحها الآن أهل همة عالية ونجدة وأريحية عرفوا الحق لاهله فقاموا بإسترداد ذلك المجد وحرصوا العلماء ووعدوهم بالمساعدة وأذنوا لهم بالكتابة الى إخوانهم المسلمين في استحصال كل وسيلة لترقية العلم والصنائع بإنشاء المدارس والسهي في طلب المساعدة من أولي الغيرة والحمة في جميع أنحاء العالم ممن اتصف بصفة الاسلام لان هذه البلدة واجب لها الحق على جميع المسلمين انخاص منهم العام وهذه العلوم والمعارف هي غذاء الأرواح والسبب في جاب الطاعة والخبرات والاقاياد والفوز بجميع المكارم والارباح كما ان الماء للسكان والحجاج وكل ذي روح هو قوام الاشباح وقد قل وجوده في هذه السنين بسبب الخراب الواقع في العين المنسوبة إلى السيدة زبيدة حتى صار الناس لا يشكون سوى قلته وضاعت مصالح أكثر الفقراء بسببه بحيث لا يحملون الأهمه ونسيت بقية آتاع الميشة في جنب هذا التعب العظيم خصوصا والخراب في قنوات العين جسيم والحاصل ان جلب الماء وتصليح قنواته وارجاع مجد هذه البلدة وترقية سكانها بالعلوم ومعرفة الصنائع والمعارف كل ذلك يحتاج الى المال الخطير وأيدي أهل هذه البلاد خالية من القليل منه والكثير ولكنه بحمد الله تعالى بيد أهل الخير من المسلمين في بقية الاقطار كثير وقطعا لا يخافون بشيء منه على هذه البلاد واصلاحها بتكثير المياه فيها وبناء مدارس لعلم العلوم والحرف والصنائع لسكانها حتى يجوزوا تنظيم الاجر حيث ان ذلك من أهم المهام وأعظم القربات وزيادة الخيرات والبركات وفضل ذلك حفظه وأجره

جسيم والدرهم الواحد الذي يصرف في هذه البلدة يقوم بمئة الف درهم في غيرها وأفضل من تجب اعانتهم جيران بيت الله العظيم القاطنون بواد غير ذي زرع عند بيت الله الكريم وحجاج بيته القادمون اليه من كل فج عميق لاداء الفرض المعظم فساعدوا ساعدوا على اجراء الخيرات وتهربوا الى الله زلفى بفعل المبرات لمثل هذا فليعمل الماملون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقد تشكل مجلس مخصوص لهذا المهم الجليل من أهل العلم والامانة والديانة والخيرة والحمية أهالي ومجاورين في رقعة بطي هذا الكتاب مع تعليمات مجلسهم ليعلم منه تيقن حصول الامن التام ان شاء الله تعالى في صرف ما يتحصل لم في موضعه لا تنطرق اليه يد غاصبة أصلا فسأل الله سبحانه لنا ولكم حسن التوفيق الى احراز الفضيلة والمنزلة عنده من أقرب طريق انه على ذلك قدير وبالاجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد سيد الانام وبدر التمام ودمتم (النار) هذا هو المنشور الذي طبع وأرسل الى اصحاب الجرائد في الاقطار الاسلامية وقد زاد صديقنا رئيس اللجنة في النسخة التي أرسلها اليها بنسخته الذي نرفقه ما يأتي :

تم المرجو من عالي همتكم وعنايتكم بالأمر العامة القيام ببذل الجهد لدى الموم بالتشويقات في هذا العمل الخيري وجمع الاعانة وارسالها اليها أو الى يد وكيل هذا المجلس في أقرب محل لكم حيث ان للمجلس وكلاء في عدة من البلدان منها جده الوكيل بها حضرة الحاج زينل عبد الله علي رضا وعبد الوكيل بها محمد افندي بن حسن علي وسنين اسماء الوكلاء أيضا ونشرها في الجرائد حتى مصر والشام وقد كتبنا الى مصر عدة كتب ولخصوص الخديوي المعظم ودار إرسال كتاب الخديوي من طرف الولاية الجليلة وتصدق عليه من مقامها وكذلك كتبنا عدة كتب الى الجهات خصوصا الهند وجاوا وبخاري وقازان وبلدان العرب وأرسلت المقالة الطويلة المنعونة بعنوان (أهل الحجاز يستصرخون) وساعدنا في التحارير جملة من المرين وغيرهم المقيمين هنا وحيث ان مجلتكم الغراء لما الشيع في جهات كثيرة فحسب أن تفضوا دوما بتحرير المسلمين على المساعدة في هذه الاعمال وتذكروا أمر الحجاز واحتياجه للماء والتميم وتحسنوا المن فيه المهمة والتقدير على المساعدة ماديا ومضريا ببذل فلك وتفيدونا بالارشاد الى ما ينفع فاننا مقرون بالمجهز

وعندنا القابلية لتعلم وبذلك تنالون عظيم الاجر والثواب ودمتم
رئيس القومسيون ۱۵ ربيع الآخر سنة ۱۳۲۷

(الختم)

(المار) قد شاع وذاع على الالسنه وفي الجرائد ان الماء قد قل في حرم الله عز وجل حتى بلغ من القربة الصغيرة من الماء عدة قروش وكاد الفقراء يموتون عطشا ومن المسائل المعروفة في الشريعة انه يجب عند الضرورة بذل الماء وكذا الطعام لكل انسان محترم ولكل حيوان محترم (غير مهدور الدم) وجوب باشره سواء كان الانسان مؤمنا او كافرا وسواء كان الحيوان طاهرا أم نجسا . فاذا تقول في جبران بيت الله وعمار حرمه وحباجه المتقين لشماره وحقوقهم أكد وبرهم أفضل ومساعدتهم اكبر أجرا وإعانتهم احسن ذخرا

ان الماريد ك اللجنة ودولة الشريف أمير مكة بالمال الكثير المتجمع من أوقاف الحرمين بمصر ولا أدري هل كتب الى الخديو بطلب المساعدة أم يطلب هذا المال . ثم نذعوكل من علم بما ذكر لبذل ما تجود به نفسه مما انعم الله عليه لإغاثة حرم الله ومن يعمره ويحججه وان ادارة المار تقبل ما يرسل اليها من المساعدات وتعطي به وصلا مطبوعا وتنفرد اسم المرسل الا ان ينهاها عن التصريح به فكفي عنه وتكفل ارسال ذلك الى اللجنة في مكة المكرمة زادها الله تكريما ورخاء . وهي لجنة مؤلفة من خيار وعلماء مسلمي الاقطار المجاورين لبيت الله فهي موثوق بها وبهذا نكتفي عن ذكر اسمائهم . وقد علمتم أيها المسلمون ان سلفكم قد وقفوا على الحرمين عقارا كثيرا فلا تكونوا أقل منهم غيرة وعملا للخير (۶۴ : ۱۶) فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيرا لا تنقسم من يوق شح نفسه فأولئك المفلحون ۱۷ إن قرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حلیم

الاخبار والآراء

(خلع السلطان عبد الحميد وتولية مولانا السلطان محمد الخامس)

قد انتهج جميع العثمانيين بخلع عبد الحميد وتولية هذا السلطان الدستوري

المهذب الاخلاق ما عدا اعوان الأول على نهب البلاد . ولما بشرنا البرق بذلك اجتمع جمهور من العثمانيين في بعض السمار ودعوا صاحب هذه الخجلة للخطابة فخطب فيهم مصدرا خطبته بقوله تعالى « قل اللهم مالك الملك » الآية . وبين ان مشيئة الله في نزع الملك وإيتائه منفضة لسنة الاجتماعية في ذلك ومنها ان إرادة الأمة إذا اجتمعت لا يمرضها شيء لأن يد الله على الجماعة كما ورد في الحديث . وبيانا ان جمهور الأمة كان يظن أو يعتقد ان عبد الحميد أعطى الدستور مختاراً وأنه كما كان يدعي مخلص له محافظ عليه فلما ظهرت الفتنة الأخيرة وعلم انه المدير لها لإسقاط الدستور اجتمع رأي السواد الأعظم من الأمة على خلعهم ولا راد لرأي السواد الأعظم إذا اجتمع ثم احتفل العثمانيون في حديقة الأزبكية بذلك فخطبنا أيضاً في الموضوع فذكرنا الحاضرين بختابنا هناك يوم أعلن الدستور وكيف كان جمهور من المصريين يصيحون في وجهنا بالدعاء لعبد الحميد الخ (راجع ٦٦ م ١١) وكيف حصص الحق وظهر صدق قوتنا . واطننا في بيان سلطة الأمة وسينات الحكم الحميدي وانطباق الدستور على الشرع . فرأينا من استحسان الناس لهذا الخطاب واطرائها به ما لم نراه نظيراً هذا وان كل ما بلغنا من أقوال مولانا محمد الخامس وتصرفه وتواضعه واقتضاده يبشرنا بأنه سيكون خير سلطان ، جلس على سرير آل عثمان ، حقق الله ذلك

﴿ الدولة العلية الدستورية والدين . ورأي خير العثمانيين من المسامين ﴾

بري اقاري في باب المناظرة من هذا الجزء رأي جريدتين من جرائد مسلمي الهند في الحكومة الدستورية وحكم تبد الحميد الاستبدادي مع الرد عليهما . وقد اجتمعنا في هذا الشهر بالأمر الاتفاني (نواب بهادر صاحب خان عبد القويم) من كبار رجال الحكومة الخارجية في (بنساور) على حدود الهند من جهة الانفاق وقد سألنا عن حال الدولة الحاضرة فبينما له الحقائق فاجبرنا ان أهل الهند والافغان يجبولونها وان اشاع في تلك البلاد بين المسلمين أن حزب تركيا الفتاة يريد ابطال الحكومة الامامية من الدولة وان يجعها حكومة اميرية ليس له صبغة دينية وانهم يحسنون النظر لعبد الحميد وسينورته في جمعية الأصدقاء والرفق وقال بهد ان بينا له

الحقائق انه يحسن او يجب ان يذهب وفد من الستانة الى الهند يطوف فيها و يظهر الحقيقة لأهلها وقد سافر هو الى الستانة ليختبر الحال بنفسه . فقتبر الجمية وتذكر كثيراً ولا شك ان جهل جراند مسلمي الهند للحقائق وتشمع اصحابها المبد الحميد هو الذي احدث هذا الضرر القادح أوقواه اذا صح ما يرتأيه بعضهم من كون الانكليز هم الذين يشعون هذه الإشاعات ليوهوا المسلمين انه لم يبق في الأرض حكومة إسلامية . إن اصحاب الجراند المصرية الذين يثعون على الحكومة الدستورية الجديدة يهدون المسلمين في هذا الفي ويخدمون الأجانب العاكبين على الملايين من المسلمين خدمة عظيمة وهكذا يجد الأجانب من المسلمين الجاهلين أو المتأجرين من يخدم سياستهم ويخذل المسلمين

﴿ الاحكام العرفية في الستانة ﴾

اعلن القائد محمود شوكت باشا الأحكام العرفية في الستانة لتطيرها من أعوان عبد الحميد على إعادة الاستبداد فأوجس الناس خيفة من ذلك . وعندي ان فائدة هذه الاحكام لا تقل عن فائدة خلم عبد الحميد وأمره ونبيه فان الطغور من أسفل درك الاستبداد الى أية درجة من درجات الدستور من المحالات الاجتماعية وان كان من الممكنات النظرية والقولية ولذلك عجزت الحكومة في العائمة وفي الولايات عن ان تخطو خطوة واحدة في طريق الحكم الدستوري حتى صار الناس يلهجون في كل مكان بقولهم ان سير الحكومة لم يتغير وانا لم نستفد من الدستور شيئاً . وان لكاتب هذه السطور في ذلك كلمات صارت تؤثر عنه في الديار السورية منها « ان الحكومة الاستبدادية سقطت والحكومة الدستورية ما تكونت » ومنها « انا أخرج الآن إلى حكومة عرفية منا إلى حكومة دستورية » وقد قلت لناظم باشا إذ قبله في بيروت أول مقدي إليها في آخر شعبان من السنة الماضية : ان الحكومة والأمة في حاجة شديدة إلى رؤساء محنكين قادرين ينفذون فيها الدستور بشي من الاستبداد الباطن ، المطبق على القانون في الظاهر ، يكونون كن يربي الطفل لكن على الاستقلال ، لا على التقليد والانكال ، (قلت) وأرجو ان تكون انت منهم مالك من التجربة والاختبار

كان من سبب عجز الحكومة عن تنفيذ الدستور الخوف من سخط الأهالي عليها إذا عاملتهم بما لم تعودوه وكان خوفاً من الموظفين أشد فقد كان من سياسة عهد الحميد أن يحشر في كل دائرة من دوائر الحكومة أضاف من يحتاج اليهم العمل فيها ورأت الحكومة الدستورية أنها مستفنية عن كثير من هؤلاء ولكنها لم تتجرأ على إخراجهم لئلا يكثر سواد الناقمين منها والساخطين عليها حتى قيل ان موسيو لوران الفرنسي الذي جيء به لإصلاح خلال نفاة المائة قل ان أهم مبادي الاصلاح إخراج الجمل الفقير من هؤلاء الموظفين الذي لا عمل لهم . فلم يجب كامل باشا إلى ذلك ، وفي هذه الفرصة فرصة الاحكام العرفية يمكن تنفيذ ذلك وغيره وتكوين حكومة دستورية محترمة فتكون حلقة لانصال بين الماضي والحاضر

﴿ الشريف امير مكة المكرمة والاصلاح ﴾

جاءنا من أبا، الحجاز ان أميره الشريف يبدل قصارى جهده في الاصلاح وعمران الولاية وحفظ الأمن العام فيها وقد وفق الى تأمين البلاد بدرجة لم يسهلها نظير في السنين المنذلة الماضية وقد وجه همه الى نشر العلم وتأليف أعراب البادية وتأمين سكة الحديد الحجازية . وآخر ما جانا من أخباره في ذلك انه اخذ العهد والميثاق على مشايخ حرب ان يتوموا بحراسة الخط الحديدي بدلا من تخريبه وهو قد كفل لهم ان تعرض الدولة عليهم ما فاتهم من الانتفاع بنقل الحجاج وتوفيقهم أجورهم وكتب الى الاستانة بذلك فحسى أن تضي الاستانة له عهد فان هذه الطريقة التي سلكها هي الطريقة المثلى لحفظ الخط وامتداد قتل الأمن ، وأما توهبه مقاومة الأعراب بالقوة واستقلال الجرد بحفظ الخط فهو من وسوسة الفرور ونزغات الشياطين التي تجعل حرم الله تعالى في خوف دائم ، واخلل ملازم ، فنسأل الله ان يوفق هذا الأمير الدستوري الى سائر ما يحتاج اليه البلاد المقدسة من الاصلاح ويوفق الدولة الى تأييده في ذلك

(الامير محمد أرسلان نجل الامير مصطفي الشهر)

فتك الفتة الباغية على الدستور هذا الامير . وكان مبهور اللاذنية فاهتزت لونه سورية ولبنان ، ورتاه فيهما كل ذي قلم ولسان ، ونحن نشاركهم في ذلك ونعزي الوطن بتعزية والده عنه

بؤمر جادى التنى يستمرون القول بئجورن حنة
أرتك الذى مدام الله وادتك هم أولو الالباب

المسحاة
١٣١٥

بؤنى الحكمة من يشاهون بؤن الحكمة قنأونى
غورا كبرا ومايد صكر الا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق

(مصر - الجمعة ٣٠ جادى الأولى ١٣٢٧ - ١٨ يونيو (حزيران) سنة ١٢٨٥ هـ / ١٩٠٩ م)

فتاوى المبتائين

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشركين خاصة ، اذ لا يسم الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه واقبه وبلده وجملة (وظيفته) وله بصدد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالترتيب فالباور بما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورعاً جيناً في غير مشترك مثل هذا . ولما مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا عذر صحيح لافتيه

﴿ استعمال الورق النشاف في الاستنجاء ، والمقوى في الخذاء ﴾

(س ٢١ و ٢٢) من ص ٠ م ٠ في كرموس (السودان)

سيدي الفاضل

ترددت كثيرا في كتابه هذا لحضرتكم ولكني اقدمت لطبي انكم تسرون لنشر التعاليم الدينية لهداية المسلمين ووقوفهم علي خلاصة الدين الحنيف جفني مجلس مع لنيف من اخواني الضباط وقد لاحظ احدهم اني اضع في خذائي فرشة من الورق المقوى لان به اتساعا فانتقد علي بقوله ان استعمال الورق مثل هذا الاستعمال مخالف للدين الذي تدبر به . وقد تناول كل منا البحث في هذا الموضوع حتى استدرجنا البحث والكلام في (١) هل الورق المخصوص الذي يوضع في البواخر مطهر و (٢) هل يجوز للمسلم استعماله — و (٣) ان كانت جاز للضرورة هل تعاد الصلوات التي يكون صلاحها المسلم المسافر في مثل هذه البواخر لانه يمنع من حمل الماء للمحلات الخلاء و (٤) هل الورق (الذي يسمى ورق النشاف) مطهر لأنه يلتقط ويمتص السوائل

ووقف بنا البحث لهذا الحد ولم نجد جوابا شافيا وانتقلنا لمواضيع آخر فانا هي عادتنا عند وجود عقبات لا نتجهد في ازالتها

افض المجلس وانا مشغول في ايجاد نص صريح يحمل لي هذه الألتاز ولما لم

(المارج ٥) (٤٣) (المجلد الثاني عشر)

اجد أمامي غير من أوقف نفسه لمداية العالم الاسلامي طرقت بابكم بمد التردد الكثير
 — عشي ان استفيد من حضرتكم لا فيد اخواني ولكم الفضل علينا ومن الله الاجر
 (ج) استعمال الورق الذي يوضع في مراحيض البواخر والورق النشاف في
 الاستنجاء جائز ولو مع وجود الماء وإمكان استعماله فلا يتوقف جوازه على الضرورة
 ولا تجب إعادة صلاة من استنجى به لأنه أحسن تنقية من الحجارة التي ورد النص
 بالاستنجاء بها ومن كل ما في مضاها مما ذكر في كتب الفقه وليس هذا محل خلاف
 يذكر فلا يكن في صدر أحد منكم حرج منه . ثم ان ما قاله لكم صاحبكم في تحريم
 وضع المقوى في الخداء خطأ وفيه جرأة على الدين بتعريم ما لم يحرمه الله والاصل
 في الاشياء الاباحة فلا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق

لعب الشطرنج

(س ٢٣) من كورني (السودان) لصاحب الامضاء بنص

. سيدي الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته تحية المسلم لأخيه ، وبعد فراجيك التكرم
 بالرد على السؤال الآتي على صفحات جريدتكم الغراء :
 هل لعبة الشطرنج المعروفة محرمة أو مكروهة في عموم المذاهب الأربعة أو
 بعضها يقول بالحرمه أو بالكراهة أو الاباحة مع العلم بأن الشيخ الدرديري ذكر في
 في الشرح الصغير على أقرب المسالك في باب جمل في الجزء الثاني قال في المتن
 (واللهو حرام) وذلك كاللعب بالترد المسمى في مصر بالطاولة فيحرم كأنه بموض
 أو بدونه لأنه يوقع المداوة ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة وكالشطرنج والشجة
 والطاب والمنقلة واستظهر بعض كراهة المنقلة والطاب وعمله بدون عوض وأشغال
 على محرم والا فيحرم اتفاقاً اه

ثم قال الشيخ العدوي في حاشيته على الرسالة عند قول المتن في باب جمل
 خلق على الافعال المحرمة (ومنه القمار) قوله ومنه القمار الخ قال في المصباح قمارته

قاراً منه باب قاتل وقرته قرأ من باب قتل انتهى أي إذ في لب الشطرنج ونحوه مغالبة
قوله ونحوه كالنرد والطاب ونحو ذلك فكل ذلك حرام والا بدونه شيء انتهى
فيؤخذ منه ذلك كله انه هذه اللبنة محرمة في مذهب الامام مالك فاذا قلتم
بالحرمة أو بالكراهة فما هو السبب في ذلك واذا كان السبب كونها تورث المداوة
كما ذكر اعلاه فالسابقة بالخيل تورث المداوة أيضاً مع أنها جائزة في مذهب الامام
مالك أفيدونا على ذلك مأجورين ولكم الشكر

وفي الختام تفضل بقبول تحياتي واحتراماتي يوز باشي مأمور كورني

عثمان عارف الرفاعي

(ج) صرح الامام مالك في بعض أجوبته بكراهة الشطرنج وأطلق فحمل
أكثر أصحابه ذلك على كراهة التحريم ، وقال الإمام الشافعي فيه : انه لو يشبه
الباطل أكرهه ولا يتبين لي تحريمه . فحمل أصحابه ذلك على كراهة التحريم ،
واشتهر بين الناس ان الشافعي أباح الشطرنج والصواب ما قلنا ، ولا نعرف نصاعن
الشارع في تحريم الشطرنج ولا غيره مما ذكر من اللب الا النرد (الطاولة) ولنا في ذلك
قوى مفصلة في المجلد السادس (راجع ص ٣٧٣ - ٣٧٨ منه)

﴿ معاوية بن أبي سفيان ﴾

(س ٢٤) من سننأفوره

سأل سائل من سننأفوره عن معاوية هل ثبت موته على الايمان وهل يجوز
لعنه . وقال ابن بعض السادة الحضارمة ألف كتابا ثبت فيه جواز لعنه وكتب
وكتب الخ فظن الناس فيه . وتقول قد سألتنا بعض هؤلاء الحضارمة عن مسألة اللعن
من قبل فأجبتنا بما نراه . واما مسألة موته فهي مما يفوض الى الله تعالى من جهة لباطن
ونحن لنا الظاهر وهو انه مات مسلماً ودفن بين المسلمين . وقد علمنا ان القوم
مختلفون ومتعادون في ذلك فنوصيهم بترك الكلام فيه لأنه يخشى شره ولا ترجى
منه فائدة بخلاف تحقيق بنيه على علي كرم الله وجهه فذلك من أهم مسائل تاريخنا

الاقلاق الميمون

﴿ وأثر السلطان عبد الحميد في الدولة ومقاومته للدستور ﴾

(استدرآك على النار)

صديق الأناذ الحكيم

نشرت في العدد الماضي رسالة الفاضل مولوي إنشاء الله ورسالة آريفة ابرور الهندية في الاقلاب العثماني وفيها ما يدل على ان نأخلع السلطان عبد الحميد أثرناثيرا سينا في الاقطار النائية الاسلامية وانهم يرون انه قد اقيت عليه بالخلع لما له من المآثر الكبيرة في الدولة وقد عدد الكآب تلك المآثر الموهومة وعقبتم عليها برأيكم في انطلع وتفنيكم لأقوال الكآب وبسطم الكلام بسطا وافيا إلا انه يمكن ان يستدرآ عليكم في الأدلة على بيان خطأ الكآب في الدعاوي التي استخلصتموها من مقاله ورددتم عليها فرأيت ان أكون متما لمقالكم مع زيادة في الايضاح اقاعا لإخواننا مسلمي الهند ومن هذا حذوهم في الاعتقاد الحسن بالسلطان عبد الحميد فأقول ان النقط الست الأولى التي تتعلق بسيرة عبد الحميد بعد الدستور لا أريد أن أكتب على كل نقطة منها بمفردها زيادة عما كتبه النار الأغر بل أقول فيها كلها كلمة إجمالية وأكتب على النقط الاخرى التي تتعلق بحياته بعد الدستور كل نقطة بمفردها أما كلمتي الإجمالية فهي ان السلطان عبد الحميد لم يكن يوما قط مخلصا للدستور والدليل على ذلك انه أعطاه مكرها كما ذكر ذلك النار الأغر ومن طالع كتاب خواطر نيازي يتضح له ذلك وانه لم يأل وحواشيه جهدا في غضون الحركة الأولى في استنباط الوسائل التي تفت في عضد الأحرار في سلانك لما طالبوه بإعادة القانون الأساسي وهددوه بسوق الجيش الى الأستانة فأصر على رفض طلبهم ومقاتلتهم بقوة جنود الاناضول وفعلا استدعى عدة توابير من رديف أزمير وأمر بسفرهم إلى سلانك وقبل ان تنحرك هذه الجنود من إزمير اطلمت على كتاب ورد لبعضهم من صديق له نمة يقول له فيه : إني أسافر متطوعا مع جنود إزمير إلى

سلانيك لا لقتال الجيش المطالب بالحرية بل للانضمام اليه مع جنود ازبكر والتوجه الى الاستانة لإكراه ذلك الجبار على رد حرية الأمة التي سلبها إياها والضباط هنا في منتهى الحمس للوصول الى هذه الغاية فيلطمئن بال الأحرار في مصر فاستودعكم الله ولا أدري هل أراكم بعد اليوم أم لا :

ولما وطئت أقدام الجنود أرض سلانيك أعلن الضباط في الحال انضمامهم بجنودهم إلى جيش الحرية وانمكس هذا الخبر بالسلك البرقي إلى الاستانة فسقط في يد السلطان واعوانه وكانوا طلبوا جنودا أخرى من جهات الأناضول فأوقف سفرها ناظر الحرية واقنع السلطان بلزوم المدول عن هذا الرأي لما فيه من الخطر فلم يسعه بعد ذلك الا التسليم بمطالب جيش الحرية ليئسع له الوقت في التفكير والتقدير خصوصا في تفريق وحدة الجيش المتواطي على نصرة الدستور

أخذ بعد ذلك في تدمير المكاييد فبث جواسيسه واتباعه بين الجنود المسكرة في الاستانة يفرونهم بالمال وألف بواسطة درويش وحدثي جمعية الأتحاد الحمدي وأعطاهما هو واعوانه هذا الاسم الشريف ليكون آلة للتمويه على البسطاء والتمهير بهم باسم الدين إذ ليس في الأمة فرد واحد ينتقا على الحكومة الدستورية مادامت قائمة باسم العدالة والمساواة فلا يستطيع السطاط واعوانه تمريض الجنود على الأحرار الدستوريين لمطلق انهم اعوان الدستور لذلك جاؤهم من جهة الوتر الحساس فيهم فجسوه باسم الدين وحرضوهم على المطالبة بأحكام الشرع والشرع في عرف العامة هو السلطان والسلطان هو الشرع لأنه الأمر المطلق المطاع فالنتيجة بالضرورة هي محو الدستور ومحو كل من يقول به في تركيا وإعادة السلطة الاستبدادية إلى السلطان ثبت ذلك بالينات القاطمة والأدلة المحسوسة وهي النقود الكثيرة التي وجدت مع الجنود الثارة ثم التقارير السرية التي وجدت في يلدز من جواسيس السطاط واعوانه وفيها بيان عن نجاح الخطة الموضوعة لاثارة خواطر الجنود كتقارير علي كمال بك وبليار بك وغيرها التي نشرتها جرائد الاستانة بالحرف ونشرت مجلة (ثروت فتون) بمضاهي مصورة بالفوتوغراف اثباتا للحقيقة وقطعا للشبه ثم ثبت ذلك بأقرار كثير من اعوان السلطان وحواشيه المقبوض عليهم كجوهر اغا وحقي بك ويوسف

سكة زان باشا الذي قبض عليه وهو يحمل قودا تبلغ الاربعين الف جنيه فأقرانه كان يريد ان يفري بها جنود الضيق التالك وغير هؤلاء كثير من اقروا بتدير هذه المكيدة او ثبت عليهم الاشتراك فيها بالاوراق التي وجدت معهم واهم من ذلك اقرار درويش وحدثني صاحب جريدة (ووقتان) ومؤسس جمعية الاتحاد الحمدي فانه اقر فخر جريدة (اعتدال) الازميرية لما قبض عليه هناك من عهد قريب اذ قال له ان السلطان هو الذي دبر هذه المكاييد وان لديه اسراراً كثيرة سيذرها في المجلس العسكري

وزد على هذا ما ظهر من اتساع نطاق هذه المؤامرة بواسطة اشياح السلطان واتباع صاحب جريدة (ووقتان) بحيث كان المراد بها تخريب المسلمين في كل الولايات على فئتكم بعضهم بعض ليستوجب ذلك تداخل اردن با واقتناعها بعدم استمداد الأمة العثمانية للحكم الدستوري . بدأت هذه الحركة المشؤمة في ولاية ادنه واطراف ولاية حلب ثم ظهرت في ارضروم بين الجنود وظهرت في ديار بكر فأطفتت في الحال ولم يقف دون شوب هذه النار في كل الولايات العثمانية الا سرعة حركة جيش الحرية ودخوله الاستانة ثم مبادرته الى خلع السلطان عبد الحميد . ولو نجحت هذه المؤامرة الخبيثة لما بقي في تركيا حجر قائم على حجر ودمرها السلطان كما دمرت مدينة ادنه التي اصبحت اطلالا بالية ولو اردنا ان نأتي على تفصيل هذه الحوادث لاحتجنا الى مجلد من المنار فهل يقال بعد هذا ان السلطان عبد الحميد كان مخلصا للدستور وانه اعطاه برضاه؟ وهل وجد في تاريخ العالم ملك تنزع من صدره الرحمة وينزل بالنفس الامارة بالسوء الى هذا الحد من حب الانتقام لنفسه ولو بتخريب المملكة التي تأسست على دماء مئات الألوف من المسلمين ثم ياصق مثل هذه الجناية بالاسلام وشرائعه الطاهرة اذ يثير مثل هذه الفتنة باسم الدين الاسلامي وتحت ستار الشريعة؟ انا نعتقد ان اخواننا المسلمين في الهند وغيرها ارفع عقولا وابعثوا بتصديقي بكل ما كان يقال في جرائد المناقبين عن مزايا هذا السلطان التي تكاد تماثل مزايا آلهة اليونان الواردة في اساطير القوم وانه كان من انصار الدستور مع انه هو الذي قتل واضع الدستور مدحت باشا واخوانه وتطل امانون الاساسي مدة ثلاث وثلاثين

سنة قتل في غضوننا ألوقا من شبان الامة المالبين الى الحرية منهم من ماتوا في السجون ومنهم من ماتوا في المنفى لكثرة ما عانوه من شظف العيش ومنهم من ماتوا إغراقا في البحار وآخر من كادوا يموتون تمديبا في السجن من أولئك الاحرار صديقنا الحر الفيور حسين بك طوسون وطائفة من أهل ارضروم وفيهم مقتيها الذي مات في السجن شهيد الحرية والانسانية . وجرمهم ان حسين بك طوسون الذي قضي اكثر ايام حياته بعيدا عن وطنه مجاهدا في سبيل الحرية ذهب بصفة خفية الى ارضروم وبث في طائفة من افاضل أهلها فكرة المطالبة بالقانون الاساسي والتخلص من الاستبداد فاجابوا نداء الضمير والحقيقة وقاموا بالحركة الدستورية التي كانت في ارضروم منذ ستين قضي عليهم جميعا وجرى بهم الى الاستانة فزج بهم في سجونها ولولا قيام جيش الحرية في سلانيك وعلان الدستور لماتوا في التعذيب عن آخرهم كما مات من قبلهم

وكذلك كان مع الشاب المهذب المرحوم محمود فائز افندي (١) الذي كان يحرر في جريدتنا (الشورى العثمانية) وسافر الى إزمير قبل اعلان الدستور بستة شهور مضيا حياته في سبيل الحرية فقبض عليه وعلى عدد غير قليل من افاضل أهل إزمير وزج بهم في السجون ولاقوا من أنواع العذاب ما لا يوصف وبعدهم هؤلاء الخمسة والعشرون الضباط الذين جرى بهم من سلانيك وسجنوا في الاستانة قبل اعلان القانون الاساسي ببضعة عشر يوما

كل هؤلاء كانوا عرضة للموت في السجون كما مات من قبلهم لولا ان تداركهم الله بقيام الجمعية في سلانيك وظهور قوتها المتحدة بقوة الجيش وارغامها السلطان عبد الحميد على اعلان القانون الاساسي وخروج هؤلاء المظلومين من غيابة السجن وامر التعذيب

(١) توفي هذا الشاب شهيد الواجب في الفتنة التي اثارها أخوان السلطان عبد الحميد منذ شهر في ادنه حيث كان يقيم موقنا فأراد ان يصلح بين المتقاتلين من الأرمن والمسلمين وينصح لهم بترك القتال فأطلق عليه أحدهم رصاصة أقتته صريحا يتخط بدمائه رحمه الله

هذا ما أردت اضافته على ما كتبه المنار الأغر رد أعلى القسم الأول من كلام الكاتبين (١) وأما القسم الثاني والدعاوى الست التي لخصها المنار الأغر ورد عليها فالأولى منها المالية ويكفي ان نضرب له مثلا أو مثلين على مبلغ خلها وضمها في عهد السلطان الماضي اذ وجوه الضعف والخلل مما لا يمكن إحصاؤه في هذه المجالة فمثل الأول ان الحكومة الدستورية وجدت فيما وجدت من الخلل في المالية عدة ملايين من الجنيهات دينا على الدولة لجهات متعددة لم يجدوا لها قيودا رسمية فسموها الديون السائرة واضطروا ان يطنوا في الجرائد عنها وكلفوا كل من في يده مستند من اصحابها ان يراجع الحكومة في غضون مدة محدودة وعلى هذا فقس كل أحوال المالية. وما سبب هذا الخلل فيها الا استثثار السلطان بواردات الدولة مما لا تستطيع حصره نظارة المالية لتناوله تلك الواردات مباشرة بغير واسطتها ولأجل هذه الغاية كان ألف منذ بضع سنين لجنة في يلدز من حواشيه سماها اللجنة المالية لمراقبة مالية الدولة في الظاهر وسلبها في الباطن فكان أول قاعدة وضعتها تلك اللجنة ان لا ينفق قرش واحد من خزائن الولايات الا بعد استئذانها حتى مرتبات المأمورين ونفقات الجنود التي هي طبيعية في كل ولاية داخلية في ميزانيتها الخصوصية وكان من ذلك ان صارت هذه اللجنة كلما اجتمع مبلغ من المال في ولاية تطلب ارساله اليها في الحال وهذه تضمه تحت أمر السلطان ينفق ماشاء منه على جواسيسه ومقربيه ومصالح الدولة ويستأرنفسه بما شاء حتى تعطلت أمور الولايات الادارية وفتت الرشوة في المأمورين لكي يمتاشوا بما يحمل لهم منها من القود وحتى صارت الفياق العسكرية الى حالة من الفقر والضعف وقد الحاجت العسكرية لا يمكن ان يصورها كاتب بقلم ولا يصدقها الا من شاهدها بعينه من العثمانيين واليك مثلا منها

لما حدثت مسألة العقبة ونصدي الانكليز في مصر الى التداخل فيها ورات الحكومة العثمانية وجوب ارسال الجنود الى العقبة واوعزت الى الفيلق الخامس الذي مركزه دمشق بارسال تابورين من المشاة وبطارية مدافع الى العقبة لم يوجد في الفيلق كله عشرون حصانا لاجل المدافع لان خيل السواري والطوبجية الخاصة بالفيلق الخامس اقرضت عن آخرها ولم يشر غيرها فاحتج اللانيان بها من الاستانة وترتب

على ذلك تأخير الحملة العسكرية وعزل والي سورية ناظم باشا يومئذ لأن قائد الفيلق ألقى عليه تبعة الإبطاء لعدم تعجيله بدفع نفود تكفي لتجهيز خيول هذه الحملة ولو أزمها الأخرى مع ان خزينة الولاية كانت خالية من النفود

هذامثال من الامثلة المحسومة التي يحتاج استقصاؤها الى كتاب ضخيم يبين ماذا اصاب الدولة من الضنك المالي والاضطراب الاداري في عصر السلطان الماضي مع تنوع الضرائب والجبايات وتوالي طلب الاعانات المستحدثة ومنها اعانة التجهيزات العسكرية التي استمرت نجحى من الامة عشر سنين او ازيد وتمحرة وودها الى المايين ولما اعلن الدستور لم يجدوا لها حسابا مضبوطا ولم يعرفوا وجوه الاتفاق التي ذهبت فيها تلك الملايين من النفود التي جيت باسم الجندية والجندية كانت في احط دركات العوز والنقص في الممدات الحربية كما اثبت ذلك العيان الذي ليس بعده بيان (٢) كونه درب الجند على قواعد الحرب الحديثة . فانا اضيف على ما كتبه

المنار دأ على هذا الزعم ان كل ما صرفه السلطان عبد الحميد من العناية بأمر الجندية كان طلاء ظاهره حسن وباطنه قبيح فقد كان يرسل الى ألمانيا بعض الضباط لاجل إتمام تعلم الفنون العسكرية وقلما ضم الى الأليات ضابطا من هؤلاء عند عودته ليستفيد الجنود من معارفه الجديدة بل اكثرهم كان يضم الى المايين والدوائر العسكرية الأخرى ليكونوا مغلولي الأيدي عن العمل . وكذلك أتى بضباط المايين كوجه باشا وغولس باشا وغيرهما لاجل تنظيم الجيش وتدريبه ولكنه غل ايديهم كما غل ايدي الضباط العثمانيين المتعلمين في ألمانيا فمنهم من كل عمل يترتب عليه حياة الجيش ونظامه الحربي كما منع عنهم كل مادة من مواد الترفي ومن ذلك انه حظر على الجيش اجراء المناورات الحربية منذ عشرين سنة والمناورات الحربية أس النظام العملي في جيوش الأمم بل زاد في النكابة فمنع حتى ما يسمونه (الأي تعليمي) حتى لا يجتمع اربعة تواريخ في مكان واحد تحت السلاح ولو كانوا في اقصى المملكة وحتى اصبح التعليم العملي مفقوداً ألبته في الفيلق وكما منع الجيش من التمرن على الفنون العملية منع عنه كل المستحدثات الحربية الحديثة كالتلفون والأتومبيل الحربي والبالون

كل هذا توها منه ان جيشه عدو له حتى كان الجيش اشبه بآلة مطلة (٥) وحتى انسل منه الضباط الالمانيون راجعين الى بلادهم لالم يروا ما يمكنهم من ترقية هذا الجيش المحروم من كل وسائل الترقية الادبية والمادية

وأ كبر دليل على ذلك ما بلغه رجال الدولة من الخوف والاضطراب بحب إعلان الدستور وقيام النساء والبلغار على الدولة: الأولى لأجل البوسنة والمهرسك والثانية لأجل الاستقلال ، حتى اضطرم ذلك الى التمهيل بحل هاتين المشكلتين تقاديا من الوقوع في الحرب التي كانت خطرا مؤكدا على الدولة لضمف الجيش حتى لقد رأيت كتابا من أحد المشيرين الكبار بحث به لصديق له في مصر لأول عهد الدستور يقول له فيه : نسأل الله ان يمنع عنا غائلة الحرب مع البلغاريين في هذين الشهرين ريثما نلم شعثنا والافحن في خطر كبير اذا وقعت الحرب الآن

وأخبرني ضابط كبير برتبة لواء وكان في الفليق الثاني (فليق ادرنه) مع ناظم باشا لما تمين قائدا للفليق المذكور عقب إعلان الدستور وفي أثناء المفاوضات مع البلغار فقال : ان القائد الموما اليه مع ما بذل من الجهد في تنظيم الجيش وتدريبه ولم شعثه وتجهيزه بالمعدات اللازمة كان يقول بعد مرور شهر عليه في قيادة هذا الفليق : الآن يمكننا ان نقف اسبوعا واحدا في وجه البلغاريين و بعد شهر آخر يمكننا ان نقف شهرا واحدا و بعد أربعة شهور يمكننا ان نزحف على عاصمة البلغار

فانظر الى ما كان عليه الجيش من الضعف يومئذ وكيف كان أكبر مشيري الدولة وقوادها يتشاءمون من وقوع الحرب مع البلغار حتى بات كل قواد الجيش وضباطه في هم ناصب ودأب على العمل ليل نهار في الستة الشهور الأولى لأجل استرداد ما سلبه السلطان عبد الحميد من قوة الجيش المنصوية والمادية في العشرين السنة الأخيرة لحكمه المشؤوم

(٣) اما التعليم فيكفي ان تقول فيه ان المعلمين في تركيا أقل نسبة من

(٥) المنار : كان يعتقد ان الجيش اذا اجتمع مسلحا طلب الدستور ولذلك منع

المناورات والاجتماع حتى اجتهد في منع حرب اليونان فلم يجد الى ذلك سبيلا

المعلمين في بلغاريا (٥) التي انفصلت عن الدولة في عهد السلطان عبد الحميد فسبقتها اشواطا كبيرة في مضمار المعارف والعلوم ولو اطلق السلطان عبد الحميد حرية التعليم في الثلاث والثلاثين سنة التي حكمها لما وجد الى اليوم أمي في تركيا مع ان الأميين فيها الآن ربما زاد عددهم عن خمسة وعشرين في المئة والمدارس الموجودة في تركيا قد صارت الى حالة من الخلل خصوصا في الخمسة عشرة سنة الاخيرة من ملك عبد الحميد لا يستطيع وصفها قلم وحسبك ان دار الفنون في الاستانة لما أريد تنظيمها بعد الدستور لم يجدوا في فروع الطبيعات منها ولا آلة واحدة من آلات العلوم الطبيعية التي يطبق فيها العلم على العمل كما انه لا يوجد كتاب رسمي يدرس في مدارس الاستانة في أي فن من الفنون بل ان المعلمين يملون دروسهم املاء وناهيك بعلم يدرس وهو يجاسب نفسه على الكلمات ويخشي من هفوات اللسان بالنظر علمية حرمتها نظارة المعارف بأمر السلطان

اما مصادرة العلماء وتشيتب الفضلاء وقتل النابغين أو ابعادهم وإحراق كتب العلم فهذا مما لا يحتاج الى دليل وقد عثروا على تقارير رسمية من دائرة التفتيش في نظارة المعارف مرسلّة الى المايين في كيفية احراق الكتب المصادرة ينبي بأن ألوقا من الكتب أحرقت مرة واحدة في موقد حمام شنبرلي طاش على ايام متوالية تقاديا من احراقها في نفس النظارة بعد أن ظن الناس ان حريقا وقع فيها لأول يوم بدئ فيه باحراق الكتب فيها وقد نشرت جرائد الاستانة في الاسبوع الماضي هذه التقارير تبرهن على ما نال العلم وأهله في عصر السلطان عبد الحميد وهذا قليل من كثير مما اصاب العلم وأهله من المصادرة والاضطهاد في عصره وفيه كفاية للمقتبين

(٤) اما انه اسعد المملكة بكده مدة حكمه فهذا امر تقيده يعاول خصوصا لمن ليس هو من هذه المملكة وبعيد عنها ويكفي ان يقال انه ليس في تركيا شركة وطنية من الشركات العامة الصناعية أو التجارية لان السلطان كان يمنع تأليف هذه الشركات الا اذا كانت اجنبية واعطيت اسم العثمانية . وكانت الرشوة متفشية في

(٥) ان ٥٠ في المئة أو نصف الاهالي في البغار متعلمون

دوائر الحكومة الى حد سلبت منه الامنية على الاموال والارواح واصبحت السيطرة لاهل البقي والفساد وارباب النفوذ. وكان المأمورون مضطرين لماشاة هؤلاء ومحاباتهم لقله رواتبهم وعدم اخذهم لما واحتياجهم الى المال من غير طريقة المشروعة فليس ثمة عدالة ولا قانون الا هوى النفس واردة الحكام فكيف تكون حالة مملكة هذا شأنها واية سعادة ترجى لامة تلك حكومتها؟ تترك الجواب على هذا للكاتبين

الفاضلين فانهما علي ما نقصد من المنصفين

(٥) اما كونه عمر الطرق وأنشأ السكك الحديدية والترع فهذا الاشياء منه في تركيا فان فيها ضريبة تسمى ضريبة العملة المكلفة وهي تلزم كل مقتدر على العمل ان يعمل في اصلاح الطرق بنفسه أو يدفع أجره عامل للحكومة وهي ريال فأكثر في السنة . وقد قال لي مرة بعض الناقدین ان هذه الضريبة لو أنقذت في سبيلها منذ وضعها الى اليوم لا يمكن للدولة ان تمد بها خطوطا بديل الخطوط الحديدية من الفضة على انه لم يعمل بها طريق مرصوص بالحجر صالح لمرور الجنود والمركبات الى اليوم أما السكك الحديدية فالحقيقة انها كثرت في زمانه الا انها كلها كما قال المنار الاغري في يد شركات اجنبية وفي مصلحتها دون مصلحة الرعية والدولة ولا يوجد في العالم شركة سكة حديد تتمتع بامتيازات تضر بالرعية والدولة كما يوجد في بلادنا ولنضرب لهم مثلا سكة حديد بغداد التي اخذتها شركة ألمانية فقد اعطيت هذه الشركة الحق بالبحث عن المعادن وتملكها على مسافة عشرين كيلو مترا من جانبي الخط أي من ساحل البحر الابيض في الاستانة الى مصب دجلة والفرات من البحر المحيط الهندي وفوق هذا قد تحمات الدولة الضمانة الكيلو مترية لهذه الشركة ثلاثة عشر الف فرنك عن كل كيلو متر وذلك في نظير مبالغ زهيدة أعطيت لامر بين ورجال الدور الماضي وبعض اسهم استأثر بها السلطان ونفر من اعوانه . فهل توجد أمة في العالم تباع مراقبها وتوهب اراضيها على هذه الصورة ويكون اشد العاملين على جر هذه المضار عليها سلطانها وحكومتها؟

أن الامثلة على مثل هذا كثيرة وان صفحات المنار لتضيق عن جزء منها فأنا أكتفي من البيان بما تقدم كما أكتفي بما قاله المنار عن النقطة السادسة لأن النفس

ضائق من الاسترسال في هذا الموضوع والفوائد اضطرب من ايمان الفكر في تلك الظلمة التي كشفها الله عنا بفضل منه فلم يبق في استطاعة القلم تجاوز هذا الحد من البيان لما ساورني من الآلام النفسية التي كانت ملازمة لي ولكل الأحرار الثمانيين مدة ذلك الدور المشؤم وقد خففها الله عنا بإتقضاء ذلك الدور الماضي وظهور شحنة من نور الرجاء في المستقبل كنا نأمل ان ننسنا ما فات لو لم يسئنا تقبي اخواننا المسلمين لهذا الانقلاب الحميد بغير ما تلقاه به الثمانيون نيلوا أذهانهم عن امثال ما ذكرناه من سيرة عبد الحميد فيدعوننا ذلك الى الرجوع لتلك الذكرى المنقصة بما اردنا به رد الشبهة وجلاء الحقيقة لاخواننا المسلمين في البلاد النائية. على اننا ننسى لم هذا التأثير بأحوال المملكة العثمانية واخبار دولة الخلافة وان كان تأثرا بضد الواقع فإنه محمول منهم على حسن النية وعدم الوقوف على دخائل الامور في الدولة العلية ولا ريب عندنا في ان اهتمامهم بهذا الانقلاب وختم السلطان عبد الحميد يدل على اهتمامهم بشؤون اخوانهم المسلمين الثمانيين ورغبتهم الخاصة في سعادة الدولة العلية ومجدها وقوتها وانا لارجو ان تتحقق هذه الرغبة لم ولنا في دور مولانا السلطان محمد الخامس بعد ان ثبت عدم تحققها في عصر السلطان الخلع اذ كل ما روئي من خليفتنا الجديد الى اليوم يدل على محبة خالصة للامة وميل عظيم للإصلاح وتمسك بمبادئ الشورى والعدل جعله الله مبدأ حياة جديدة للدولة وعزم مؤكدا للمسلمين

وحسب اخواننا في الاقطار النائية دليلا موجبا لسرورهم مؤكدا لا ما لم في مستقبل دولة الخلافة هذا الانقلاب العظيم الذي قام به اخوانهم المسلمون في البلاد العثمانية ودعمه الجيش بهوته العظيمة. وأي دليل على ان هناك حياة عالية ونهوضا زاعمة الى الرقي ستهض بالدولة الى منزلة تسرها ان شاء الله قلوب الأمة الاسلامية اعظم من هذا الدليل لا سيما وان القائمين بهذا الانقلاب انما جددوا حكمه الشورى الاسلامية التي طوى صحتها الامراء الجبارون منذ آخر عهد الخلفاء الراشدين ولم تستطع امة من المسلمين استرداد هذا الحق المسلوب منها الى اليوم فاستطاع ذلك الثمانيون والله مع المصلحين

رفيق العظم

﴿ الذكر ورابطة التشبندية ﴾

لما اطلع السيد محمود شكري اخندي الالوسي عالم العراق المصلح الشهير على ما كتبتاه في رابطة التشبندية استعصت وفضله على جميع ما كتبه العلماء في ذلك وارسل اليها التصديده الاثنية وقال إنها للشخ مهبان بن سند النجدي تزيل البهرة رحمة الله وكان من رجال اواسط القرن الثالث عشر في ابطال الرابطة التي يقول بها المتصوفة

أهل القواد اذا ما كنت ذاكره
 الشيخ يدعو لإخلاء القواد من الـ
 فكيف يدعو الى تصوير صورته
 فاقبل فوادك بالذكر اللذيذ وكن
 لم يحصل قط شهود الله في خلد
 وان يكن من أناس من يشاهدتم
 إذ صورة المصطفى صحت بها كتب
 لو كانت من ديننا تصوير مشيخة
 فحسبنا باتباع المصطفى شرفاً
 فيما يريد الهدى استمسك بهروته
 دع التوجه إلا للذي فطرا
 فإلك لسبيل المصطفى ثبتت
 ان الطريقة ان عرقها عمل
 وبعد تحلية فاعمل بتحلية
 من سار لله قسى السر من كدر
 واخرج عن النفس والاغيار تحفظ به
 ولا تظن اشتغالا بالعلوم شقى
 فالعلم يحصله من كل ما خاف
 ينفون تحريف ذي الابطال عنكم
 لا تحقر سالكا علما فسالكه
 وارج الحوائج من مولاك لا بشر

تكن قى بسلاف الذكر قد سكرنا
 أغير طاراً ليصفو الذكر للفقرا
 في خاطر فيه نور الله قد سفوا
 ممن عن الغير في اذكاره ففرا
 إلا إذا لم يكن فيه سواه يرى
 مولاه يذكر ما أنوارهم نظرا
 وما بتصويرها أصحابه أمرا
 لكان أجدر لكن هتني الأترا
 ان مال نحو اتباع غيرنا وجرى
 وقل إذا السالك استهداك معتبرا
 واسلك على الشرع واترك ما سواه ورا
 اقداه ومريد غيره عنرا
 بالشرع فاعمل به وانظر لما نظرا
 وإن تحلية أخذ بما أمرا
 لا ينظر الله سرّاً أشرب الكدوا
 لم يحظ بالله مملوء الحشا غيرا
 ان الشقاء لمن غير المعلوم برى
 عدوله فهم من غيرهم أمرا
 مدقق منهم دين الهدى نصرا
 سام وتاركه بالجهل قد حقرا
 وان سا من مقام الصالحين ذرى

لو كان مستلباً منه الذباب ولم
 فانزع الى الخلاق المعبود معصماً
 واعبد كأنك مولى العالمين ترى
 واحذر دسائس نفس ربما قلت
 والذكر ركن عظيم من طريقهم
 نجد في السير للرحمن مقتنياً
 وكل مؤمنة أو مؤمن فله
 واخش احتقارك للعاصي لمصيبة
 فكرر بك لا تأمن وكن رجلاً
 لا ناظراً عملاً لكن لرحمة من
 مطلقاً منك آملاً بذيل ندى
 فاذكروه في خاوة أو جلوة ترى
 وبالنواجذ فاعضض شرع مرسله
 ما خالف الشرع مردود وقائله
 والدين اكلمه المولى فليس به
 ان الاطبا أساءة الدين هم علما
 سامون حوزتها عن كل مؤمنك
 لا توقعن نظرة يوماً على عمل
 اخلاصهم عرف الرفاق زاد على
 لا مثل من حثروا اعمال غيرهم

يقدر الله افاضاً لما قدوا
 في كل ما حدث ان جل او صفوا
 فان تكن لا ترى مولاك فهو يرى
 في الدسائس منها دقق النظرا
 وخيره ما عن المختار قد اثر
 آثار من فات كل الخلاق حين سرى
 حق عليك فأحب منها الأثر
 قرب عاص تمدى ذنبه غفراً
 متمسكا أبداً من شرعه بئسرى
 كل الأنام اليه دائماً فقروا
 من فضله الجم ذرات الودى غمراً
 عماله عند أملاك سموا ذكراً
 ودع أقاويل اقوام جرت هذا
 بذاروبنا عن الهادي لنا خبرا
 قص فيكم له من قصه ظهراً
 قد دققوا في معاني السنة النظرا
 مزين في طريق الله كل فوا
 ان رمت اخلاص اقوام بدوا غمراً
 ان لا يكون لا إخلاص له نظرا
 واستعظموا كل فصل منهم صدراً

﴿ النساء والحجاب والتعليم ﴾

وردت الينا هذه التصيدة من بغداد في معارضة الشيخ محمد بن الشيخ طاهر الحلبي
 تصيدة الشيخ معروف الرصافي التي نشرناها في الجزء الثاني
 لنم مؤدب النظرات يت يقن به الى يوم المات

يقرن به كواكب في بروج
فالك ياغيور نظمت شعرا
تعرض في نساء القوم قدما
قد قال الاله وقرن امرا
فان تفهم سوى المعنى فين
نشدتك هل قصدت بذايا نا
أواستنبطت ذامن فعل خيرا لاذ
فان تك أمنا في العلم بهجرا
قد كان المعلم خير زوج
وقد كان الأولى سألوا علوما
فن تدعو على القسيس كما
وتأيتها الرجال تال منها
كن أخذت عن المختار علما
قياس لا ينسم في هواه
فهل هذا لمر أيبك الا
وما ذكر كأثى نص فيها الكت
وتقصان النساء حجبى ودينا
أم المؤمنين اليك نشكو
يريد الله ان يفضضن طرفا
ولا يدين زينهن الا
وبأن المساع ورا حجاب
فكيف يليق ان تلقى حجابا
ونرضي ان تلوح بكشف وجه
فلك مصيبة يأم منها

ولا يمدونه متبرجات
ثرت به عقود الينات
ونعرض عن أوامر صادعات
يوذب فيه خير الامهات
وان تزعم له نسنا فها
على حسن اقتدار والتفات
ساء العالماط العالماط
تحل لسانها المشكلاط
بمحجة يته لا المدرسات
بنيا لا البيد من العداط
نعم ضرب عود أو كرات
فتوتى في منازلها وتاتي
وعلت البنين أو البنات
ولا ينساع في ماء فرات
كنسوية الذين مع اللواتي
اب تقول احدى العالماط
صحيح في مسانيد الرواط
مصيتنا بهتك المؤمنات
ويدنين الجلاب ساترات
لطفل ليس بعلم بالهنات
ويلقين الرجال محجبات
وتبرز للميون الشاخصات
ولو بين الاعفاء الاباط
نكاد نفض بالماء الفرات

خطبة خطيبته مصرية يتت على النساء

نشرت الجريدة سلسلة مقالات مفيدة في شؤون النساء والبيوت لكاتبة مصرية مسلمة لقببت
لها بهذا اللقب (باحثة بالبادية) ثم انها دعت بلسان الجريدة النساء الى سماع خطبة لها في شؤونهن
مع الرجال فأجاب دعوتها مئات منهن فاجتمعن يوم جمعة في نادي حزب الامة وسمعن منها هذه الخطبة

أيتها السيدات :

أحيكن نحية أخت شاعرة بما تشعرت ، يوئلها ما يوئلم مجموعكن « ومجذل بما
تجدلن به ، وأحيي فيكن كرم النفس لتفضلكن بتلبية الدعوة لسماح خطبتي . إن
أطلب بها الا الاصلاح ما استطعت فان أصبت كان ما أرجو وان أخطأت فما أنا
إلا واحدة منكن والانسان يخطئ ويصيب فن رأت في خطبتي رأياً مخالفاً لما
تعقد أو أجت المناقشة في نقطة ما فلتفضل بابداء ما يمن لها بعد انتهاء كلامي

أيتها السيدات : ليس اجتماعنا اليوم لمجرد التعارف أو لعرض مختلف الأزياء
ومستحسن الزينات وانما هو اجتماع جدي أقصد به تقرير رأي لقبمه ولا يبحث فيه
عن عيوبنا فنصلحها . فقد عمت الشكوى منا وكثرت كذلك شكوانا من الرجال .
فأي الفريقين محق في دعواه ؟ وهل نكتفي من الاصلاح بمجرد التذمر والشكوى ؟
لا أظن مر يضا طامع أنينه فشاه ، يقول المثل العربي « لادخان بلا نار » ويقول
الفيلسوف الانكليزي هربرت سبنسر « ان الآراء التي نظهر لنا خطأ لا يمكن أن
تكون خطأ محضاً بل لا بد ان يكون فيها نصيب من الصحة والصواب » اذن
فنحن والرجال متساوون في صحة الدعاوي وبطلانها ، كلنا متظلمون وكلنا على حق
مما قول ، بيننا وبين الرجال الآن شبه خصومة وما سببها إلا قلة الوفاق بيننا
و بينهم . فهم يعززون هذه الحالة لنقص في تربيتنا وعوج في طريقة تعليمنا ونحن
نعزوها لظلمتهم وكبرياتهم ، وهذا الاختلاف في إلقاء المسؤولية زادنا اختلافاً في
المعيش وأوسع هوة الجفاء بين الرجال والنساء في مصر وهو أمر لا ننظر اليه بعين

(المجلد الثاني عشر)

(٤٥)

(المارچ ٥)

الارتياح وانما نأسف له وتوجس منه ، لم يخلق الله الرجل والمرأة ليتباغضا ويتنافرا وانما خلقهما الله ليسكن أحدهما الى الآخر فيصير الكون إذ في اثتلافهما بقاؤه ، ولو انفرد الرجال في بقعة من الأرض ، انفضت النساء إلى أخرى لا ترض الخبز بان وحتت عليهما كلمة الفناء .

تدركن معنى قولي هذا من صعوبة الرد على هذا السؤال : أي الجنسين أصلح للبقاء في الدنيا النساء أم الرجال ؟ فإذا أجابت احدا كن : الرجال لانهم يقومون بشاق الاعمال من بناء واختراع وزرع وغيره . لعارضتها بقولي : ولأجل من تجشم تلك الصعاب ولا نساء يقلسل منهن الفسل لعمار هذا الكون ؟ واذا قلنا النساء لانهن مدبرات البيوت وأمهات النشاء ؟ هللت ومن أين يأتي النشاء ولا أب له ؟ هذا قياس على نظام الطبيعة الحالي ولا تتوسع بالاقتراضات والمتوهمات فقد كان الله قادرا على خلق نظام آخر للتوالد وهو قادر على خلق مثله ولكننا الآن لم نسمع إلا بمثال واحد لهذا الشذوذ هو مثال سيدنا عيسى عليه السلام فالمرأة والرجل للكون كالخبز والماء للجسم أو الشمس والماء للزرع ولو استعاضت احدانا بالبن عن الماء فان اللبن بالتحليل يحتوي الماء فالكتب السماوية كلها مجمعة على ان أصل البشر من آدم وحواء والقائلون برأي دارون لم ينكروا ضرورة لزوم الذكر والأنثى للتوالد من الحيوانات الأولى التي زعموا انها ارتقت بالتدرج إلى مصاف الانسان ، كذلك الحال في كل جسم حي نام فان النباتات كلها فيها الذكورة والأنوثة والزهرة على لطاقتها وصفر حجمها تحتوي شكلين مختلفين من العروق أحدهما لتقاج للآخر ، كذلك جعلها الله لينتج منها الحب الذي فيه بقاء النوع وسلط عليه الريح تسفيه إلى الأرض فاذا ما جاده الفيث أولقي ربا نبت ونما وصار شجراً مما وقع منه ، فنظام التوالد هذا مطرد في كل الأجسام الحية من حيوانات ونبات لا شك فيه البتة واذا راجنا احصائيات العالم كله وجدنا ان عدد الذكور والأناث فيه يكاد يكون واحدا أو بفرق قليل جدا وهذا دليل على ان الله خلق رجلا لكل امرأة ، هذا بقطع النظر عن الحروب وغيرها مما قد يخل بهذا التوازن الطبيعي الدقيق ، إذن فمحاولة الاعتزال بين الرجال والنساء مستحيلة وعليه فلا فائدة من

هذه الفارات القلمية الشعواء بيننا وبينهم والأ وفق ان نسعى للوفاق جهدنا وزيل
سوء التفاهم والتعزب لنحل بدلها الثقة والأناصاف ولنبحث أولا في ققط اختلاف
يقولون انا تعلمنا نراحمهم في أشغالهم ونترك أعمالنا التي خلقنا الله لها . فليت
شعري ألم يكونوا هم البادئين بمزاحمتنا ، كانت المرأة في العهد السابق تفزل الخيط
وتنسج ثيابا لها ولأولادها فاخترعوا آلة الغزل والنسج فأبطلوا عملها من هذا
القبيل ، كانت المرأة المتقدمة تغربل القمح وتموسه وتطحنه على الرحي يديها ثم
تنخله وتمججه قهبي منه خبزنا فاستنبطوا ما يسمونه (الطابونة) واستخدموا فيها
الرجال فأراحونا من ذلك العمل الكثير ولكنهم عطلوا لنا عملا ثانيا ، كانت كل
امرأة من السالقات تحيط لنفسها ولأفراد بيتها فقتنوا لنا آلة للخياطة يشتغل في
استخراج حديدتها وصناعتها الرجال ثم جعلوا منهم خياطين يخيطون لرجالنا ولأولادنا
فأدوا لنا بذلك عملا ثالثا ، كنا نكنس حجرنا أو تكفيسها الخاديات بمكانس من
القش فاستنبطوا آلة الكنس التي يكفي ان يلاحظها خادم صغير فتتظف الرياش
والأثاث ، كانت الفقيرات والخاديات يجلبن الماء ليوتمن أوليوت سادتهن فاخترع
الرجال القصب (المواسير) والحنفيات تجلب الماء بلا تعب ، فهل ترى عاقلة الماء
يجري عند جارتها في أعلى طبقات منزلها وأسفله وتذهب نملأ من النهر وقد يكون
بعيدا ، أو هل يعقل ان مدينة ترى خبز (الطابونة) نظيفا طريا لا تكلف له سوى
ثمنه تتركه تغربل وتمجن وقد تكون ضيفة البنية لا تتحمل تعب تجهيز القمح
وعججه أو فقيرة لا تستطيع تأجير خدم له أو وحيدة لا مساعدها عليه ، أظن الرجال
لو كانوا محلنا لما فعلوا سوى ما فعلناه وما من امرأة تقوم بهذه الاعمال كلها الا
القرويات اللاتي لم يدخل قراهن التمدين ، بلى انهن يستعصن عن الرحي بوابور
الطحين وبعضهن عن الملء من البحر (بطومات) يضمنا داخل دورهن
ولست أريد من قولي هذا أن أذم الاختراعات المفيدة التي اخترعها الرجال
لنفس كثيرا من أعمالنا أو لأقول إنها زائدة عن حاجتنا وانما كان هذا الشرح
ضروريا لبيان ان الرجال هم البادئون بالمزاحمة فاذا ما زاحمتهم اليوم في بعض
اشغالهم فان الجزء الحق من جنس العمل

على ان مسألة المزاحمة هذه ترجع للحرية الشخصية فزيد راق له ان يكون طبيباً وعمرو ارتأى ان يكون تاجراً فهل يصح ان نذهب للطبيب ونقول له لا تحترف هذه الصناعة بل كن تاجراً وهل يمكننا ان نجبر التاجر على ان يصير طبيباً ؟ كلا . فكل له حرية يفعل ما يشاء ولا ضرر ولا ضرار ؛ أو هل يجوز ان يمنع مهندس قديم من يحترف هذه المهنة من غيره لانه كان يكسب ربحاً بأكمله فجاء له هؤلاء المهندسون الجدد يقتسمون ارباحه ؟ ولو جاز ذلك قوة لما صح ان يجوز شرعاً وحرية ولما قامت من أجله الشخاء بين الرئيس روزفات وشركات الاختكار ، فاذا كان المخترعون والصناع أبطالاً جزءاً كبيراً من أعمالنا فهل تقتل الوقت بالكسل أو نبحت عن عمل يشغلنا ؟ لا غرو اننا نفعل الثاني ، ولما كانت أشغال منزلنا قليلة لا تشغل أكثر من نصف النهار فقد نتحتم ان نشغل النصف الآخر بما تميل اليه نفوسنا من طالب العلم وهو ما يريد ان يمنحنا عنه الرجال بحجة اننا نشاركهم في اعمالهم لا أريد بقولي هذا ان أحث السيدات على ترك الاشتغال بتدبير المنازل وربية الأولاد إلى الانصراف لتعلم المحاماة والقضاء وادارة القاطرات ، كلا ولكن اذا وجد منا من تريد الاشتغال بأحدى هذه المهن فان الحرية الشخصية تقضي بان لا يعارضها المعارضون ، يقولون إن الحمل والولادة مما يجبرنا على ترك الشغل ويتذرعون بذلك الى جعلها حجة علينا ولكن من النساء من لم تزوج قط ومنهن العقيمات اللاتي لا يتناهن حمل ولا ولادة ومنهن من مات زوجها أو طلقها ولم تجد عائلاً يقوم أودها ومنهن من يحتاج زوجها لموتها ، وقد لا يليق بهؤلاء ان يحترفن الحرف الدينية بل ربما يملن الى ان يكن مملات أو طبيبات حائزات لما يحوزه الرجال من الشهادات ، فهل من العدل ان يمنع مثل هؤلاء عن القيام بما يرينه صالحاً لأنفسهن قائماً بماشهن ؟ على ان الحمل والولادة إذا كانا مهطلين لنا عن العمل الخارجي فهما مهطلان لنا عن الأعمال البيتية أيضاً ، وأي رجل قوي لم يمرض ولم ينقطع عن عمله أحياناً ؟

يقول لنا الرجال ويمجزمون انكن خلقتن للبيت ونحن خلقنا لطلب المعاش . فليت شعري أي فرمان صدر بذلك من عند الله ؟ من أين لهم معرفة ذلك والجزم

به ولم يصدر به كتاب؟ نعم ان الاقتصاد السياسي ليأمر بتوزيع الاعمال ولكن اشتغال أفراد قلائل منا بالعلوم لا يخل ذلك التوزيع وما أظن أصل تقسيم العمل بين الرجال والنساء الاختياريا بمعنى أن آدم لو كان اختار الطبخ والفنل وحواء السعي وراء القوت لكان ذلك نظاما متبعا الآن ولما أمكن ان يحتاج الرجال بأنا خلقنا الاعمال البيت فقط وهانحن أولاء لانزال نرى بعض الاقوام كالبرابرة مثلا يخط رجالهم الكياب لانفسهم ولافراد يثبهم ويتعشم نساؤهم مشقة الزرع والقلع حتى انهن ليتسفن النخل لجنى ثمارها . وهانن نساء الفلاحين والصمايدة يساعدن رجالهن في حرث الارض وزرعها وبهضم يقمن بأكثر اشغال الفلاحين كالتسميد والدراس وحمل المحصولات ودق السنابل والبراعم (الكيزان) وسوق المواشي ورفع المياه بما يسمونه بالقطوة وغير ذلك من الاعمال التي ربما شاهدها منكن من ذهبت الى الضياع (العزب) ودأت انهن يقدرن عليه تمام القدرة كأشد الرجال ونرى مع ذلك أولادهن أشداء وأصحاء .

فسألة اختصاص كل فريق بشغل مسألة اصطلاحية لا اجبار فيها . وماضفنا الآن عن مزاوله الاعمال الشاقة الا نتيجة قلة الممارسة لتلك الاعمال والا فان المرأة الاولى كانت تضارع الرجل شدة وبأساً . أليست المرأة القروية كاختها المدنية؟ فلماذا تفوق الاولى الثانية في الصحة والقوة؟ هل ترتبن في ان امرأة من المتوفية تصرع أعظم رجل من رجال القورية لو صارعته؟ فاذا قال لنا الرجال اننا خلقنا ضعفات قلنا لا وانما أنتم أضعفتمونا بالانهج الذي اخترتم ان نسير فيه . حدثني سيدة عالمة انها في سياحتها بأميركا رأت بعينها هنودها الجر تتحرك آذانهم من تقاء نفسها اتجاه الصوت الذي يترقبونه كاذان الخيل والحير . ذلك نتيجة استعمالها وقد توارثوه أيضا وهم في حاجة اليه لتستمع زئير السباع وعواء الوحوش التي ربما تهاجمهم في فلواتهم كذلك نجد حواس الوحشين أقوى من حواسنا بكثير فهم يشمون رائحة الوحوش من بعيد أما نحن فلا ولم يكذب من قال ان الوظيفة تكون العضو . هو لاء العميان يعتمدون كثيرا على حاسة السمع بعد فقد حاسة البصر فتقوى فيهم بالتدريج تلك الحاسة الى ان تبلغ غاية قد تصد من الخوارق عندنا فهل بعد ان استبعدنا الرجال قرونا طولالا حتى خرم على عقولنا الصداً وعلى أجسامنا الضعف يصح

ان يهيمونا بأننا خلقنا اضعف منهم اجساما وعقولاً ؟ انهم لو انصفوا ولم يتحزبوا لما عبرونا باننا قليلات النبوغ وانه لم يسمع باحدانا غيرت قاعدة في الحساب والهندسة مثلاً . ولتفضل أحدهم باختبارنا عما استنبطه من تلك القواعد ؟ اوليست قواعد الحساب هي بعينها من زمن اليونان الاول الى الآن ونظريات الهندسة لم تنزل تلك التي كان يعرفها قدماء المصريين والرومان . نحن نعترف لرجال الاختراع والاكتشاف بعظيم اعمالهم ولكني لو كنت ركبت المركب مع خريستوف كولومب لما تعذر عليّ انا ايضاً ان اكتشف اميركا . وحقيقة ان النساء لم يخترعن اختراعات عظيمة ولكن كان منهن النابغات في العلوم والسياسة والفنون الجميلة اي فيما سمح لهن بممارسته وبعضهن تقن الرجال في الفروسية والشجاعة كخولة بنت الازور الكندي قد عجب منها عمر بن الخطاب واعجب باستقلالها في فتوح الشام حينما أرادت تخليص اخيها من اسر الروم ، وجان دارك التي قادت جيش الفرنسيين بعد انكساره امام الانكليز فشجعهم على استمرار القتال واصلت محاربي وطنها حرباً عواناً . ولن أضرب مثلاً بالنساء اللاتي تولين الملك فأحسن سياسته ككاترينا ملكة روسيا وايزابلا ملكة اسبانيا واليزابت ملكة انكلترا وكياو باثره وشجرة الدر امرأة الملك الصالح وأم طوران شاه التي حكمت مصر فقد يقول معارضونا انه دبره لهن الوزراء وهم رجال على انه لو صح هذا انقول في عهد الدستورين كالمملكة فكتوريا مثلاً أو وهلمينا ملكة هولانده الحالية فلا يصح تطبيقه على أيام الحكم المطلق .

اننا الآن في ابتداء اقيام تعليم البنات فقول بعضهم بالاقصرار على هذا وذلك مشبط للهمة ورجوع الى الوراء في حين انه لا خوف من مزاحمتنا لم الآن لاننا لانزال في الدور الاول من التعليم ولا تزال عاداتنا الشرقية تثنينا عن الاستمرار على الدرس الكثير فليهنوا بوظائفهم وما داموا يرون مقاعد مدرسة الحقوق والمهندسخانة والطب والجامعة خالية منا فليقروا عيوننا ولينعموا بالافان ما يتخوفون منه بعيد . واذا فرض واشتاق احدانا لتكلمة معلوماتها في احدي تلك المدارس فانا واثقة انها لن تقلد وظيفة أو تشتغل خارجاً وانما تفعله لاطفاء شوق النفس للعلم أو الشهرة . ولما نفضله . فاذا كنا لم نشغل بالمحاماة ولا بتقلد الوظائف الحكومية أفلا تشغلنا عن تربية النشء

الاقراءة كتاب أو خط جواب ؟ أظن ذلك مستحيلا . على أن الأم مها تعلمت
وبأي حرفة اشتغلت فلن ينسبها ذلك اطفالها أو يفقدها عاطفة الشفقة والأ مومة بل
بالعكس انها كلما تنورت أدركت مسؤوليتها . ألم ترين الفلاحات والجاهلات ينظرن
بيكي مقلن الواحدة منهن ساعات وهي تسمعه ولا تتحرك اليه . فهل ياترى كان شغل
هؤلاء أيضاً تحضير القضايا أو الاشتغال بالتحريير والقرأة

ولا ينبغي اكثر من أن يزعم الرجال أنهم يشفقون علينا . انا لسانحلا لا شفاقهم
وانما نحن اهل لاحترامهم فليستبدلوا هذا بذلك والاشفاق لا يتأني الا من سليم
لعليل او من جليل لحقير قاي الصنفين يعتبروننا ؟ تالله انا لأنف ان نكون احد هذين
قال قائلم لا تعلموا البنات من الحساب الا القواعد الاربع لانهن لن يحتجن
لاكثر منها . فمن أين له انا ان نودع قهودنا في مصرف أو نبيع وثيقة (كميالة) أو
ينالطنا وكيل في قياس قطعة أرض ؟ انه اذا ادعى بذلك تفضيل الرجال على النساء
في علم الكهن والرجم بالغيب أيضا لقلنا لم تصح هذه الفراسة فقد أظهر الواقع غير
ذلك . أما ما يذهب اليه من تفضيل لغة عن لغة في العلم فذلك مالا أفهمه لاني أعتبر
اللغات كلها نافعة ولو وجدت من يطني البربرية أو الصينية لتعلمتها . اذا كان لأداب
اللغة فان الفارسية والالمانية والانكليزية وغيرها ملائى بذلك . أما تعليم تدير المنزل
وتربية الاطفال فيجب ان نشكر للذكتور نظمي اهتمامه بهما وحسه عليهما

أيها السيدات : العلم منير للعقل على أي حال سواء عمل به أولم يصل فماذا
يضرنا انا لا نشتغل بمسح الكرة الارضية ولا بالسياحة ولكن نعلم مواقع البلاد وأبمادها .
ان الطيب يتعلم الجبر في تلمذته ولكنه لا يشتغل به في صناعته . كلنا نسمع بأخبار
السياسة والرجال يشتغلون بها ولكنهم لا يتحدثون أنفسهم بأن يولوا مكان ذلك الملك
المقتول أو السلطان المعزول فهل تقول لهم اذا كنتم لن تملكوا في تلك الامم فلا يجوز
لكم ان تعرفوا سياستها وأخبارها . نسمع في هذه الايام ان جيش الدستور في تركيا
زحف من سلايك الى الاسانة وان حصن اسكودار تأخر في التسليم ، ألا يحسن بنا
ان نعرف من (الجغرافيا) ما يهيوثنا لفهم تلك الاخبار بعد مالا كنا أفواه الكبار
والصغار ؟ . لو لم يكن للعلم لغة في ذاته لما اشتغل بتحصيله الملوك وهم واقنون انهم لن

يكونوا مهندسين ولا بحارة ولا ساتقي قاطرات . وهل تفضل السيدة التي تعرف ان تطبخ البطاطس وتنسق الازهار فقط أم التي تعرفها ايضاً ولكنها تعلم متى يوكل البطاطس وهل يوافق زوجها المريف بالسكر او جسمها السمين الذي تريد تضييره وهل وجود اصص (قصاري) الزرع في حجرتها ليلا صالح لرتبتها الضعيفين ام مضربهما؟ فهذه تعرف تدير المنزل وتلك تعلمه ولكن زيادة واحدة بعلم النبات تحفظ لها صحتها وصحة عيالها من التلف فصلا عما تشعر به من السرور الناشئ عن العلم . نحن نعلم ان قصص تربيتنا الاولى وتربية اخواننا الشبان لاشك نتيجة جهل امهاتنا فهل نعرف الداء ولا نداويه وقد قال الحديث الشريف « لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين » . ان المدارس مما اجتهدت في تثقيف عقول النش وتهديبها فان المنزل له تأثير خاص على الاطفال واذا شعر تلميذ أن امه عالة اوها نصيب من علم فانه يسعى جهده ليربها انه امل لحبها وتقديرها اياه فيجتهد ليحفظ سلسلة العلم لتكون الصلة شديدة بينه وبينها . فقلنا الخالي ناقص يجب ان يزداد عليه لا ان ينقص منه

أما ما اشكل على الرجال من علة فسادنا فهو ما ينسبونه خطأ للتعليم وحقهم ان ينسبوه للتربية . يرى كثيرون أن العلم يهذب ولكني لأعتقد ذلك بل اصرح ان العلم والتربية منفصلان تمام الانفصال الا في علوم الدين فقط . ودليلي على ذلك ان كثيرين من المبرزين والمبرزات في العلوم لاخلاق لهم . وان الكتاب الواحد قد يدرسه معلمان مختلفان في فرقتين كل على حدة فتعلم الفرقان الكتاب ولكن نجد اثر الهمة وعلو النفس في واحدة ولا نراه في الثانية فهذا ناشئ من تأثير روح المعلم في تلاميذه لا من العلم والا نلو كان من العلم لتساوت الفرقان لان الكتاب واحد والعلم لا يختلف .

يظن بعض الناس ان احسن التربية قبيل ايدي الزائرات وتكتيف اليدين خضوعاً ولكن ما اهد هذا عن الحقيقة . التربية الحسنة هي التي توهم الشخص لان يدرك نفسه من سواه وما احزم من قال « ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه » . التربية الحسنة هي التي تعود الانسان من غيره احترام الغير اذا استحق الاحترام حتى ولو كان عدواً . فالتعلم لم يفسد اخلاق الفتيات وانما هي التربية الناقصة . تلك التربية

في الحقيقة يجب ان تكون من اعمال البيت لا المدرسة ولما كانت بيوتنا لم تبلغ الدرجة التي توصلها لاحسان تربية الاطفال فقد وجب علينا ان نضاعف مجهوداتنا لاصلاح شأن انفسنا أولا ثم اصلاح النساء ، ولا يتم ذلك في لحظة كما قد بتوهم ، ومن الظلم ان نلقي مسؤولية الفساد كلها على المدارس فان المدرس لها تأثير في التربية ولكن ليس عليها كل الذنب ، بل العيب في الأمر

من عيوبنا نحن النساء اننا لا نكثر كثيرا بالنصح فاذا قامت سيدة تريد تقرير مبدءا أو إظهار حقيقة قال أكثرنا ما لها ولهذا أو ان كانت تغار فنصل مثلنا وغير ذلك من الألفاظ

ومن عيوبنا السخرية والتهمك فكثير منا تنتقد من تصادفه وتصيب عليه لالعيب حقيقي يستدعي الانتقاد ولكن لولوع بالانتقاد في ذاته فرجما انتقدت في ساعة واحدة اثنين على خصيتين متضادتين ولا يمكن ان يكون الشيء وتقيضه متقدما فاذا رأت امرأة سمينة قالت انها (كالبرميل) وكيف تستطيع الحركة ، وان بصرت بأخرى رفيعة قالت انها كهود الحديد تكسر يدها على ساقها ، واذا وجدت سيدة قليلة الكلام قالت انها متكبرة وان سمعت أخرى تتكلم كثيرا عابت عليها وقالت انها تصنع الخلفة

ومن عيوبنا الصلف والاعتزاز ، كنت وأنا طفلة أحفظ قصيدة سمعتها ولكني كنت أخطئ فيها وألحن كثيرا غير عالة بالطبع ما كنت واقمة فيه من الخطأ وكنت زميلاتي الصغيرات لا يعرفن القصائد ولم يسمعن بها فكنت إذا قلتها أمامهن عددنني غريبة عليهن ووسمتني بالذكاء ، فما لبثت ان اغتررت بقصيدتي وصرت أفتخر بها حتى إذا أقيمت ذات يوم أمام والدي أو اني خطي وبين لي انها كانت مجموعة تنف من هنا ومن هناك لا ارتباط لاجزائها ولا قافية لها وأعطاني كتابا فيه شعر فأدهشني أكثر لأنني كنت أحسب أن لا شعر في الدنيا إلا تلك التي كنت استظهرتها فاذا كان تركني ولم يبين لي خطي فرجما كنت استرسلت في الغرور ، والانسان مما بلغ من العلم فانه لا يزال يقبل الزيادة فيه ومهما كبر فيما يعرف فانه (المارچ ۵) (۴۶) (المجلد الثاني عشر)

لا يزال طفلا ازاء ما يجهل كالبحر تستظم منه ما رأيت وما لم تره أعظم ، وكيف
أصلح خطي إذا كنت لا أشعر به ولا أقبل نصيحة من يراه
يشكو الرجال من تبرجنا في الطرقات وحق لم لنا خرجنا فيه عن المألوف
والجائز ، نحن نزعم اننا محتجب ولكننا ما بلغنا حجابا ولا بلغنا سفورا ، لا أريد ان
نرجع لحجاب جداتنا ذلك الذي يصح أن يسمى وأدا لا حجابا فقد كانت السيدة
تقضي عمرها بين حوائط منزلها لا تسير في الطريق إلا وهي محمولة على الاعناق
ولا أريد سفور الأوريات واختلاطن بالرجال فانه مضر بنا ، ان نصف ازارنا
السفلي اليوم مرط (جونيله) لا يتفق مع كلمة حجاب ولا مع معناها ولا مع الحكمة
منه إما نصفه العلوي فهو كالعمر كلما تقدم قصر ، كان الحجاب الأول قطعة واحدة
تلف بها المرأة فلا يظهر من هيتها شيء ثم طوأ عليه تكش بسيط ولكنه كانت
واسعا يكفي لستر الجسم ثم تقننا فيه فصرنا نضيق وسطه وقصر رأسه وأخيرا فصل
له كان وصار يلتصق بالظهور ولا يلبس الا مع المشد ويربط من أطرافه الى الوداء
حتى تظهر منه الأذان ونصف الرأس أو أكثره فتبين الورد والرياحين والاشربة
المزين بها الرأس ، أما البرقع فأشف من قلب الطفل ، ما الفرض من الأزار ؟
الفرض منه ستر الجسم والملابس والزينة اجتناب الزينة التي نهى الله عنها فهل
يتفق هذا مع المنزر الحالي وقد أصبح (فستانا) يظهر التهدين والخصر والاعجاز
فضلا عن ان بعض السيدات ابتدأن يلبسنه أرقق وبنيا وأحر ، الأولى أن لانسميه
منزوا بل (فستانا بطرطور) فانه في الحقيقة كذلك ، وعندني أن الخروج بدونه
أحشم لانه على الأقل لا يسترعي النظر ، هل ان مسألة الحجاب قد اختلفت فيها
الأمم ؟ فاذا كان تقنن بعضنا هذا يراد به التحيل على الخروج بلا ازار فليس علينا
فيه من حرج اذا كشفن وجوههن بشرط ستر الشعر والجسم وأرى ان أوفق لباس
للخارج هو تغطية الرأس بنحو وسدل رداءه أشبه (بالباطو) المسمى (Cache pousive)
عند الفرنجة على الجسم إلى الكعب ويكون طويل الكين إلى المعصمين
وهذا اللباس مستعمل في الأستانة كما روت لي إحدى السيدات للخروج الى
المحلات القريبة ، ولكن من يضمن لنا اننا لا تقصره ونضيقه حتى نمسخه (فستانا)

آخر؟ وحينئذ تضيق بنا جبل الإصلاح ، لو انا نتميات من صفرنا على السفور ولو ان رجائنا مستمدون له لا قررت بالسفور ان تهواه ولكن مجموع الأمة غير مستعد له للان وان كان بعض نساءنا المائلات لا يخشى من اختلاطهن بالرجال الا انا يجب ان تحتفظ على غير الماقلات أيضا لاننا سرعان ما نقاد وقل ان نبحث عن حقيقتنا فيه ، ألا ترين ان تيجان الماس أصلها الملكات والأميرات ، فأصبحت الآن يلبسها المغنيات والراقصات ، ولعل الشراء يعدلون عن كنياتهم الملكات ياربة التاج فقد أصبحت تلك الكناية شاملة لسواهن ،

على ان تفتنا هذا في المنزر الحالي هو في ذاته تقليد لأوروبا ولبنا قفانن في التبرج فان المرأة ممن تلبس أسط ما عندها عند ما تكون في الطريق وتلبس ماشاءت في البيت أو في السهرات ولبنا بخلاف ذلك نفل امام أزواجنا بجلباب بسيط جدا ثم اذا خرجت احدانا عمدت لأحسن ثيابها فلبسته وأقلت نفسها بالمصوغات وأفرغت عليها زجاجات المطر العليب ، وباليها تقتصر على ذلك بل تجمل من وجها حائطا تنمشه بالدهان، وتصبغه بمختلف الألوان، وتكسر في مشيتها كأنها الخيزران ، ففتن المارة أو على الأقل يتظاهرون لها بانها فتنتهم ، اني واثقة ان أغلب هؤلاء المتبرجات يفعلن ما يفعلن وهن خاليات الذهن من سوء القصد ولكن من أين للرأي ان يتبين حسن نيتهم وهظهرهن لا يدل عليه ؟

حجابنا يجب أن لا يجرنا من استنشاق الهواء النقي ولا من شراء ما يلزمنا إذا لم يقدر آخر على شرائه لنا ويجب أن لا يمننا عن تلقي العلم ولا ان يكون مساعدا على فساد صحتنا أو سببا في تلفها ، فاذا لم أجد في بيتي حديقة واسعة أو رجة طلاقة الهواء وكنت فرغت من العمل وأحسست من نفسي بملل أو كسل فلم لا آخذ نصيبي من هواء الضواحي المنعش الذي خلقه الله لكل ولم يجبسه في صناديق مكتوب عليها « خصوصي للرجال » ، وانما يجب ان نختار الاعتدال ، وان لا نخرج للزهة وحدنا اجتابا للقبيل واقال ، وان لا نمشي الهويننا وان لا نلتفت يمنة ويسرة ، واذا لم يكن أبي أو زوجي يحسن اختيار ما أشبهه من الملابس غير الموجود لها عينة يمكن جلبها للمنزل فلم لا بأخذني معه لاختيار ما يلزمني أو يدعني أشترى ما أريد ؟

وإذا لم أجد من يحسن تعليلي إلا رجلاً فهل أختار الجهل أم السفور أمام ذلك الرجل مع اخواني من المتعلمات ، على أنه ليس هناك ما يجبرني على السفور بل أنه يمكثي التمتع والاستفادة منه وهل نحن في إسلامنا أعرق أصلاً من السيدة فقيسة والسيدة سكيته رضي الله عنهما وقد كاتتا تجتمعان بالعلماء والشعراء ؟ وإذا اضطررتي المرض لاستشارة طبيب لا يمكن إحدي النساء اقيام بمهله فهل أترك نفسي والمرضى وقد يكون خفيًا فيعضل بالاهمال أم أستشفيه فيشفيني ؟

ان حبس المصرية الساقفة تقريط ، وحرية الغريين الآن أفراط ، ولا أجد أصلح لان تقبس منه إلا حالة المرأة التركية الحاضرة فانها وسط بين الطرفين ولم تخرج عما يجيزه الإسلام وهي مع ذلك مثل الجدة والاحتشام ،

بلغني ان بعض كبرائنا (أريد كبراء الوظائف) يملون بتأنيهم الرقص الافرنججي والتمثيل وهما أمران أحلاهما مر وأعدهما تطرفاً ممقوتاً واستماتة في تقليد الغريين ، لان العادة يجب ان لا تفسر إلا إذا كانت مضرة والانماط الغربية لا يقبلها قوم بينهم إلا اذا رأوا ضرورتها وصلاحيتها فأبي صلاح لنا من مخاصرة الرجال والنساء ورقصهم مما ؟ أو ظهور بناتنا أمام الراثين (المتفرجين) بصدور عارية يمثان أدوار الحب والخلاعة على (المسرح) ؟ ان ذلك مناف للدين الإسلامي هادم للفضيلة مدخل لضرار العادات يتنافعلينا أن نحاربه ما استعظنا ونظير احتقارنا لمن تغله من المسلمات القليلات اللاتي إذا شجمناهن بسكوتنا فإنهن لا يلبثن ان يهدين الغير منه ، وعلى ذكر الحجاب والعادات أذ كركن بمسألة تن منها السعادة وتكاد تندثر

في بيوتنا تلك هي مسألة الخطبة والزواج . يرى أكثر عقلاء الأمة ان لا بد للخطيبين من الاجتماع والتكلم قبل الزواج وهو رأي سديد لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة يفعلون غيره وهو متبع عند جميع الأمم بأسرها والأمة المصرية أيضا إلا في طبقة واحدة هي طبقة أهل المدن اذا ائلف العروسان عندنا فهو من محاسن الاتفاق (الصدق) . وكيف يمكن الجمع بين شخصين لم ير أحدهما الآخر ولم يختبره على ان يقضيا العمر معاً ؟ ان احدانا اذا اتفق ورأت عرضاً في إحدى زياراتها سيدة استقبلت ريجها فانها لاتصبر على مجالستها فضلاً عن النظر اليها وتسرع

بالتخلص منها فكيف تصبر على مفض الحياة اذا استقلت ايضا بطها وهي لم يمكنها
التصبر على ثقل الغرية لحظة واحدة في غير بيتها؟ يشير قوم باتباع خطة الغريين
من وجوب معاشره الخطيين زمة التي يمكن كلاهما من استطلاع طلع صاحبه ولكني اصرح
باستهجان هذه العادة واعتقد انها مبنية على وهم لاعلى اساس متين. اذ من نتائج معاشره
المتشابهين الالفه ومن الالفه الحب. واذا احب الانسان شخصا لم ير عيوبه ولم
يمكنه فحص أخلاقه فيتزوج العروسان حينذاك على حب باطل وعلى غير هدى فلا
يلبان ان يتنازنا وتفشل ربحهما. انما الطريقة التي اود عرضها على مسامعكم هي ان
يتراعى العروسان ويتكلما بعد خطبة النساء المتبمة وقبل العقد ويجب ان لا تظهر
العروس الامع احد محارمها وتكون في أبسط لباسها. قد يفترض على هذا الاقتراح
بان اجماعا واحدا أه اثنين أو اكثر قليلا لا تكفي بان يقف الواحد على أخلاق
الآخر ولكنها على أي حال كافية لان يشعر الواحد باجتناب دم الآخر له أولا
على ان من صدقت فراسته يمكنه تبيين الاخلاق من العيين ومن الحركات والسكنات
فيبين ان كان صاحبه متصنعا أو طائشا أو سكيئا وغير ذلك. أما معرفة ماضي العروسين
وبقية أحوالها فيجب ان يسأل عنها من المعارف والجيران والخدم وغيرهم. وخوفاً
من ان يتخذ الشبان قاسموا الاخلاق تلك الطريقة ذريمة لرؤية بنات الناس من
غير قصد الزواج يجب على الولي ان يتحرى سلوك الخاطب ويتبين الجدمن كلامه
قبل السماح له بروية ابنته أو موكلته. وربما تستصعبن قول هذه الفكرة والعمل بها
ولكن كل شيء يخال لنا صعباً عند الابتداء فيه واذا مارسناه سهل وذل على اتنا اذا
كنا نعتقد بفساد طريقتنا القديمة وتآلم منها ونحجم عن الاقدام على ما نراه مفيدا لنا
مقللا لحوادث الشقاء في زواجنا فما أشبه يومنا بالامس وما أشد اثمنا وما ابعدنا
عن قول الشاعر

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد حياة لنفسي مثل ان أقدم
وما الفائدة من تعلمنا اذا كنا لانستطيع تغيير عادة مضرة لاهي من الدين ولا
من الحكمة وقد رأينا رأى العين سعادتنا العائلية مزعزة تكاد تقطعها صرصر تلك
المادة الطاقية؟ وما مثلنا في ذلك إلا كمثل رجل غرق واشرف على التلغ فلا يصر

قطعة خشب يمكنه انجاة التملق بها أبنى لتلا يكون بها مسمار فيجرح أصبعه فابتلته اللجة وقد كان يمكنه النجاة لو لم يقدر الخوف من المسمار وما أدراه ان ظنه وتخوفه في هلهما ولماذا تأتي ان يرانا خاطب بمحبة انا وربما لا نعجبه أو ليست مضره رغبتنا منه أو رغبتنا عنا أخف بكثير من تعاقدنا على الزواج قبل الروثية والانسان لا يفتله في شراء دابة فكيف يفعله في اختيار قرين .

ان امتناعنا عن ان يرانا الخاطبون صرف كثيراً منهم الى الأوريات فيتحمل احدهم ان يتزوج من خادمة أو عاملة يعتقد انه سيهنأ معها على ان يقترن بنت الباشا أو البك الحجة في (علة البخت) وليندري صديقاتي الغريات على هذا القول قاني لا أريد به اهانة لمن وانماهن يعرفن قلنا ان امرأة ذات حسب مرغوبة في شبان قومها لا تتركهم الى قبي من غير دينها وجنسها فضلاً عن ان كل بلاد لها مدينتها الخاصة بها وقرير أحوال مدينتنا لا يقتضي اننا نعب مدينة الآخرين . قسما بالله لوجه البارون روتشيد أو المستر كارينجي الى ابنة كاتب عندنا مرتبة أربعة جنينيات شهر يا (بخطبها) لما رد بنيران الحية فاذا لم نصل على تدارك هذا الخلل في مجتمعنا لم نلبت ان يحننا نساء الغرب ايضاً فنقع في احتلالين الرجال واحتلال النساء وثانيهما شر من أولها لأن الأول اذا كان حصل على غير رضا فان الثاني جلبناه بايدينا والنساء شديدات التملق بالأقارب فلا يعد ان تلم كل زوجة منهن اخاها واباها وابن خالتها وصاحبها حولها فيسدون ما بقي لرجالنا من موارد الرزق فنخرج وإياهم من بلدنا بخصي حنين وان يشأ يذهبكم ويأت بخلق كثير *)

بعض رجالنا يفضلون عنا الأوريات لتديرن من حقيقة ان القبرة منهن ترتدي بلباس نظيف مرتب وترين يتها على قلة ائانه نظيفاً مرتباً ، وطعامها لذيذاً متنوعاً ، وأولادها مؤدبين اصحاء ، ومع ذلك فققاتها قليلة . نرى كل يوم نساء ضباط الانكابتز ماشيات في الطرق بلباسهن التيل الابيض البسيط وأولادهن لاسين القبعات الجميلة والاحذية البيضاء ومنظرم يأخذ بالاب لا يقاربهم في شكلهم عندنا الا أولاد (الذوات) الذين تخدهم المريات (والدادات) أما سائر أطفالنا فهم في حالة يرئى

(*) لعلها أرادت ان تتمثل بالآية « ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد »

لها من الاهیال . ولكن هل من تزوج منهن مصرية تدبر له كما كانت تفعل لو كان زوجها أوریا ؟ كلا . والحس یزید ما أقول . فان اغلب رجالنا الذین تزوجوا منهن یننون ویصرخون من تبذیرهن واتباعهن أهواءهن . فالمرأة الغریة تعتقد انها من جنس أرقى من المصری فإذا تزوجته ظلت رئیسة له یعمل بإشارتها وحسبت انه ملزم بالصرف علی ما تشتهي وجلبه لها حتی ولو كان فی الصین فهي مدبرة مع الغریب مسرفة مع المصری واذن ضاعت افضلیتها من هذا القیل . و بعضهم یدعی انه یفضلها لانه یمكنها الخروج معه فی نزهه وروحاته وغدواته ولا أظن الرجل یجب أن تراقبه زوجته وتلزمه لزوم الظل فإنه داعية للمال علی أنه لو كان هذا الرأی صحیحا لما تأخرا كثيرا عن تنفیذه وأنا أول من فعله . ولا اجد للمرأة الغریة التي تقبل الزواج من مصرية ما یفوقها علینا الا أمراً واحدا لا أرانا نمحسه لاننا لم نمارسه ولا أرید ان نمارسه ذلك انها ماهرة فی اجتذاب القلوب و فی نصب الشباك للرجال فاذا صادت بمرکاتها وغنة صوتها مصرية فلیعلم انها دربت علی ذلك فی عشرين غریبا قبله . فهل یقبل و فیه غیرة الشرقیین وانتمهم أن تطلعهم طیحا حقیقة لذیذا ولكنها انضجت علی نار غیره وكرع فی قلبه خلق كثير ؟

و بفرض ان الزوجة الشرقیة الراقیة قصت قلیلا عن أختها الغریة فلماذا لا یرشدها بطبا الی مواضع خطئها بالرفق و یریها ما یجب وما لا یجب وان أحب شیء عند الزوجین المتحدین أن ینزل أحدها وسمه یرضی الآخر . فانصرف شباننا لتقی العلوم الحدیثة بأوروبا یجب أن یكون خلیرا البلاد لا لشرها فکما تعلمون لنفع انفسهم یجب ان یقرنوا ذلك النفع بنفع مواطنهم أيضاً والافلو اتبع کل واحد یرى عییا فی صاحبه طریقة هو لاء الشبان لما كان لا حد خل « ومن ذا الذی رضی سعایاه كلها » فواجبهم الوطنی یقضي علیهم بأن یدخلوا کل ما یرونه صالحا فی بلادهم مع الاستثناء عن الأجنبي علی قدر الامکان فصانع الحریر الوطنی اذا رأى معاملاً أوربا وسرعتها وجب أن یشتری الآلات اللازمة لسرعة انجاز العمل لا أن یدخل تلك الصناعة بعینها ویقضي علی صناعته الجمیلة فیکون قد اقتبس شكلا وأبطل آخر فنحن اذا اتبعنا کل شیء غریب قضینا علی مدینتنا والامة التي لا مدنیة لها ضعیفة هالكة لا محالة . فشیاننا یدعون انهم

يأتون بنساء اوربالانهم وأوهن أرقى من نساء مصر اذن يجب ان يحضروا لنا تلاميذ اوربالانهم أرقى من تلاميذ مصر وعمال اوربالانهم أرقى من عمال مصر لان النظرية واحدة فماذا تكون الحال لو تم ذلك؟ وهل اذا سافرت زوجة مصرية لأوربا ورأت الاطفال هناك أجمل بشرة واحلى منظرا من مثلهم في مصر أصبح ان تترك اولادها وتأتي بغيرهم من الغربيين أم تجتهد لتجميلهم وتقريبهم من الشكل الذي أعجبت به؟ واذا كانت أحط فتاة غربية تتزوج مصرية يتبرأ منها أهلها أقرضي نحن عنها وقد شغلت محل فتاة منا وصار زوجها مثالا لغيره من الشبان؟ أنا أول من يعجب بنشاط المرأة الغربية وإقدامها وأول من يحترم من تستحق الاحترام منهم ولكن يجب أن لا نسينا احترام الغير منعمة الوطن والمصاحبة العامة فوق الاعجاب . وانا في كبر من أمورنا نسير وفق ما يراه الرجال فليرونا ما يحجبون وكلنا مستعدات للسير بمتضاه بشرط أن لا يكون ظلما ولا اجحافا بحقوقنا .

يؤلمني ان درجة احترام الرجال لنا ليست بالدرجة التي نحب واذا بحثنا وجدنا اننا نحن اللاتي وضعنا أنفسنا في هذا الموضع غير الحسن لان الانسان ينزله الناس في المنزلة التي يختارها هو لنفسه ويسير عليها كما قال زهير «ومن لم يكرم نفسه لا يكرم» لا يكرم المرء نفسه بأن يقول معادتي وخصرتي أو البك والباشاعلى نفسه بعض الجهلاء الذين تصلحهم رتب جديدة وانما لا يستبين بذاته فيبينها ويشعر عن نفسه بالضعف فيبينه الغير أيضا فهل نحن نضع أنفسنا في الموضع اللائق بها؟ كلا . يحكي ان أحد الخلفاء بينما كان يروض نفسه في الطريق اذ سمع صوتا في خربة فأنجبه نحوه فوجد فيها زبالا يقول

وأكرم نفسي اتي ان أهنتها وحكك لم تكرم على أحد بمدي
قال له وأي اكرام لنفسك وانت تحمل التراب والاقذار؟ قال نعم افضل ذلك
لا كفي نفسي مهانة السوءال من مثلك . ان معتقداتنا وأفعالنا كانت سببا عظيما في قلة
احترام الرجل ايانا . أيعتبر رجل عاقل امرأة تعتقد في السحر والشعوذة وكرامة
الاموات وتجعل من الدلالات والبلاغات بل ومن الشياطين عليها سلطانا؟ أيجترم
المرأة ولا حديث لها الا (فساتين) جارتها ومصوغات صاحبها وجهاز فلانة وأخبار

علانية؟ هذا فضلا عما انطبع في ذهنه من أن المرأة أضعف منه وأقل ذكاء. ان
 تهاوتنا في هذه النقطة اعتراف بأن حالتنا مرضية فهل هي كذلك؟ واذا لم تكن فإذا
 يرقينا في أعين الرجال؟ يرقينا حسن التربية والتعليم الصحيح فإذا حسنت تربيتنا
 وتعلمنا علما حقا لا قشور بمض اللغات الأجنبية و (دوري ص فاسول) والعلم يشمل
 أيضا تدبير المنزل والصحة وتربية الأطفال. واذا تركنا الخلاعة في الطريق جانبا واذا برهنا
 لآزواجنا بحسن سلوكنا وقيامنا بواجباتنا حق القيام انا آدميون نشعر وان لنا نفوسا
 لا تقل عن نفوسهم فلا نسمح لهم بحال من الاحوال بايلام شعورنا أو بالاستهانة بنا.
 اذا فعلنا كل ذلك فمن أين يجد الرجل العادل طريقا للاحتزازة؟ أما غير العادل فكان
 حريا بنا ان لا قبل الزواج منه.

يرقينا أن نطرح الكسل أرضاً فإن عمل أكثرنا في المنزل هو القعود على (الكنه)
 كل النهار أو الخروج للزيارات كأن رد فعل القعود أدار لو لب أرجلنا ونفخ في شراع
 حبرنا فلم تقو على ضبط جماحنا. والتي تعرف اقراءة مناقيم تقضي أوقات فراغها؟
 في قراءة الروايات فقط فهلا قرأت قانون الصحة أو بعض الكتب المفيدة فتنتفع وتنتفع؟
 ان انعماسنا في الكسل أو الترف أدى الى ضعف اجسامنا وشحو بنا فيجب ان نبحث
 لنا عن عمل نزاوله في منازلنا. والمتأمل يرى لأول نظرة ان الطبقات العاملة هي الاقوى
 صحة والاكثر نشاطاً والأنجب نسلا. الأتربين الى اولاد الطبقة الوسطى والسفلى
 قانهم كلهم تقريبا أصحاب الجسم أقوىاء البنية أما اولاد (الذوات) فأكثرهم مرضى
 أو نحفاء يتأثرون لاقل الموارض مع ما يبذل له آباؤهم من الاعتناء بهم بمكس اولاد
 الطبقة الدنيا مثلا قانهم في اهمال شديد من والدهم. العمل يخرج الفضلات الزائدة
 في الدم ويقوى العضل وييمث على النشاط والطبقة أو الامة الهائلة يزداد نسلها فتمتد
 بأبنائها وأن الامة الالمانية لشاعد حسي على ما أقول فان التعداد يظهر ان النسل هناك
 يزداد بسرعة هائلة حتى ضاق ركب ألمانيا بأهلها فأخذوا يبحثون عن أراض يستعمرونها
 ليصرفوا فيها الزائد من السكان والذين زاروا أوروبا أخبروا ان أهل تلك البلد مجدودون
 نشطون رجالا ونساء بعكس المرأة الفرنسية فان ترها الزائد كان سببا في قلة نسلها فضلا عن

انصرف كثير من تلك الامة عن الزواج وقد حج صوت الاقتصاديين والاجتماعيين في النداء على مواطنيهم بالاعتدال واتباع الطريق القويم
 لاحظت وأنا في البادية ان بين نساء البدو ورجالهم كثيرا من المجازم ممن بلغوا الثمانين والمائة وقد رأى معظمهم أربعة أعقاب من ذريته مع اني لم أرى في القاهرة ولا في المدن الاخرى ما يشبه ذلك ولا شك ان هذا نتيجة عيشتهم الطبيعية واعتدالهم فانهم كلهم مبكرون في كل شيء : في الاستيقاظ وفي النوم وفي تناول الاغذية وكلهم عاملون ولم أر بينهم امرأة واحدة حتى من نساء أغنيائهم تقضي النهار بالكلل كما تقضي نحن فاذا كان الفلاسفة والاطباء يبحثون عن ا كبير الحياة فانا قد اكتشفته : هو العمل والاعتدال في المعيشة والعيش الطبيعي . وامل في هذا القدر عن المرأة كفاية اليوم بقي علينا ان نبين الطريق العملي الذي يجب أن نسير عليه ولو كان لي حق التشريع لاصدت الالتمحة الآتية :

- (المادة الاولى) تعليم البنات الدين الصحيح أي تعاليم القرآن والسنة الصحيحة
- (المادة الثانية) تعليم البنات التعليم الابتدائي والثانوي وجعل التعليم الاولى اجبارياً في كل الطبقات
- (المادة الثالثة) تعليمهن التدبير المنزلي علماً وعملاً وقانون الصحة وتربية الاطفال والاسعافات الوقية في الطب
- (المادة الرابعة) تخصيص عدد من البنات لتعلم الطب بأمله وفن التعليم حتى يقمن بكفاية النساء في مصر
- (المادة الخامسة) اطلاق الحرية في تعلم غير ذلك من العلوم الراقية لمن تريد
- (المادة السادسة) تمويد البنات من صخرهن الصدق والجد في العمل والصبر وغير ذلك من الفضائل
- (المادة السابعة) اتباع الطريقة الشرعية في الخطبة فلا يتزوج اثنان قبل ان يجتمعا بحضور محرم
- (المادة الثامنة) اتباع عادة نساء الازراك في الاستاة في الحجاب والخروج

(المادة التاسعة المحافظة على مصلحة الوطن والاستثناء عن الغريب من الاشياء
والناس بقدر الامكان
(المادة العاشرة) على اخواننا الرجال تنفيذ مشروعنا هذا
(المنار) زرجي رأينا في هذه الخطبة الى الجزء السادس ولكن لا زرجي التاء
على الخطبة التي كانت في هذا العصر أول مذكرة لنا بخطبات سلفنا من الصحايات
فمن دونهن

باب المناظرة والمهراصلة

﴿ رد الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين - لليافي ﴾

٤

بحث احاديث الآحاد وهل هي من اصول الدين

قال الفاضل حفظه الله : الكلمة الرابعة يان أسباب ان أحاديث الآحاد لا تفيد
اليقين . ونحن نقول هذه دعوى قد سبقه بها كثير ممن لم يمد غوره في طلب هذه
المسئلة وكان الأجدد جهولاً بالباحثين ان يبحثوا عن جري الانسان النظري الطبيعي
اهو مفطور على الصدق والتصديق ام على الكذب والتكذيب ؟
ان من امن النظر وحقه وجرب الواقع ومحصه يرى ان الانسان مجبول على
قول الصدق ومفطور على تصديق كل ماسمع . هذه هي حاله الطبيعية لما نرى ان
الصفار الذين هم في حالة السذاجة وعلى الجري الفطري الطبيعي الذين لم تلمهم
الحوادث والطوارئ والاحوال المكتسبة لا يكادون يكذبون خيرا ولا يكذبون في
خبر . نعم قد نرى من بعضهم في بعض الاحيان ما يشوش هذا انطلق الطاهر
كالذهول والنسيان ، لكننا إذا اعتنينا بهذه النكته السوداء المكدره لصفاء هذا
الجراء الطاهر المستقيم نرى ان ذلك مرض من الأمراض العارضة المختلفة باختلاف
أسبابها وباختلاف المنار والقابل ، فالنسيان بأقسامه قد يظن بعض الناس انه

لازم طبيعي للبشر وليس الأمر كذلك — وإنما هو مرض أو شبيه بالمرض —
ويصح ان يقال ان كل ما انتقش في الحافظة لا يزول ويمحي بالكلية وإنما
إذا صرفت همه الانسان وقصده الشواغل فهو يذهل عن بعض ما انتقش في
حفظه فإذا استعجل وترك التفتيش عما في هذه الخزانة المحكمة المصونة ولم يميز
ما يأخذ منها فربما ركبت له هذه الحركة الفكرية الخفيفة الغير المنتظمة صورة
بدل صورة أو صورة مركبة مما في هذه الخزانة لما قدمنا — أولانه ضعف أخذه لها
حين حفظها لضعف قصده ونحوه وحينئذ إذا أراد ان يخبر عن ذلك وقع في
خبره الخلل . ودواء ذلك صدق القصد ابتداء واستمرارا وانتهاء أي وحينما
يريد ان يحدث بذلك . وذلك يكون بالمراجعة والمذاكرة مع من يشاركه في ذلك
وعلى الأقل بالرجوع الى نحو كتاب دفعا للطواريء التي تناوبه وتشوش استمرار
شعوره بما حفظ . يوضح ذلك ان الانسان كثيراً ما يتذكر ما نسيه والوجدان
شاهد ذلك . وكما ان الذهول يكون فيما حفظه الانسان كذلك يكون فيما يتلقاه
ويشاهده في الخارج والواقع . وانتقش الأشياء في الحفظ يختلف قوة وضمناً باختلاف
الاستعداد والنوجه وقوة الاكتساب حين الأخذ . فظهر بذلك ان النسيان ليس
بوصف ذاتي لكل انسان لا ينفك عنه إذ لو كان كذلك لم نحفظ شيئاً لامتناع
قيام الشيء الذاتي وتقبضه بمحل واحد فالقوة التي نحفظ بها ليست هي قوة النسيان
ولا سببه وإنما النسيان ذهولنا عن تمييز ما حفظناه لسبب ما — مما قدمناه — وإذا
كان الصدق والتصديق هو أصل الفطرة فما يمارسه من نسيان وكذب قائما يكون
لأسباب طواريء وعوارض لمن انحرف ومال عن مقتضى الفطرة الطبيعية وقد عرفت
دواء النسيان ودواء الكذب الذي لا يضاويه دواء هو استشعار خوف الله المطلع
على كل خفية . وعليه فلا يبعد ان تقول يمكن ان يكون مضى على البشر زمان
لا يعرفون فيه غير الصدق والتصديق لعدم أسبابه أو ضعفها . وعليه فما نراه من
تصديق بعضهم بعضاً في جميع شؤونهم هو ارباب بقاء ولذا نراه يستهجنون الكذب
والكذابين حتى رسخت قباخته وصارت من الضروريات واستحسنوا الصدق
حتى صار من المستحسنات وبما قررناه ثبت ان الاصل في أخبار الآحاد هو

إفادة العلم واليقين . الا ان فساد الأخلاق قد غير من ذلك كثيراً ممن خرج عن
الفطرة وعن الدين . لكن لا يجب ان لا يبقى من ذلك شيء يفيد الصدق اذا كان
المخبر والمخبر من تهذبت فطرتهم وقوي تمسكهم بالدين مع استعالمهم لجميع الأدوية
المانعة لطرق مرض النسيان فليتأمل الناظر

قوله الفاضل « ان أخبار الآحاد لا تفيد اليقين » ان أراد ان بعضها لا تفيد
ذلك لضعف حامله اما لانه عرف بالخلط والخبث في أخباره أو لانه كان مظنة
لذلك فهو صحيح في بعض الحالات لا في بعضها الآخر حيث يعلم انه يشارك
المخبر في مضرة الكذب وانه لا غرض له فيه أو انه يخاف عقاب المخبر ان كذب
عليه ففي هذه الصورة قد يفيد خبر الواحد الناسق الفطن الراجح أو العلم لبعض
الناس ولذلك لم يأمر الله برد خبره ولا قوله الا بهد التبين - وان أراد حضرته
ان كل فرد فرد من أخبار الآحاد وأحاديثهم لا تفيد كل فرد فرد من المخبرين
(بفتح الباء) العلم فالواقع والمثل يكذب هذه الدعوى . ولا عبرة بقول من تقدمه
بهذا الاطلاق كثراً من كان . تقول ذلك ايثارا للحق والحقيقة غير طاعنين
في ذواتهم وفضلهم

انه مما قال من خالف ما ذهبنا اليه وهما جهد في التشكيك والتشويش مما
يظن انه تحقيق وتدقيق فانه لا يستطيع ان يفسر الفطرة التي لا يكاد ان يخرج
عنها فرد من البشر مختاراً أو ملجأ وان من خالفنا فانه لا وجود لخلافه لا في الواقع
ونفس الأمر ولا في الاعتقاد وخلافه لا يتحقق بأكثر من الوجود في القول والعبارة .
لأن الانسان ملجأ بالضرورة في أكثر شئونه ان لم تقل في كلها الى من يعتمد
عليه في التعاون ولا واسطة لذلك تقوم مقام الإفهام والتفاهم في الأمر والأخبار
ولما كان الانسان مدنيا بالطبع كان التصديق في الافهام والتفاهم طبيعياً له .
ولما كان الارتفاق والاجتماع البشري يشتمل على كثير من العلوم أكثرها ضروري
له فمن اشترط لهذه العلوم غير طرقها كان محصل قوله ونتيجته انكار هذه العلوم
واهمها الذي من لازمه تفكيك هذا الاجتماع البشري وهو علوم هذا الارتفاق
وهو غلط . ومنشأ هذا الغلط أخذ المتأخر قول من تقدمه أصلاً ثابتاً بدون نقد

وتثبت فيه كما يقال ان العلم واحد لا يكون بمضه أقوى من بعض أو انه لا يقبل الزيادة والنقصان أو انه لا يتفاوت في جزئياته أي لا يتفاوت في من قام به من الاشخاص أو ان الطرق المؤدية اليه شرائطها واحدة وان مقدماتها لا يقبل احتمال التغير حتى يفرض المانع الذي لم يتحقق وجوده ونحن لا نقبل هذه الأقوال ونحوها على اطلاقها لكن بعد التفصيل والتفصيل . فمن اشترط في علم المعلوم تحقق علته وسببه في نفس الأمر وصفاته ولوازمه كذلك وعدم الموانع كذلك فقد كلف نفسه مالا تطيقه وطمع فيما يكاد ان لا يكون للبشر فيه مطمع — والمبرة عندنا في ذلك اطمئنان النفس فان كان ذلك كسبياً فلا بد من بذل الجهد في الدليل بحسب الاستطاعة . والحاصل ان المعلوم كثرة والطرق المؤدية اليها كذلك وهي مختلفة وطرقها كذلك ولكل شرائط لا يمكن التزامها في الأخرى فعلوم الاجتماع والارتفاق كالفنات ومتعلقاتها وعلوم الشرائع والأديان وملحقاتها وكذلك علوم الآثار والتاريخ والطب ونحو ذلك لا يمكن كل أحد ان يكتسبها بالعقل أو بالحواس مباشرة ودائماً فلا بد من الوساطة فنشترط فيها ان تكون مما تطمئن النفس اليها لا مطلقاً بل بعد بذل الجهد المستطاع — وبنا على ذلك فمن بلغه حديث ولم يقصر عادة ثم اطمأنت اليه نفسه فقد حصل له العلم واليقين ولا عبرة باحتمالات لم تشوش جزمه واطمئنان نفسه . المسلمون تطمئن أنفسهم إلى هذه الأحاديث المكتوبة عن انقذت الضابطين والأئمة الطارفين فهي تفيد أكثرهم العلم

وتقول لحضرة الفاضل ومن قال بقوله ما د ليلكم على ان احاديث الآحاد لا تفيد اليقين ؟ فاذا قل ان كل فرد من البشر يجوز منه وعليه الكذب والذهول والنسيان ، وكل من جاز عليه ذلك جاز ان ينسى الخبر ويكذب فيه ، واستتج ان كل فرد فرد من البشر يجوز ان ينسى خبره او يكذب فيه . فاذا ترتب على ذلك كبرى وهي وكل من كان كذلك فخره يحتمل ان يكون منسياً او محفوظاً وكذباً او صدقاً فالنتيجة ان كل فرد فرد من البشر يحتمل ان يكون خبره منسياً او محفوظاً وكذباً او صدقاً . هذا غاية ما يمكن ان يقوله في الاستدلال وهو كما تراه يفيد ان خبر كل فرد فرد يحتمل الصدق والكذب . ونحن لا نسلم صحة الكبرى التي

اسس عليها واهل المنطق لم يقولوا بذلك بل قالوا القضيه قول يصح ان يقال لقائله انه صادق فيه أو كاذب . ولم تعرضوا لنسبة ذلك الى المخبر فتفكر
وما ذكره الفاضل حفظه الله فاما ان يكون مراده انها لا تفيد اليقين في حد ذاتها
أهم من الواقع والذهن وإما ان يريد انها لا تفيد ذلك في أحدهما . وعلى كل تقدير
فهو ترجيح لأحد الاحتمالين بلا مرجح . لأن لادليله يفيد ولا ينتج الا انه يمكن ان
تفيد اليقين ويمكن ان لا تفيده كما ان صريحه أنه يحتمل ان تكون الاخبار صادقة
ويحتمل ان تكون كاذبة — فالاعتصار على احد الاحتمالين مخالفة وهذا ان سلم
قلنا يكون قبل الاختبار والفحص في المصنات الخارجية — أما اذا نظر في ذلك
وفرضنا في الخارج فهي لا تكون الا صادقة او كاذبة . فان قال مرادنا ان ما كان
محملا للصدق والكذب لا يفيدنا احدهما اليقين بذاته فصح قولنا خير الآحاد لا
يفيدنا اليقين كما انه لا يفيدنا تقيضه . قلنا هذا لا يصح الا بحدوث وتسلم اشياء
كثيرة فمنها ثبوت ان كل فرد فرد من المخبرين (بفتح الباء) يجب ان يستثمر احتمال النسيان
والذهول والكذب وجوازه في كل اخبار المخبرين (بكسر الباء) . ودفن القول
بوجوب ذلك ووجوده في الواقع كذلك خرط الفتاد — لجواز ان يكون فيهم من
لا يستثمر ذلك اصلا او يستثمرها لكنها تكون عنده ضعيفة بحيث لا تمنعه عن
التصديق بخبر الآحاد لأن الواقع والمشهد ان اثر الناس يجزم بخبر الآحاد
ويصدقون بها . وما ذلك الا لما ذكرناه وانه دليل على صحة ما قدمناه من ان من
فطرة الانسان وطبيعته الصدق والتصديق وان ما يعرض لذلك من احتمال النسيان
والكذب طواريء عارضة نادرة والنادر قل ان يلتفت اليه في اكثر امور العامة
واكثر الناس عامة .

وأبضا هذه الطواريء العارضة قد عرف الناس انها لا تكون الا لأسباب إما
اعراض الكاذب او تقصير في الضبط والحفظ وما لم يقو احتمال وجودها لا تقوى
ان تكون مانعة للجزم والتصديق بالخبر الى غير ذلك . فان ابي الا المناقشة وقال
لا عبرة بالعوام اذا كان التحقيق عند المحققين ان هذه الاحتمالات عارضة ومانعة
من التصديق باخبار الآحاد . قلنا يلزمك اولا ان كل ما يجزم به العوام من كل ما

ادركوه كذلك ان لا يكون علمي حقهم، وثانيا انا لانسلم اتفاق المحققين على ما ذكرت بل اكثرهم يظنون كل خبر مما يوجد في الخارج ما يستحقه وهم يظنون ان بعض المخبرين صادقون وبعضهم كاذبون وكذلك اخبارهم . فان سلمنا ان بعضهم يقول ان خبر الآحاد يفيد الظن الراجح او انه لا يفيد العلم فاقما يقول ان ذلك شأنه في حد ذاته لا بالنظر الى حال المخبرين والواقع في نفس الأمر . وان اراد بعضهم غير ذلك فقوله عندنا ركيك ولا بد ان يكون فعله وعمله يكذب قوله ولا خير في قول يكذبه فعل قائله

وقول ايضا اننا لانسلم الصغرى التي اسست عليها دليلك لا كلية ولا دائمة . يانه ان الكاذب لا يجب ان يكذب دائما ونحن يمكن ان نميز كذبه في بعض الأحيان واذا كان يجوز ان نعرف ما يحتمل ان يكون كذبا وما لا يحتمل لم تصح ان تصدق الصغرى كلية دائمة واذا كان يوجد كثير من الناس اهل كمال وفضائل لا يكذبون ونحن نعرفهم بسيماهم وبالتجربة الصحيحة بطل صدق الكذب في أخبار الآحاد كلية فالأخبار التي لا تؤخذ الا من مثل هؤلاء لا يصح ان يفرض فيها احتمال كذب الراوي فهي صادقة وسالمة عن ان يشوشها احتمال الكذب

أما احتمال الذهول والنسيان فقد قررنا انه إما ان يكون سببه مرض طارئ وحادث ومن كان مصابا بمرض في حافظته لا بد وأن يكثر ذموله ونسيانه ومن كان كذلك حاله فهو يعرف لكل من عاشره وخاطبه، وإما ان يكون سببه قصير في الحفظ والضغط وهذا يعرفه من قارنه وصاحبه في الطلب والتلقي حين المذاكرة والمراجعة . وكل من عرف بما ذكرناه فحديثه مردود عند أهل الحديث الا ان الثاني قد يتقوى بالشواهد والقرائن في بعض الحالات فظهر انه مع ندور طرود هذه العوارض يمكن ان نميز من تكون هذه الاحتمالات في أخباره ومن لا

وقول اذا صح ان يوجد في البشر من يجب ان يكون صادقا لثقاه وورعه وعدائه ولا نظن ان حضرة الدكتور ينكر وجود هؤلاء بالكيفية فاذا سلم قلنا له انه يمكن الاحتراز عن الذهول والنسيان بأشياء وطرق كثيرة - كالمراجعة والمذاكرة والكتابة والدروس والتدريس وكثرة الحاجة الى العمل . وهذه موانع للنسيان ومعيمة

على الحفظ مع سلامة المحل وصدق القصد وهذه من المجر بات الذي اتفق على تجريبها كل الناس وشهدوا بصحتها فمن نازعنا في ذلك أزمناه ان يظن في جميع المجر بات بل في المحسوسات بلازمات لا محيص له عنها ان شاء الله . فظهر ظهورا لا غبار عليه ان قول المعارض الفاضل حفظه الله ان كل فرد فرد من البشر الآحاد يجوز عليه الذهول والنسيان في خبره لا يصح لاداما ولا كلية لاني المخبرين (بالكسر) ولا في المخبرين (بالتفتح) ولا في الخبر كذلك كما تقدم واذا بطل دليلهم ثبت ان بعض أخبار الآحاد تفيد بعض الناس العلم وهو المراد

وقول ان من ذهب الى ان أخبار الآحاد لا تفيد اليقين أي العلم فقد خالف البرهان وخالف ما اتفق عليه الناس في جميع شئونهم . ألا ترى اعتماد كل فرد منهم واطمئنانه الى خبر أبيه وأمه وزوجه واخوانه وخلاته ، وأقربه وأقرانه ، وأصدقائه وجيرانه ، وغيرهم . وراهم يرسلون أموالهم مع هؤلاء ومع الخدم والأعوان والاولاد الصغار المميزين اعتمادا ووثوقا بأخبارهم لافرق بين المرسل والمرسل اليه يكون ذلك مع الاطمئنان الكامل والطمأنينة لا توجد مع احتمال النقيض . ان التاجر ونحوه والمرابي البخيل المقتر يعتمد على مثل ذلك في ماملاته ومراسلاته وفي مصدره ومورده من أموره وثروته التي هي عند بعضهم أعز عليه من نفسه فلولا حصول العلم الذي تطمئن اليه نفسه لم يقدم على فعل ما فعل وترك ما ترك اعتمادا على أخبار لا يثق بها بل هي تحتل الصدق والكذب ، ومثل من ذكرناهم جميع البشر في جميع شئونهم فاذا رأينا من يشكك بالقول دون الفعل بيدي احتمالات قد تصدق على بعض الأخبار بعد تصنيفها فهل يصح ان نقول يجب ان تكون جميع الأخبار كذلك في الواقع تحتل ذلك أو ان نقول انه لا يوجد من يصدق بأخبار الآحاد وتفيده اليقين ؟ وهل يجوز لنا اعتماد قول هذا القائل لاسيما اذا كان قوله يخالفه قطعه ؟ وهل يوجد فرد من البشر سليم العقل لا يحصل له العلم ولا يعتمد على خبر الآحاد في جميع حالاته

نحن لانكر انه يكون في بعض أخبار الآحاد ما يفيد الظن بل بعضها لا تفيد أكثر من الشك وبعضها تقطع بكذبه الا اننا لانكابر الواقع وقول ان كل فرد

فرد دائما لا يفيد العلم واليقين مطلقا لما عرفت انا ان قلنا بهذا القول فقد أسأنا الظن بأفراد الانسان كلهم حتي الأعراف والعلماء ولئن جزمنا بذلك فمع مخالفتنا للعقل فانا لا يمكننا ان نعيش بينهم ببيشة طيبة .

ومن الادلة على ما ذكرناه فوق ما تقدم ان الله أرسل أكثر رسوله فردا فردا ولم يرسلهم دفعة الى الناس كجمع التواتر الذي يزعمه التواترية وما ذلك الا لأن خبر الآحاد الذي ذكرناه قد يفيد العلم

فان قيل ان الرسول موثيد بالمعجزة قلنا ان التأييد بالمعجزة انما يكون في بعض الاحيان . وأيضا ليست هي شرطا في الارسال لانها انما تكون اذا وجد الجاحد المكذب أو من حصل له الشك أو نحوه . أما على قول التواترية فذلك لا يصح ومن لازمه ان لا يحكموا بايمان من آمن برسول من رسل الله عليهم السلام الا بعد ان يرى المعجزة أو غيره بها عدد التواتر ويتحقق انها معجزة لأن ما سوى ذلك لا يفيد العلم واليقين . ولكنه خلاف المعلوم بالضرورة من سيد الانبياء عليهم السلام وخلاف ما علمناه بالضرورة من تلقي البشر عنهم وتصديقهم والايمان بهم و بشرائهم .

أفليس من المعلوم ان الرجل الواحد من البدو الأعراب وغيرهم كان يأتي الى رسول الله (ص) فيؤمن به ورسول الله (ص) يحكم بايمانه واكثر أولئك وغالبهم لم يروا معجزة ولم يسألوا عنها غايته ان بعضهم له فراسة تدله على ان هذا الرجل (ص) صادق لأنه يدعو الى البر والعدل فذلك حصل لا كثرهم الايمان — وبعضهم حلف النبي (ص) واكتفى بذلك حيث اطمانت اليه نفسه واولئك أعلى المؤمنين بعد الانبياء ايمانا حتي انهم بذلوا أنفسهم يفتنون فضلا من الله ورضوانا وتكون كلمة الله هي العليا

ان من يشترط التواتر في افادة الاخبار العلم واليقين يلزمه ان يقول ان مثل هؤلاء السادات لا يصح ايمانهم وانهم لم يحصل لهم ايمان . نحن لا نقول ان حضرة الدكتور يقول ذلك ويلزمه لا هو ولا من واقفه من العلماء الذين يقولون ان اخبار الاحاد تفيد الظن ولكننا نقول ان اختياره ذلك تبعاً لهم هفوة من لازمها ما ذكرناه وما استنزم الباطل فهو مثله ويجب الرجوع عنه

وقول ايضاً لو صح ما قاتم لم يصح ان يوصف احد من افراد البشر غير المصومين بانه صادق لان المتكلم بخبر الواقع في الاخبار لا يكون صادقاً والقول بذلك يناقض ما دل عليه القرآن الكريم مثل قوله تعالى (وكونوا مع الصادقين) واخبر بأنه ينجي الصادقين بصدقهم فوصفهم بالصدق وانه ينجيهم بصدقهم الموجود ومدح الذي جاء بالصدق والذي صدق به وان الصدق ينفع يوم القيامة ومدح الصادقين والصادقات و ذم وتوعد الذي يكذب بالصدق اذا جاءه والذي يعرض عن الصدق . وبعض هذه الآيات هي وان كان سبب نزولها خاصا لكن في العدول الى الألفاظ العامة ما يؤيد ما تقرر عند أهل الأصول - ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب : فظهر بذلك ان الصادق والصدق الذي هو العلم موجود وأنا مأمورون بقبول ذلك واتباعه وما ذكره الله مما قدمناه انما هو الصادق والصدق من الأحاد ولو كان العلم واليقين والصدق لا يحصل الا من اخبار الجموع المتواترة لم يصح ان يوصف الواحد والاثنين بل ولا العدد المئين بصفة الصدق وهذا بين البطلان عرفاً وعادة وتقالاً وعقلاً

لا ندري ما العذر المقبول لمن سمع قوله تعالى « كونوا مع الصادقين » اذا رد خبر الصادق الذي قد عرف صدقه وانه من الصادقين العدول ؟ فان قيل كيف نعرف انه صادق - وصدق الشخص في بعض الامور مما يصح ان يخفى علينا ؟ قلت قدما الكلام في انه هل يمكن ان نعرف الكذب والكاذب ام لا وسيأتي مزيد كلام عليه اما كون الشخص ممن عرف بالصدق فذلك بين وهو لا يسمى صادقاً الا بعد ان يعرف بالتجربة ويتصف بالتقوى - لان التصديق والايان قد اعتبر معرفتها بالدلائل الظاهرة وذلك من باب الاستدلال بالاثار على المؤثر وبلازم الشيء على الشيء - كما قال تعالى « فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار » الآية ونحن لا نعلم ما في القلوب لكن لما كان الايمان بالانبياء وشرائعهم من لوازمه اشياء ظاهرة يتعين ان لا يوجد بعضها الا بسبب الايمان ساغ ان يستدل بها على وجود الايمان فكان العلم بها علماً بالايمان

وقول ايضاً ان الله جلّ وعلا كما أمرنا بأن نصدق الصادقين لم يأمرنا برديهم

الفاسق بمجرد سماعه بل أمرنا بالتيين كما قال تعالى (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) الآية وفي ذلك من الحقائق الدقيقة والجليلة ما لا يقدر قدره الا من رزقه الله الفهم في كتابه كما قال بعضهم كأنه تعالى يطمنا ويرشدنا الى قواعد هي من أصول العدل وانفع خلال الاجتماع والارتفاق وأعظم أسباب الفطر والسلامة بقوله تعالى (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) هو أمر بالتأني والتبصر في خبر الفاسق صراحة والى ما شاركه ومآله من بعض الوجوه اشارة وما ذلك الا لان الفاسق قد يصدق فلا يليق ان يهمل خبره بالكلية بل لا بد من التنبه والحزامة والاستعداد فلا تبقى في غفلة وسبات وما اضطرت بنا ولا نصدقه فيما يضر بمن أخبر عنهم لئلا نندم على ما فرط منا ولئلا نخسر مودة اعوان وانصار ونجوم والتيين والتأني في نحو ما ذكرناه هو كالاقتصاد في الاخذ والاطاء ونحوه من أمور الثروة والاقتصاد

قلت ولما كان الخبر لا يخلو اما ان يكون معتبرا في الرواية وهو الثقة الضابط أولا يكون كذلك وهو الفاسق في الاخبار والرواية وإما ان يكون بين بين وهو غير المعروف حاله فالتأني صرح بحكمه في هذه الآية ولما كان مفهوم حكم الفاسق يتناول الشينين اللذين ذكرناهما لم يوجب التيين والتأني بل ترك ذلك الى عرفنا وما تطمئن اليه أنفسنا وهذه حكمة بالغة في تأسيس القواعد تفهم من حكم واقعة شخصية معينة في القرآن . ومن جهة أخرى نحن اذا عرفنا حكم الفاسق فكأنه نبه به على حكم مقابله وهو الضابط الثقة العدل لانه قد انفرس في الفطر والعقول ان الشيء يعطي تقيض حكم مقابله وذلك مقتضى التقابل . ومفهوم الأمر بالتيين اما النهي عنه كما عرفت وهو حكم المقابل وإما التنبه الى عدمه وإما الاباحة واما الارشاد الى ان حكم ذلك راجع الى العرف وما تطمئن اليه النفس كما قدمنا ذلك وعلى كل تقدير فمفهوم هذه الآية مخالف لما ذهب اليه حضرة الفاضل من أن أخبار الآحاد لا تفيد اليقين أو انها تفيد الظن المذموم وذلك ظاهر لانظيل بتفصيل وجوهه نحن اشرنا الى الاحتجاج بعمل رسول الله (ص) وسائر الانبياء عليهم السلام في إرسالهم الآحاد للتبليغ عنهم وتلك حجة لا مناص لمن يشترط التواتر في ذلك عنها وحضرة الدكتور الفاضل لم يجب عن ذلك ولا عن غيره بجواب شاف فاما

قولك ان أولئك كانوا نوابا وولاية امور ولأهم الرسول (ص) فليس الامر كذلك بل فيهم من ليس كذلك . ولو سلم فليس طاعة ولاية الامور في الدينيات بآكد من طاعة العلماء . بل المعروف من دين الاسلام ان من لم يعلم شيئا فالواجب عليه ان يسأل أهل العلم لا فرق في ذلك بين امير ومأمور على انه قد دل القرآن الكريم على وجوب الدعوة الى دين الله وقد تواتر عن النبي (ص) الأمر بذلك وقد اجاز وامر بالتبليغ عنه اجازة عامة لكل أحد بشرط ان لا يكذب عليه وكل عالم هو في الحقيقة نائب في التبليغ عن النبي (ص) وطاعته فيما يبلغ عن الله وسوله (ص) واجبة أما قول الفاضل فوجوب طاعتهم انما هي لأنهم ولاية امور . فجوابه انا لم يكن بحثا في وجوب الطاعة وانما البحث في التصديق بالخبر في امر ديني محض ومن المعروف شرعاً انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق على انه قد اختلف المفسرون في المراد من أولي الأمر في قوله تعالى « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » فتنهم من قال هم الامراء ومنهم من قال هم العلماء

أما قوله ان الرسول يمكن أن يعطه الله بالوحي فيتدارك الخلل في أقرب وقت الى آخره فنقول هذا لا يمنع استدلالنا على وجوب العمل باخبار الآحاد ، لأنه اذا وجب التصديق على المرسل اليهم او من بلغهم الحكم فاستدراك ذلك بالتكذيب والعزل ونحوه لا يضرنا في الاستدلال لأنه على كل تقدير قد وقع للمخبرين (بالفتح) العلم بخبر هؤلاء وعلى الأقل وجب عليهم العمل بذلك وهو المطلوب . وقول ايضا انه لو لم يتبين بالوحي كذب هؤلاء كمن مات النبي (ص) وهو على ولايته اياترى ماذا يفعل الناس ؟ اليس من لازم ذلك انك ألصقت بالدين تهمة شنيعة وهي وجوب طاعة الأمراء في كل شيء حتى الدينيات المحضة وهذا مما لم يوجه لانفسهم الامراء المستبدون وانما يتدخلون في هذه الامور بتوسط فتاوي العلماء فياخية الاحرار وبالبشرى للمستبدين من رواج هذا المذهب ولنكتف بالتنبية على مثل ذلك لظهور فسادها فان دعت حاجة عدنا بالتفصيل التام لهذا المقام ان شاء الله

وقول ايضا انه قد تواتر النقل الذي لم يشذ عنه فرد من الأمة الاسلامية ان الاصحاب الكرام (رض) قد احتجوا على من بعدهم وبعضهم على بعض بما رووه

عن النبي (ص) فلو كان العمل لا يجب بخبر الآحاد ولا يازم التصديق به لم يسغ لاحد منهم الاستدلال والانكار واللوم الا اذا كان معه عدد كثير يويدون خبره بأن يكونوا مثله قد سمعوا ذلك عن رسول الله (ص) وحيث لم يكن ذلك لامن الخبر ولا الخبر (بالفتح) علم أن من اشترط التواتر في وجوب العمل بالاخبار قد خالف طريقهم التي درجوا ومضوا عليها وأمرهم الله ورسوله (ص) بسلو كما في التبليغ ولو كان مازعهم حضرة الدكتور الفاضل صحيحا لا نسد باب التبليغ عن الرسول (ص) قال حضرة الفاضل في الكلمة الرابعة أولا قد يكون الراوي كذوبا لكنه منافق ومتظاهر بالصلاح الى آخره . وأقول ان أراد ان ذلك يكون بكثرة أو ان الرواة المشهورين يمكن ان يكونوا كذلك فقوله غير صحيح ولا يلتفت اليه من أخذ من فن الرواة والحديث نصيبا . وان أراد ان ذلك قد يكون شاذاً ونادراً وان أهل الحديث يعرفون ذلك فذلك مسلم وقد وجد من هذا حاله يشكك المسلمين في الرواية وغيرها وقد أخبر بذلك النبي (ص) لكن أهل الحديث قد عرفوا هؤلاء وكشفوا عن حالهم ومن كان بهذه الصفة هو مما بالغ في التستر فلا يمكنه ان يروج حديثه عليهم لانه لم يعرف بعد الفحص ان أحدا من أئمة الحديث اعتمد ووثق من بان ان حاله كذلك فمثل من هذا حاله انما يمد الى العوام حيث يكون بعيدا عن العارفين من أهل الحديث فحديثه لو وجد فاقما يوجد فيما يتبعونه من الشواذ المناكير ونحوها التي اذا كتبوها يفردون لها كتباً مخصوصة لئلا يفتربها أحد من العامة في العمل بها أما في الرواية المتبررة عندهم فمثل ذلك معروف تركه ومن عرف طريقة المحدثين في الاخذ والتحصيل والاداء وشرائطهم في الرواية والرواة الذين يطهرون على مارووه الصحة والتحسين يعرف انه لا يمكن الدخيل ان يدس فيه كذبا أو يروج فيه زورا ومن ذا الذي يمكنه ان يمضي كل عمره في التستر وكتمان جميع أسراره حتى من أصدقائه وخلائه الذين يمكن ان تفلت على أحدهم ساقطة من أمره . انه لا يمكنه ارضاء الناس كلهم ليستروا عليه لاسيما أهل الورع . على انه ان كان لأحد الناس القدرة على ذلك فان لاهل الحديث طرقا يعرف بها حال أمثال هؤلاء لأن من شرط الراوي الثقة ان يكون معروف الاسم والنسب والذي لا يعرف كذلك هو مجهول عندهم . وأما ما يرى من

ان بعض الرواة غير منسوب في بعض كتب المحدثين فذلك نادروهم لا يكتبون بذلك الا فيمن عرف عندهم حاله ومن تبين ذلك عرفه

ولم طريق أخرى في معرفة المتستر المشار اليه وذلك بمعرفة بلده ومنشئه - وأخرى ان يكون ممن عرف بالطلب والأخذ عن أهل هذا الفن المشهورين قال بعضهم ادركت بالمدينة مائة كلم مأمون لا يؤخذ عنهم الحديث يقال انهم ليس من أهله - وأخرى وهي ان لا يكون ما يرويه مخالفا لما رواه المعروفون عن ذلك الشيخ - وأخرى وهي انه لا بد ان يكون الراوي ممن عرف بانهم والمعرفة وكثرة السماع والمذاكرة - وأخرى وهي ما اذا كان لذلك الشيخ رواية فشرط ان لا يتفرد برواية شي دونهم - وأخرى ان لا تكون في مروياته نكارة . أقول والمناقض الذي يريد ان يشكك المسلمين ويشوش عليهم دينهم لا يسلم من وجود النكارة في حديثه لان ذلك غرضه الذي تظاهر بالصلاح والتقوى لأجله وان لم يفضل ذلك قسنته لم يعد عليه بفائدة فظهر ان ما يسمه أهل الحديث بالصحة وما يعتمدون عليه في الاحتجاج لا يصح ان يوجد فيه ما يروى عن المناقضين ولا ما هو مكذوب لا أصل له - وفوق كل ذلك لطف الله وعفوه عن الخطأ والنسيان « ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا » وقد صح ان الله قال قد قبلت

اما تجوز كون بعض الرواة قد يخطئ المراد اذا حدث بالمعنى فجوابه انهم رحمهم الله لم يهملوا ذلك بل اشترطوا لتحديث بالمعنى شروطا لا يمكن لأحد منهم ان يروي الحديث بالمعنى بدونها - فنها ان يكون ممن عرف بمعرفة معاني الحديث ذا اقتدار على اختيار الألفاظ العربية الصالحة لذلك فان قيل كيف نعرف انه فعل الواجب المشروط . قلت لأنه ثقة ضابط من أهل الصدق والایمان فهو يتحرى الصواب تدينا وخوفا من الله تعالى فلا بد والحالة هذه ان يروي ما هذا حاله اما بالشك - أو انه اذا أوجس من نفسه قصورا في التعبير يصرح بان هذا قل بالمعنى كأن يقول أظن معناه كذا وحينئذ ينظر حال الراوي المذكور فان كان ممن عرف بالمعرفة مستكلا للشروط قبل حديثه والارد . وفوق كل ذلك نعرف خطأه ان أخطأ في التعبير بالمعنى بان ننظر في الأحاديث التي رواها عن شيخه غير هذا

الراوي فان وافق معناها معناه والا عد حديثه من الشواذ أو المنا كير فبهذه طريقة فرق ما تقدم تشترط عندهم في من يحدث بالمعنى وبها يعرف خطأه اذا ضفت معرفته المشروطة ببعض الضعف وبذلك يكون مطمئنا فان كثر ذلك منه تركها . فلا خوف على الحديث من الكذب ونحوه وقد قاه الأئمة الكبار والحفاظ الأبرار وكبوه بعد التحري وكال الفحص مطابقا لشرائطهم ولبعضهم شرائط أكثر من غيره وما ذكرناه هو المجمع عليه عندهم وهذه الكتب الذي كتبوها قد قتلها عنهم الأمة تقلا عاما وأجمع أهل العلم بعد الفحص على أكثر الصحيح ووسموا كل حديث بسسته وبنوا حاله وقربوا البعيد لمن يريد بهاية السهولة وبما ذكرناه يندفع كل طمن يمكن ان يقال

قال وقد ينسى شيئا مما سمع و يقع في الغفلة بسبب ذلك بدون ان يشعر به . وقد قدمنا الكلام على مسألة النسيان . وقول اولاً ان الأئمة الحفاظ الثقات والجدول الاثبات لا يكاد مسلم يسيء الظن بمحبت نبيهم باهمال ما سمعوه من حديث رسول الله (ص) بان يعرضوه للذهول والنسيان لانا نعلم ان من اعتمى وتعهد ماسمعه بالذاكرة والمراجعة ونحوها كالكتابة فاذا حدث مع كمال الاحتياط والأناة والتأني والتين لا يقبل العقل عدم شعوره بالنسيان البعيد التوقع ان وقع — علمنا ذلك بالتجربة الصحيحة المطردة التي اجمع عليها البشر كلهم كما قدمنا الكلام على ذلك ان من يقع له السهو في أمر ما فانا جازمون بانه لم يقع له ذلك الا بتقصير وقع منه فليتهم نفسه . ولذا قلنا غير مرة ان الراوي الثقة ان وقع له سهو نادرفه ويذكر المروي بالشك ما لم يتبين

ان من لم يكن بالحالة التي عرفت ليس هو عند أهل الحديث من الاثبات فهم لا يأخذون بحديثه ولا يصححونه ولا يقبلون عروياته — فما فرضه القاضل انما يكون في غير رواة الحديث الصحيح المحتج به فالإيراد ليس في محله . وليس رجال الحديث الصحيح الا مثل من قد جرت به من خلانك الذين طالت صحبتك معهم حتى عرفتهم وعرفت صدقهم ونصحهم . فاذا ارسلت أحدهم لاء برسالة تلقاهامنك حتى حفظها ثم لم يزل يرددتها على لسانه وقلبه فان كان له شريك فهو يتذاكر في ذلك

معه او تصفحها في مكتوب عنده افلا يكون مطمئنا بخبره عنك من عرف حاله مثل معرفتك ؟ فاذا كان خبر مثل هذا مما تطمئن النفس اليه ، ولا تقبل التشكيك فيه ، فما بالك برجال ثقات ضباط علماء اقياء حفظوا حديث رسول الله (ص) وجعلوه شفاهم لا يرحلون ولا يقيمون الا في خدمته وحفظه وتلقيه مما يشوبه قد انقطعوا لذلك ووقفوا انفسهم عليه بالكتابة والمراجعة والمذاكرة والدرس والتدريس والدعوة اليه والعمل به يأتمرون بامرهم ، ويتبهون وينهون لنبيه ، صدقوا بخبره ، ووعظوا وانفعلوا بغيره ، امتلأت قلوبهم رهبة وخوفا من مخالفته ، والكذب عليه (ص) معتقدين انه هو الدين ، الذي هو حق اليقين .

فان قيل هذا معروف ولكن الكتابة كانت نادرة في زمن الصحابة . قلت ان كثيرا من الصحابة كان يكتب او يستكتب والبعض الآخر مع كمالهم في الحفظ والاحتياط زيادة عن غيرهم فالذي يروى عنهم قليل بالنسبة الى الكثيرين الذين يكتبون منهم والذين تبعمهم باحسان (رض) فذلك اقل لا يمكن ان يحدثوا به مع الذهول بدون ان يشمروا بما فيه من الخلل والنسيان وليس ما تراه من الاحاديث هو مرويا عن واحد منهم وانما هو مروى عن مجموعهم . اما ما نقله الفاضل حفظه عن عمران بن حصين (رض) فهو لا يدل على مدعى الفاضل وغايته ان صح ان يكون جرحا في من عناه على انه يحتمل التأويل لانه لم يبين الجرح ولا وجه جرح معين وعمران المذكور (رض) قد حدث عن رسول الله (ص) باحاديث كثيرة

قال ان حفظ الاحاديث اذا كانت طويلة - الى قوله - عسير جدا وخصوصا اذا اقيت مرة واحدة . واقول لم يوجد حديث واحد من الاحاديث الصحاح طويل جدا مفرط حتى انه يندر ان يوجد فيها ما يقارب الفصل من سور القرآن في الطول والنبى (ص) لم يلق عليهم هذه الاحاديث دفعة واحدة ولا الرواة يأخذونها عن المشايخ كذلك بل كان النبي (ص) يتخولم الموعدة وتارة قد يعيد لهم معنى ما حدثهم به في الايام الماضية فمن سمع ما كان قد سمعه تذكره وأثنته ومن سمع جديدا حفظه هو أو غيره وكان (ص) يكرر الكلمة حتى يقولوا ليتها سكت وعادته المطردة انه كان يكرر الكلمة

ثلاثاً تحفظ عنه وهم رضوان الله عليهم كانوا يتدارسون ويتذاكرون ما تعلموه منه (ص) وكانوا يجلسون لذلك في المسجد حلقاً وكان يتناوبون الحضور لاختلافهم عنه (ص) وإذا غزا كان يأخذ من كل فرقة منهم طائفة ليخبروا اخوانهم اذا رجعوا اليهم . مع ذلك كله هم أذكى العرب وأصلحهم اذهاناً وغير خاف ما امتاز به العرب من قوة الحفظ وصفاء الالذهان والذكاء المفرط حتى انهم كانوا يحفظون القصائد الطوال التي تنشر في المواسم مرة واحدة لاول وهلة فهل يستبعد احد أن يحفظ الواحد من الصحابة (رض) الجملة القليلة من الاحاديث التي كان يتبعها عليهم الرسول (ص) متفرقة في أيام وسنين وأعوام كثيرة وهم بالصفة التي عرفت وهم مع ذلك لا يزالون يذكرونها تارة من نفس قائلها (ص) وتارة من اقرانهم واخوانهم وأصحابهم للعمل والارشاد وغير ذلك كما تقدم . والاحاديث انما رويت عن مجموعهم (رض) على ان الكثيرين منهم قد صح انهم كانوا كتبوا واستكتبوا ما سمعوه وحفظوه عن رسول الله (ص) وبعضهم عن بعض وكتابهم لم تكن ككتاب يصفى في هذا الزمان وإنما كانوا يكتبون ذلك وقعات كلما سمعوا شيئاً كبيره وبعضها أشبه بدفاتر التجار اليوم — فاعتراضات حضرة الفاضل الثاني والخامس والسادس هي في الحقيقة ليست بواردة على ما عندنا من احاديث النبي (ص) وإنما هي واردة على احاديث فرضية قدرها الفاضل في ذهنه وليس الحقيقة والواقع في الرواية عندنا إلا ما عرفناك فانتبه ولا تفضل هذه الاعتراضات هي أشبه شيء بما اذا رأى بعض الناس بناءً عظيماً كمنارة وقال كيف نصبت هذه ومن الذي حملها فنصبها دفعة واحدة، فاذا أخذ هذا العجب قائماً ذلك لعدم علمه ولو درى انها انما بنيت بالتدريج لم يكن كذلك كما يقال إذا عرف السبب زال العجب هذا وإنه ليسوئنا من حضرة الفاضل حفظه الله أراد مثل هذه المغالطات مع علمه بما ذكرناه ونحن لم نكن نظن انه بهذه المثابة وكذلك عجلته على ما ذكر من انه يريد ان يطبع رسالة فيما نحن بصدده تبل ان تم المناظرة ويتبين له الصواب من الخطأ فرجو من حضرته ان لا يطبع ذلك إلا بعد انتهاء المناظرة وبعد ان يتكلم مع شيخ الاسلام السيد محمد رشيد رضا لاجل ان يصلح ماشاء ان يصلحه — على ان الدين الحق لا يقدم انصاراً والله المستعان

(لما بقية)

أثر علماء التوحيد

التقريظ والانتقاد

﴿ كتاب دلائل التوحيد ﴾

تقد من الله تعالى على دمشق الشام بالشيخ محمد جمال الدين الهاسبي ليكون فيها واسطة من وسائط الانتقال، و حلقة من حلقات الاتصال، بين الماضي الذي قد تدهور فيه المسلمون من عدة قرون، وبين المستقبل الذي ينشده المتبصرون، ويسعى اليه المصلحون، فهو بصير في العلوم الإسلامية المتداولة في العصر، متطلع الى ما يتجدد من المطبوعات العربية في كل مصر، مجيد في الانتقاء من رديتها والانتقاء من جيدها، حريص على الاستفادة منها والإفادة بها، وهو يدرس ويطلع، وينسخ ويصحح، ويصنف وينشر وآخر ما وصل الينا من مؤلفاته المطبوعة كتاب (دلائل التوحيد) في الكلام ألفه في سنة ١٣٢٥ وطبع في سنة ١٣٢٦ وهو في أسلوبه ومباحثه، مصدق لما قلناه آفا في وصف مؤلفه، لم يقنديه المتكلمين كالسنوسي وواضي الشروح والحواشي لعقائده ومن حاكاه من المتأخرين الذين صارت كتبهم كالتمبذ بتلاوتها، على علاقتها وعدم كفايتها، ولم يستقل بجميع مسائله بنفسه، ويجعله خلوا من كلام غيره، بل أورد فيه زبدة مما طالع في كتب أساطين المتقدمين من الفلاسفة والمتكلمين كابن مسكويه والنصير الطوسي والفارابي وابن رشد والراغب والغزالي والغزبن عبد السلام وابن حزم وابن تيمية وابن القيم والقاضي عياض والماوردي وجمال الدين الخوارزمي والمرتضى اليماني صاحب إثار الحق، والمتأخرين كالأستاذ الامام ولكنه لا يذكره باسمه ولا بهذا القالب الذي اشتهر به وإنما يشير اليه بكلمة «حكيم» أو حكيم من المتأخرين. وقد قل أيضا عن المنار ولم يسمه ولا ذكر اسم صاحبه بل يشير اليه ببعض الألقاب

كما فعل في الهامش بعد سوق الدليل العشرين . وما ذلك الا لأت اسم الشيخ محمد عبده أو محمد وشيد رضا أو المنار كانت في زمن السلطان عبد الحميد مخرب الديار ، وتسوق الى البوار ، أما مقاصد الكتاب بالاجمال فهي كما كتب المؤلف في طرته « الخطبة في فضل إقامة البراهين لتأييد أصول الدين ثم تمهيدات في سر معرفة التوحيد وما يتقاضاه الايمان من الايقان وفي تمثيل انحاء الباطل لظهور آية الحق ، وفي ان النظر قانون الاستدلال وفي غير ذلك » ثم مطالب الكتاب وهي أربعة : المطلب الأول في الأدلة الواضحة على « وجود الله تعالى » وهي خمسة وعشرون دليلاً وفي طيها فوائد جمة ، المطلب الثاني في تحقيق مسائل من العلم الإلهي كاستحالة ا كته ذات الخالق تعالى وبطلان الحلول والاتحاد وغيرها ، المطلب الثالث في المادة وشبه الماديين وإبطالها جميعاً بالحجج القاطنة وفيه مقالات من الطبيعيين تقرب من الثلاثين ، المطلب الرابع في مسائل من علم النبوات كآيات النبوة واثبات الخوارق علماً وبيان المنه على العالمين بعثة خاتم النبيين وكون القرآن أعظم الخوارق وبيان خصائصه عليه السلام وفضائله وشرف أخلاقه وشبهاته الموثقة لنبوته والبرهنة على عموم رسالته ثم الخاتمة في قائمتين « اه

وصفحات الكتاب متان بل تزيد ، ولم يتيسر لنا الا مطالعة القليل منه ، فسي ان يكون منازلاً لتقليد المقلدين ، ومراقبة لاستقلال المستمدين ، وعن النسخة منه ثمانية قروش

﴿ العقائد الدينية . للناشئة الاسلامية ﴾

كسب وجيز للشيخ محمد عبد اللطيف خضير من علماء دمياط طبعه في هذا العام واهدانا نسخة منه ورغب الينا بيان رأينا فيه عند ما تسمح لنا الفرصة بمطالعة شيء منه فنقول إننا رأينا فيه شيئاً من المعنى الذي أشرنا اليه في تهر يظ الكتاب الذي قبله من حيث عدم التزام أسلوب وترتيب العقائد المتداولة كسرد الصفات المشرين (التي جعل السنوسي مدار عقيدته عليها) ونحو ذلك ولكنه على عدم التزام ذلك لم يخرج عنه بالرة . ولهي السهولة فيما استقل فيه فبهذا دوقارب وجاء بعض مسائل ودلائل

نظرية تملو على افهام الناشئين الذين وضعه لهم ولولا رجوعه في ذلك الى بعض الكتب المتداولة. لكان يسهل عليه ان يأتي بما هو اصل منها وانفع أوليت اقتباسه من كتب المتقدمين كان كله كاقباسه من رسالة التوحيد . وجملة القول انه من احسن ما كتب لتعليم المبتدئين وضمن النسخة منه قرش واحد وهو يطلب من المكتبة العمومية بدمياط فمسي ان ينال ما يستحقه من الرواج والانتشار

﴿ تحفة الانام . في مختصر تاريخ الاسلام ﴾

أف هذا التاريخ في أواخر حياته الشيخ عبد الباسط الفخوري مقي بيروت رحمه الله تعالى وهو يشتمل على مقدمة وجيزة في أصل العرب وجزيرتها وظهور النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أربعة أبواب في الخلفاء الراشدين وفي الأمويين والعباسيين والعثمانيين . وفي الكلام على سلطنة محمود الثاني يذكر حادثة ابراهيم باشا المصري وغيرها من الحوادث الكبيرة ومسألة الوهاية كما يذكر في أخبار سلطنة عبد الحميد حرب القرم وحادثة جده وحادثة لبنان . وهو مختصر ليس في الايدي مثله ولا ما يقني عنه فمسي ان يتم نشره . ويباع في مصر بمكتبة المنار مجلداً تجليداً يروتيا بثمانية قروش مصرية . ومن أراد عدداً كثيراً منه فليطلبه من المكتبة الاحلية بيروت

وانا نقل هنا كلامه في الوهاية قال رحمه الله تعالى ما نصه :

« ثم في غضون ذلك ظهرت الطائفة الوهاية في بلاد نجد واستولوا على مكة المكرمة والمدينة المنورة وباقي بلاد الحجاز حتى قاربوا بلاد الشام من جهة دمشق وهم قوم كثيرون من عرب نجد اتبعوا طريقة الشيخ عبد الوهاب (؟) وهو رجل ولد في الدرعية بارض العرب من بلاد الحجاز طلب اولا العلم على مذهب ابي حنيفة في بلاده ثم سافر الى اصفهان واخذ من علمها حتى اتسعت معلوماته في فروع الشريعة وتفسير القرآن الكريم ثم نادى الى بلاده سنة (۱۱۷۰) ثم ادته المصيبة الى الاجتهاد فانشأ مذهباً مستقلاً وقرره لتلامذته وشاع أمره في «نجد» و«الاحساء» و«القطيف» و«عمان» و«نبي عتب» من ارض «اليمن» ولم يزل امرهم شائعا ومذهبهم متزايدا

وجاءتهم تكثراً الى أن صدرت الارادة السنية الى محمد علي باشا عزيز مصر بقتال وردع هذه الطائفة خوفاً من انتشار شرهم في البلاد الاسلامية فاطفأ سراجهم وبدد شملهم واخفى ذكركم وقد توفي زعيمهم سعود سنة (١٢٢٩) فساد الأمن في طريق الحج وبهذه السنة حج محمد علي باشا بعد ان لم يكن احد يتمكن من اداء هذه الفريضة وهاك رسالة من كلامهم تدل على مذهبهم واعتقادهم :

اعلموا رحمكم الله أن الخيفية ملة ابراهيم أن نعبد الله مخلصاً له الدين وبذلك امر الله جميع الناس وخلقهم له كما قال تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) فإذا عرفت أن الله تعالى خلق العباد للعبادة فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة كما قال تعالى : (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون) . فمن دعا غير الله طالباً منه ما لا يقدر عليه الا الله من جلب خير أو دفع ضرر فقد اشرك في العبادة كما قال تعالى : (ومن اضل ممن يدعو من دون الله لايستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقال تعالى (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطير) ان تدعوهم لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبتك مثل خير) فاخبر تبارك وتعالى أن دعاء غير الله شرك ، فمن قال يارسول الله أو يا ابن عباس أو يا عبد القادر زاعماً أنه باب حاجته الى الله وشفيعه عنده ووسيلته اليه فهو المشرك الذي يهدر دمه وماله الى أن يتوب من ذلك وكذلك الذين يحلفون بغير الله . أو الذي يتوكل على غير الله أو يرجو غير الله أو يخاف وقوع الشر من غير الله أو يلتجئ الى غير الله أو يستعين بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو ايضاً مشرك وما ذكرنا من أنواع الشرك هو الذي قاتل رسول الله المشركين عليه وامرهم باخلاص العبادة كلها لله تعالى ويصح ذلك أي التشيع عليهم بمعرفة اربع قواعد ذكرها الله في كتابه

(أولها) ان يعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله يقررون ان الله هو الخالق الرزاق المحيي المميت المدير لجميع الأمور والدليل على ذلك قوله تعالى : قل من يرزقكم من

السماء والأرض أمن تلك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فيقولون الله قل أفلا تتقون » وقوله تعالى « قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون » يقولون لله قل أفلا تذكرون » قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم » يقولون الله أفلا تتقون » قل من يده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون » يقولون الله قل فأنى تسعرون » . إذا عرفت هذه القاعدة واشكل عليك الأمر فاعلم انهم بهذا اقروا ثم توجهوا الى غير الله يدعونه من دون الله فأشركوا

(القاعدة الثانية) إنهم يقولون ما نرجوهم إلا لطلب الشفاعة عند الله تريد من الله لا منهم ولكن بشفاعتهم . وهو شرك والدليل على ذلك قول الله تعالى : (ويبعدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال الله تعالى : (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) وإذا عرفت هذه القاعدة فاعرف :

(القاعدة الثالثة) وهي ان منهم من طلب الشفاعة من الأصنام ومنهم من تبرأ من الأصنام وتعلق بالصالحين مثل عيسى وأمه والملائكة والدليل على ذلك قوله تعالى : « أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذوراً » ورسول الله لم يفرق بين من عبد الأصنام ومن عبد الصالحين في كفر الكل وقاتلم حتى يكون الدين كله لله . وإذا عرفت هذه القاعدة فاعرف :

(القاعدة الرابعة) وهي انهم يخلصون لله في الشدائد وينسون ما يشركون والدليل عليه قوله تعالى : (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) وأهل زماننا يخلصون الدعاء في الشدائد لغير الله ، فإذا عرفت هذا فاعرف أن المشركين في زمان النبي أخف شركاً من هؤلاء مشركي

زماننا لأن أولئك يخلصون لله في الشدائد وهوؤلاء يدعون مشايخهم في الشدائد
والرخاء والله أعلم بالصواب ، اهـ

وهذه الرسالة والقواعد التي أنسها ذلك الشيخ لا شبهة فيها لأن هذا هو
الدين الذي جاء به النبي والانباء من قبله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ،
لكن هذا الشيخ لم يتحقق ولم يحقق هذه المسألة ، وأتبعه قومه من بعده فأفراطوا
وفراطوا وقصروا حتى تولد منهم بسبب هذه القواعد تقصير وتحقير ما عظمه الله
وأمرنا بتعظيمه ومحبته وتوقيره وقامروا المسلمين المتخلصين في التوحيد بالمشركين حتى
قاتلوا المسلمين في أفضل البقاع واستحلوا دماءهم وأموالهم كما وان أكثر العوام من
جهالة المسلمين قد نالوا وأفراطوا وابتدعوا بدعاً تخالف المشروع في الدين القويم
فصاروا يعتمدون على الأولياء الأحياء منهم والأموات معتقدين ان لهم التصرف
وبأيديهم النعم والضرر ويخاطبونهم بخطاب الربوبية وهذا غلو في الدين القويم وخروج
عن الصراط المستقيم وقد ورد في الحديث المرفوع: (دين الله تعالى بين المتعالي والمتعسر)
وهنا شيء لا بد لك من معرفته وهو أن الحب لله وفي الله والحب مع الله
ينها فرق من أهم الفروق وعنه تعلم جهل وخطأ الرهاية وشيخهم فإن الحب لله وفي
الله هو من كمال الإيمان في الله والحب مع الله هو الشرك المنهي عنه وقتلهم عليه
النبي صلوات الله وسلامه عليه ، والفرق بينهما أن الحب في الله والله تابع لما يحبه الله
كحب الرسل والملائكة والأولياء والعلماء والكعبة والمدينة وبيت المقدس لأن الله
يحبهم ويحب من يحبهم ويمظيهم ، والحب مع الله على نوعين نوع يمدح في
أصل التوحيد وهو شرك عبادة الأوثان والأصنام والانداد من المشركين لانهم
عظموا وأحبوا مع الله ما يفضيه الله ، والنوع الثاني يمدح في كمال الاخلاص
 والتوحيد ومحبة الله ولا يخرج عن الاسلام كحبة ما زينه الله لئنفس في النساء
والبنين والذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرف فان محبتها طبيعية ومحبة
شهوة كحبة الجائع للطعام والظآن للماء فان أحبها الله ليتوصل بها اليه واستغاثه على مرضاته
وطاعته كانت من قسم الحب لله وفي الحديث «حب الى من دنياكم النساء
والطيب» وان احبها لمواظفة طبعه وشهوته وهواه كانت من المباحات لكن ينقص من

كأن محبة لله والمحبة فيه وان كان حبه لها مراده ومقصوده . وقدنيا على ما يحبه الله
ورضاه منه كان فالما لنفسه متبعا لمواه فالأول محبة السابقين والثانية محبة المتصدين
والثالثة محبة الظالمين فتأمل ذلك وما فيه . فانه منترك النفس الأمارة والمطمئة والله
تعالى يوفقنا وإياك والسلام . اهـ ولم يذكر مثالا للحب مع الله وكأنه اكتبني بما عزاه منته الى
أثر عوام المسلمين من الفلأ في الصالحين وحبهم لهم كحب الله وهو عين ما ينكره
الوهاية وما الظن انهم كانوا يهتمون بذلك جميع أفراد المسلمين ، والا كانوا مجانين

رسالة المحبوب . من باب الانتقاد على المارح

أرسل الينا بعض علماء تونس رسالة كان كتبها رجل اسمه السيد عمر المحبوب التونسي
في الرد على الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي في زمنه وطلب منا ان نبين رأينا
فيها ، فتصفحناها هي وما ألقى بها في نحو من نصف ساعة فلم نجد فيها شيئا يزيد
على ما تلوكه العامة في هذه المسائل وعلنا من الذيل الذي ألقى بها انها طبعتمت معه
بعد الحادثة التي وقعت معنا بدمشق في آخر رمضان من السنة الماضية لتكون ردا
علينا فيما شاع من أن سبب تلك الفتنة تأييدنا لمذهب الوهاية . فيارحنا لمولاه
الجهلاء المساكين الضعفاء الذين نهيجهم الأكاذيب الى إظهار جهلهم وطاعة انفعالهم
العدائية لمن هو لهم صديق غير عدو وان كانوا لا يميزون

قد علم الخالص والعام ان حادثة الشام لم تكن مقاومة لمذهب الوهاية ولا انتصارا للسنة
السنية وانما كانت انتصارا للاستبداد على الدستور ، وإيثارا للظلمات على النور ، وان خطيبي
قدتمها الشيخ عبد القادر الخطيب والشيخ صالح التونسي قد حاولا معروضا منهما من مدبري
تلك الفتنة إثارة فتنة اعظم منها باسم الاسلام اذ نشر واتلك الجمعية الفسادية التي اطلق عليها
(تمويهها وخداها) اسم الجمعية المحمدية ، لذلك اختفيا عن الانظار ، ووليا الأديار ، لانصر الله
الدستور ، وخذل القروء ، وأنشأت الدولة العلية بما كرم زعماء الفتنة ، الذين كانوا يحرضون على
الثورة ، ثم ظهر الخطيب فاستنطق ورفع أمره الى الأستانة . ومعلوم ان صالحا التونسي
من دعاة ابي الهدى دجال عبد الحميد اللذين كفى الله المسلمين شرهما (والعاقبة للمتقين)
واننا ندعو صاحب الذيل الطويل لتلك الرسالة هو وجميع من على رأيه من

علماء تونس الى المناظرة جبراً فيما يزعمون ان المنار أخطأ فيه بأن يدكروا المسألة التي يزعمون انها خطأ والدليل من الكتاب والسنة وكذا الاجماع والقياس على ذلك مع التصريح بأسمائهم ونحن نجيب عن اقوالهم ونجمل اهل العلم والفهم في المشرق والمغرب حكماً بيتاً وبينهم . وانما نشترط ان يصرحوا بأسمائهم لتعلم قيمة الحق منهم والمبطل في الحال ، وبحفظ التاريخ ذلك لاعتقابهم في الاستقبال ،

على ان صاحب الذيل المشار اليه لم يذكر مسألة الاجتهاد من خطأ المنار الا مسألة تطهارة العطر الافرنجي والكحول وكذا ما سماه تحليل مقتولة المنق والمضروبة على الرأس ولبس القبعة الافرنجية - المسائل الثلاث التي كانت موضوع فتوى الاستاذ الامام منذسبنين فان فرضنا ان ما كتبه المنار فيها كان خطأ فليدلونا على كتاب من كتب الفقه او الحديث أو التفسير ليس فيه مسائل كثيرة متقدمة لمخالفتها للكتاب أو السنة أو لما رجحه العلماء الآخرون المخالفون لأولئك المؤلفين لما في اجتهادهم او فهمهم

اذا كان صالح التونسي وعبد القادر الخطيب الدمشقي قد تصديا للفتنة بدمشق يباعث السياسة وهما يطمأنانها باغيان مخطئان فيحتمل ان يكون احمد جمال الدين صاحب ذيل هذه الرسالة حسن النية له شي من العذر بمجمله . وهل يرجي من مثله ان يفهم دقائق مباحث المنار الاجتهادية وهو الى اليوم لم يفهم معنى العبادة بل اتبع فيها الشيخ المحجوب الذي لم يعرف كيف كان اساس دعوة الاسلام النهي عن عبادة غير الله تعالى الى عبادته وحده كما نينه قرياً ؟ فكيف يتكلم في مثل شيخ الاسلام ابن تيمية الذي لم يسمع الزمان له بنظير

اما رسالة الشيخ المحجوب فليس فيها شيء الا وقد سبق لنا تحريرها في المنار ولا يفهم العامة وروؤسائهم من أصحاب المهائم من اعادة القول في يات مواضع الخطأ فيها الا ان المنار يتمصر للوهاية ، على ذلك الشيخ الذي ينتسب الى ما لا يفهمه من السنة السنية ، وما كان المنار ليتصر لمذهب من المذاهب او يتعصب لفتنة الفئات . انما يؤيد الكتاب والسنة ويحكمها في أقوال المتقدمين والمتأخرين . وأما أمثال هذا المفترض المسكين فان قصارى علمه ان يحفظ كلمات من بعض شيوخه المعاصرين او المؤلفين المتأخرين الذين ليس لا كثرهم من العلم الا نسخ كتب القدماء ، مع زيادات يستميلون ببعضها العامة وبعضها الآخر الملوك والأمراء ،

يظهر ان الشيخ المحجوب كان ممن يبرعونهم بالأدباء ، ولم يكن من العلماء ،
فقد ظهر في رسالته تشهيره في الهجاء والشتم ، وقصوده في مسائل الدين والعلم ، وهو
لم يذكر في رسالته كلام خصمه ، فيوازن بينه وبين رده ، فنكتفي إذا بالإشارة إلى
بعض خطاه وضعفه ، ليعلم انه لا يوثق بعلمه ، مع عدم التعرض لخطأ خصمه وصوابه ،
قال في (ص ٤) في رد انكار خصمه ما نقله العامة عند قبور الأوباء والصالحين
من الاستغاثة والتوسل والتعظيم « معاذ الله ان يعبد مسلم تلك المشاهد ، أو أن يأتي
اليها معظماً لما تعظيم العابد ، أو أن يخضع لها خضوع الجاهلية للاصنام ، وان يبدعها
بركوع أو سجود أو صيام . » وتقول ان هذا القول يدل على ان المحجوب لم
يكن يعرف الواقع الذي عليه الجهم الفخير من العامة أو انه يعرفه ويقول غير ما يعلم ،
وانه لا يفهم معنى العبادة بل يتوهم انها عبارة عن الصلاة والصيام وسائر التكاليف
الشرعية فقط كما قال مقلده صاحب الذيل في (ص ١٩) في قوينة رده: «وما دري (أي
ابن عبد الوهاب) ان العبادة الشرعية هي التكاليف التي اشتملت عليها الشريعة
سواء كانت مقولة المعنى أو تعبدية » وقد جهل صاحب الذيل كصاحب الاصل
ان أول شيء دعا اليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو ان يعبد الله وحده وان
لا يعبد سواه . دعا إلى ذلك قبل ان تشرع التكاليف العملية من الصلاة والزكاة
والصيام فهل يصح ان يقال ان المراد بالتهي عن عبادة غير الله تعالى هو ان تكون
التكاليف التي تشرع بالتدريج خاصة بالله تعالى؟ هل يصح ان يكون معنى العبادة شيئاً
لم يكن معروفاً ولا مشروعاً؟ يا حشرة على المسلمين ، الذين ابتلوا بأمثال هؤلاء الموتى
على ان أمثال هؤلاء الضملاء يندرون إذا جهلوا معنى العبادة لأن من كانوا
يستطيعون تحديد الحقائق من العلماء عدوا معنى العبادة من البديهيات فلم يهتموا ببيانها
ولذلك لم يشتهر عنهم قل في تحديده . وأما الأقوال المشهورة فيه عن الثوريين وغيرهم
فليست حدودها بل لا يبلغ بعضها ان تكون رسوماً تامة أو ناقصة وقد بينا ذلك مرات
كثيرة ومنه ان أعظم مظاهر العبادة الدعاء وفي حديث البراء عند أحمد وابن أبي
شيبه وأصحاب السنن « الدعاء هو العبادة » وفي رواية ضعيفة للترمذي من حديث
أنس « الدعاء : عبادة » وهل يكابر أحد في دعاء الألوفا والملايين من عامتنا الموتى من

الصالحين إلا إذا كان لا ينجل من إنكار المحسوسات؛ ألا أنهم لا ينكرونه ولكنهم يؤثرونه لم بانهم لا يقصدون به العبادة وإنما يقصدون التوسل !! ألفاظ يلوكونها ولا يفهمونها ، الرسول صلى الله عليه وسلم يقول «الدعاء هو العبادة» أي هو الفرد الأعظم من أفرادها ، والركن الأكل من أركانها ، كقولها «الحج معرفة» فتجو بزده غير الله كتجويز الصلاة لغير الله بدعوى عدم قصد العبادة وتسميتها توسلاً أو ما يشاء أهل التأويل من الأسماء قال المحجوب (ص ٤) «وأما ما جنحت إليه» وعولت في التفكير عليه ، من التوجه إلى الموتى ، وسواهم النصر على المداء ، وقضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، التي لا يقدر عليها الأرب الأرضين والسماوات ، إلى آخر ما ذكرته موقداً به نيران الفرقة والثقات ، قد أخطأت فيه خطأ مينا ، وابتغيت فيه غير الإسلام ديناً ، فإن التوسل بالخلق مشروع ، ووارد في السنة القوية ليس بمحظور ولا ممنوع ، ومشارع الحديث الشريف بذلك بفضة ، وأدته كثيرة محكمة ، تضيق المبارق عن استقصائها ويكل البراع إذا كلف باحصائها ، ثم ذكر أثر استسقاء عمر بالعباس (رضي الله عنهما) وحديث طلب عمر الدعاء من أوبس القرني ، ومسألة الشفاعة ، والوفاية لا ينكرون أثر الاستسقاء ولا الدعاء ولا الشفاعة ، وتب ابن تيمية التي هي عمدتهم في هذا الباب مثبتة لهذه المسائل مينة لما أتم يان وهم محتجون بها على الذين يدعون أصحاب القبور فيقولون أن عمر والصحابة لم يدعوا العباس ان يسقيهم الغيث كما يدعو جمهور عامتنا الاموات ان يقضوا لهم حاجاتهم . وإنما كان توسلهم بالعباس هو جعله اماماً لهم في الاستسقاء فصلى بهم ودعواهم آمنوا على دعائه ويقولون انه ورد فيه ان عمر رضي الله عنه قال « اللهم انا كنا نتوسل اليك ببينا وانا نتوسل اليك بم نينا فاسقنا » وهذا دليل على ان الميت لا يتوسل به وان كان حياً عند الله تعالى . وأقول ان المسألة ليست من باب ما يسمونه اليوم بالتوسل وهو ان يدعى غير الله تعالى ويطلب منه شيء . ما وإنما هو استسقاء كما تقدم . ويحتجون به من وجه آخر وهو دعاء العباس الذي ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح وهو « اللهم انه لم ينزل بلاء الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة » وهو نص في ان كشف الضر لا يكون بسبب الاشخاص وإنما يكون بالتوبة الى الله والرجوع اليه وحده . وفي الحديث روايات لا تصح (لها بقية)

باب الاخبار والآراء

(جمعية الأتحاد والترقي)

استحسن العقلاء في سورية ما كتبناه في الجزء الثالث من مجل ما يتقدمه الناس على هذه الجمعية وكتب اليها غير واحد يقول ان المتدينين من أعضاء الجمعية أنفسهم استحسنوه وعدوه من النصح الخالص . وقد استنكره آخرون مع ما عهدوا من تأييد الجمعية في المناظرات والخطب زيادة عما يكتب في المنار . وقد يندم المستنكر لذلك اذ لم يكذب يصل ذلك الجزء الى سورية الا وقد ظهرت خفايا ثورة الاستانة وعلم الناس انها دبرت في « يلدز » لمحو آية الدستور وإعادة استبداد عبد الحميد الى شرمما كان عليه ، وفر أعضاء الجمعية الى سلايك مستنصرين مستصرخين ينفضون غيرة الموت قتلا وغيلة عن رؤوسهم

نعم اننا كتبنا ما كتبنا قبل ظهور تلك المكيدة ولنا تقابل طبع الكراسية الاخيرة من ذلك الجزء علما بيمض بوادر الفتنة فاشرنا اليها ، هو صريح في الميل الى الجمعية والدعاء لها بالانتصار . ومع هذا كله نرى ان التعريف بما ينكر الناس عليها وما يقولون فيها ضروري لاسيما ممن يحمد سميها ولا ينكر فضلها

اتنا لخصنا الكليات التي يرجع اليها انتقاد المتقدين من غير مواثقة لم على كل ما يتقدونه وسكتنا عن بعض الجزئيات النظيمة التي هي من قبيل تعيين بيمض الاشخاص والأعمال المنكرة . وهل تؤمن عاقبة اشخاص بيمضون بقوة في مملكة واقعة في اشد الحرج وهم لا يستلون ولا يتقدون ؟ وقد كان الصحابة يراجعون النبي صلى الله عليه وسلم في بعض رأيه في السياسة والحرب حتى يرجع عنه ، فهل كانت الجمعية اجدر بالتقديس منه ؟

اتنا قد صرحنا هناك بفضل الجمعية علينا في الانقلاب وإنما ذلك الفضل لأفراد ربما كان العمل الآن في أيدي غيرهم ممن لم يكن لهم عمل قط في الانقلاب وقد دخل في الجمعية خلق كثير منهم من لا اخلاق لهم ولكنهم أصحاب دهاء أو حظ — على ما يقال — وقد ينتخب بعضهم للجنة العليا العامة . كما ان اللجان المركزية في

بعض البلاد فيها من نعرف ومن لا نعرف ممن لا خلاق لهم ولا عرفان ولا إخلاص
فهل يقول عاقل ان مصلحة الامة أو مصلحة الجمعية أن تعد الجمعية مقدسة في جميع أعمالها؟
وقد أيدناها أيضاً في ذلك المقال من حيث الحاجة الى بقائها وتأييد الجيش
لها إذا حدث ما يخشى منه على الدستور مع اعتزاله للسياسة في عامة أحواله فهل
فوق هذا التأييد من تأييد؟ على انه تين ان الجيش حام للدستور على كل حال
انه وأيم الحق قد راغنا عندما عدنا من سورية الى مصر ما سمعناه من
أحرار الترك وسائر المثانيين من الانكار على الجمعية في تصرفها وعلنا ان الانكار
والاستياء في الاستانة أشد فحشنا ان ينتج ذلك مما لا تحمد عاقبته إذا لم تداركه
الجمعية ، فكان ذلك هو الباعث لنا على كتابة ما كتبنا وما كنا إلا ناصحين



(طنن المؤيد في الدولة العلية الدستورية)

ظهر المؤيد بمظهر الساخط المذقت للحكومة الدستورية في الدولة العلية وقد كادت
تقضي السنة الاولى لها وهو يكتب عنها قبله وأقلام بعض محرريه ومكاتيبه شره ايسمع
وما يقرأ ، وشره ما يتخيل ويتصور ، وقد أرضى بذلك بعض الأغرار من المصريين
الخدوعين بما كانوا يقرءون في الجرائد من إطراء عبد الحميد ، ولكنه أسخط العقلاء
وخواص الامة المصرية حتى اتنا سمعنا بعض الكبراء الذين يعرف صاحب المؤيد
صدقهم واستقلالهم يقول انني لم أر أحدا من الخواص يندر المؤيد على خطته هذه
وقد اختلف رأي أهل التعليل في سبب اختيار صاحب المؤيد لهذه الخطة
فقال بعضهم إنه قد أسخط في سنيه الأخيرة جمهور أهل بلاده من جميع
الطبقات حتى الأزهريين وهو يعلم ان حسن الظن بعبد الحميد خان غالب فيهم
فأنشأ يدافع عنه ويطعن في الحكومة الجديدة ليستميل بذلك الجمهور الساخط ومن
هوئلاء من يقول ان الجمهور سخط على المؤيد لتذبذبه واتباعه لواء دون مصلحة الامة
ومنهم من يقول بل لا اعتداله في الكلام عن الحكومة والمحتابين وهذا هو الأقل
ويقول آخرون ان سبب اختيار المؤيد لهذه الخطة هو اتفائه مع عزت باشا
العبد وغيره من اعوان عبد الحميد على اسقاط الحكومة الدستورية واعادة الحكم

الحميدى السابق ولما خلع عبد الحميد وأخرج من عاصمة السلطنة كان الاصرار على
الاتصار له من دعوى الثبات على الرأي

ومن الناس من يقول ان المواطنة بين عزت العابد وحزبه انما هي على تأسيس
دولة عربية وخلافة جديدة . وقد تنصل المؤيد من هذا ولعن من يسمي اليه

ومنهم من يظن أن صاحب المؤيد يخدم بذلك انكلاوا التي تحب ان تمحو نفوذ
الدولة الدينى من مصر والهند وان جامتها في أوروبا وان هايدا في تحريك مسخط مسلي

الهند على الحكومة العثمانية الجديدة ، وهذا إغراق في سوء الظن

ومنهم من يرى ان صاحب المؤيد لما كان يعلم ان جمية الأتحاد والترقي تعتقد

انه من جواسيس الحكومة الحميدية وشيعة عزت العابد لاسيا بعد ان أظهر ضلعه

في أول العهد بالانقلاب وميله الى الماضي وانها لا بد ان تتخذة خصما وعدوا -

هاجها هي وحكومتها بقوة لها تخافه فتسمى الى استماته فلا يجرم من الكرامة

في الاستانة وسورية في كل مصيف

ومنهم من يرى انه لعله بما كان من فلك عبد الحميد خان بالدولة والامة اعتقد منذ

حدث الانقلاب أن الدولة لم يبق فيها رمق فتنهض بحكومة دستورية فإما ان يعود

عبد الحميد الى استبداده وإما ان يسقط الدولة بتدميره الماضي وكيد الخاضر فصار

يكتب ما يكتب وهو يظن ان الايام ستصدقه بفشل الدولة وسقوط الدستور أو

ما هو أعظم من ذلك فيظن بمقتل السيامي الخبير والمحب الضيور . ويظن أنه لا يبعد

ان يكون سمع من كبار الاجانب أو عنهم بنفسه أو بواسطة عزت العابد شيئا من

هذا المنى لان الاجانب شعروا بالذسائس التي كان يدبرها عبد الحميد واعوانه

واعتقد الكثيرون منهم ان قوة الدولة ستكون قسرين يتصادمان فيتساقطان وقد

أعدوا لذلك عدته . ونحمد الله ان كذب هذا التشاؤم

لماذا تضاربت الظنون واختلفت الآراء في إنحاء المؤيد على الحكومة الدستورية

في الدولة العلية ؟ أليس لانه كان في زمن عبد الحميد يدافع عنها بالحق وبالباطل

فيخفي عيوبها ويجهل سيئاتها حسنات ؟ نعم ومن العجب ان يعكس الأمر الآن

فينفي عليها بالحق وبالباطل ويجهل حسناتها سيئات

يقول انه يعتقد حقيقة ما يكتب . وتقول لماذا لم يختار من الحق الا ما يسود
ويضرنشره ، ومتى كان السيامي سوفيا صدرتها قرا العقائد كما هي مهارتب عليها؟ أليس
عند هؤلاء الصديقين من الاسرار الباطنة ما لا يجوزون نشره ، لانهم يخشون ضرره؟
يقول انه يقصد بهذه الشدة النفع بإرجاع جمعية الاتحاد والترقي عن غرورها الذي
براه ضارا . تقول ولماذا يخفي عليه غروره في هذه الدعوى فيتوهم ان هذه الجمعية
تنتظر جريدهته المرية لترجمها وتمل بصاحبها وهي لم تحمل بما قام في وجهها من
الاحزاب والكتاب الذين هم أبلغ منه قبا وأعلم بمكان الاتقاد، ولماذا خفي عنه الآن
عما كنت أعده كفيري عذرا له في دفاعه عن الحكومة الجديدة وهو ان اظهار سينات الدولة
وعيوبها يسقط منزلتها من نفوس المصريين وغيرهم من قراء المؤيد فيكون ذلك
ضففا لها على ضعف؟ أليس إسقاط نفوذ الدولة الآن أشد ضررا من إسقاطه في
العصر الماضي عصر الظلم والتخريب والتدمير؟ بلى ان خطة المؤيد الجديدة يخشي
ضررها ولولا ان الجرائد التي تناقضا في القطر المصري نفسه أوسع منها انتشارا
لاضلت وأضرت الجمهور وما يرجوه صاحب المؤيد من التأثير في نفوس لجنة جمعية
الاتحاد والترقي لا يوازي هذا الضرر لو حصل على انه بطن الدولة لا الجمعية وحدها
ان خطته هذه قد سلبتة أنفس حلية كانت له في أنفس المسلمين لا سيما سلمي الدولة العلية
الذين يهتم لهم سائر مسلمي الأرض وهي انه صاحب الجريدة الاسلامية العربية الكبرى
التي تدافع عن الخلافة والسلطنة وتؤيد نفوذها والآن نرى الجرائد العثمانية في عاصمة
الدولة وولاياتها تنطق بلسان واحد صائجة ان المؤيد عدو الدولة والخلافة عدو الدين
والملة ، وقد احرقه جماهير الناس في بلاد كثيرة حتي بلاد الحرمين ونادوا بإسقاطه
وما كان أغناه عن التصدي لهذه العاقبة التي لم تكن في حسبانته

نعم ان صاحب المؤيد صار من عدة سنين على غير ما كنا نعهد منه: صار لا يبالي برأي
احد ولا بنصحه ولا يحسب للمواقب حسابا ويرى ان الدنيا كلها اذا قامت عليه اليوم
فانه يسهل عليه ان يستميلها اليه غدا ، ولكننا رأينا هذه الشاكلة قد أضرت ولم تنفعه .
هذا هو رأينا ان كان يقبله وهو يعلم اننا لا نقول الا ما نعتقد ونتمنى لو يقدر بالفعل على استمالة
الدولة العلية والامة العثمانية بما يكتبه بعد فيرجع عن اجتهاده ذلك الى ضده والله الموفق

فيهم مبادئ التي يستعملون اتقوا فينبون أحب
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

الملك
١٣١٥

بوتني الحكمة من يشاء من بوتنا الحكمة فتسأوتني
غيرا كبيرا وما يدسكرا إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى ر ه منارا ه كثار الطريق ه

(مصر - السبت سلخ جمادى الآخرة ١٣٢٧ - ١٧ يوليو (تموز) سنة ١٢٨٥م ١٩٠٩م)

فَتَاوَا الْمُبْتَلِينَ

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وجملة (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ورماعا قدمنا متاخرا السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورماعا أجبنا غير مشترك لكل هذا . ولن مضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكره مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لافقائه

﴿ الهجرة وحكم مسلمي البوسنه فيها ﴾

(س ٢٥) من صاحب الامضاء في البوسنه *

بعد السلام عليكم يا فضيلة الأستاذ الأ كبر ، والعلامة الفهامة المهام الأ واحد ، حجة الاسلام ، وامام أهل الحق ونفخر الأ نام ، العالم العامل الفاضل الكامل المحقق ، والبحر التحرير الفيلسوف الحكيم المدقق ، الأديب اللبيب ، فريد العصر ، ووحيد الدهر ، سيدنا ومولانا ومرشدنا ، الشيخ محمد رشيد رضا ، عمره الله وحياه بأحسن الحياة *

أقول : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ذي العظمة والكبرياء ، والصلوة والسلام على سيدنا ومولانا وقررة أعيننا رسوله الداعي الى سبيل الهدى سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين المهتدين بهداه والذين اتبعوهم باحسان الى يوم الحشر والجزاء ،

أما بعد فقد أخبرني بعض المصاحيين بان واحدا من علماء الأستانة قد اتفق ان أتقى وعظا في جامع بمدينة عندنا ، فن جعلته ان قال فيه بوجوب الهجرة علينا وعدم صحة النكاح ونحوه بعد ما ألحقت النمسا وضمت (ولاية البوسنه وهرسك)

* ان السائل من المغالين في حب النار وصاحبه فهو بطرنا بالألقاب والنعت التي ننجعل من ذكرها وإنما نشرها عملا بما جرينا عليه اخيرا من نشر الاسئلة بخصوصها كما جرى عليه علوانا من قبل الا من اذن لنا بتصحيح بعض اغلاطه اللفظية

إلى أملاكها وملكتها . وشدد أيضاً فقال بعدم صحة أركان الاسلام تحت حكمها
مطابق الصلوة فالجمعة داخلية في ذلك ونحو الصيام والحج والزكاة ، فاضطرب منه
أكثر من سبع مآقال اضطراباً شديداً ، فلما منهم بان حقيقة الامر كما قال :
فيا سيدي ومولاي وقررة عيني ويا ناصر الحق والسنة ، ويا قانع البدع الدينية
الذليلة الشنيعة ، ويا كاشف الغمة عن هذه الأمة المرحومة ، ويا مقتدى الأمة ، وقُدوة
الأئمة ، ويا رحمة الله هذه الملة الحنيفة ، أرجو من حضرتكم ، ان تفضلوا بالجواب
الواضح الشافي عن قول ذلك العالم ، على نحو ما اهتديتم بالكتاب والسنة السنية ،
مع البراهين والأدلة الشرعية المرضية القوية ، كما هو دأب جنابكم على صفحات المنار
المنيرة ، أدام الله ضياءه الى يوم المحشر والقرار ، وبك في عمر سعادة صاحبه وعاهله نحو
ما عاين المقربين من عباده المتقين ، وجزاه نحو المجزي المحسنين من عباده المخلصين ،
انه على ما يشاء قدير ، وبالأجابة جدير ، الداعي والمستدعي

قارئ المنار المنير وصديقكم المطيع الخالص وصديق أصدقاء المنار
المنير وصاحبه ومحبه وعدو عدوهم ومبغضهم العبد الضعيف النحيف
المقبر الفقير الى رحمة ربه العلي القدير تراب اقدام انصار الحق محمد
ز . ه . د . تارابار من طلبة المدرسة الفيضية بمدينة تراونيك (بوسنه)

(ج) لاشك ان ذلك التركي قد اخطأ في جملة ما قاله والصواب انه لا تجب
الهجرة وجوباً عينياً على من كان متمكناً من إقامة دينه آمناً من الفتنة فيه وهي الإكراه
على تركه او المنع من إقامة شعائره والعمل به وهو نحو مما قاله عائشة فهي البخاري
انها سئلت عن الهجرة فقالت « لا هجرة اليوم كان المؤمن يفر دينه الى الله ورسوله
مخافة ان يمتن فاما اليوم فقد أظهر الله الاسلام والمؤمن يعبد ربه حيث شاء » والأصل
في المسألة آية « ٤٧ : ٤ » ان الذين توفاهم الملائكة « وستأتي » وفيها أحاديث وآراء للعلماء
نذكر اهمها : فاصح ما ورد فيها حديث ابن عباس عند احمد والشيخين وأصحاب
السنن الثلاثة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « لا هجرة بعد الفتح
ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا » وروى مثله عن عائشة في الصحيحين
وروى احمد والنسائي وابن ماجه والطبراني وغيرهم عن عبدالله بن السمدي ان النبي

صلى الله عليه وسلم قال « لا تقطع الهجرة ما قوتل العدو » وهو يوافق حديث ابن عباس في وجوب الفرار على من استنفر للجهاد الشرعي وترك وطنه لاجل ذلك وهذا لا وجود له الآن

وأما حديث جرير بن عبدالله عند أبي داود والترمذي « أنا بري من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين » وتعليقه ذلك بقوله « لا تراءى ناراهما » فقد صحح البخاري وأبو حاتم ومخرجاه وغيرهم إرساله إلى قيس ابن أبي حازم وفي الاحتجاج بالمراسيل الخلاف المعروف في الأصول ورواه الطبراني موصولا . وهو لا ينطبق على أهل بوسنة لأنهم ليسوا بين أظهر المشركين . وقد كان للإسلام سياسة خاصة في مشركي العرب . وفي الباب حديث عن معاوية رواه أحمد وأبو داود والنسائي وقد اشرنا إليه في الجزء الماضي وهو أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا تقطع الهجرة ينقطع التوبة ولا تقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها » وهذا الحديث قال الخطابي « اسناده فيه مقال »

أما أقوال العلماء في أحكام هذه الأحاديث فنذكر منها ما أورده الشوكاني في شرح المتقى في الجمع بينها قال: وقد اختلف في الجمع بين أحاديث الباب فقال الخطابي وغيره كانت الهجرة فرضا في أول الإسلام على من أسلم لقلّة المسلمين بالمدينة وحاجتهم إلى الاجتماع فلما فتح الله مكة دخل الناس في دين الله أفواجا فسقط فرض الهجرة إلى المدينة وبقي فرض الجهاد والنية على من قام به أو نزل به عدو، انتهى قال الحافظ (ابن حجر) وكانت الحكمة أيضا في وجوب الهجرة على من أسلم ليسلم من أذى من يؤذيه من الكفار فانهم كانوا يهذبون من أسلم منهم إلى أن يرجع عن دينه وفيهم نزلت « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها » الآية . وهذه الآية باقية الحكم في حق من أسلم في دار الكفر وقدر على الخروج منها . وقال الماوردي إذا قدر على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفر فقد صارت البلد به دار إسلام فالإقامة فيها أفضل من الرحلة عنها لا يترجى من دخول غيره في الإسلام . ولا يخفى ما في هذا الرأي من المصادمة لأحاديث الباب القاضية بتحريم الإقامة في

دار الكفر . وقال الخطابي أيضا ان الهجرة اقتضت لما هاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى المدينة الى حضرة القتال معه وتعلم شرائع الدين وقد أكد الله ذلك في عدة آيات حتى قطع الموااة بين من هاجر ومن لم يهاجر فقال (٨ : ٧٣) والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا) فلما فتحت مكة ودخل الناس في الاسلام من جميع القبائل انقطعت الهجرة الواجبة وبقي الاستحباب . وقال البغوي في شرح السنة بمحتمل الجمع بطريق أخرى قوله « لا هجرة بعد الفتح » أي من مكة الى المدينة ، وقوله « لا تنقطع » أي من دار الكفر في حق من أسلم الى دار الاسلام ، قال ويحتمل وجها آخر وهو ان قوله « لا هجرة » أي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث كان بنية عدم الرجوع الى الوطن المهاجر منه الا بإذن ، قوله « لا تنقطع » أي هجرة من هاجر على غير هذا الوصف من الأعراب ونحوهم . وقد أفصح ابن عمر بالمراد فيما أخرجه الاسماعيلي بلفظ انقطعت الهجرة بعد الفتح إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار أي ما دام في الدنيا دار كفر فالهجرة واجبة منها على من أسلم وخشي ان يفتن على دينه . ومفهومه انه لو قدر ان لا يبقى في الدنيا دار كفر أن الهجرة تنقطع لاقطاع موجبها . وأطلق ابن التين ان الهجرة من مكة الى المدينة كانت واجبة وان من أقام بمكة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى المدينة بغير عذر كان كافرا . قال الخافظ وهو إطلاق مردود . وقال ابن العربي الهجرة هي الخروج من دار الحرب الى دار الاسلام وكانت فرضا في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم واستمرت بعده لمن خاف على نفسه والتي انقطعت أصلا هي القصد الى حيث كان . وقد حكى في البحر ان الهجرة عن دار الكفر واجبة اجماعا حيث حمل على معصية فعل أو ترك أو طلبها الامام بقرته لسلطانه وقد ذهب جعفر بن مبشر وبعض الهادية الى وجوب الهجرة عن دار الفسق قياسا على دار الكفر وهو قياس مع الفارق والحق عدم وجوبها من دار الفسق لانها دار اسلام والحاق دار الاسلام بدار الكفر بمجرد وقوع المعاصي فيها على وجه الظهور ليس بمناسب لعلم الرواية ولعلم الدراية ولتفاهة في تفاصيل الدور والأعداء المسوغة لترك الهجرة مباحث ليس هذا محل بسطها . اه

ما أورده الشوكاني وهو زبدة . اقبل في شرح الاحاديث من علمائه
أقول انك تجدم قد اختلفوا في كل وجه من وجوه المسألة الا اثنين احدهما
عدم التمكن من اقامة الدين بالفتنة وهي حمل المسلم على الكفر أو مخالفة دينه في
فصل أو ترك أو بالجهل ، وثانيهما الجهاد الديني أي المتعلق بحماية دعوة الاسلام وأمن
أهله على دينهم وحققتهم ففي هاتين الحالتين يجب الهجرة بلاخلاف . أي على من
عجز عن إقامة دينه سواء كان واحداً أو جماعاً وعلى من احتيج إلى جهاده وكان قومه مما يبرز
المسلمين ويفيدهم في الدفاع المطلوب شرعاً . فإما هذا الوجه فن البين الظاهر انه لا يتحقق
في أهل بوسنة الآن كما تقدم وما أظن ان الوجه الأول متحقق فيهم أيضاً وهم اعلم بأنفسهم
ويدخل في باب الوجه الأول الهجرة إلى طلب العلم الواجب عند الحاجة إلى
ذلك فان لم يهاجر من يتعلم ويهود يعلم أم جميع المسلمين الذين قدوا هذا العلم في
وطنهم . وكذلك الهجرة من المكان الذي فشا فيه الفسق والمجاهرة بالمنكرات
وصارت التربية على التقوى والصلاح متعذرة فيه . وقد روى ابن وهب عن مالك أنه قال :
تهجر الأرض التي يصنع فيها المنكر جهاراً ولا يستقر فيها . واحتج بصنيع ابي الدرداء
في خروجه من أرض معاوية حين أعلن بالربا فأجاز بيع سقايه الذهب بأكثر من
وزنها ، رواه أهل الصحيح . وقال مالك في موضع آخر اذا ظهر الباطل على الحق
كان الفساد في الأرض . وقال لا تنبغي الإقامة في أرض يكون العمل فيها بغير الحق . اهـ
أقول وإنما يكون هذا من الأفراد الذين يتعذر عليهم ازالة المنكر فان وجد جم
يقدر على ازالة المنكر وجب ذلك عليه دون الهجرة
ومن قال انه لا يظهر له دخول هذا في الوجه الأول قلنا لك ان تصده
وجهاً آخر وهو ظاهر . ولا حاجة إلى قياس الفسق على الكفر ليصح ما ذكر من الهجرة
من حيث يفسد الفسق ويتعذر الصلاح أو يتعسر إلى حيث الصلاح والخير
وجملة القول ان المسلم يجب عليه ان يقوم بالحق والخير كما يرشده دينه فان عجز عن
ذلك في بلاد وجب ان يهاجر منها إلى حيث يقدر عليه والا كان ظالماً لنفسه وقيل
له يوم الحساب اذا اعتذر باستضعاف الكفار او الفساق له ومنعه من العمل بدينه ألم
تكن أرض الله واسعة قتهاجر فيها ؟

اما ما زعمه ذلك الواعظ التركي من عدم صحة النكاح وأركان الاسلام في بوسنه بعد إلحاقها بالنمسا فهو باطل ، لا يصدر مثله الا من جاهل ، ولولا إباحة ما حرم الله على المسلمين من التقليد لما كان لهذا الجاهل من سبيل لتشكيك أولئك المسلمين الذين سمعوا وعظه في عبادتهم وعقود زوجاتهم اذ الوعظ ببيان كتاب الله وسنة رسوله لا يأتي فيه شيء من هذه المزاعم والأباطيل . فتي تستنير بصائر جاهل المسلمين ويعتصمون بحبل الله حتى اذا حاول ان يعثب بدينهم عابث طالبه بما عنده من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فاذا جاءهم بهديها قبلوه ، والاردوا ما جاء به ورفضوه ؟؟

لا فرق في العبادة والنكاح بين المسلم في دار الكفر والمسلم في دار الاسلام وإنما هنالك احكام تتعلق بالمعاملات السياسية والمدنية والحرية وأدخل بعضهم في السياسة صلاة الجمعة ، ومن البديهي ان الهجرة لم تكن حتما لازما في زمن كثر من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لنصره والاختذ عنه ولما كان من اشتداد المشركين في ايداء المسلمين قبل فتح مكة ومع ذلك لم يرد في السنة من التشديد على من لم يهاجر شيء مما زعم هذا الواعظ الجاهل فقد روى أحمد ومسلم وأصحاب السنن وغيرهم من حديث بريدة انه قال قال رسول الله (ص) « اذا قمت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال — أو خلال — فإيتهم ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم . ادعهم الى الاسلام فان أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين وأخبرهم انهم ان فعلوا قلم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فان أبوا ان يتحولوا منها فأخبرهم انهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنمة والفيء شيء الا ان يجاهدوا مع المسلمين ، فان هم أبوا فسلمهم الجزية فانهم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، الخ » واما ما قالوه في دار الكفر ودار الاسلام فلا حاجة الى بسطه هنا وقد سبق لنا بحث فيه من قبل فليراجعه من شاء

﴿ خطبة جمعة في سوء حال المسلمين في هذا الزمان ﴾

(س ٢٦) من م ١٠ ص في سنننا فور

سنننا فوراً في ٧ جاد الاول ٣٢٧

حضرة العلامة الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار النيرة بمصر قد اتى على المسلمين بهذه الاصقاع حين من الدهر وهم لا يسمعون الخطبة في مساجدهم غير خطب ابن نباتة او نحوها فتعودوا سماع فضائل الشهور و بيان قرب الساعة والحث على ترك الدنيا الى غير ذلك ولما كان الزمان في قلب دائم حصلت الفرصة في الجمعة الماضية للفيور الاديب الشاب المحبوب عباس بن محمد طه فأنشأ خطبة تناسب الأحوال الحاضرة بهذه الجهات تمام المناسبة ثم رقي المنبر بالجامع الكبير المسمى (مسجد سلطان) فخطب خطبة تؤثر في نفوس الفيورين وان خطيب المسجد لم يخطب في ذلك اليوم نظراً لما كان عليه من العذر ثم طفق الجامدون بعد فراغ الصلاة يشيعون ان الخطبة لا تليق ان تكون خطبة للجمعة لان فيها تكفير المسلمين وذمهم ومدح الكفار مع ان خطبة الجمعة دينية محضة وما في هذه الخطبة من أمور الدنيا وتوبيخ احوال المسلمين ورفع شأن الكافرين محل لنظر الدين ولذلك قال هؤلاء انهم لا يريدون ان يصلوا الجمعة في هذا الجامع اذا اعيدت تلك الخطبة حتى بالغ بعض الناس في سب ذلك الخطيب وسمت ذلك انا والشيخ عبد القادر وغيره فقلنا ان كره المنفيين هذه الخطبة قد بلغ الغاية وانا قد اطلقنا على الخطبة عند بعض معارفنا نقلت منها عدة نسخ نسخة منها لتقدمها الى مجلتكم النيرة وهذه هي الخطبة :

الحمد لله الذي جعل الجمعة من اسباب الاجتماع . قرأ فيه المواعظ لتمزق غشاء الاسماع . فتأثر منها القلوب والطباع . وتفتح بذلك ابواب الخير والانتفاع . احمده سبحانه وتعالى على جزيل الفضل والاحسان . واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له المنان . واشهد ان سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بالبيان . اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه في كل وقت وأوان . أما بعد فياعباد الله: ان

ما حل بنا من ضعف وهوان . وفساد في الاعمال وخسران . من سوء تربية في الصغر تولد منه في الكبر فساد وطفنان . وتهاون بالصلاة وتجاهر بالمصيان وموت شعور عند سماع أوامر ونواهي القرآن . وكثرت الخرافات والاهام . ادخلها الجاهلون وصبغوها بصبغة دين الاسلام . ومعظم أهل زماننا هذا هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان . والمصيبة في الاعمال والاديان . اعظم منها في الاموال والابدان . ونحن نعلم كل ذلك علم اليقين . وأهلنا شمائر الدين . فوقنا في شدائد متراكة . ونظرت الينا الاجانب نظر تحقير وملامه . وان التباعد عن الاهتداء بهدي الشرع الكريم . وعدم التمسك بهروة الدين القويم . قد أدى بنا ذلك الى الاهمال . والأنحطاط وشر الآمال وديننا يأمر بالتعاون والاتفاق . ونحن نسعى الى التنافر والافتراق . حتى ذهبت اعمالنا ادراج الرياح . وضاعت اوقاتنا بين الجدل والمزاح . ولا تقدر على القيام بجهام الاعمال ولا على مثابة الاشغال . فآلت امورنا الى اسوء الحال . وخابت الآمال . واننا لو اتحدت كلمتنا . وصرفنا حزبا متعاوننا . ساعيا في مصالح امورنا . في ديننا ودنيانا . لكان اكبر الاعمال هيتنا . ونجح نجاحا مينا ، واذا نظرنا الى حال الامة الغربية ، ذات السعادة والرفاهية ، وجدنا انها تدرجت على اصول الاسلام ، وبذلت الجهد في التعاون والائحاد والالتنام ، كان اكبر المشروعات عندها من اسهل الممكنات ، وان كان عندنا يمد الناس نجاحه من المستحيلات ، وهم يقفون الشركات ، ويفشئون الجمعيات ، ليمود ذلك على ابناء ملتهم بالنعم والفضائل ، ونحن ننشئ الجمعيات للتلوث بادران الخمول والردائل ، ويمود ذلك علينا بضعف الديانة ، وتضييم الصيانة ، كانت المواعظ عندهم داعية الى التقدم السريع ، وعندنا قد صارت سلما الى تأخرنا الشنيع ، فياذوي الابصار ، اين التبصر والاعتبار ، وما هذه الففلة والافترار ، فليت شعري ما اعتذاركم بعد الانذار ، اما علمتم ان الله لم يخلق الدنيا عبثا ، بل جعلها دار سعي واختبار ، يعقبا بدار جزاء وقرار ، وجعل لنا المقول لتمييزها بين النعم والاضرار ، وامرنا بفعل الخيرات ونهانا عن الاوزار ، ومن اطاعه ادخله الجنة ومن عصاه ادخله النار ، وليس لنا عليه بعد ذلك حجة ولا اعتذار ، عباد الله تعاونوا واتقوا ، واعتصموا بحبل

الله جميعا ولا تفرقوا ، (الحديث) قال (ص) اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا
واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا ، الى آخر الخطبة ،

وما دعاني الى افادتكم بهذه الواقعة الا لنصرة الحق وحضرتكم أهل لذلك
(المنار) وجاءنا سؤال آخر عن خطبة هناك الظاهر انها هذه بعينها وهذا نصه

سنغافورا ١٣ جماد الاول (٤) سنة ١٣٢٧

(س ٢٧) من س . ح . س .

حضرة العلامة الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار بمصر

لا يخفى ان من طبيعة الانسان حب الفخر والشهرة ويوجه كل قوته الى الوصول
اليه بأي وجه كان ولا يجول بخاطرهم انه امام الملا من الاكابر كالذبابة لولا ذلك
لما تجرأ بعض الناس على تلاعب بعض أمور العبادة فقلب الخطبة على غير وجهتها
التي شرعت لاجلها فخطب على منبر اكبر الجوامع هنا خطبة تقشع من سماعها الابدان
يكفر فيها المسلمين ويهيج اعمالهم ويستحسن اعمال الكافرين وذلك بمسمع من العباد
والعلماء ظنا منه ان ذلك مما يوجب فخره ولا يدري ان الامر بالعكس وقد اقبى العلماء
بمنع ان تخطب خطبة الجمعة مثل تلك الخطبة ولذلك جئتم بهذه الرقعة سائلا عن
رأيكم الصائب في ذلك

(ج) ان المصريين ليصجون من استنكار بعض مسلمي سنغافوره لهذه الخطبة
التي يسمون كل جمعة في مساجدهم ما هو اشد منها انكارا لحال المسلمين وتركهم هداية
دينهم وإضاعتهم لصالح دنياهم وتقدم سائر الامم عليهم ، ومن ذلك عبارة يكررها في
الخطبة الثانية الشيخ خالد القشبندي خطيب مسجد الست الشامية المشهور بالصلاح
وحسن الخطبة وهي « اتقوا الله فقد تقدم الاجانب وتأخرنا ، اتقوا الله فقد نشطوا
وكسلنا » الخ وهو نحو مما قاله خطيب سنغافوره فلماذا استنكر هناك ولم يستنكر هنا ؟ لا سبب
لذلك الا أن العلماء والعوام هنا اعلم من هناك بالاسلام والمسلمين وما يحتاجون اليه
وهذه هي الخطب التي يسمونها هنا الخطب المصرية ويرجون فائدتها ونفعها

وينتقدون الخطب القديعة التي معظمها مدح للشهور والمواسم الباطل وذم للدنيا وتزهد فيها على ان تلك الخطب القديعة المشهورة في جميع البلاد الاسلامية لا تخلو من وصف المسلمين بترك الاسلام وإضاعة الكتاب والسنة والفساد بالمعاصي والمنكرات ونهايك تلك العبارة المشهورة التي حفظناها من الخطباء لأول عهدنا بالصلاة في صغرنا وهي « لم يبق من الاسلام الا اسمه، ولا من القرآن الا رسمه » ومهما أكثر المكثرون من الانكار على المسلمين ووصفهم بإضاعة الدين فهم لا يأتون بأبلغ من هذه العبارة ولا يكونون الا شارحين لها

إذا ينتظر السائلون عن هذه الخطبة من المنار وهو الذي نبه منذ سنته الأولى الى وجوب إصلاح الخطابة في المساجد الجامعة وترك تلك الخطب المحشوة بالباطل الميتة لهم، وقد كتبت قبل إنشاء المنار فصلاطويلا في الخطابة أودعته كتابي « الحكمة الشرعية » فهل ينتظرون مني أن أجزئ تلك الخطب السخيفة المألوفة وما فيها من الاحاديث الموضوعية وأنكر ما يجي به أذكاء الخطباء من المنبهات التي تزلزل ذلك الجود القديم؟ يظهر ان أنكر ما استنكروه من هذه الخطبة هو اقتباس الخطيب قوله تعالى « هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان » يريد ان الذين تلبسوا بتلك المنكرات التي نهى عنها هم يوم إذا دخلت عليهم الخرافات والاهام وتلبسوا بها أقرب الى الكفر منهم الى الإيمان . وليس هذا تكفيرا صريحا ولا هو في قوم معينين بذواتهم وانما هو في قوم يأتون ما نهى عنه الاسلام ويتركون ما أمر به فإذا يريدون ان يقول الواعظ فيهم اخرج ابن ابي شيبة في المصنف عن عبد العزيز بن ابي داود وابن ابي حاتم عن مقاتل ان الصحابة اخذوا في شيء من المزاح فانزل الله تعالى فيهم (١٦:٥٧) ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) ومن المعروف عند أهل القرآن ان الفسق والظلم والكفر كثيرا ما ترد فيه على مورد واحد كما بيناه في تفسير « ٢: ٢٥٤ » والكافرون هم الظالمون « وروى مسلم والنسائي وابن ماجه وغيرهم عن ابن مسعود قال : ما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الآية « ألم يأن » الخ الا اربع سنين . وعنه قال لما نزلت هذه الآية اقبل بعضنا

على بعض : أي شيء أحدثنا أي شيء أضنا؟ فإذا كان رب العزة يعظ أفضل المؤمنين من السابقين الأولين بمثل هذه الآية فهل يستنكرني مسلمي زماننا مثل تلك الخطبة؟ ما هذا الفرور الذي أصابنا؟ نسي ونطلب الشكر على إساءتنا أوليراجع السائلون تفسير (٢: ٢١٤) أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) في الجزء الثاني من تفسير القرآن الحكيم (ص ٣٠٢-٣١١) ولينظروا ما هي النسبة بين أولئك المخاطبين بالآية عند نزولها وبين أهل عصرنا هذا وهم مخاطبون بها أيضا. ومثلها كثير ننبه دائما في التفسير عليه ونحث مسلمي زماننا على وزن انفسهم بميزان القرآن ثم سيرة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة اصحابه عليهم الرضوان. ولو شئنا ان نعرض ذلك بالأحاديث والآثار لفتحنا ولكن المصنف يكتفي بما ذكرناه، والمفرور أو صاحب الهوى لا يقنعه شيء يخالف هواه، أما اذا كان السائل الثاني يعني بما ذكره خطبة غير التي أرسلها السائل الأول منهما وفيها تكفير للمسلمين صريح وتحسين لأعمال الكفار التي هي من كفرهم فلا مندوحة لنا عن إنكار ذلك بشدة. أما الأعمال التي ليست من كفرهم فمنها الحسن والقبیح قال تعالى في اليهود (٥ : ٦٦) منهم أمة مقتصدّة وكثير منهم ساء ما يعملون)

* * *

﴿ أم كلثوم بنت النبي (ص) ﴾

(س ٢٨) من خليل رشدي افندي ملخص التليذ بمكتب نابلس الاعدادي

الحمد لله وحده

حضرة الفيلسوف العظيم والأستاذ الحكيم الامام العلامة بحر فهامه سيدي
المرشد السيد محمد رشيد رضا منشي مجلة (المنار) الاسلامي نور الله قلبه وأدام
مجدده على مدى الدوران آمين

بعد اهداء ما يليق بحضرتكم من التحيات الزاكية أعرض لجنايبكم بأن تتكرموا
على هذا العاجز بنشر سوالي الآتي على صفحات مجلتكم « المنار » الأغر وسرد
جوابه بما يترأى لكم ولحضرة فضيلتكم الشكر والمنة سلفا :

لا يخفى على جنابكم أحوال تلامذة المدارس من جهة المباحثة مع بعضهم البعض ،
فيوم من الايام اجتمعت أنا وبعض رفقائي للمباحثة وصرنا نتباحث الى ان وصل بحثنا
عن السؤال الآتي :

(١) ما هو أصل اسم بنت النبي (ص) الملقبه به (أم كلثوم)

(٢) لأي سبب لقبت به (أم كلثوم)

وطال بنا الجدل في هذا الموضوع واتسمت أفكارنا الى آراء كثيرة وحيث
انه لم نوفق لمعرفة السؤالين المرقومين أعلاه قربنا القرار بالتفسير من فضيلتكم
واخذ رأيكم في هذا الموضوع فكلفوا هذا العاجز بالسؤال من جنابكم
ولأجل ذلك حررت لفضيلتكم هذا التحرير راجيا لإرشادنا في هذا البحث والله
الملمم الى الحق والصواب ولكم الأجر والثواب والسلام على من اتبع الهدى ودين
الحق ودمتم

(ج) لأدري كيف وجدتم ذلك المجال الواسع للخلاف واتقسام الأفكار في هذه
المسألة وهي لا تتحمل عندنا خلافا فالعرب كانت تسمي أيمن وأم أيمن وسلمة وأم سلمة
 والمعروف أن بنت النبي صلى الله عليه وسلم سميت أم كلثوم ابتداء ولم يكن كنية
كفيت بها بعد ان سميت باسم آخر وفي الصحايات كثيرات سمين بهذا الاسم .
وكلثوم من الكلثمة وهي استدارة الوجه

* * *

﴿ عهد (موضوع) زعموا انه من النبي (ص) للنصاري ﴾

(س ٢٩) من احد العلماء في حمص

ان مجلة (روضة المعارف) التي تصدر في بيروت أدرجت في عددها الثالث
عشر من هذه السنة صورة عهد للنبي صلى الله عليه وسلم تزعم أنه أملاه على سيدنا
معاوية رضي الله عنه لأهل الذمة ولدى البحث في كتب الحديث والسير والتاريخ
ما وجدت هذا العهد بهذا اللفظ الطويل الذي نقلته هذه المجلة ونقلته عنها جريدة
لسان الحال فأرجوك ايها الفاضل ان تفيدني عن درجة هذا العهد من الصحة والحسن

وعمن خرجه منه المحدثين وفي أي كتاب هو وهل هذا اللفظ المنقول كله مروية محفوظ عن أئمة هذا الشأن الموثوق بهم الذين يعول على نقلهم فيكون حجة في العمل لقد رأيت في هذا العهد طولا كبيرا وألفاظا لا تشبه ألفاظ صاحب الرسالة في عهده ورأيت بعض الصحابة المدرجة اسمائهم بصفة شهود كان قد مات قبل هذا التاريخ وبعضهم لم يكن اسلم فأرجو إيضاح الجواب على كل جملة ليكون الانسان على بصيرة لا زلت مرجعا لحل الاشكالات وتحقيق المسائل وليكن الجواب على صفحات مجلتكم ليطلع عليه القراء الكرام

(ج) قد اطلعنا في مجلة روضة المعارف على هذا العهد الملقق الموضوع فساءنا اندفاع قوماننا في تيار المجاملة الى هذا الحد الذي يتهجم فيه على نشر هذه الأكاذيب الموضوعية على النبي (ص) على حين نحن في غنى عنها بما عندنا من الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة وسيرة السلف المعروفة

ان هذا العهد المكذوب لم يروه أحد من المحدثين ولا يحتاج من له ادنى شمة من علوم الدين الى اطلاع واسع ليعرف انه مصنوع موضوع فذلك واضح من عبارته في أغلاطها واسلوبه في ركاكته ومافيه من الاصطلاحات الحادثة ومن المبالغة والتكرار ومن مسائله التي توهم ان الاسلام وجد في الارض لأجل تعزيز النصرانية وخدمة أهلها والدفاع عنهم والخضوع والذل لهم وإعانتهم على المعاصي والجنايات اذا ارتكبوها فان مما جاء فيه « وان جراحا من النصارى جريرة اوجني جناية فعلى المسلمين نصره ومنعه (أي حمايته) والذب عنه والغرم عن جريرته » فهل يعقل من شم رائحة الاسلام ان النبي الذي يقول كما في صحيح البخاري « لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » يأخذ العهد على أمته بأن ينصروا مرتكبي الجرائم والجنايات من النصارى ويحموهم ويدفعوا عنهم ؟ وهل يتفق هذا مع قوله تعالى في الآية التي أذن فيها للمسلمين بالجهاد والدفاع عن أنفسهم « ١٠: ٢٢ الذين ان مكاهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامنوا بالمعروف ونهوا عن المنكر »

وفي هذا العهد كثير من امثال هذه المسائل الباطلة بالاجماع التي لا يليقها الاسلام لأحد بل يعد استباحتها كفرا وردة عن الاسلام

اما ما يدل على كذب هذا العهد مما يتوقف العلم به على الإلمام بالتاريخ فربما
 يعذر ناشروه بجهلهم له ولكنهم لا يحدرون بجهل المسائل المألوفة من الدين بالضرورة
 ثم ان هنا مسألة تاريخية تكاد تكون معروفة عند العامة وقد جهلها ناشرو هذا العهد
 وهي مسألة التاريخ بالهجرة فيه « كتبه معاوية بن ابي سفيان بإملاء رسول الله يوم
 الاثنين في ختام أربعة أشهر من السنة الرابعة من الهجرة بالمدينة » فمن المشهور أن
 هذا التاريخ قد حدث في خلافة عمر بن الخطاب بمشاورة الصحابة (رض) ولم يفظه
 النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا أبو بكر (رض) وما ذكر مختلق العهد هذا التاريخ
 الا ليظهر كذبه علم التاريخ فالروى في صحيح البخاري ان معاوية اسلم في عام الفتح
 أي في السنة التاسعة للهجرة فكيف كان يكتب للنبي في السنة الرابعة، ثم ان ختام
 الشهر الرابع للهجرة وهو شهر جمادى الآخرة لم يكن يوم الاثنين وانما كان يوم الجمعة .
 وذلك ان الهجرة كانت في شهر ربيع الأول ولما اراد الصحابة في عهد عمر التاريخ
 بالهجرة جعلوه من أول السنة القمرية التي حدثت فيها فكان في ذلك زيادة شهرين
 كما هو مشهور . ثم انه اكثر من الشهود ليظهر كذبه أيضا وهالك البيان بالايجاز
 في ذكر هؤلاء الشهود أربعة أنواع الغلط احدها واهونها الاسماء المحرفة والمصحفة
 كالفضيل بن العباس صوابه الفضل وحسن بن ثابت صوابه حسان وابو درداء صوابه
 الدرداء ويزيد بن ثابت صوابه يزيد . والثاني من لم يكن اسلم كماوية . والثالث من
 كان قدماء او استشهد كحمزة . والرابع من لا وجود لهم في الصحابة كداود بن
 جبير والعاصي ابو حنيفة واساف بن يزيد وكعب بن كعب . ولو استقصينا كل
 ما في هذا العهد المكذوب من الخطأ لأفضي بنا ذلك الى تطويل نحن في غنى
 عنه بهذا القول الوجيز

● ● ●
 ﴿ رسم المصحف ﴾

(س ٢٨) من صاحب الامضاء في قران (روسيا) في ٦ جمادى الآخرة

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الاستاذ الفاضل السيد رشيد رضا حفظه الله وتمتصنا وسائر المسلمين بعلومه الشريفة

اما بعد فان من المسائل التي تدور بيننا الآن مسألة رسم المصاحف المطبوعة في بلدة قزان ، حيث ان العلماء صرحوا بأن رسم المصاحف يجب فيه الاتباع لرسم المصاحف التي كتبت بامر سيدنا عثمان رضي الله عنه وفي رسم المصاحف القزانية مخالفة كثيرة لرسم تلك المصاحف فتشكلت قزان لجنة من العلماء والقراء لتفتيش رسم هذه المصاحف ونصوص العلماء فيه وتكلموا في وجوب الاتباع وعدمه فذهب كثير منهم الى انه ينبغي اتباع رسم المصاحف العثمانية وان الرسم سنة متبعة ، على ما نص عليه ابو عمرو الداني والشاطبي والجزري والسيوطي والزنجشيري وغيرهم . وبعضهم قالوا انه لا يجب اتباع الرسم محتجين بقول شيخ الاسلام العز بن عبد السلام حيث قال « اما الآن فلا يجوز كتابة المصاحف على المرسوم الاول خشية الالتباس ولثلا يوقع في تغيير من الجهال » ويحيب الفريق الاول عن هذا بان المواضيع التي يتوهم فيها الالتباس يمكن التخلص منها بالنقط والاشكال . ثم قتشوا المصاحف المطبوعة في الديار الاسلامية من الاستانة ومصر وهند وغيرها فوجدوا فيها ايضا مخالفة كثيرة لرسم المصاحف العثمانية ، فما ندري ما سبب عدم اعتنائهم في هذا الباب ؟ أهملوا في رسم كتابنا المقدس ، ام لا يقولون بلزوم الاتباع ، واذا كان الاتباع واجبا كما يقول به اكثر الائمة فما ينبغي ان نصنع لقرأ برواية حفص المروفة في بلادنا في مثل كلمة « آتان » في سورة النمل آية ٣٦ فانه كتب في مصاحف سيدنا عثمان رضي الله عنه كلها بغير ياء بعد النون والحال ان حفصا يقرأه آتاني ياء مفتوحة بعد النون فكيف يكون زيادة ياء بعد النون في مثل هذه المواضيع تخلصا من الالتباس والتلفيق في القراءة . وهل يجوز مخالفة الرسم لاجل الضرورة في مثل تلك الضرورة وما نصنع في الكلمات التي حذف فيها الالفات في بعض المصاحف المطبوعة والمكتوبة القديمة مثل كلمة الاعلام والاحلام والاقلام والازلام والاولاد ، وتلك الكلمات كتبت في بعض المصاحف « الا علم والاحلم والاقلم » بحذف الالف بعد اللام والحال ان قاعدة الخط العربي تقتضي اثبات الالف في مثلها : وليس فيها نص صريح من علماء الرسم في حق الحذف أو الاثبات . هل ينبغي فيها اتباع قاعدة رسم الخط العربي واثبات الالفات ام قول « انهم كانوا يعتبرون الظهور وعدم الالتباس ولهذا كانوا

يحذفون الالفات فيماظهر المراد(منه)مثل الكلمات المذكورة» فحذف الالفات فيهن .
 ورسوم المصاحف المطبوعة هنا ليس على نسق واحد ، في بعضها تلك الكلمات
 مكتوبة بالالفات بعد اللام وفي بعضها يحذف الالفات . وان المصحف الذي يحفظ
 في بلدة ترسبورغ عاصمة الروسية في المكتبة الامبراطورية و يظن كونه واحدا من
 مصاحف سيدنا عثمان رضي الله عنه قد حذف فيه الالفات في مثل هذه المواضع .
 والعلامة شهاب الدين المرجاني القزاني الذي افنى عمره في خدمة العلم وصنف كتابا
 مفيدا في رسم المصحف وكان مأمورا بتصحيح المصاحف المطبوعة من جهة الحكومة
 قد حذف الالفات قصدا في مثل هذه الكلمات ولزيادة الاطمئنان ولكون
 المسألة عامة مهمة ومتعلقة بمهوم اهل الاسلام اتفقنا على المراجعة الى(؟)جنابكم المحترم
 بالاستفسار في تلك المسئلة رجاء ان تفضوا بابداء ملاحظاتكم العالية في صفحات
 المنار . والسلام والاكرام

رئيس اللجنة المشكلة لتفتيش رسم المصاحف المطبوعة ببلدة قران
 ملا صادق الايماقولى القزاني

(ج) ان ديننا يمتاز على جميع الأديان بحفظ أصله منذ الصدر الأول فالذين
 تلقوا القرآن عن من جاء به من عند الله(ص)حفظوه وكتبوه وتلقاه عنهم الالوف من
 المؤمنين وتسلسل ذلك جيلاً بعد جيل . وقد أحسن التابعون وتابعهم وأئمة العلم
 في اتباع الصحابة في رسم المصحف وعدم تجويز كتابته بما استحدث الناس من فن الرسم
 وان كان أرقى مما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم لأنه صنعة ترقي بارتقاء المدنية
 إذ لو فعلوا لجاز أن يحدث اشتباه في بعض الكلمات باختلاف رسمها وجعل أصلها .
 فالاتباع في رسم المصحف يفيد مزيدة واطمئنان في حفظه كما هو وبمد الشبهات ان
 تحوم حوله ، وفيه فائدة أخرى وهي حفظ شيء من تاريخ الملة وسلف الامة كما هو
 نعم ان تغير الرسم واختلاف الإملاء يجعل قراءة المصحف على وجه الصواب
 خاصة بمن يتلقاه عن القراء ولذلك أحدثوا فيه القبط والشكل وهي زيادة لا تمنع
 معرفة الاصل على ما كان عليه في عهد الصحابة . ثم إنه يجعل تطيم الصغار عمرا

ولذلك اتقى الامام مالك بجواز كتابة الألواح ومصاحف التعليم بالرسم المتداد كما نقل :
قال علم الدين السخاوي في شرحه لعقيلة الشاطبي قال أشهب رحمه الله سئل
مالك رضي الله عنه أرأيت من استكتبته مصحفا ترى أن يكتب على ما أحدث
الناس من الهجاء اليوم؟ فقال لا أرى ذلك ولكن يكتب على الكتابة الأولى . قال
مالك ولا يزال الانسان يسأني عن نقط القرآن فأقول له أما الامام من المصاحف
فلا أرى أن ينقط ولا يزداد في المصاحف ما لم يكن فيها وأما المصاحف الصغار التي
يتعلم فيها الصبيان والأولاد فلا أرى بذلك بأسا . ثم قال « أشهب » والذي ذهب
اليه مالك هو الحق اذ فيه بقاء الحال الأولى الى أن يعلمها الآخرون وفي خلاف ذلك
تجهيل للناس بأوليتهم . وقال أبو عمر الداني (في كتابه المسمى المحكم في النقط) عقيب
قول مالك هذا ولا يخالف لمالك في ذلك من علماء الأمة اهـ

فانني أراه هو الصواب أن تطبع المصاحف التي تتخذ لأجل التلاوة برسم
المصحف الامام الذي كتبه الصحابة عليهم الرضوان حفظا لهذا الأثر التاريخي العظيم الذي
هو أصل ديننا كما هو لكن مع النقط والشكل للضبط . ولو كان مثل الأمة الانكليزية هذا
الأثر لما استبدلت به ملك كسرى وقيصر ولا أسطول الالمان الجديد الذي هو شظايا
الشاغل اليوم . واما الألواح والأجزاء وكذا المصاحف التي تطبع لأجل تعليم الصغار بها
في الكتاتيب فتطبع بالرسم المصطلح عليه اليوم من كل وجه تسهيلات للتعليم ومتى كبر الصغير
وكان متعلما للقرآن بالرسم المشهور لا يفلط إذا هو قرأ في المصاحف المطبوعة برسم الصحابة
مع زيادة النقط والشكل . وكذلك يكتب القرآن في اثناء كتب التفسير وغيرها
بالرسم الاصطلاحي ليقراء كل أحد على وجه الصواب . وبهذا انجمع بين حفظ أهم شيء
في تاريخ ديننا وبين تسهيل التعليم وعدم اشتباه القارئين

اما ما احتج به العز بن عبد السلام على رأيه فليس بشيء لأن الاتباع إذا لم
يكن واجبا من الاصل فلا فرق بين الآن الذي قال فيه ما قال وبين ما قبله وما
بعده بل يكتب الناس القرآن في كل زمن بما يتعارفون عليه من الرسم وإذا كان
واجبا في الاصل وهو ما لا ينكره قترك الناس له لا يجعله حراما أو غير جائز لما ذكره
من الاتباس بل يزال هذا الاتباس على انه لا يسلم له

وأما ما طبعه المسلمون من المصاحف في الأستانة وقزاق ومصر وغيرها من البلاد غير متبعين فيه رسم المصحف الإمام في كل الكلمات فسيبهاون والجليل والاعتماد على بعض المصاحف الخطية التي كتبت قبل عهد الطباعة فرسم فيها بالرسم المعتاد الكلمات التي يظن انه يقع الاشتباه فيها إذا هم كتبوها كما كتبها الصحابة كلفظ «الكتاب» بالألف بعد التاء وهو في المصحف الإمام بغير ألف ليوافق في بعض الآيات قراءة الجمع فكتبوه بالألف . ولم أرمصها كتب أو طبع كله بالرسم المعتاد ونحمد الله تعالى ان وفق بعض الناس الى طبع ألف من المصاحف برسم الصحابة المتبع وأحسن المصاحف التي طبعت في أيامنا هذه ضبطاً ومواءمة للمصحف الإمام المتبع هو المصحف المطبوع في مطبعة محمد أبي زيد بمصر سنة ١٣٠٨ إذ وقف على تصحيحه وضبطه الشيخ رضوان بن محمد الخلالاني أحد علماء هذا الشأن وصاحب المصنفات فيه . وقد وضع له مقدمة بين فيها ما يحتاج اليه في ذلك . فالذي أراه انه ينبغي للجنة القزاقية ان تراجع هذا المصحف فانها تجد فيه حل عقدة المشكلات كلها ان شاء الله تعالى ككلمة الاقلام وأمثالها وهي بغير ألف وكلمته «اتاني» التي رسمت في المصحف الامام «آن» فيرون ان هذا المصحف وضع فوق النون ياء صغيرة مفتوحة هي من قبيل الشكل لتوافق قراءة حفص فهي فيه هكذا «اتني» وجملة القول إننا نرى أن الصواب الذي ينبغي ان يتبع ولا يبدل عنه هو أن تطبع الاجزاء والمصاحف التي يعلم فيها المبتدئون بالرسم الاصطلاحي لتسهيل التعليم وهو ما جرت عليه الجمعية الخيرية الاسلامية هنا باذن الاستاذ الامام رحمه الله تعالى فهي تطبع اجزاء القرآن كل جزء على حدة بالرسم الاصطلاحي وتوزعها على التلاميذ في مدارسها . واما سائر المصاحف فيتبع في طبعا رسم المصحف الامام كالمصحف الذي ذكرناه آنفاً . واذ اجري المسلمون على هذا في الأستانة ومصر وقزاق والقريم وسائر البلاد الاسلامية فلا يمضي جيل أو جيلان الا وتقرض المصاحف التي طبع بعض كلماتها بالرسم الاصطلاحي وبمضاها برسم الصحابة . ولا ضرر من وجودها الآن اذ هي مضبوطة بالشكل كغيرها فالاشتباه والخطأ مأموران في جميع المصاحف والله الحمد

بحث

﴿ في خطبة العقيلة المصرية « باحثة بالبادية » ﴾

نشرنا في الجزء الخامس هذه الخطبة ووعدنا بأن نين رأينا فيها في هذا الجزء وكنا نريد ان نطيل القول فيه فكثرت علينا المواد العارضة فسامتنا الاختصار فكان ما لا بد منه ان الخطبية تساهم بعبارتها وأفكارها كتاب الطبقة الثانية من الرجال بمصر ولكني رأيت عبارة مقالاتها النسائيات في الجريدة أصح من عبارة الخطبة فيظهر أنها لم تكن بتحرير الخطبة عنايتها بتحرير المقالات كما يفعل الذين يكتبون الخطب قبل إقائها ولا بد لذلك من سبب ينهض عندها

أودع في الخطبة من الحكم ، ما هو جدير بأن يحفظ ويضرب به المثل ، ولا تخلو من الملح والافا كيه التي تستملح في الخطب ، لما فيها من تجديد النشاط وذود الملل ، ولم أر فيها على طولها شيئاً تمثيت لولم يكتب — وان نطق به — الا كلمة واحدة في نساء الافرنج . ورأيت مسائلها المستمدة من الصحف ، اكثر من مسائلها المستمدة من الكتب ، فليت نساءنا يكثرن من قراءة الصحف فأنها دروس تكرر فتثبت مباحثها في الذهن

ينتقد بعض الناس من الخطبة كثرة المباحث النظرية والمسائل البديهية ككون الزوجين الذكور والانثى خلقا للموادة لا للمباغضة وكون العالم لا يعمر بدونهما ، وكونهما سواء في القوة والاستعداد أو متفاوتين ، وغير ذلك من المسائل الفلسفية والاجتماعية كمسألة تعليم احد الصنفين كل ما يتعلمه الآخر أو عدم تعليم البنات ، ومسألة خلق النساء للبيوت والعمل فيها والرجال لكسب المعاش ومسألة الحجاب ويرى هؤلاء المتقدون ان القسم الأول من الخطبة لو كان كالقسم الثاني في الأمور العملية الواقعة من العادات والمعاملات بين الرجال والنساء لكان خيرا وأنفع

وقول ان ماذ كرتة الخطيية من هذه المباحث نافع ولا بد منه وان كان بعضه خطأ في نظرنا و بعضه يملو أفهام كثيرات من حاضرات الخطبة ، وانما نفعه أنه يحرك اذهانهم وينبه أفكارهم فتخرج به عقول بعضهم من مضيق ليس فيه الا صور الزينة والاثاث والرياش الى فضاء واسع فيه كل شيء ، وفي فكرت الواحدة منهم في مسألة من تلك المسائل يكون لها فيها رأي خاص قد يخالف رأي الخطيية وقد يواقه وذلك ضرب من ضروب ترقية الفكر التي يطلبها الرجال المحبون لإصلاح الامة

نم ان القسم الآخر الذي يبحث فيه عن العادات والاخلاق والآداب التي هي مناط السعادة بين الصنفين هو أنفع وأولى بالنهاية وقد أجادت الخطيية وأفادت بما ألقته على المستمعات لها من النصائح والمباحث وذكرتهن بما يفضل عنه اكثرهن من أمر الصلة بينهما وبين الرجال وما يجب ان تكون عليه . ولكنه قلما يفيد الرجال فائدة جديدة لأنهم يعرفونه في الغالب لما سبق لكتابهم من الخوض فيه وهم ينتظرون ان يستفيدوا من كتابة المرأة في النساء اكثر مما يستفيدون من كتابة الرجال عنهن . وعسى أن تكثر الفوائد لكل منهما فيما تجود به الخطيية من الخطب والمقالات من بعد ، فان أول الفيث قطر ، وقليلها لا يقال له قليل

لقد قربت الخطيية مسافة التفاوت بين الرجال والنساء في العقل والفهم كما قربت مسافة التفاوت بين المرأة المصرية والمرأة الغربية . وما قاله أشبه بكلام السياسيين الذين يراعون المصلحة فقط منه بكلام الفلاسفة الذين يتحرون الحقيقة فقط أرادت أن ترفع من شأن صنفها في أنفسهن وأنفس الرجال وان ترغب رجال وطنها في الوطنيات وتفرهن عن الاجنبيات فجاءت من الخطايات في هذا المقام بما يناسبه ونرجو ان تهيد الكرة فتبحث في مسألة التفاوت بين الرجال والنساء فيما يتعلق بالبيوت والخطبة والزواج والحياة الزوجية بمحت المورخ الحكيم ، والاجتماعي الخبير ، وان تكون مستقلة في ذلك غير مقلدة لمن كتب من الرجال في هذه المسائل ولا مستمدة منهم شيئاً ، بل من البحث في العادات والاختبار للأحوال ، لعلها تستطيع ان ترشدهن الى ما يرقق حجاب جهلهم ، فيجعله كبراقع وجوههم ، فيصرن ما بين الرجال وبينهن ، مما يحول دون ما يجب من الألفة والود بينهم وبينهن

إذا كانت المشاكلة في الاخلاق والعادات ، والمساهمة في الأهواء والرغبات ، معياراً للمساواة بين النساء والرجال ، فلما ندوحتنا عن القول بمبدأ أن السواد الأعظم من أهل هذه البلاد لا يزال ذكراً منهم وانهم في مستوى واحد ولذلك يرضى جماهير الرجال بما يفتخره نساؤهم كل يوم من بدع التبرج والتبتهك ، فقد مسن الرجال وفنكت النساء ، فصار جمهور الفريقتين في المجانة سواء ، ولذلك نرى الزواج لا يزال كثيراً وإذا نظرنا في المسألة من وجه آخر نرى ان الرجال مهما فسدت أخلاقهم أدنى من النساء عقولاً وأفكاراً وأن المتعلمين والمهذبين منهم أكثر وانه يوجد عدد كبير ينمو عاماً بعد عام قد تغير رأيهم ووجدانهم في الزواج فهم يطلبون فيه حياة إنسانية عالية لا تحصل بمجرد دواعي النسل ومقدماته ولا بالنسل نفسه وهو الغاية الطبيعية الشرعية له وإنما هي عبارة عن حاسة رائدة على الحواس الخمس يدرك بها كل من الزوجين من الانس وسكون النفس وشعور الود والرحمة والاخلاص ما لم يكن يدرك حقيقة قبل الزواج وانما يشعر كل احد باضطراب في نفسه يصاحبه علم ضروري بانه لا يزول الا بالسكون الذي يكون بالزواج بعد احكام عقد الزوجية (كما بينا ذلك في مقالات الحياة الزوجية من المجلد الثامن) ولكن المرتقين يعرفون من أركان ذلك وشروطه ومن قيمته ما لا يعرفه من دونهم يعلم هؤلاء المرتقون في مراتب الانسانية ان تلك الحياة التي تلمسها فطرتهم لا تتال الا اذا اقترنوا بمن هن على مقربة منهم في الفهم والخلق ومعرفة قيمة الحياة الزوجية فهل يوجد كثيرات من هذا الطراز في نساءنا ؟

ان الشاب من هؤلاء ليجت السنين الطوال عن فتاة مهذبة الاخلاق ، ذكية الفؤاد ، وان لم تكن ذات جمال بارع ، ولا رزق واسع ، بل منهم من يشترط عدم ذلك ثم هو لا يظفر بمطابه ، على ان المرضات (أي للخطبة والزواج) كثيرات في البيوت وفي الشوارع والأسواق ، وقد تعرف الفتاة هي وأهلها الخاطب فيرضون مقامه وعيشته ودينه وأخلاقه ثم يصددهم عن قبول خطبته عادة من اسخف العادات وإن كانوا يظنون انهم لا يكادون لا يجدون صهراً مثله ، ومنهم من يرد خطبته لأن الفتاة لا يعجبها زي ثيابه

ومن هؤلاء من تزوج بعد التحري الطويل في السنين الطوال فلم يكن في

زواجه الا شقيا. أعرف شابا من هؤلاء، رغب عن الزواج زمانا طويلا عرض له فيه بعض رؤسائه الاغنياء في الحكومة برغبتهم في مصاهرته فتجاهل ذلك وسمى في الخروج من دائرة رياستهم، تلججه من العمل فيها مع رد رغبتهم ثم تعاونت عليه الفطرة والعفة، فلم يربدا من طاعتها في طلب الزوجة، فكان من رأيه أن يقترب بفتاة متعلمة تكون دونه جمالا، ومثله أو دونه مالا، حتى لا يحجبها الا دلال عليه بجمالها ومالها عن معرفة قيمته، والنبطة بالاقتران به، وماذا كان، بمد الظفر بهذا القران

كان ان تلك الدمية عاملة بالصف والزهو، وحاولت استعباده طواها، وألحت في ذلك الحاحا، ولجت في عتو ونفور، حتى عيل صبره، ولم ينجع فيها وعظه ولا هجره، ولم يلق من أهلها الا نصرا لها عليه، ومفريا لها بسوء معاملته، واثمكم بصلاته وديانته، فأنشأ يستشيرني في طلاقها وانا اقول له (٢٧: ٣٣) اتق الله وامسك عليك زوجك. ١٩: ٤ فان كرهتموهن فسى ان تکرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) ثم طلقها ولو شاء ان لا يعطيها شيئا لفعل فانها رضيت بأن تبرئه من حقها ولكنه أعطي الحق وزيادة لست أحكم على المرأة وأهلها بقول أحد الخصمين فاني كنت واقفا على جميع وقائم القضية اذ كان الرجل يستشيرني في كل شيء فأمره بالحلم والصبر وحسن الخلق مع الثبات على مطالبه الشرعية كسر الرأس والصدر والساعدين والمضدين في حضرة غير المحارم من الاقارب الذين اعتادوا زيارتهم امثالا للشرع لا اتباعا للظنة. ولو شئت لذكرت غير هذه الواقعة من أمثالها

أليس عجيبا ان يبجل قدر أمثال هؤلاء الرجال مع حرص زوجاتهم على تحييب أنفسهن اليهم والاستعانة على ذلك بالعزائم والطلسمات، والبخور والتاجيس والتولات، وهم يقولون لمن، غير هذا أولى لكن، وأدنى الى حظوتكن، تبذلن بعض عنايتكن، في تدير أمر ميوتكن، لتكون العيشة فيها راضية، والحياة ممكنة هنيئة، واعلمن ان الخرافات التي يعبر عنها بالروحانيات، لا سلطان لها على نفوس العقلاء، فاستماتنا بها كاستماتنا بالاسراف في الزينة مما تجمعه أذواقنا، ونشتمز منه نفوسنا. وأنني لمن بفهم هذا الكلام وتصديقه، انهن لا يفهن منه الا انه احتقار لمن، وميل عنهن الى غيرهن، ليس الغرض من هذا إثبات كون الرجال كلهم مظلومين مع النساء كلا ان منهن

من لا ترى بطلها الا محمولا في السحر من حانات الأزبكية ومواخيرها الى بيتها فيلقى فيه كأنه ميت لا يبدي ولا يتحرك، الا ان يقول هجرا، أو يأتي نكرا، وانما الغرض منه يان ان المهذين لا يكادون يجدون مهابت يعرفن قيمتهم وان خيرا النساء عفة وأدبا ليفضلن في الغالب الحجان الفاسقين من الرجال لتصميم إياهن بالطرز والتطرس والتورن (١) على ان حفظن منهم بعد الزواج يكون في الا كتر دون حظ فواجب الاجنبيات والوطنيات لانهم في الغالب من الذواقين

ليس بين الرجال والنساء عندنا الآن خلاف كبير في مسألة توسعهن في العلوم ولا في مسألة مزاحمتن لهم في الاعمال فاذا كرهته الخطيبة في ذلك جاء قبل أوانه وانما ا كبر الخلاف في كون جمهور عظيم من المعلمين يطلبون حياة جديدة في البيوت فلا يجدونها لذلك قل الزوج في هذا الصنف وأ كثر المزوجون من أفرادها الأغنياء من استخدام الأوريات ولذلك يتزوج بعض المتفرنجين بهن حتى صار في مصر اختلا لان اجنبيات - كما قلت الخطيبة - أحدهما في المواقع العسكرية وثانيهما وهو أشأهما في البيوت قالت ان الرجال يخطئون في إناطة فساد النساء بالتعلم وحقهم ان ينيطوه بالتربية وقالت انه لاصلة بين التعليم والتربية الا في تعلم الدين . قد أحسنت في جعلها أمر التربية أهم من أمر التعليم ولكنها افتأت علينا بما نسبته الينا فاننا نشكو من فساد التربية ا كثر مما نشكو من فساد التعليم وقلته . وليس الانفصال بين التربية والتعليم بالمقدار الذي ادعته فان التعليم الصالح يمد التربية الصالحة ويغذيها وهي الاصل في الصلاح فيمكن ان يكون الامي صالحا بحسن التربية ولكنه لا يبلغ مرتبة من ربي وتعلم . وأما من تعلم ولم يترب على الاعمال الصالحة فيكون شرا من الجاهل الذي لم يؤخذ بالتربية لانه يكون أعلم بوجوه الشر وأجراً على العمل بها

اذا لا بد من تربية البنات وتعليمهن ليحسن ادارة بيوتهن ويكن قرّة عين لأزواجهن في انفسهن وأولادهن (ر بنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين واجعلنا للمتقين إماما)

(١) تطرز الرجل وتطرس تنوق في اللباس فلم يلبس الا فاخرا . ويقال أيضا

تطرس في الطعام اذا تنوق فيه . وتورن ا كثر من التدهن والتنعيم

الجزية وتجنيد اهل الذمة

جرى الصحابة في فتوحاتهم على جعل الجزية التي يفرضونها على أهل الذمة جزاء على حمايتهم والدفاع عنهم وعدم تكليفهم منع أنفسهم وبلادهم أي حمايتهم والدفاع عنها ولذلك كانوا يفرضونها على من هم أهل للدفاع دون غيرهم كالشيوخ والنساء فكان ذلك منهم تفسيرا ويا فاما لمراد الكتاب العزيز منها . وكان العثمانيين سموها لأجل ذلك بدل عسكرية

ولما كان من مقتضى الدستور العثماني تجنيد جميع العثمانيين وتكليفهم تعلم الفنون العسكرية وأعمالها لأجل الاشتراك مع المسلمين في الدفاع عن أنفسهم وبلادهم التي هي بلاد جميع العثمانيين كان من لوازم ذلك وضع الجزية أو بدل العسكرية عنهم وهنا مسائلتان يظن الجاهل بحقيقة الشريعة الإسلامية وأصولها أن الدستور يخالف لما فيها إحداهما انه لا يجوز تكليف أهل الذمة الدفاع عن أنفسهم ولا عن البلاد التي يقيمون فيها مادام للمسلمين ولاية عليها . واثانية ان الجزية فرض لازم لا يجوز وضعه بحال

فاما المسألة الاولى فيصح ان يقال فيها اننا لا نسلم انه لا يجوز تجنيد أهل الذمة اذا اقتضت المصلحة العامة ذلك برأي أهل الشورى فان المصلحة العامة هي الاصل والاساس للحكومة لا تترك لغيرها وانا اترك غيرها لما وقد سبق لنا تقرير هذا الاصل واثباته غير مرة . على اننا إذا سلمنا جدلا انه لا يجوز إكراههم على مساعدتنا على الدفاع عن أنفسنا وأنفسهم وبلادنا وبلادهم فلنا ان قول ان أمر التجنيد لا ينفذ إلا بعد أن يقرره مجلس النواب العام الذي اشركنا نحن وإياهم في انتخاب أعضائه وجعلناهم وكلاء عنا ليقروا ويضعوا القوانين التي تقوم بها مصلحة الجميع وهذا ينافي كون التجنيد بالاكراه وان كره بعض رؤساء الدين المتعصين منهم فان هؤلاء الرؤساء ليسوا نوابا عن أهل دينهم في وضع القوانين

وأما المسألة الثانية فيدلك على الحق فيها هذه النصوص التي نقلها عن رسالة للشيخ شبلي النعماني العالم الشير نشرت في أواخر السنة الأولى من المار حقق فيها ما ذكرناه من كون الجزية جزاء الحماية والدفاع وأورد في الاستدلال على ذلك هذه النصوص المروية فقال :

ولمك تطالبي باثبات بعض القضايا المنطوية في هذا البيان أي إثبات أن الجزية ما كانت تؤخذ من الذميين الا للقيام بجهادهم والمدافعة عنهم وان الذميين لو أدخلوا في الجند أو تكفلوا أمر الدفاع لعفوا عن الجزية فان صدق ظني قاصغ الى الروايات التي تعطيك الثلج في هذا الباب وتحسم مادة القيل والقال .

(فتها) ما كتب خالد بن الوليد لصلو با ابن نسطونا حينما دخل الفرات وأوغل فيها وهذا نصه: « هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلو با ابن نسطونا وقومه اتي عاهدتكم على الجزية والمنعة فلك الذمة والمنعة وما مننا كم (أي حينما كم) فلنا الجزية والافلا . كتب سنة اثني عشرة في صفر » (ومنها) ما كتب نواب العراق لاهل الذمة وهالك نصه « برائة لمن كان من كذا وكذا من الجزية التي صالحهم عليه خالد والمسلمون . لكم يد على من بدل صلح خالد ما أقروتم بالجزية وكنتم . أمانكم أمان وصلحكم صلح ونحن لكم على الوفاء . » (ومنها) ما كتب أهل ذمة العراق لامراء المسلمين وهذا نصه « انا قد أدينا الجزية التي عاهدنا عليها خالد على أن يمنعونا وأميرهم البغي من المسلمين وغيرهم » (ومنها) المناولة التي كانت بين المسلمين وبين يزيد جرد ملك فارس حينما وفدوا على يزيد جرد وعرضوا عليه الاسلام وكان هذا في سنة أربع عشرة في عهد عمر بن الخطاب وكان من جملة كلام نعمان الذي كان رئيس الوفد « وان اتقيتمونا بالجزاء قبلنا ومننا كم والا قاتلناكم » . (ومنها) المناولة التي كانت بين حذيفة بن محصن وبين رستم قائد الفرس وحذيفة هو الذي أرسله سعد بن أبي وقاص وافدا على رستم في سنة أربع عشرة في عهد عمر بن الخطاب وكان في جملة كلامه « أو الجزاء ونمنعكم ان احتجتم الى ذلك » فانظر الى هذا الروايات الموثوق بها كيف قارنوا بها بين الجزية والمنعة وكيف صرح خالد في كتابه بأنا لا نأخذ منكم الجزية إلا اذا مننا كم ودفننا عنكم وان عجزنا عن ذلك فلا يجوز لنا أخذها

وهذه المقاولات والكتب مما ارتضاها عمر وجل الصحابة فكان سبيلها سبيل المسائل المجمع عليها . قال الامام الشعبي وهو أحد الائمة الكبار أخذ « أي سواد العراق » غنوة وكذلك كل ارض الا الحصون فجلا أهلها فدعوا الى الصلح والذمة فأجابوا وتراجعوا فصاروا ذمة وعليهم الجزاء ولم المنعة وذلك هو السنة كذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدومة »

ولا تظن أن شرط المنعة في الجزية إنما كان يقصد به مجرد تطيب نفوس أهل الذمة واسكان غيظهم ولم يقع به العمل قط فان من أمر النظر في سير الصحابة واطلع على مجاري أحوالهم عرف من غير شك انهم لم يكتبوا عهدا ولا ذكروا شرطا الا وقد عضوا عليها بالنواجذ وافرغوا الجهد في الوفاء بها وكذلك فعلهم في الجزية التي يدور رحى الكلام عليها - فقد روى القاضي أبو يوسف في كتاب الخراج عن المكحول انه لما رأى أهل الذمة وفاء المسلمين لهم وحسن السيرة فيهم صاروا أشداء على عدو المسلمين وعيونا للمسلمين على اعدائهم فبعث أهل كل مدينة وسلمهم يخبرونهم بأن الروم قد جمعوا جمعا لم ير مثله فأتى رؤساء أهل كل مدينة الامير الذي خلفه أبو عبيدة عليهم فأخبروه بذلك فكتب والي كل مدينة ممن خلفه أبو عبيدة الى ابي عبيدة يخبره بذلك وتتابعت الاخبار على ابي عبيدة فاشتد ذلك عليه وعلى المسلمين فكتب أبو عبيده الى كل وال ممن خلفه في المدن التي صالح أهلها يأمرهم أن يردوا عليهم ما جبي منهم من الجزية والخراج وكتب اليهم أن يقولوا لهم انما رددنا عليكم أموالكم لانه قد بلغنا ما جمع لنا من الجوع وانكم قد اشترطتم علينا ان نمنعكم واننا لا تقدر على ذلك وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ونحن لكم على الشرط وما كان بيننا وبينكم ان نصرنا الله عليهم . فلما قالوا ذلك لهم ورددوا عليهم الاموال التي جبوها منهم قالوا « ردكم الله علينا ونصركم عليهم فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئا وأخذوا كل شيء بقي حتى لا يدعوا شيئا »

وقال الملامة البلاذري في كتابه فتوح البلدان حدثني أبو جعفر البغدادي قال حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال بلغني انه لما جمع هرقل للمسلمين الجوع وبلغ المسلمين اقبالهم اليهم لوقعة اليرموك ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من

الخارج وقالوا « قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم » فقال أهل حمص « لو لايتكم وعدلكم أحب الينا مما كنا فيه من الظلم والنشم ولندفن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم . ونهض اليهود فقالوا والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص الا أن تغلب ونجهد فأغلقوا الابواب وحرسوها وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود وقالوا إن ظهر الروم واتباعهم على المسلمين صرنا على ما كنا عليه والا فانا على أمرنا ما بقي للمسلمين عدد

وقال الصلابة الازدي في كتابه فتوح الشام يذكر اقبال الروم على المسلمين ومسير أبي عبيدة بن حمص « فلما أراد أن يشخص دعا حبيب بن مسلمة فقال اردد على القوم الذين كنا صالحناهم من أهل البلد ما كنا أخذنا منهم فانه لا ينبغي لنا إذ لا نمنعهم ان نأخذ منهم شيئا وقل لهم نحن ما كنا عليه فيما يتنا وبينكم من الصالح ولا نرجع عنه الا أن ترجعوا عنه وانما وددنا عليكم أموالكم لأنا كرهنا أن نأخذ أموالكم ولا نمنع بلادكم » فلما أصبح أمر الناس ان يرتحلوا الى دمشق ودعا حبيب ابن مسلمة القوم الذين كانوا أخذوا منهم المال فأخذ يرد عليهم وأخبرهم بما قال أبو عبيدة وأخذ أهل البلد يقولون « ردكم الله الينا ولعن الله الذين كانوا يملكوننا من الروم ولكن والله لو كانوا هم ما ردوا الينا بل غصبونا وأخذوا مع هذا ما قدروا عليه من أموالنا » وقال أيضا يذكر دخول أبي عبيدة دمشق « فأقام أبو عبيدة بدمشق يومين وأمر سويد بن كثوم القرشي ان يرد على أهل دمشق ما كان اجتبي منهم الذين كانوا أمنوا وصالحوا فرد عليهم ما كان أخذ منهم وقال لهم المسلمون نحن على العهد الذي كان يتنا وبينكم ونحن معيدون لكم أمانا »

اما ما ادعينا من ان أهل الذمة اذا لم يشترطوا علينا المنعة أو شاركوا في الذب عن حريم الملك لا يطالبون بالجزية أصلا فعمدنا في ذلك أيضا صنيع الصحابة وطريق عملهم فانهم أولى الناس بالثبته لغرض الشارع وأحقتهم بادراك سر الشريعة « والروايات في ذلك وان كانت جهة ولكن نكتفي هنا بقدر يسير يفتي عن كثير (فمنها) كتاب العهد الذي كتبه سويد بن مقرن أحد قواد عمر بن الخطاب لرزبان وأهل دهستان وهالك نصه بمينه « هذا كتاب من سويد بن مقرن لرزبان صول ابن رزبان وأهل

دهستان وسائر أهل جرجان ان لكم الذمة وعلينا المنعة على ان عليكم من الجزاء في كل سنة على قدر طاقتكم على كل حالم ومن استعنا به منكم فله جزاؤه في معونته عوضا عن جزائه ولم الأمان على أنفسهم وأموالهم وديارهم وشرائعهم ولا يغير شي من ذلك شهد سواد بن قطبه وهند بن عمر وسماك بن محرمة وعتيبة بن النحاس وكتب في سنة ١٠٨ هـ « طبري » ص ٢٦٥٨

ومنها الكتاب الذي كتبه عتبة بن فرقد أحد عمال عمر بن الخطاب وهذا نصه : « هذا ما أعطى عتبة بن فرقد عامل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل أذربيجان سبها وجبلها وحواشيا وشفارها وأهل ملابها كالم الامان على أنفسهم وأموالهم وديارهم وشرائعهم على ان يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم ومن حشر منهم في سنة وضع عنه جزاء تلك السنة ومن أقام فله مثل ما لمن أقام من ذلك اه (طبري صحيفة ٢٢٦٢)

ومنها العهد الذي كان بين سراقه عامل عمر بن الخطاب وبين شهر براز كتب به سراقه الى عمر فأجازه وحسنه وهاك نصه : « هذا ما أعطى سراقه بن عمرو عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شهر براز وسكان أرمينية والأرمن من الأمان أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وديارهم ولا يتقضوا ولا ينفقوا وعلى أرمينية والأبواب الطراء منهم والثناء (١) ومن حولهم قد دخل معهم أن ينفروا لكل غارة وينفذوا لكل أمر ناب أولم ينب رآه الوالي صلاحا على أن توضع الجزاء عن أجاب الى ذلك ومن استغنى عنه منهم وقد فعله مثل ما على أهل أذربيجان من الجزاء فان حشروا وضع ذلك عنهم ، شهد عبد الرحمن بن ربيعة وسليمان بن ربيعة وبكير بن عبد الله وكتب مرضي بن مقرن وشهد اه (طبري صحيفة ٢٦٦٥ و ٢٦٦٦)

ومنها ما كان من أمر الجراجمة وقد أتى العلامة البلاذري على جملة من تفاصيل أحوالهم فقال حدثني مشايخ من أهل انطاكية ان الجراجمة من مدينة على جبل لكمام عند معدن الزاج فيما بين يامس و بوقا يقال لها الجرجومة وان أمرهم كان في

(١) الطراء الغرباء الذين يطرون جمع طارئ والتاء المقبوضون

استيلاء الروم على الشام وانطاكية الى بطريق انطاكية وواليها فلما قدم أبو عبيدة انطاكية وفتحها لزموا مدينتهم وهموا بالتحاق بالروم إذ خافوا على أنفسهم فلم يتنبه المسلمون لهم ولم ينبهوا عليهم ثم ان أهل انطاكية قرضوا وغدبوا فوجه اليهم أبو عبيدة من فتحها ثانية وولاها بمد فتحها حبيب بن مسلم الفهري ففزا الجرجومة فلم يقاتل أهلها ولكنهم بدروا بطلب الأمان والصلح فصالحوه على ان يكونوا أعوانا للمسلمين وعبونا ومساح في جبل الككام وان لا يؤخذوا بالجزية ، ثم ان الجراجمة مع انهم لم يوفوا وقرضوا العهد غير مرة لم يؤخذوا بالجزية قط حتى ان بعض العمال في عهد الواثق بالله السامى ألزمهم جزية ووسمهم فرفهوا ذلك إلى الواثق فأمر باسقاطها عنهم اه

(النار) لفظ المنع في هذه الكتب واليهود معناه الحماية كما اشرنا الى ذلك في

رواية منها

التعصب الديني في أوربا

تهم أوربا أهل الشرق عامة والمسلمين خاصة بالغا في التعصب الديني الذي يفضي الى إيذاء المخالف في الدين او المذهب وغمط حقوقه . وقد كتبنا في المجلد الأول من المئارج مقالات بينا فيها ان عهد التعصب هو أوربا وان الشرقين عامة والمسلمين خاصة لا يبلغون مد أوربا ولا صاعها ولا يردنها ولا مترها في التعصب . وحسبك انها اكرهت جميع من كان فيها من الوثنيين ثم من المسلمين على النصرانية الا من هاجر وترك أرضه وماله من حيث بقيت جميع الاديان في الشرق لا سيما الممالك الاسلامية منه . ثم إنها سفكت من الدماء الفزيرة لاجل الخلاف في المذاهب النصرانية نفسها ما لم يعرف له نظير في الشرق . وقد اتقلت فيها طبيعة الاجتماع بالعلوم والأعمال الدنيوية وكثر الملحدون واعطت أكثر الحكومات الاوربية الحرية حقها في كل شيء ولم يقو ذلك كله على محو التعصب الديني لا من مثل روسية التي لا تزال حكومتها نفسها متمسكة بقط بل من مثل انكلترا العريقة في

الحرية . وقد تقل اليانا البرق والبريد في هذا العام ان الحكومة الانكليزية لم تمكن الكاثوليك من القيام بتقاليدهم الدينية في عيد الفصح . وجاء البرق في هذه الايام بأن تلاميذ المدارس البروتستانت والكاثوليك في لفربول قد تشاجروا فيها تشاجرا ادى الى إقتال الحكومة خمسين مدرسة منها وان مهاتهم شاركهم في هذا الجهاد الدينى . وقد نشر في جريدة الاخبار أحد الكتاب مقالة في ذلك فكة هذا نصها :

﴿ التصب الدينى الانكليزى ﴾

« هل الصغار غير الكبار »

جاء في نبأ برقي من لندن انه أقفلت خمسون مدرسة في لفربول لوقوع مشاجرات بين أولاد البروتستانت والكاثوليك اشتركت أمهاتهم فيها فاذا فرضنا ان في كل مدرسة من هذه المدارس ١٠٠ تلميذ نصفهم منساهلون والنصف متعصبون فيكون عدد الذين اشتركوا في هذه المعركة — على أقل تقدير — ألفي تلميذ من صميم الناشئة الانكلوسا كسونية . أما أسلحتهم فأولها « البوكس » الانكليزى وثانيها « الرفس » بالجزم الانكليزية وثالثها المضاربة بأدوات المدارس من ألواح الوردواز والبراجل والمقاشط والمساطر وغيرها مما لا نخلو منها جعبة تلميذ ولا بد ان حضرات الأمهات المتديئات المنعبدات المتقيات من طائفة البروتستانت حملن معهن الى هذه المعركة ما وجدنه امامهن من أحذية قديمة وأرجل كراسي ومقشات وزجاجات فارغة . كما حملت بعض الكاثوليكيات الايقونات والصلبان تبركا وذخيرة لهذه الحرب الدينية المقدسة

ومع ان النبأ البرقي لم يأتنا بتفصيل واف عن أسباب هذه الحركة الصبيانية الملية التعصبية فانه لا شبهة في انها نشأت إما عن نفار مذهبي أو عن جدال ديني احتدم بين هؤلاء الصغار فازدري به المدرسون لما هو مشهور عن أكثرهم من التباعد عن التداخل في كل أمر غير الفرض المدرسي

أما الأمهات المصونات فالراجح انهن أتبن لمساعدة أولادهن واتقاهن من خطر الملاكمة ثم وأين الحاجة داعية الى المداخلة الفعلية فتضاربن

ولو لم يكن الخطب جلالا لما أقنعت ٥٠ مدرسة دفعة واحدة حتى لا يعود التلاميذ الى المحاضرة فالمقاتلة . وربما كانت العودة داعية الى اشتغال نيران الحقد الديني بين غيرهم من تلاميذ المدارس التجهيزية فالجامعة الذي يبلغ عدد طلبتها ٧٩٠ طالبا لان الكل مقسمون الى برونتات وكاثوليك وما أثر في التلاميذ الصغار يؤثر فيهم . وبذلك يعيد الانكليز أيام الحروب الدينية ويرهنون لنا على ان ذاك الرقي المدني الهائل وحفظ أشعارشا كسير وامتلاك المستعمرات التي لا تسيب عنها شمس لم ينفع في تربية الاخلاق وان دعوى اللورد كرومر بأن بلاد الشرق عامة ومصر خاصة مهبط التعصب الديني دعوى يكذبها اليوم فصل أبناء ليفربول الذين تجمعهم الجامعة الوطنية وتضمهم مدرسة واحدة ولم يحضر منهم أحد الى مصر لينتهي دروس التعصب من المسلمين والاقباط

وإذا كان صغار الامة عنوان كبارها وصورة لاخلاقهم فلا مراء في ان هؤلاء الانكليز يحملون بعضهم من الاحقاد الدينية اقالا مثقلة . لان تربيتهم اليتية والمدرسية متشابهة وما يتعلمونه مع شامي لبتون ووسكي بوكانان هنا وهناك مساو تماما لما يتعلمه صغار ليفربول الذين لم يكادوا يشبون عن الطوق حتى عرفوا كيف يتعصب فريق منهم للوثير وفريق للتديس بطرس والفضل في ذلك راجع الى السيدات المهذبات اللاتي لا يكتفين بحقوقهن بل يطالبن بأن يكن مساويات للرجال في حق الانتخابات السياسية

ولا يقتصر التعصب على هؤلاء الانكليز من الامم التي نظنها ارقى منا طبائع وأفضل اخلاقا بل يشترك فيها الفرنسي والاطالي والالمانى والرومي -- بنوع أخص -- فاذا درست أخلاق أحدهم تجده يقطر تعصبا دينيا جنسيا وان لم يكن متدينا وذلك بحكم المعاشرة والروابط الاجتماعية واليتية

فالتعصب صفة من صفات الانسانية لم يقوالم لم ولا الترية على استئصال شأقتها من النفوس . وربما متا ومات أبناؤنا واحفادنا قبل ان نصل إلى درجة نفسي فيها التعصب (أحد المتعصبين)

باب المناظرة والمراسلة

﴿ رد الشبهات على النسخ وكون السنة من الدين - لليافي ﴾

٥

بقية بحث احاديث الاحاد وكونها من اصول الدين

قال في الاعتراض الثالث من هذه الكلمة فكانهم يثبتون صحة الروايات بعدالة الرجال ثم يثبتون عدالة الرجال بالروايات مما لا يخفى على احد فساد ذلك - الى قوله - وربما ادانا ذلك الى التسلسل أو الدور في البرهان

واقول ان هذه مخالطة من الفاضل ايضا اذ لا يلزم ذلك الا ان كان المعدل والجرح لغيره هو المعدل لنفسه اما اذا كان المعدل والجرح قد عرفت عدالته بالاجماع ونقل هذا الاجماع بالاجماع او بما يقاربه كالتواتر بل لو قلت عدالته باسناد آخر فلا فساد ولا يلزم شيء مما ذكره الفاضل

وقوله ان اكثر هذه الروايات مقتضبة الى آخره . فجوابه انهم (رح) يروون ما تلقوه على نحو ما يسمعون فما كان له سبب ذكروه وهو كثير انما قد يترك بعضهم ذلك لسبب ومناسبة حيث لم ير لذلك ضرورة . ولذلك تراه في موضع آخر يذكر السبب والمناسبة وقل ان يهملوا ذلك . واما ما كان يلقيه عليهم (ص) بما يشبه التعليم والتشريع العام فلا يلزم ان يطلب له سبب واكثر الاحاديث وآيات الاحكام كذلك فلا محذور

أما قوله وقد ايدنا فيه الاستاذ الكبير العلامة المحقق صاحب المنار الاغرف نقول فيه ان كان يعني ما كتبه شيخ الاسلام المذكور على اثر ما كتبه اخونا العلامة خاتمة المحققين رفيق بك العظم حفظهما الله . فنحن قد رأينا ذلك ولم نر فيه تأييدا للحضرة

الدكتور الفاضل وغايته ان يكون رجح ان ما كتبه المجهيون لم يدغم الشبهة تماماً على ان حضرة العلامة المحقق رفيق بك العظيم حفظه الله انما ذكر تاريخ الكتابة عند العرب وبين بعض حالاتها في الاسلام وذلك في خطبة ألقاها والخطب لا تحتل الاستقصاء في الاستدلال او ان يخاص فيها وراء عو بصات المسائل .

وقول أيضا قد عرفت مما كتبناه سابقا وما قدمناه حال الصحابة (رض) في الرواية عن رسول الله (ص) وانهم كيف يروون عنه (ص) وعرفت انه كيف كان يبين لم وعرفت ان حفظهم لما روينا عنهم ليس بالمستبعد وأن الكثيرين منهم وغير الكثيرين قد كتبوا في حياته أو استكتبوا وهم لم يزالوا يكتبون بعد وفاته ما فات بعضهم عن البعض الآخر . والفاضل الدكتور هو ان قدر ان ثبت كراهية بعضهم فهولا يستطيع يبين علة منصوصة لذلك غير ما ذكرناها عنهم في رسالتنا السابقة . وقلنا ان من كره ذلك فانما كره ان يكتب رأيه اما احاديث النبي (ص) فقد كتبها كثير منهم بمرأى ومسمع منه (ص) ومنهم (رض) فلم ينكر (ص) ذلك ولا هم انكروا ذلك . ولم يثلف بعضهم ما عند البعض الآخر بالأحراق وغايته ان بعضهم اثلف مكتوبات نفسه ورأيه وهذا بخلاف فعلهم بالقرآن الذي كان عند بعضهم غير ما اجمعوا عليه . وبذلك يظهر ظهورا لا غبار عليه ان كتابة الحديث لم تكن في معتقدهم مكروهة مطلقا وحاشاهم من ذلك - فقد كان الخلفاء الاربعة (رض) وغيرهم من كبار الصحابة (رض) اذا وقعت واقعة ووجدوا فيها حديثا عن رسول الله (ص) لا يعدلون به سواه بل يحكمون بمقتضاه ويحفظونه ويكتبونه في رسائلهم الى عمالم فكتابة الحديث بالصفة التي ذكرناها كانت من عملهم ومما اجمعوا عليه فعلا وتقديرا وغاية ما ثبت عن بعضهم انه كره كتابته في كتاب واحد لا يرجع الى سواه ويكون مرتبا كما كتب القرآن يعمل به الناس ويتركوا ما لم يكن في - على انهم قد عزموا على ذلك وكان ميل أكثرهم الى الفعل ومن كره ذلك فانما كرهه رجوعا بعد الموازنة على الكتابة ومع ذلك هو لم يكرها ويتركها لأجل ان الحديث شريعة موقفة ولم يستدل على الترك بما يدل على انه فهم ان الأحاديث شرعية موقفة كما بينا ذلك في رسالتنا السابقة - وهم قد صرحوا بانهم لم يتركوا كتابة الحديث بالصفة

المذكورة الا خوف الاتباس بالمصحف وبعضهم لم يقل الاجردوا القرآن
فالاصل الذي بني عليه الفاضل الدكتور مذهبه انما هو احتمال من عنده
وظن توهمه لم يسبقه الى تخيله أحد من اتباع محمد (ص) بل قولهم وعلمهم وأمرهم
يناقضه مناقضة التقيض لتقيضه وما هذا حاله لا يصح فرضه - على انه لو لم يوجد
فيهم ما يناقضه فلا يصح ان يجعل مثل ما هذا حاله أصلاً لمخالفته نصوص القرآن -
بل لو لم يوجد في القرآن ما يناقضه فلا يصح كذلك لمخالفته ما يوجب العقل للرسول
صلوات الله وسلامه عليهم - ولو تفاضينا عن ذلك كله فغايتة ان يكون احتمالاً من
جملة احتمالات قاله غير معصوم خالف اجماع المسلمين والله جل شأنه قد ذم من
يتبع غير سبيلهم وتهده - فما رأيك باحتمال هذا حاله كيف يعول عليه أم كيف
يسوغ للمصنفين الاعتماد عليه والمفاضة دونه وهو على كل تقدير ومهما فرض فاسد
مدفوع . فهذا بعض ما قوله في شبهة الفاضل في عدم كتابة الحديث وقد ذكرنا
بعض أدلته في رسالتنا السابقة والمقام جدير بالاطالة ولكن فيما ذكرناه كفاية لمن
يريد الله له الهداية

اما من بعد الصحابة من رجال الأسانيد والأئمة المحدثين الذين رووا عن
الصحابة (رض) وروى عنهم من بعدهم من الأئمة كذلك فهم الذين كتبوا
الاحاديث واجمعوا على كتابتها وكانوا كلهم رحمهم الله يكتبون وكان المحدثون (روح)
يكتبون كل مروياتهم عن الشيخ حين الدرس يكتب ذلك الطلبة كلهم ويقابلون
ويصححون على الشيخ أو من كتابه كل ذلك يكون بغاية الاحتياط مع كمال
الفحص والتنقيب عن كل راو وعن كل ما يحدث به

فان قيل اذا كان الامر كذلك لم تكن جميع الاحاديث بنقل الجموع والتواتر -
قلنا ان الاحاديث الصحاح هي هكذا في نفس الامر ودليله تقيهم ذلك
بالتبول - وسبب كونها آحادا انما هو لان أهل الكتب المعبرة لا يثبتون الا ما يرويه
الاثبات الضابطون ومن سواهم لا يروون عنه لتلا يفتر به من لم يعرف حاله قائدا
لمن روى عنه - ولانهم يختارون الاختصار فاذا كانوا يختارون في مصنفاتهم
الأمثل من الأسانيد ويتركون ما سواه - ونحن قد قلنا انهم لو اختلفوا بطريقة

التواترية لكان كل حديث أو أكثر الأحاديث متواترة في أكثر الطبقات فليتأمل الناظر . وان أراد مصداق ما ذكرنا فليفرض أي حديث مما اتفقوا على صحته ثم ليتبع طرقة في كتبهم فلا شك انه حينئذ يوافقنا على ما قلناه - على انه ان وجد في اثناء سنده فرد واو فذلك الراوي لا بد وان يكون ممن أجمع على حفظه واعتباره وقاله وضبطه بالكتابة ورب رجل يمدل رجلا فنفكر

قال حضرة الفاضل في الكلمة الخامسة ما مؤداه ان المسلمين خافوا القرآن بإيجابهم العمل بالأحاديث الى آخره - واستدل ببعض آيات في ذم الظن الذي أجبنا عنها في رسالتنا السابقة وزيادة على ذلك نقول قد قدمنا في هذه الجملة المختصرة الادلة القطعية على ان اخبار الآحاد ليست مما تفيد الظن فقط بل هي تفيد اليقين أيضا - فلا بد للفاضل ان ينقض ذلك أولا بأدلة أصح مما سقناها - ثم لا بد له من أدلة جديدة تدل على ان جميع أحاديث الآحاد الثقات الضابطين الذين تنطبق عليهم شرائط أهل الحديث لا تفيد العلم ولو لبعض الناس - ثم لا بد له من دليل يدل على ان المراد بالظن في هذه الآيات ما يرى انه الظن المرجح - وبدون ذلك لا يصح ولا يتم له الاستدلال بهذه الآيات على رد العمل بالأحاديث - نحن لا نرى ان هذه الآيات مما تدل على ذم العمل بالأحاديث ومن أراد ذلك منها فقد حملها مالا يحمله - لان من تفكر في هذه الآيات وامن النظر فيما اشتملت عليه مما سماه الله ظنا فيها يراه لا محالة انها هو مما يسميه الناس في زماننا هذا بالشك فالقرآن انما يذم ما يكون بمرتبة الشك بل بمرتبة الوهم والحرص فقوله تعالى « سيقول الذين اشرکوا لو شاء الله ما اشرکنا ولا آباءونا ولا حرمانا من دونه من شيء » هو استدلال منهم بالمشيئة والقضاء والقدر الذي لم يعرفوا سره ولا ماهو ولا آمنوا به على رد وانكار دين الله وشرعه وعلى تكذيب رسوله (ص) فكانهم يقولون ان كل ما فعلناه هو حسن ودين مقبول عند الله حتى الفسب والسرقه وقتل النفس التي حرم الله الى غير ذلك مما يقوله اخوانهم الجبرية اليوم فهل يصح هذا الاستدلال؟ وهل هو ظن راجح؟ وما المرجح؟ وهل أخبار

الاعتقادات الضابطين مثل ما ذمه الله عن المشركين في هذه الآيات ؟ وما لم تتعد العلة ويطمئنا المانع لا يصح القياس

والفاضل حفظه الله كثيراً ما يستدل بهذه الآية ونحوها على رد وضم العمل بالأحاديث الصحاح في زعمه . وقد سبقه الى الاستدلال بها على ذلك الخوارج . واستدل بها بعض العلماء على رد القياس المساوي والأولوي وبعضهم على رد وجوب الأخذ بالعمومات القرآنية مطلقاً أو الذي قد وقع فيها تخصيص أو احتمال وعلى رد الأخذ بالاستصحاب وعلى رد الاجتهاد بترجيح أحد الاحتمالين الراجح . واستدلوا على ذلك اظهر من استدلال الفاضل على ما نحن بصدده فليسلم بما هو أولى من استدلاله . فان سلم لزمه القول بان ما سوى المنصوص في القرآن ليس من الدين مطلقاً ولا يجوز العمل به . وعليه فلا ندرى ماذا يقول في الوقائع التي لم ينص عليها القرآن . انه مما يريد ان يقول فيها فالحديث أولى من قوله ورأيه . واقرب الى العلم واليقين منه . والا لزمه ان الدين ناقص غير كاف لفصل كل ما وقع

وقول ان ما استدلل به هؤلاء المشركون قد سماه الله ظناً وذمهم عليه . واذا كان الظن يطابق على الراجح من الاحتمالين وعلى المتردد بينهما على السواء وهو الشك وعلى ما هو دون ذلك كالوهم والحزر والخرص ونحوه فهو مشترك لفظي انما يدل على ما يراد منه بقرينة على الراجح ولما كانت هذه المعاني متفاوتة ومختلفة الحقائق فلا يصح ان يقاس هذا منها على ذلك الا اذا استكملت شروط القياس كأحد العلة وان لا يكون في القياس او القيس عليه وصف يصلح ان يناط به حكم غير الحكم الذي يراد ان يطرد فيها مع عدم المانع كذلك . ومن صحح النظر فيما ذمته هذه الآية يرى انه لا يصح قياس الاحاديث الصحيحة عليه بوجه من الوجوه مطلقاً وكذلك العمومات والقياس والاستصحاب ونحوه كل ذلك لا تدل الآية على ذمه . وهذه لا تتعلق بل هي مرتبة واعلاها نص القرآن ثم نص الحديث وهذا الثاني مقدم على العموم مطلقاً وقيل على العموم الذي قد تطرقه الاحتمال وليس شي من هذه الاشياء من الظن المذموم حتى عند من يجمل كل ذلك من الظن لان كل ما ذمه الله تعالى من الظن في غير هذه الآية من كتابه فانما هو شقي ما

٤٤٦ الظن المذموم في القرآن هو الشك والحزر (المترجم ٦ م ١٢)

ذمه في هذه الآية ولئلا يدخل في ذلك الظن الراجح كالتقياس وما ذكرناه بصدده ونحو ذلك ايضا قوله تعالى « ان بعض الظن اثم » أي بعض الظن الذي هو بمثابة ظن المشركين غير المستند الى حجة ترجحه فهو اثم لانه من ظن ضعفاء العقول الذين ليس لديهم علم وبصيرة وانما هم بخرصون بالحزر والوهم الكاذب ومفهوم الآية ان البعض الآخر أي كالظن الراجح ونحوه ليس كذلك وحينئذ نقول إما ان يجعل الظن مراتب لا يتناول حكم احداها الاخرى وذلك مثل ما قلنا سابقا أو يجعل كالمترادف في افراده وهذا مع ضعفه فالظن الراجح مستثنى كما عرفت ايضا ، وإما ان يجعل كل ما هو نظير ومثيل ما ذمهم عليه هو الظن وكل ما كان مدوكة أقوى مما ذكره الله عن المشركين وذمهم عليه هو من العلم وعلى كل تقدير فاستدلال الفاضل الدكتور بهذه الآية ونحوها على ذم الصل بالأحاديث الصحاح فاسد فاذمه الله عن المشركين في واد والأحاديث في واد آخر . وبما ذكرناه تنحل عقدة الاشكال التي كثيرا ما تورد مثل هذه المسائل فتأمل ذلك واشكر الله على افضاله

قال اخونا الفاضل وقد اقر الاستاذ الفاضل الشيخ الياضي بان الظن انما يذم اذا عارضنا به الامر القطعي . ثم رد علي بأني ومن علي مذهبي كثيرا ما اعارض نصوص القرآن الشريف العريضة واخالفها لاجل الأحاديث الآحاد . الى قوله واليك بعض الامثلة على ذلك .

وأقول في الجواب قد قدمنا الكلام على آية الوصية للوالدين والاقربين الوارثين . وهنا نقول للاخ المكرم حفظه الله ان تجوز معارضة نص القرآن بالحديث الصحيح لم يقل احد من المسلمين به فيما اعلم والحقير لا يقول به أيضا هذا فصل (الثاني) ان من جوز نسخ القرآن بالسنة متواترة كانت او مشهورة او آحادية لا يلزمه ان يقول بوقوع ذلك فعلا (الثالث) ان من يجوز نسخ القرآن بالحديث الصحيح هو لم يعارض به نص القرآن وانما اذا صح حديث عن رسول الله (ص) متأخر عن نزول آية ولم يمكن التوفيق بينهما فالمعارضة انما هي بين الحديث واستراد الحكم أي بانه او عمومه واطلاقه وقد اختلف في الاول كبار العلماء (رح) وقد قدمنا بعض الكلام على ذلك اما الثاني واثالث فقد قلنا بجوازه ووقوعه الجمهور لكن قال شيخنا

ابن القيم رحمه الله مع تجوز النسخ بجميع اقسامه ما معناه ان كل ما يظنه الناس معارضة بين السنة والقرآن فليس الامر كما يظنون بل لا بد ان تكون السنة مينة لاية من القرآن هي في الحقيقة ناسخة او مخصصة لما يظن منه ان السنة خصصته او قيدته وعلى كل تقدير ذهل العلم كلهم متفقون هؤلاء وهؤلاء على انه لا يجوز اجمال وإلغاء شيء مما صح عن النبي (ص) بيان من يجوز وقوع المعارضة ومن التمس لها موافقة من آيات الكتاب العزيز لان المرمى والمخط واحد

قال الاخ الفاضل حرموا اكل الحمر الاهلية للحديث مع ان الله يقول « قل لا اجد فيها اوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الآية . ويقول « انما حرم عليكم الميتة والدم » الآية الخ واقول ان الحصر في هاتين الآيتين قد عارضته آيات أخرى في القرآن نفسه (« واذا اخذوا الطعام المحرم اعم من لحم الحيوان فالمعارض اكثر . وحينئذ إما ان يقال الحصر منسوخ او مخصوص بوقت نزولها وكلا التقديرين يخالف لمذهب الفاضل لعدم تجوز النسخ أي وقوعه ، ولقوله ان الخصوص بوقت دون وقت لا يكون في القرآن وانما يكون في الحديث لانه أي الحديث شريعة موقفة بزعمه وهو هنا لا يحصى له من التزام أحد الاحتمالين رضي ام ابي

ثم قول اذا كان الحصر منسوخا أو مقيدا بيمين النزول فلا يكون الحديث المذكور معارضا لنص القرآن المحكم بلا خلاف وانما هو من باب الزيادة على ما في القرآن او ما سكت عنه ومن لا يجوز ذلك فقوله غير مؤيد بحجة ولا يشبه حجة على أنا نقول ان الله حرم الخبائث والخبث في القرآن كما حرم الانفاق منه فلم لا يجوز ان يكون لحم الحمر الاهلية من ذلك والحديث ميين لما اجملت تلك الآيات وبذلك يندفع الاعتراض من اصله

قال الفاضل قالوا بحرمة الذهب والفضة والحريير الاحاديث التي رووها والقرآن يقول « قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والاليات من الرزق » الآية قلت وليس الامر كما اطلق وأهل الحق (روح) لم يحرموا الا الاكل والشرب في آية الذهب والفضة وعلى الرجال ليس الذهب في غير السلاح والحريير الخالص لغير الضرورة

والآية ليست نصاً في تحليل ذلك بل لم يذكر فيها شيء من ذلك بخصوصه وكان سبب نزولها في زينة مخصوصة حرماً للمشركون وهي ستر العورة فكانوا لا يجيزون بل يحرمون سترها عند الطواف وكانوا يحرمون بعض الرزق الطيب فأمر الله عباده المؤمنين ان يأخذوا زيتهم عند كل مسجد وان يأكلوا ويشربوا من الطيبات من الرزق ونهاهم عن الاسراف في الامرين أي اللباس والاكل والشرب ورد على المشركين بأن قال لئيبه (ص) قل لهم أي أسلهم من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق الآية فالآية لا يعارضها الحديث لما عرفت ان ما أحل لنا من ذلك هو مقيد بعدم الاسراف وأيضا قوله « من حرم زينة الله التي اخرج لعباده » المراد بالزينة فيه الزينة التي أمرهم بأخذها عند كل مسجد وتلك معلومة لدى الخطابين (رض) لم تكن هي ذهابا وفضة ولا حريرا ، على ان ماسوى الاكل والشرب في آية التقدين من كل استعمال لما ذكره جازئ للنساء وهن ممن يدخل في الخطاب وأيضا كل ما يطلق عليه لفظ الزينة لا يمكن الدكتور ان يجوزه لكل أحد بلا قييد ولا نظنه يجوز للرجال لبس النساء ولا العكس مطلقا واذا كان الامر كذلك فكان الاولى به ان لا يمترض علينا بهذه الآية في الاحاديث لاسيما وقد عرفت ان آخر الآية انما هو مبني على ما ذكره في اولها

ان من يعارض الاحاديث ويحلل كل ما يطلق عليه لفظ الزينة بهذه الآية قوله أشبه شيء بقول من يجوز أكل وشرب وتناول واستعمال كل ما على الارض وكل ما يخرج منها بقوله تعالى « هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا » الآية فكما ان هذا لا يصح فتحليل استعمال كل زينة بكل صفة لا يجوز مثله والآية لا تدل عليه قال حرموا ان تنكح المرأة على عمها وخالتها وخالفوا قوله تعالى « وأحل لكم ما وراء ذلكم » الى قوله بعد ان ذكر سائر المحرمات وليس من بينهن المرأة على عمها أو خالتها . وأقول هذه الآية قد دندن حولها الخوارج وأطالوا بما لا طائل منحه وقد خالفوا اجماع من تقدم عليهم علما وفضلا وخالفوا نصوص رسول الله (ص) والنبوي (ص) قد حذر منهم وذمهم وقال انهم يمرقون من الدين استدلوا بهموم قوله تعالى « وأحل لكم ما وراء ذلكم » وهو غير مراد على اطلاقه لوجود نصوص

القرآن بتحريم محرمات لم تذكر في هذه الآية كالمشركة وزواج الأمة لمن يقدر على زواج الحرة والزانية والملاعنة والمطقة ثلاثا حتى تنكح زوجها غيره - والعقد بالريبة قبل ان يطلق أمها ويدخل بها على خلاف في ذلك بين العلماء كما اختلفوا في المشار إليه في قوله « ما وراء ذلكم » وقد اختلفت طرق أهل العلم في الرد عليهم . ونحن إذا ناقشناهم الحساب قلنا لم ان الله ذكر ما ذكر من المحرمات منها بها على ما لم يذكره مما أجدت فيه علة التحريم - وليس المراد الحصر بالعدو ، ولا اقامته مقام الرسم والحد ، وبناء على ذلك تقول ان الله لم يذكر الجدات ولا بنات الاولاد ولا أم المرضعة ولا بنات الأخت والأخ من الرضاة ولا سائر من يحرم من الرضاة فكما انه لم يصرح بذكر من ذكرناهن وهن محرمات غير داخلات في قوله « وأحل لكم ما وراء ذلكم » فكذلك تحريم ان تنكح المرأة على عمتها أو خالتها من كل امرأة او فرضت ذكرا حرمت على الأخرى - لا يحل ان تنكح عليها - فقوله « وان تجمعوا بين الأختين » لا يأبي دخول الجمع بين أحدهما و بنت أختها وأخيها في المنع والنهي بل دخولها ظاهر لاهل العلم بالقرآن لاسباب وقد دل الحديث الصحيح أو التواتر عند بعضهم على ذلك

ولو سلمنا بالمعارضة فهي ليست لنص الآية . وانما هي بين عمومها أو استمرار الحكم وتأيدده وهو ظني كما تقدم والحديث أقل حالاته ان يكون أرجح واذا وقعت المعارضة فالجمع بين الدليلين هو الواجب اذا أمكن والا لزم اهمال أحدهما بلا موجب وهو لا يجوز . هذا على قول من يقول ان الاحاديث الصحاح انما تفيد الظن اما على ما اعتمدها من انها قد تفيدنا العلم فالامر واضح ظاهر ولا قباحة فيه

قال الفاضل حفظه الله أوجبوا القتل مطلقا على من ارتد عن الاسلام للحديث والقرآن يقول « لا اكراه في الدين » فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » . وأقول قوله أوجبوا القتل مطلقا ليس بصحيح على اطلاقه - بل لو منع الامام عن قتل المرتد لمصلحة كهادنة ومماهدة ومأمنة بشروط ألجئ اليها لا يجوز قتله فقتل المرتد قد يختلف حكمه باختلاف الحالات وهذا الاختلاف الذي قد يرى انه تسهيل في

بعض الاوقات والاحوال - انما يستفاد من الاحاديث والسنن لا من القرآن ومن تفكر فيما اشتمل عليه صلح الحديبية من الاحكام عرف ذلك فلنكتف بالاشارة اليه أما ما ذكره حضرة الفاضل فهو ليس في حكم المرتد وانما الآية الاولى في شأن الكفار من أهل الكتاب هل يجبرون على الاسلام أم لا وأما الآية الثانية فليس فيها تجوز الكفر لهم ولا حكم الاكراه لهم منابل هو مسكوت عنه كله انما هو في الكافر الاصلي فالأبراد ليس في محله .

ونحن نسأل حضرة الفاضل هل يقول باقامة الحدود والتعزيرات على فعل بعض الواجبات والفرائض الذي اجمع عليه المسلمون ودل عليه الكتاب والسنة كما قال « تعالى فإن تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم » الى غير ذلك مما يدل على ان المسلم يجبر على التدين والخضوع لاحكام الدين ؟ ام هو يقول بعدم جواز اقامة الحدود ونحوها ؟ فان قال بالاول وهو ظننا به فقد وافقنا وقضى اعتراضه بنفسه والا كان مخالفا وواقما في أقبح مما ظن وزعم ان غيره واقع فيه (لها بقية)

الاتقلاب العثماني الميمون

﴿ ورأي صاحب جريدة وطن الهندية فيه وفي عبد الحميد خان ﴾

أرسل الينا صديقنا الفيور مولوي محمد انشاء الله صاحب جريدة «وطن» الهندية ما يأتي فنشره مع تصحيح قليل لبعض الالفاظ من جهة اللغة والنحو ونجيه عنه وهو
حضرة الصديق الفاضل :

استلمت كتابكم الخصوصي مع العدد الرابع من مجلة المنار وشكرت فضلكم وقد وصلتني في نفس ذلك البريد اعداد من جريدة اللواء ايضا خلاف المهود وقد نشره هذه الجريدة كتابي في أحد اعدادها وردت عليه في العدد الآخر حسب ما رأيت فاشكره على لطفه ايضا

وجنابكم تعلمون اني اظن حضرتكم محباً مخلصاً للاسلام والمسلمين فاذلك اكلفكم في بعض الاحيان تكليفا ما - واطالع مقالاتكم وكل ما تسطرون في امر الاسلام والمسلمين بمزيد العناية والتبجيل بل واسعى في اشاعته جهد طاقتي وحسب استطاعتي ليستفيد العالم الاسلامي المندي من آرائكم الحكيمة - وكذلك لا اشك في كون حضرة علي فهمي كامل بك ايضا محبا غيوراً للدلة والوطن - ولكن اعذروني ياسيدي بأني لا أرى بدا من ان أقول لكم كلمة صادقة - وهي اني كنت دائماً لا أرى رأيكم صحيحاً في امر السلطان الخاوع وان ما كتبتم في العدد الاخير من مجلة المنار فقد قرأته بكال الاسف والحيرة - وليكن في علم حضرتكم اني لا اظن عبد الحميد ملكاً معصوماً - بل أرى فيه من حيث انسان من التقصيرات ومواقع الضعف البشري ما يجب ان يؤخذ عليها - ولا يخفى عليكم وعلى الذين طالعوا كتابنا تاريخ مشروع السكة الحجازية باتي اول من كتب بالصرحة التامة في ذم عمال عبد الحميد وعدم كفايتهم حين لم تكن في استطاعة أي جريدة من جرائد مصر وسوريا ان تكتب في هذا الباب بمثل تلك الصراحة - لاني كتبت ذلك في شهر يناير سنة ١٩٠٨ واطنكم غير ناسين ما جريات مشروع السكة الحجازية فانه لما شاع اقتراحي هذا اول مرة خالفه السلطان عبد الحميد اشد الخلاف وكتب جريدته الرسمية «المعلومات» ان هذا المشروع يكون اشد ضرراً للدولة العلية ولكن يفر الله للمشيرين المرحومين شاكر باشا وعثمان باشا غازي فانها بعد ان تأثرا من مكتوباتي المتوالية ايدا المشروع حتى تأييده وكانت نتيجة ما كان

ان حضرتكم وحضرة محرر جريدة اللواء تقولان ان مخلصكم هذا (محرر جريدة وطن) ومسلمي الهند لا يعلمون من الحالات الاصلية للدولة شيئاً - فاقول بكل الادب ان قياسكم هذا ليس بصحيح فان سوء ادارة ولاية الحجاز والحالة السقيمة التي كانت لا حقة للجيش العثماني المرابط في الولايات البعيدة - والمظالم التي كانت تجلبها يد الجاسوسية على البلاد والعباد كانت حديث كل ناد من اندية القوم في الهند والسند وأفغانستان ولم يكن الفرق غير اننا كنا خيرين بذلك والعثمانيون هم واقعون تحت نير هذا الاستبداد عملاً يندوق بعضهم من طعنها المرويتاوه من شدائد هذا المظالم

والآلام — وتطمون حضرتكم حق العلم ان مسلمي الهند لم يكونوا بوجه ما صنعا عليهم من السلطان الخنوع ولا مرهونين بهمة من الامة التركية . ان الاتراك أو الخليفة لم تعط ولا درهما واحدا في اعانة مسلمي الهند حين ما ابتلوا بلاء او اتابتهم نائبة مع ان مسلمي الهند لم يقصروا قط في مديد الاعانة للعثمانيين — حتى أن محرر جريدة وطن غير كونه مقترحا لمشروع السكة الحجازية والبغدادية جمع لها من اموال الاعانة زهاء مليون قرش وارسلها الى اللجنة العليا في الأستانة ولم تستطع جريدة من جرائد العالم الاسلامي ان ترسل مثل هذا المال لاعانة ذلك المشروع العظيم من الاكتاب العام وكذلك ارسلت في اعانة منكوبي جزيرة اقريطش آلافا من الرويات — احتسابا وخالصا لوجه الله — ما اردت أن أمن بها على احد ولا تشفع لي دولتو ذهني باشا في حضرة السلطان بهطاء امتياز (؟) مندرستين وصدرت الأرادة باعطائي الوسام العثماني من الدرجة الرابعة كتبت الى حضرة الباشا المشار اليه انني لم ار من المناسب أن ارد عطاء كم مع انني لا احسبه شيئا بمقابلة الاجر الذي يحصل لي من الله الكريم لان تلك الصلة الدنيوية لا يمكن أن تفيدني فائدة ما . ولا يفوتكم ان هذا الامتياز لم يكن ليعتد به لان الذين زاروا الأستانة العلية من الاجانب من أي صنف وطبقة كانوا تحصلوا على امتيازات اجل وافضل من ذلك الامتياز وغير ذلك فاني لم اكن اخدم هذا المشروع ورغبة في صله

يظنون بان السلطان عبد الحميد هو الباني والمحرك لفكرة اتحاد الاسلام وليكن أعلم حق العلم انه لم يسع قط لاشاعة هذه الفكرة في مسلمي الهند ولا احد من اعوانه ولو كان كذلك لكان لا بد ان اكون اول من يعلم به وكيف كان من الممكن السعي في نشر افكار اتحاد الاسلام بين مسلمي الهند حينما لم يكن قنصل الدولة العلية في شربجي عالما باصماء الجرائد الاسلامية التي كانت مشغولة في جمع الاعانات للسكة الحجازية ايضا — واني اعلم واكثر مسلمي الهند مثلي في العلم بان الوسائل الاصلية لهرقية المملكة العثمانية لم توجد في عهد عبد الحميد الى حد يجب ان نفتخر به حتى قلت بنفسني في تأليني كتاب « تاريخ خاندان عثمانية » الصادر في سنة ١٨٩٧ ما مفهومه « لعل ارى بجنب الجامع الحميدي وحميدية خسته خانه وامثال ذلك من المشروعات

ترعة او سكة حديدية ايضا يفتخر بها العصر الحميدي الى الابد» ولعلكم تتمجبون من سماع هذا الامر ان جريدتي « وطن » كنت ممنوعة الدخول فى الاستانة وبهض الممالك المحروسة كجريدة « وطن » المصرية وان كانت جريدتي لا يكون فيها غير مدح عبد الحميد وتأييد الخلافة العثمانية شيئا - بل هي مخصوصة لذلك الامر ولكن مع ذلك كله اعتمد انا وجميع مسلمي الهند بوثوق تام ان تركيا الفتاة او الامة العثمانية قد ارتكبت خطأ جسيما فى عزل عبد الحميد بل كفرت نعمة الله تعالى وقد علمتم من صاحبزاده عبد القيوم عظيم الافغان ان الصدمة التي احس بها مسلمو أفغانستان والهند من عزل عبد الحميد كيف كانت شديدة عليهم وكل يوم يرد علي من الكتب من اقطار الهند ما لا يستطيع نشره فى الجريدة وفيها ما فيها من اظهار التآلم والتأثر فى النفس - وأخاف لو نشرت افكار المنار واللواء فى جريدتي أن تأثي غالبا بما هو عكس المقصود - واسمحوا لي ان اقول لكم بكل الاسف ان ما كتبتم حضرتكم تعليقا على مقالتي أو فى مكان آخر من مجلتكم هو خارج عن حد الاعتدال يشف عن ميلكم الى الاتحاديين ولذلك تهوتني وجميع مسلمي الهند بالجهل بأحوال الدولة العلية - ان حضرتكم أو حزب تركيا الفتاة أو الرجعيين من العثمانيين الذين يرومون عود عصر الاستبداد - كلكم من المناظرين او فريق من المتخاصمين لا يستطيعون ان تبدوا او تقيموا رأيا صحيحا واما نحن مهاجر المسلمين فى الهند ففي وسعنا ان نقيم الراى الصحيح لاننا لسنا من فريق ولا واسطة لنا بهم غير الاخوة الاسلامية والتعلق الادبي الذي هو روح الاسلام - وانكم مثل الجندي الذي يكافح ويناطح الاعداء فى ميدان القتال لا يرى غير ما يكون حواليا ولا يكون هم الاقتل مبارزيه ونحن كالمفترجين من بهيد نرى كل ما يجري بين الفريقين المتحاربين - وانكم من الذين آدام العصر الحميدي حتى اضطر واترك الأهل والوطن فلا بد انكم تسرون بزوال السبب الذي جر عليكم هذه البلاد وان يكن هو السبب البعيد والتهريب غيره والا فلم يكن يليق ب حضرتكم ان تصوبوا سهام آيات الانذار من القرآن الكريم الى عبد الحميد الذي لم يبق له (شيء من) الحول ولا الطول وهو الآن تحت مرحة أعدائه الذين لا تشفى غناهم الا بشرب دمه

ان ما فعلوا به يد الحميد هو ليس غير عزله من صرير السلطنة ولكن ثرون مئات من ملوك والخلفاء والقواد العظام الذين دالت دولتهم قد صار مصيرهم اسوء من عبد الحميد : ايش مهنى على فاوليون؛ وما جرى على مدحت باشا؛ قد قتل السلطان عبدالعزير وعزل السلطان مراد - بل الفاروق (رض) وذو النورين (رض) والامام علي (رض) كالم فازوا بالشهادة ان لم ينزلوا من دست الخلافة وأراد انقاتل اغتيال معاوية (رض) وقتل الحسين (رض) مع رفقائه رضوان الله عليهم في اشد المصيبة ولقد نجد التاريخ مملو من أمثال هذه الحوادث الجسام فلاننا ان نخص مفهوم الآيات القرآنية بعبد الحميد وحده بل يجب علينا ان نحتزم من مثل ذلك الخطاه

واعلموا ان ظنكم وظن جريدة اللواء بان الانكليز في الهند يسمون في إلقاء بذور الشقاق بين مسلمي تلك الاقطار والعمانيين للقضاء على الاتحاد الاسلامي والخلافة فأقول لكم بكل الاحترام ان ظنكم هذا ليس في محله بل أسأتم حيث ظنتم هذا لأن الأمة الانكليزية أمة حرة عادلة عاقلة لا تتداخل أبداً في مثل تلك الأمور. ان مسلمي الهند كانوا يجاون عبد الحميد لكونه سلطان المملكة العثمانية وأحبوه لأنه في رأيهم كان حافظ هذه السلطنة من المخاطرات الجسيمة لا غير فكان تبجيلهم له ومحبتهم منه لأجل خدماته الجليلة التي خدم بها السلطنة والخلافة الاسلامية - وان كان عطل الحكومة الدستورية السابقة فلأنه يحسبها مضرة أشد الضرر في حق الدولة والملة

ان المسلمين الهنديين يعلمون بانه ليس من أحد في هذه الدنيا غير فان و باقيا غير الله الواحد القهار : ان الحمزة على بسمارك ما صار سببا لخراب ألمانيا وعزل عمر بن الخطاب خالدا (رض) عن القيادة العامة لجند المجاهدين لئلا يحسبه المسلمون سببا لفتوحات ويتركوا الاتكال على الله تعالى وعلى شجاعتهم وقد هلك آلاف من الصحابة الكرام بطاعون عمواس و فازوا بالشهادة في ميدان القتال ومع ذلك لم تقطع سلسلة الفتح الاسلامي كذلك عبد الحميد أيضا لم يكن ليصير الى الأبد ان كان يموت فكان لا بد من مشي الأمور كما كانت تمشي قبل أيامه وفي عصره ولكن مع كل هذه المسلمات لم تصور نحن معاشر المسلمين الهنديين عزله طاعة كبرى للدولة؛ لأن في

آرائنا أن الدولة العلية فقدت بهذا الأمر إحدى يديها وعينها وصارت ذات يد واحدة وعين واحد فقط بعد ان كانت ذات يدين وعينين

نحن نقول ان عبد الحميد لما أخذ كل أمور المملكة في قبضة يده قد أحسن نظرا الى الحالة الطارئة على البلاد في تلك الايام لانه لو كان القوم كلهم أو جزءا قويا من أجزائهم يرى مثل رأي مدحت باشا لكان من المحال سقوط ذلك الرجل المصلح . ولا يذهب من خاطرهم ما فعله القواد العثمانيون العظام في حرب الروسية الاخيرة من أخذ الرشوة وكيف كان حال العمال في ذلك العهد فكان كل تبعه الجور والاستبداد على الوزراء والولاة

هذا هو حلمي باشا الصدر الاعظم الحالي لما كان واليا في اليمن أي شيء فعل في تلك البلاد العسة ؟ لذلك رأى السلطان عبد الحميد ان العافية في ان يأخذ كل أمور المملكة في يده ويقبض عليها بيد من حديد ومن الظاهر ان ترقية القوم الذين قد خيم الادبار بجرانهم لا يكون ممكنا الا بالحكم المطلق

كان حكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم مطلقا وكان حكم الصديق (رض) والفاروق (رض) أيضا كذلك

لا ننكر ان اجتماع الاختيارات في يد رجل واحد أعني عبد الحميد قد صار في آخر الامر موجبا للخراب أيضا لان الرجل الواحد لا يستطيع أبدا ان يحكم على بلاد واسعة الارحاء مترامية الاطراف وقد اندكت قواه بكثرة الأشغال فظهر عليه ضعف الكهولة والشيوخوخة حتى صارت أكثر الامور في يد رجال الماين وهم يرمون كما يشاؤون ولكن نية عبد الحميد لم تكن سيئة قط لذلك لما رأى ان جزءا كبيرا من القوم صار أهلا للحكم الدستوري اعاده عليه وأعطاه حقه والظاهر ان هيئة الادارة التي تشكلت في سنة ١٩٠٨ هي من أحسن ما يكون

ولا بسمعكم إنكار ان المعلمين المتورين الآن في بلاد العثمانية قليلون جدا والجزء الاعظم من تركة آسياملو من المسلمين الذين يميلون الى بقاء القديم على قدمه أكثر من الذين يرون الدستور حياة البلاد ومخلص العباد من شرك الظلم والفساد ومحبو القديم هم يقدرون اقتدار جلالة السلطان حق قدره ولا يفتنون ان يكون السلطان مسلوب الاختيار

فان بقاء السلطان عبد الحميد على سرير الملك وقيام مجلس المبعوثان على العمل باصلاح الحكومة والبلاد هما الامران اللذان كانا يعثان الطمانينة في نفوس الفريقين وهذه الطريقة كان من الممكن ان يأخذ الدستور مجراه الطبيعي على سبيل التدرج والترقي ولا تقع السلطنة في اخطار الحرب الاهلية والفتن الداخلية ومن الجانب الآخر لا يكون بوسع الاعداء الخارجية ان يتلاعبوا مع الدولة المليئة بظوفهم من سياسة عبد الحميد ودهائه المشهور والمعالم ولكن الانقلاب الأخير (المشؤوم) قد فتح الدور الجديد قبل أوانه وزالت أركان حالة البلاد زلزالا شديدا

ان محمود شوكت باشا قد يستطيع ان يعدم كل جهال الاستانة وصوفتها ولكنها لا يستطيع أبدا ان يمحو من الوجود الملايين من المسلمين القاطنين في بلاد العراق وكرديستان وجزيرة العرب والاضول وغيرها الذين هم من محبي الحالة القديمة والحكم المطلق لا شك في أنهم سآكتون وصامتون الآن وسيسكتون الى بقاء الادارة العرفية والسيادة العسكرية ولكن متى وجدوا انفراجا من هذا الضغط ولو قليلا فلا بد من انفجار المادة المشتعلة الكامنة الآن تحت هذا الضغط الشديد (لا قدر الله)

انكم تقولون ان الخليفة والسلطان هو موجودٌ وجالس على عرش السلطنة ولكن حجتكم هذه غير نافعة لان جلالة السلطان محمد الخامس هو كآلة صماء في يد فريق ليس له وجهة خصوصية وقوة ذاتية . وتقول بعبارة أخرى ان يدا وعينا واحدة من يدي وعيني الدولة تملان الآن واليد والعين الاخرين ممطلتان بل تريد اليد العاملة والعين المستعملة في ذلك الوقت قطع اليد الأخرى وقمع العين الثانية من جسم الدولة وصلاح الدولة منوط بأحداهما في العمل اعني كان من الواجب ان يكون الفريقان من انصار عهد القديم والدور الجديد متحدين في ترقية شأن الدولة وصلاح المملكة مثل اليدين والعينين ويكون الصدر أو الرأس عبد الحميد فيعملان حسب إشارته وينجحان في أعمالها

انكم تقولون ان الحركة الجديدة في الدولة العثمانية هي عين التوحيد والاسلام ولكن التاريخ يقضي بخلاف ذلك . ان الفتيان من الأتراك (تركيا الفتاة) يتبعون

أر اقدم فرنسا التي استقطت الملك أولا والعلماء الروحانيين ثانيا وقطعت علاقة امبد بالله تعالى أخيرا فصاروا بذلك من الماديين الدهريين . ان صبغة تعاليم الاسلام لتجدون في انكلترا البتة (كذا) ولعل تركيا الفتاة ان لم يكن بوسعها ان تقلد الخلفاء الراشدين فكان اللازم عليها قراءة تاريخ انكلترا . لا ريب انه قبل قرون من هذا العهد قد فعل كرامول في انكلترا كما فعل شوكت الآن في الاستانة ولكن ايش صارت نتيجة ذلك الفعل القبيح غير اراقة الدماء اعواما متوالية وأخيرا قد حلت الملكية محلها وثبت ان محوها محال

تقولون ان عبد الحميد كان منبع جميع الشرور والمظالم ولكن ما تقولون في أمر تركيا الفتاة والمشير شوكت باشا فانهم أنفسهم من الذين رباهم العهد الحميدي الزاهر هل تسبونهم على تهيئة مثل تلك النابتة النافذة ؟

تقثم أقوالا للغازي مختار باشا في ذم عبد الحميد وكأنكم ليس لكم علم بان عبد الحميد كان واقفا من مدة على سوء نية الرجل وامياله العدائية نحوه ولكن لم يتعرض قط لشأنه بل كان ينعم عليه ويكرمه كما كان يسمى في جلب الفتیان الثأرين عليه من أوروبا بالشفقة الابوية والعفو السلطاني أليس هذا سباحا وكرمانه لا يوجد له نظير الآن ان جمعية الأتحاد والقائد شوكت باشا يستطيع ان يأمر عبد الحميد ورجال الدور السابق ويعدم من يشاء من معانديه ، أفلم يكن يستطيع عبد الحميد ان يذلل المختار في زمان اقتداره؟ ولكن التاريخ يشهد له بأجلى بيان انه لم ينتقم من أحد لنفسه قط بل كان يشدد ويلقى القبض على الذين يهدم أعداء الدولة والملة . ان مراد بك وغيرهم من رفقائه يساقون الآن الى السجن المؤبد أو المشانق ومن الذي لا يعلم انهم كانوا من أشد أعداء عبد الحميد فعفا عنهم وطلبهم الى الاستانة وأنعم عليهم - وعلى كل حال إن المسلمين الهنديين متألمون ومتأسفون جدا من جراء هذا الانقلاب لظنهم انه يضر بالدولة والملة العثمانية ضرراً بليغا ولكنهم اذا وجدوه مفيدا بحققها وثبت لهم ذلك من كر الليالي والايام فلا بد من أن ينعم به بالهم وتقر به أعينهم ويقولون « الخير فيما وقع » وإلا فقد اقي العالم الخارجي كله بأن « لا خير فيما وقع »

انكم تنسبون تألم المسلمين الهنديين الى دسائس الاجانب . وأكثر العقلاء يرون ان تركيا الفتاة مفرورة من جهة الاغيار في ارتكاب ذلك الخطأ الجسيم ان عبد الحميد لم يكن قط بانيا لتحريك اتحاد الاسلام ولكن قد وجدت هذه بالحركة في عصره بين المسلمين بناموس الارتقاء البشري وأيقنت أوربا مثل يقينه بعدم تناهي كنوز بلدزوان الثلاثمائة مليون من المسلمين كلهم في قبضة عبد الحميد وكان ذلك اليقين كظن ثروة عبد الحميدية الغير متناهية (بزعمها) مباركاً في حق الدولة والاسف كل الاسف على ضياع هذه الاعتقاد بهزل عبد الحميد وتحريات ثروته !!! ان اتهام عبد الحميد بالجهن كالبصق على السماء ينزل على وجه الرجل نفسه لقد قال له الوزراء حين قدوم جنود الروسية في سان استفانوس ان يهرب الى بروصه لكنه لم يتزعزع من مكانه ولم يرض بتترك دار الخلافة ولما طلب الروس الاسطول قال عبد الحميد اني أركب في السفائن وأدمرهم بيدي وأغرق معها ولكن لأقبل ان أسلمها للعدو أبداً هل يمكن طمس الحقيقة التاريخية التي تظهر بذكريات عبد الحميد وقوة جاشه عند وقوع الزلزلة في القصر وفرقة الديناميت على بضعة أقدام من مركبته حيث لم يكثر ذلك الطود العظيم بهذه الحوادث ابداً !!! وأكبر من ذلك ان يتهمه فاضل مثلكم بمقر الخمر (استغفر الله) لأن وجود الخمر في قصره من لوازم ضيافات الاورباويين الذين كثيراً ما كانوا يدعون كل يوم على مائدته ولاجل ذلك لم يكن يشترك عبد الحميد قط في الطعام معهم وتقول جريدة اللواء «ان انصار المهد القديم والرجمين بمدون الجرائد الخارجية بالمال ويأخذونها وسيلة لنشر افكارهم» - يمكن ان يكون في مصر جريدة مثل ماقالته - ولكن لا يوجد في الهند عثمانى واحد يحمض جرائدها ببذل المال على تنقيص تركيا الفتاة والحكومة الدستورية - ومع ذلك فرصيفتنا اللواء تقول كذلك وتظهر خطأها القياسي كالأقمة الحقيقية فيمكن لنا ان نستدل بقيمة بياناتها بأنها قياسات لا أصل لها -

ان جريدة المقطم وغيرها من الجرائد التركية لقد تجاوزن حد الآداب في ذم عبد الحميد ولم تكن تفعل واحدة منهم هكذا في عصره - ومن العجب ان أكثر جرائد العرب والشام وغيرها يتقلون مقالات المقطم في أنهر صحفهم - وهن يعلمن

(المارج ٦ م ١٢) الانقلاب العثماني . جواب المنار لجريدة وطن ٥٩

ان آراء هذه الجريدة كانت دائما مخالفة للحقوق التركية والمصرية في معاملة مصر -
وفرحها وسرورها بعزل عبد الحميد يكشف الفطاء عن نيتها ويظهر لنا جلياً انها ترى
هذا العزل حسب مرادها -

ان كان عبد الحميد ليس له عون ولا نصير فلم يعدمون الآلات الموثقة من
النفوس في الاستانة وسائر الجهات ؟ لاشك في انه فضل حقن الدماء ولم يرض ان
يكون مثل شاه العجم . انه كان محباً لليلة وخادماً مخلصاً للوطن لاطالب الجاه - وكان
يجب الحياة لكن لا للتم والانتداز بنعمات الدنيا الفانية بل لخدمة الوطن والمثبوظنه
ن حياته رحمة الهية لصالح العباد والبلاد -

ان خير ما كتب في ذلك الشأن هو قول رصيفتنا اللواء « ان عزل عبد الحميد
عن عرش الخلافة ليس قتله بل احياؤه لانه خلص من متاعب الحكومة » ولكن أقول
ان عزله وان يكن في حقه احياء فلا يكون في حق الدولة الاموتاً ونكلاً - لا يوجد
رجل في جميع المملكة محنكاً مثله بل وأقل منه أيضاً في السياسة الخارجية لذلك
أرى من الواجب على الامة ان تكرم مقامه وتتشيره في الامور المتعلقة بالسياسة
الخارجية ويكون العمل منوطاً بالاكثرية لاعلى اشارته

ولقد طال المقال رغم ارادتي الاختصار لذلك اختم رسالتي بتقديم فائق الاحترام
لحضرتكم وأرجو منكم نشرها كما ترون مناسباً والرد عليها سالكين مسلك الانصاف
والحق وترك المجادلة بالباطل والسلام

وقد ارسلت نقولا من ذلك الى بعض جرائد أخرى أيضاً عسى ان يتكرموا بنشره

كاتبه المخلص محمد انشاء الله

في ١٢ يونيو سنة ٩٠٩

محرر ومدير جريدة « وطن »

لاهور (بنجاب) الهند

﴿ جواب المنار ﴾

مقدمات ومسائل حول المقصد

(١) كان لنا ان لا ننشر رسالة صديقنا هذه لانه لم ينشر مقالاتنا في الرد على رسالته

الأولى لأن الفائدة في نشر أمثال هذه المناظرات في الصحف هي بيان جميع ما يجب بيانه لقراءتها في المسائل المتناظر فيها لاجل ان يكون حكم أولئك القراء صحيحا لبنائه على العلم بالمقدمات التي يبنى عليها الحكم . ولكن صديقنا خشي من نشر ردنا عليه أن يأتي بضد ما براد منه كما قال فكان قراء جريدته لا يرضون منها الا ان تكتب لهم ما يوافق ميلهم وهو يوافقهم على ذلك وهي خطة فيها من النقد ما لا يحل لشرحه هنا . أما نحن فأننا ننشر ما هو مخالف لرأينا ولمشرب جمهور قراء المنار لأنه ان كان حقا قبلناه ، وان كان باطلا دحضناه ، وفي اعتقادنا ان الحق يدمغ الباطل فاذا هو زاهاق

(٢) لانسلم لرصيفنا وصديقنا المناظر لنا ما يدعيه من أن رأيه في عبد الحميد والدولة هو رأي جميع مسلمي الهند فإنه يتعذر عليه ان يعرف آراء أولئك الملايين وهو لا يعرف أكثرهم ولا هم يعرفونه وانما قصارى ما يمكن ان يظن هو أن جمهور قراء جريدته موافقون له في رأيه وميله وما هم الا عدد قليل في أولئك الملايين . وقد اعتاد مثل هذه الدعوى بعض الجرائد المصرية وما زلنا تنكرها عليها . واننا نرى بعض جرائد اخواننا مسلمي الهند تنشر من الرأي ضد ما ينشر صاحب « وطن » بل ترد عليه فيما يكتبه كجريدة « دوكيل » التي تصدر في (أم ترس) وبلغنا عن مسلمي عليكده انهم مسرورون وراضون عن هذا الانقلاب العثماني وناهيك بن هناك ، انهم انور مسلمي الهند عقولا وأرجاهم لخدمة العلم والملة

(٣) ان صديقنا المناظر احتج برأي عبد القيوم عظيم الافغان وان هذا الرجل العاقل المنصف لم يفارقنا الا وهو مقتنع بأن تشاؤم الكثيرين من مسلمي الهند والافغان وخوفهم من عاقبة هذا الانقلاب انما سببه الجهل بالحقائق وان لبعض الجرائد تأثيرا تأثيرا سيئا في ذلك وانه يجب السعي في إزالة هذا الجهل حتى انه اقترح إرسال وفد تركي بجوب البلاد الهندية والافغانية لإزالة سوء الفهم والجهل بالحقيقة . وقد كان هذا من المعقول في أول العهد بالانقلاب أما وقد طال العهد ونشرت الحقائق في الجرائد فقد رأينا المنصفين من اخواننا مسلمي الهند مقتنعين بما ظهر لهم من الحق ولذلك كان إصرار صديقنا صاحب جريدة « وطن » علي ما كان عليه غريبا عندنا بصعب تأويله

(٤) قرأنا رسالته هذه قبل نشرها على بعض أهل الرأي والاستقلال من مسلمين وغير مسلمين فمعجبوا واستغربوا وقالوا ما نذكره من إنكاره على إطلاقه وإجلال صديقنا وتبرئته من سوء النية : انه لا يعقل ان تكون هذه كتابة عارف مخلص... وليس في هؤلاء من هو من جمعية الاتحاد والترقي ولا من المتصرين لها بل هم ممن يعرفون لها وينكرون عليها .

حقانه يصب على العقل المجرد من الهوى ان يتصور ان إنسانا يعرف حقيقة حال الدولة العثمانية وحقيقة ما فعله عبد الحميد من الافاعيل الضارة بها وبالامة ثم يكتب كلمة في مدحه والدفاع عنه ويكون مخلصا محبا للمصلحة العامة ولذلك بنينا ردنا السابق على قاعدة جهل جرائد مسلمي الهند بمفاسد عبد الحميد ومضار حكمه اذ لا وجه يتضح لاتهم بسوء النية وعدم الإخلاص . ولكن صديقنا ومناظرنا ينكر ذلك في رسالته هذه ويدعي انه هو وغيره من مسلمي الهند واقفون على جميع سيئات الحكم الحميدي وانهم اعلم بها وأقدر على الحكم فيها من العثمانيين الذين ذاقوها وتقلبوا فيها . وينبي دفاعه عن عبد الحميد ومدحه له على ادعاء حسنات له لا دليل عليها ولا يستطيع ان يزيد فيها على الدعائي والمدائح الشعبية كما بينا ذلك في ردنا الاول عليه وزاده بيانا صديقنا رفق بك العظم في مقاله التي نشرناها في الجزء الماضي وزيدته نحن بيانا في هذا الجزء (٥) ان كتابة صديقنا لهذه الرسالة بعد اطلاعه على ما اطلع عليه من كلامنا وكلام غيرنا في الانقلاب لم نجد لها من تأويل مع ما نظن من اخلاصه الا ان جريانه على مدح عبد الحميد سنين طويلة جعل حسن اعتقاده فيه أمرا وجدانيا كدين المعائز لا يقبل بحثا ولا استدلالا يخالفه أرجو منه العفو والسماح عن ابداء رأيي هذا فاننا لم نر وجها آخر نفهم معنى إصراره وتناقضه وتهافته فيما يكتبه أولا وآخر

(٦) إننا لانعتقد صدق ما يظنه بعض الناس هنا من ان الانكليز هم الذين أحدثوا في الهند فكرة سوء الظن بالدولة العثمانية في طورها الدستوري وان كنا نعتقد انهم يحبون ان تنشر هذه الفكرة ليضعف تعلق المسلمين الديني بهذه الدولة وأن كل من يبطل ثقة المسلمين بالدولة العلية في البلاد التي للانكليز فيها نفوذ يكون خادما لهم في الواقع ونفس الامر وان لم يكلفوه ذلك ويفروه به

(٧) اتنا لا نعتقد أيضا ان السلطان عبد الحميد هو الذي سعى في بث نفوذ الدولة الدينية في مسلمي الاقطار أو في دعوتهم الى التآخي والائحاد مع سائر المسلمين . هو أقل وأضمر من ذلك فثله لا يسى في عمل كبير كهذا . وانني موافق له صديقي المناظر في كون هذه الفكرة المنبثة في المسلمين من روح التعارف والوحدة المعنوية ليست الا أرا من آثار سنة الترقى في البشر . وقد كان شيخنا الاستاذ الإمام يقول ان الحرب الروسية العثمانية هي مبدأ هذه الحركة والصوت المحدث لهذه القفزة الاسلامية العامة . وقد كان هو وشيخه السيد جمال الدين يكتبان في أثناء تلك الحرب المقالات المنبهة والموقظة . وقد رأيا قبل ذلك ان انكثرا حاربت الافغان فلم يكن أحد من المسلمين في مصر والاساتنة وغيرها يحفل بذلك

(٨) انني لا أتعجب من منع جريدة «وطن» الهندية من دخول البلاد العثمانية في عهد عبد الحميد وان كان لا يخشى ان ينشر بدخولها من الافكار المالا يحبه لجهل العثمانيين بلقنها ، ولا منع جريدة «وطن» المصرية - ان صح انها أرسلت ومنعت على كونها قبطية لا يطمع صاحبها بنشرها في غير مصر - لان العاقل انما يعجب مما جاء على خلاف اليهود ومثل هذا المنع هو المهورود في أيام عيد الحميد لان سياسته كلها وما يتعلق منها بمنع الصحف والكتب خاصة هي سياسة جنون وهل يتعجب العاقل من المجنون اذا آذى من يحسن اليه ؟؟

(٩) ان ما ذكره من سيئات عبد الحميد يناقض من وجوه ما ذكره في الرسالة الماضية التي نشرناها في الجزء الرابع التي ادعى فيها انه أصلح مالية الدولة وورق عسكريتها ومعارفها وعمر داخلتها بل يناقض بعض ما جزم به في رسالته هذه كما سيأتي

(١٠) اتنا يذنبه خطأه فيما أطرى به عبد الحميد من الاعمال التي نسبها اليه وكان يعمل ضدها فلم يستطع ان ينفي شيئا مما أثبتناه وهو مع ذلك يصر على إطرائه ببيانات شمرية ودعوى ظهر بطلانها لكل أحد كدعواه انه منع الدستور لاعتقاده ان الأمة لم تكن أهلاله ثم أهلبها له ومنحها إياه

(١١) لانسلم له انه أول من كتب بالصراحة في ذم عمال عبد الحميد فان جرائد المشرق والمغرب قد فاضت بدم عماله وبذمه هو أيضا قبل سنة ١٩٠٨ التي كتب

صديقنا فيها ولم يشذ عن ذلك الا الجرائد التي كانت تحت سيطرة ظلمه وجبروته أو المستأجرة بماله لدحه أو الجاهلة بحال الدولة العثمانية أو التي لا يهمها شأنها كبعض جرائد أمريكا واسبانيا مثلا (وعسى ان لا يعود صاحبنا الى دعوى مثل هذه الاولية التي يسخر العقلاء من اتعال بعض الجرائد المصرية مثلها)

(١٢) ان ما ذكره عن جريدة معلومات غير صحيح فهي لم تكن جريدة رسمية ولم يكتب ما كتب فيها عن مشروع عسكة الحديد الذي كان اقترحه الكاتب بأمر خفي أو ظاهر من السلطان عبد الحميد وإنما كان ذلك رأي محررها في ذلك الوقت وهو صديقنا السيد عبد الحميد افندي الزهراوي الشهير وهو الذي حدثنا بذلك عن نفسه وإنما ذكرنا هذا الامر مع كونه ليس من موضوعنا انما هو لغرضين أحدهما كونه مثلا لعدم الثقة بمعلومات صديقنا صاحب وطن عن الدولة العلية وثانيهما معارضته في قوله ان خطأ اللواء في بعض ما ذكره عن الهنود يقتضي عدم الثقة بكل ما يكتبه

(١٣) دعواه اننا نحن السياسيين والمؤرخين العثمانيين لانستطيع ان نحكم في قضية الانقلاب العثماني حكما صحيحا لاننا من قبيل الخصم يحكم كل نفسه وأن مسلمي الهندم الذين يستطيعون ذلك — هي دعوى غير مسددة لأن التشبيه في غير محله والافتنا انه لا ثقة بما كتب مؤرخو فرنسا وساستها عن ثورتهم وحكومتهم — ولان اخواننا مسلمي الهند غير واقفين على حقائق الأحوال فيكون حكمهم فيها أجدر بالصحة

(١٤) اننا نعتقد اخلاص مسلمي الهند في حبههم للدولة ونعد صديقنا ومناظرنا من أشدهم غيرة واخلاصا بل نقول ان خطأه جاء من شدة غبرته

المتصد وفيه مسائل

(١) اعترف صاحبنا « بأن الوسائل الاصلية لترقية المملكة العثمانية لم توجد في عهد عبد الحميد » الخ واعترف بأن أخذ أزمة المملكة بيده « صار في آخر الأمر موجبا للخراب » وهذا ما قاض لرسائله الاولية برمتها ولبعض مسائل رسالته هذه كما أشرنا الى ذلك في التمهيد والمقدمات

(٢) ادعى مع ذلك الاعتراف ان عبد الحميد كان محسنا في إبطال الدستور الأول واستبداده بالحكم المطلق واستدل على ذلك بدليلين أحدهما سوء حال الدولة وعدم استعدادها للحكم الدستوري بدليل ما حصل من سقوط مدحت باشا المصلح ومن اخذ القواد العثمانيين الرشوة في الحرب الروسية وسوء حال العمال في ذلك العهد وعجز حلي باشا عن اصلاح اليمن . وثانيهما كون حكم الاسلام هو الحكم المطلق نجيح عن دليله الأول من وجهين أحدهما إنما يصح كونه محسنا في ذلك لو كان عدل في حكمه المطلق وأصلح وهو لم يكن الا ظلوما مفسدا زادت الرشوة في زمنه أضافا مضاعفة . وثانيهما انه كان يمكنه ان ينفذ الدستور مع الرجال المستعدين لذلك الذين وضعوه كمدحت باشا وإخوانه كما فعل ميكادو اليابان فيكون في أول الامر دستورا في الصورة وحكما بين المطلق والشوري في الحقيقة و بذلك يقوى استعداد الأمة بسرعة . هذا ما تقوله مؤخرا في الدليل نفسه لأننا لا نتكر كون الأمة العثمانية لم تكن في عهد مدحت باشا مستعدة للدستور بنفسها بل صرحنا بذلك مرارا في خطبنا ومقالاتنا المنشورة في المنار . أما الجزئيات التي أيد بها ذلك فهي مجال للبحث فان عبد الحميد اغتال مدحت باشا بالحيلة الخفية بعد ما نقله من ولاية الى ولاية والأمة لم تظن لكيد . وان حسين حلي باشا عجز عن اصلاح اليمن لأن كل اصلاح مع استبداد عبد الحميد وخرقه كان محالا على ان حلي باشا كان حسن الادارة في اليمن لا ينكر أهلها ولا غيرهم ذلك

ونجيب عن دليله الثاني بمنع زعمه ان حكومة الاسلام حكومة فردية مطلقة . وقد أساء جدا في قوله ان حكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحكم الصديق والفاروق رضي الله عنهما كان حكما مطلقا برأهم الله مما قال وانما ذلك هو حكم الشورى الكامل ، وحكم التقييد بالشرع في الظاهر والباطن ، وقد بينا ذلك في المنار غير مرة مؤيدا ببراہين الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء الأربعة . فليراجع صاحبنا تفسير « وشاورهم في الامر » من المجلد الحادي عشر ومباحث الحكومة الاسلامية في المجلد الرابع وغيرها من المجلدات وليستغفر الله تعالى مما قال

(٣) أذكر بعد زعمه ان حكومة الاسلام التي قام بها النبي (ص) والخلفاء

الراشدون كانت حكومة مطلقة زعمه اني قلت ان الحركة الجديدة في الدولة العلية هي عين التوحيد والاسلام وورده ذلك بزعمه ان فتیان الترك القائمين بهذه الحركة يتبعون خطوات فرنسا باسقاط الملك فعلماء الدين ثم بقطع العلاقة بين الناس وربهم واختيار مذهب الماديين الدهريين

وتقول في جوابه ان زعمه هذا من سوء الفن المتعلق بمكنونات الصدور ومخبات الغيب للمستقبل . واذا كان صاحبنا ومناظرنا لا يعرف حقيقة الدولة الحاضرة وحال القائمين بها فكيف يعرف ماخبيها في الغيب . بل كيف يمكنه ان يدعي الاستدلال بالناظر على الغائب . ان الاحرار الذين بأيديهم حدثت الحركة هم الناظرين من العثمانيين العرب (كالتقواد محمود شوكت باشا وهادي باشا وعلي رضا باشا) والترك (كآنور بيك من الضباط وغيره) والالبان (كنيازي بك من الضباط وغيره) ولم يعرف عن أحد منهم الكفر وانتحال مذهب الماديين وكذلك الناظرين من المبعوثين والاعيان لم يعرف عنهم ذلك الا ما نقل عن رضا نور مبعوث أدرنه من ذلك القول الذي اعتذر عنه وهو لم ينقل على وجهه . ولم يعرف عنهم انهم يفضلون الحكومة الجمهورية على الملكية

نعم اني لا أنكر انه يوجد في متفرنجي الترك - وكذا غيرهم من العثمانيين - كثير من الملاحدة لفساد التربية في البلاد والتعليم في مدارس الحكومة ولا يبعد ان يوجد منهم أفراد في مجلس المبعوثان وفي لجان جمعية الاتحاد والترقي ولكن يوجد في هؤلاء الملاحدة من هم أحرص على جعل الدولة إسلامية من جميع المنتظمين في الدين لانهم يعرفون من فائدة ذلك مالا يعرفه المنتظمون . فالملحد الغالي الذي يخشى من غلوه على شكل الحكومة الاسلامي قليل . واختلاف الآراء والاهواء في الحكومة طبيعي في كل أمة فقد كان في عصر الاسلام الأول من يميل الى جعل الحكومة حكومة أشرف كشيعة علي كرم الله وجهه ؛ ومن قال منا أمير ومنكم أمير ؛ ومن يميل الى الديمقراطية المعتدلة وهم الأكثر . ووجد في ذلك العصر الخوارج وناهيك بمذاهبهم في الحكومة

وقول من وجه آخر إذا كان ما ذكره عن فتیان الترك أو العثمانيين ونابتهم المتعلقة صحيحا وكانوا هم المدين لادارة المملكة بمقتضى طبيعة الحال ألا يكون من سوء ادارة عبد الحميد أنه لم يرب في ثلث قرن من يصلح لإدارة دولة إسلامية كدولته ؟

ان مناظرنا الصديق يحتاج علينا تارة بأن عبد الحميد رقى التربية والتعليم في الدولة حتى صارت اهلا للدستور فتكرم وتفضل بالانعام عليها به مختارا مسرورا ، وتارة يحتاج علينا بأن هؤلاء المعلمين ملاحظة لا ينتظر منهم الا الإلحاد والافساد؟ وليت شعري ماذا يفيد بقاء عبد الحميد في الملك مع التعليم والتربية التي تشج مثل هذه النتيجة؟ أكانت كل رغبة مناظرنا وغرامه من التمتع بالحكم الاسلامي الحميدي هو ان يبقى لعبد الحميد استبداده الى ان يموت على فراشه؟ أليس ماظهر من عدل الله فيه مما يزيد الذين آمنوا إيمانا؟

اما ما اشار اليه الصديق المناظر من استحسان الاعتبار بحال الإنكليز والاقتباس من سيرتهم وتاريخهم وكونهم أقرب الى الحكومة الاسلامية الصحيحة من غيرهم فهو مقارب لرأي اخيه ومجبه هذا وقد نهت الى هذا في خطب وأقوال كثيرة وكتبته في المنار ايضا في بعض المقالات ولعل الصديق رآه وسعود اليه بالبيان الكافي ان شاء الله تعالى

(٤) يقول صديقنا ان المشير احمد مختار باشا الفازي سيء النية وعدو للسلطان عبد الحميد أي فلا يحتاج بقوله فيه . ويقول لي « كأنكم ليس لكم علم بأن عبد الحميد كان واقفا من مدة على سوء نية الرجل وامياله العدائية نحوه »

وأقول أولا — كيف كان يعلم هو في الهند من العلاقة بين مختار وعبد الحميد مالا أعلمه وانا في مصر اسهر الليالي الطوال مع مختار باشا وتحدث في احوال الدولة بالحرية التامة ويند كر لي كثيرا من الاسرار وهو يعلم اني أمين عليها ، ومنها رأيه في السلطان ورأي السلطان فيه . وثانيا — لماذا يكون مثل احمد مختار باشا سيء النية لعبد الحميد وشديد العداوة له مع ما ذكر صديقنا المناظر من إنعامه عليه وإكرامه له؟ هل يعقل ان يكون لذلك سبب الا اعتقاد هذا المشير الذي بذل في سبيل الدولة

دعه غير مرة أن عبد الحميد جان عليها ومخرّب لها وهو الذنب الذي لا يغفره عند هذا الرجل العظيم الإناام ولا الإكرام الشخصي . وثالثاً ليراجع صديقنا ص ٧٦ من منار هذه السنة يجد فيها ان السلطان عبد الحميد كان يتهم مختار باشا بأنه يساعد جريدتي المنار والقانون الاساسي لانهما أنشئنا لمقاومته نفسه . ولو شئت لذكرت له كثيراً من أمثال هذه الوقائع والحوادث والمكاتبات الرسمية السرية ليعلم انني اذا قلت فيه إنه لا يعرف حقيقة ما كان عليه عبد الحميد في دولته ورجالها قائماً أقول عن علم واختبار لا يمكن لمثله ان يصل الى ذرة منهما لان قصارى ما يصل اليه تنف متعارضة في الجرائد

وما قيل في احمد مختار باشا يقال في محمود شوكت باشا وأمثاله من المشيرين وقواد الجيش وغيرهم من العقلاء الذين لم يصب أشخاصهم شر عبد الحميد وبغية . فاذا كان مثلي في غيرته على الدولة والملة متمها عند الصديق (سامحه الله) لأن بغية عبد الحميد وحكومته أصابنا في أنفسنا وأموالنا وأهلينا فيما ذابتهم هوؤلاء؟ على أنه لو فكر قليلاً لهدأ اضطهاد الحكومة الحميدية لمثلي من أسباب التعديل لا من أسباب الجرح ذلولا الصدق والاخلاص لسهل علي أن أكون مطوقاً بذهب عبد الحميد دون سلاسل غضبه ولا يعقل ان يكون بين أمثالنا وبينه عداوات شخصية

(٥) نرى آخر ما استقر عليه رأي صديقنا انه كان يجب إبقاء عبد الحميد على عرشه ومشاركة جماعة الدستور له واستعانتهم بتجاربه على إقامة الحكومة الجديدة ولكنهم لم يفعلوا ذلك إثاراً للانتقام منه

وقول ان أكثر العقلاء من الأجانب والعمانيين العارفين بالتاريخ يرون انه كان يجب قتله عند الاقلاب الأول وإراحة الأمة من شره وان جمعية الاتحاد والترقي التي كانت تدير القوة غلبت العفو والسماح والرحمة على الشدة والانتقام وظنت أنها تستطيع ان تفسخ سنة من سنن الاجتماع البشري فتحدث انقلاباً في الحكم ، غير ما طخ بالدم ، وقد كنت أنا ممن حذر من التمدي على شخص السلطان ودعا الى الاستفادة من تجاربه في الامور الخارجية في أول مقالة كتبتها بعد إعلان الدستور ولكن أبى الله ذلك فأبى عبد الحميد ان يعيش مع حكومة الشورى والدستور» يرضى

القتيل وليس يرضى القاتل ، فأخذ يكيد لها كما كاد لسابقتها ، فوقع في البئر التي حفرها ،
أما آن لك أيها العاشق لعبد الحميد ان تعرف الحقيقة التي عرقها الارض والسماء
ولم يبق منفذ للشك فيها

(٦) يقول ان محبي الحكم المطلق من مسلمي العراق وكرديستان وجزيرة العرب
والاناطول سيبون الى مقاومة الدستور بعد انقضاء مدة الاحكام العرفية . يعني ان
من خطر الحكومة الدستورية على الدولة أنها مضادة لما عليه السواد الاعظم من المسلمين
وستكون سببا للثورات والفتن الداخلية

وقول ان البلاد التي ذكرها ان كانت جديدة بعلم فهم منافع الدستور لعموم
الجهل فيها كما بينا ذلك في الكلام على تفاوت البلاد العثمانية في الاستعداد والعلم فهي
أيضا لا تعشق الحكم المطلق تفضيلا له على المقيد بحجة دينية أو عقلية وإنما يخشى من الفتن
فيها لان الزعماء الذين كانوا يتحكمون فيها بالدماء والاعراض والاموال شعروا بأن
ايديهم ستغل وسلطتهم ستزول فهم لاجل هذا أحبوا ويحبون مقاومة الحكومة الدستورية
كلما وجدوا الى ذلك سبيلا ولكن الحكومة ستطهر البلاد من شرهم في مدة أقصر
من المدة التي دنسها بهم عبد الحميد ان شاء الله تعالى

(٧) يقول اذا لم يكن لعبد الحميد أنصار محبون فمن هؤلاء الذين تشتمهم الحكومة

العرفية كل يوم

وقول ان أعوان عبد الحميد على تخريبهم المملكة لتعمير بيوتهم وإذلال أهلها
لأجل تفجهم وتعاضهم لا يعقل ان يكونوا غير محبين له ولتتمتع بنعيم سلطته فهم
كأولئك الزعماء الذين ذكرناهم في المسألة السادسة

(٨) انني لأقول شيئا في طعنه بمولانا السلطان محمد الخامس الادعوتة الى التوبة

والاستغفار من هذه المعصية فان لم يجب الآن فانه سيجيب بعد زمن بعيد أو قريب
يعلم فيه أن محمداً الخامس في بني عثمان كهمر بن عبد العزيز في بني أمية ، كما ان عبد
الحميد ، شر من يزيد ، فسلطاننا الآن ليس آلة في يد أحد كما أن الشرع والدستور
لنسا آلة في يده يستعملها بهواه كذلك المساط بالبغي الذي أدال الله لنا منه .

ومن التناقض ان يطلب صاحبنا الجمع بين الدستور واستبداد السلطان واعجب من ذا
ان يعد هذا من الاسلام

(۹) قال ان المقطم تجاوز الحد في ذم عبد الحميد وان جرائد بيروت تنقل عنه الخ
وتقول ان المقطم كان دائماً يطمئن في عبد الحميد وحكمه ولكن يتحامي الطعن
الشخصي الصريح الذي يخشي أن يعاقب عليه القانون المصري الذي يعد السلطان سلطاناً
له وبعد سقوطه زال هذا المانع . أما كونه كان « مخالفاً للحقوق الثرية والمصرية »
وسمي النية فنطلب من صديقنا المناظر الجمع بينه وبين مامدح هو به الانكليز من
العدل وحسن النية واردة الخبير فانه لا يختلف اثنان في كون المقطم كان ولا يزال
مويداً لسياسة الاحتلال لأن مذهبه في حسن نية الانكليز كذهب صاحبنا . وأما
كون جرائد سورية لم تكن تدم عبد الحميد في عهده فهذا من البديهيات التي لا حاجة
الى الكلام فيها . على ان أكثر هذه الجرائد السورية جديدة حدثت بعد الدستور
(۱۰) قال اني اتهمت عبد الحميد بشرب الخمر واستغفر هو الله من هذه التهمة بالنيابة عني

وقال ان وجود الخمر في قصره كان لأجل ضيوفه الاوربيين « الذين كثيراً ما
كانوا يدعون كل يوم على المائدة » يريدان يبرئ كل من كان في القصر من الشرب
واقول لصديقي ومناظري الفاضل اني اعجب لقلبه الشريف الذي يملأه الحب
حتى لا يدع فيه مجالاً لشيء بزاحمه وأتمنى لو افوز بدوام حبه وصادقه . ثم أؤكد له القول
بأنني لم استدل على شرب عبد الحميد للخمر بما نقلت الجرائد من وجود طائفة من الخمر في
يلدز كما فعل اللواء فاني أعلم منذ سنين انه يشرب الخمر وان أكثر من في يلدز كان
يشربها بلا تكبر وانها هناك من المؤونة الضرورية . أعرف هذا من الثقات الذين
أكلوا فيها وخالطوا أهلها . وكثيراً ما كان يذكر في البرقيات العمومية والجرائد شرب
عبد الحميد للخمر في سياق الكلام عن صحته ومرضه ومنها أنه في اوائل العهد
بالاقلاب كان يتغذى بالروم المعتقد . . .

(۱۱) قال ان عبد الحميد لم ينتقم لنفسه من مختار باشا وأمثاله من أحرار الترك

لا يثاره الحلم والعفو

واقول انه لم يكن قادراً على ان يعامل مختار باشا بأكثر مما عامله به وصدقنا

لا يعرف من معاملته له شيئاً قط ولا حاجة الى إعلامه به . وأما انتقامه من الاحرار فلم يذخر فيه وسما فقد قتل رئيسهم مدحت باشا وكثيرين غيره وسجن ونفى خلقا كثيرا . وعوالم المدينة كلها تعرف ذلك حتى ان الافرنج يلقبونه بالسفاح وبالسلطان الاحمر . ولا أحب أن أناقشه فيما ذكره من مدح أخلاقه فانها شعريات لا يؤبه لها وما أحبت له ذلك التشبيه الذي ذكره عند الكلام في شجاعته لان ادبه في نفسي اعلى من ذلك . والذي عليه المحققون ان جمود عبد الحميد في موضعه يوم الزلزلة قد كان من شدة الخوف واضطراب الاعصاب . وما قاله في مسألة الاسطول كلام في الهواء لا عمل يستدل به . وليكن عبد الحميد شجاعا فاذا جنينا من شجاعته التي لم نر احدا قال بها الا صاحب الوطن اوجبه الذي يضرب به المثل غير الخنظل والزقوم

(١٢) اعاد صاحبنا صدى قول المؤيد ان من ضرر الاقلااب الاخير اظهار

كنوز «يلدز» ومخباتها اذ علم من ذلك أنها ليست كما يظن الأوربيون وكان توهمهم ان فيها ما لا يحصى من الملايين قوة خفية للدولة تخفيهم من الاقدام على مناوتها فهي كتوهمهم تعلق جميع المسلمين به

وقول ان هذا القول لا يصدر عن سياسي عارف الا اذا أراد به الخلافة والمخادعة لفساده من وجوه (منها) ان الوهم الين الواضح هو ما تخيله صاحبنا المؤيد ووطن من انه يمكن ان يوجد عشرات من الملايين من النقد الذهبي لا يعرف مكانه الأوربيون الذين يدرون ثروة العالم . ومن الشواهد الصغيرة على ذلك ما ذكرته جرائد الاستانة من أن مدير البنك العثماني فيها لاحظ ان عددا يؤبه له من قرايطسه لا يعود اليه في دورة التعامل فجزم بأنه في «يلدز» وهو ما وجد فيها (ومنها) انهم يعرفون موارد الدولة أكثر مما كانت تعرفها نظارة ماليتها (ومنها) انهم كانوا يعلمون ان عبد الحميد يودع في كل سنة ما يزيد على نفقاته والمال الاحتياطي لهافي بيوتهم المالية (البنوك) وهم يعرفون مقدار ما أودعه في تلك البيوت (ومنها) ان الاعتماد على الوهم في صيانة الدولة وحفظها مما لا ينجح اليه عاقل ، لأنه عرض زائل ، فان أفاد عبد الحميد مدة وجوده ، فهو لا يفيدنا بدموته ، (ومنها) اننا مارأينا آية ولا علامة لخوف دولة من الدول من ثروة عبد الحميد وخلافته عند حدوث الحوادث ،

ونزول الكوارث، وإنما كانوا يطلبون منه الأمر الشائن المنزل له ولدوته فاذا راوغ وهددوه أجاب صاغرا، وخنق متضائلا، ولم ينس أحد تهديد فرنسا له في مسألة الارصنة وانكثرا في مسألة العقبة وايطاليا في مسألة البريد، وما كان يساورنا من الذل والمهانة من سياسته معهم. ثم إنهم ائذعوا في أيامه معظم الولايات الاوربية من الدولة حتى انه لو بقي سلطانا سنة أخرى لذهبت الولايات المكدونية التي هي سياج العاصمة بلا تكبر. فاقروا الله أيها المنتصرون لذلك المدمر الخرب فقد وضع الحق في ذلك لكل أحد

(١٣) بقي ما انتقده الصديق علي من ايراد آيات الا نذار من القرآن في المقالة التي كتبها للعبرة بالاقلاق الاخير قال انه لم يكن يليق بي ان أصوب سهام آيات الانذار من القرآن الكريم الى عبد الحميد الذي لم يبق له شيء من الحول والطول وإن ما جرى له ليس أمرا كبيرا بالنسبة الى ما جرى لقبه من الخلفاء والملوك والكبراء وذكر بعض من قتل وعزل من المتقدمين والمتأخرين

وأقول ان الصديق نفعنا الله بمودته قد حفظ شيئا وغابت عنه أشياء أهمها ان الكلام في تلك المقالة ليس من باب إظهار الشجاعة بمقاومة عبد الحميد بعد ان صار مثلي ليس له سلطة ولا خطر في بالي ان عبد الحميد يقرأها أو يعلم بها وإنما هي تذكري لقرء المنار بعواقب الظلم والإفساد والبغي والغرور بالقوة والغنى والملك والسلطان، ومحاوله الفرد إذلال الامة وقهرها لينالها التمتع بلذة السيادة ولو ازمها فيها: ولو قتل عبد الحميد غيلة كما قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم تكن العبارة التي شرحناها تامة في شأنه

ان صديقنا نظر في المسألة من الجهة الشخصية فعد سقوط سلطة عبد الحميد كقتل عمر وعثمان والحسين (رض) واسر نابليون وعزل بسمارك وقتل مدحت باشا. وما ابعد الفرق بين هذه الحوادث وأشد اختلاف وجوه العبارة فيها. لو صح ما رمي اليه لما كان لنا فائدة فيما ذكره الله تعالى من العبر في هلاك المفسدين والظالمين كفرعون وآله ومن عينهم ومن أبهم قصصهم من السابقين بل لكان ذكرها في كتاب الله تعالى من اللغو الذي يثره كلام الله عنه

قتل عمر لم يكن الا كموته فما خاب به سعيه ولا حبط عمله بل لا يزال يضرب المثل بعده . وفي قتل عثمان من وجوه العبرة ما ليس في قتل عمر لان لينة لبني أمية الطامعين أوجد في الأمة مقدمات الاستبداد ، وولد فيها جرائم الفساد ، فانتج ذلك من الشر ما أنتج . وفي قتل الحسين عبرة أخرى من حيث إنه لم يمدّ للظالمين العدة الكافية بحسب سنن الله تعالى ولم يكن تأثير ظلمهم قد بلغ الحد الذي يوجب سقوط دولتهم . واما نابليون فلم يكن الا مفسدا في الارض مغرّى بسفك الدماء فالعبرة في خذلانه بعد من باب العبرة في خذلان عبد الحميد

والحاصل اننا نذكر صاحبنا بأن العبرة بالحوادث العامة غير مسألة الشهادة يقتل الافراد أو عزلم وذلك مما لا يخفى عن علمه وفهمه لولا انه متألم مما جرى لعبد الحميد تألماً ملأ جوانحه لحسن اعتقاده بسياسته وهو مخبط معذور في ذلك ففسى ان يكون قد استبان له الخلق فصار من انصاره ، كما يليق بفضله وإخلاصه ،

﴿ رسالة المحجوب . من باب الانتقاد على المذبح ﴾

٢

وقد ادعى المحجوب ان الاحاديث التي تدل على جواز دعاء غير الله تعالى كما يفعله العوام كثيرة مشارعها ، مفعمة تضيق المهارق عن استقصائها ، ولم يأت منها بشيء قط فان أثر الاستسقاء ليس حديثاً مرفوعاً وطلب الدعاء من أويس ليس محلاً للنزاع فان الدعاء يطلب من الأعلى للأدنى اذ لا خلاف في فضل عمر على أويس . وكل ما ورد في الشفاعة خاص بالدار الآخرة والوهابية يعترفون به كله ويفرقون بينه وبين الشفاعة التي انكرها الله تعالى على المشركين كما فرق ابن تيمية بينهما في كتبه المتداولة وقد بينا ذلك في التفسير وغيره مرات

قال المحجوب « واما ما جنحت اليه من هدم ما يبني على مشاهد الأولياء من القباب ، من غير تفرقة بين العامر والخراب ، فهي الداهية الداهية والبلية العظمى »

من الظلم ، الذي أضلك الله فيه على علم ، ثم انه بعد سرد جمل واسجاع من هذا السباب أول الأحاديث الواردة في النهي عن البناء على المقابر بقوله « ان محل ذلك الزجر ، ومطلع ذلك الفجر ، في البناء على مقابر المسلمين ، المدة لدفن عاتمهم لا على التمين ، لما فيه من الحرج على بقية المستحقين ، ونش عظام السابقين ، » ثم جعل محل الإباحة كون البناء في ملك الباني وأنه لا حرج فيه ، ثم ذكر ان المسألة محل خلاف بين النظار وان هذا المنكر ليس متفقا عليه ١١١

أقول ما أفسد الدين في أمة من الأمم الا مثل هذا التحريف للنصوص ممن يلبسون على الجهل لباس العلماء فتبعم العامة على تحريفهم فتضل عن دينها وتضل هذه الغاية الرديئة منموا العلم بالكتاب والسنة زاعمين بمجهلهم انه لا يفهمها أحد بعد قرن كذا . ألا يكفي لمن له أدنى إلمام بالعربية وان كان عاميا أنت يضرب بتأويل المحجوب وتحريفه عرض الحائط اذا سمع الاحاديث الشريفة الواردة في ذلك وقد ذكرناها مراراً ونشير هنا الى بعضها

فمنها حديث أنس في الصحيحين وغيرها وحديث عائشة وابن عباس عند أحمد والشيخين وغيرهم وحديث أسامة عند أحمد في لمن أهل الكتاب لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد قالت عائشة « يخذروا ما صنعوا » أي يخذروا النبي (ص) أمته من مثل ذلك وفي رواية لأحمد والشيخين والنسائي انه صلى الله عليه وسلم قال « أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً » الحديث . وفي رواية لابن سعد « ألا ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد فلا تتخذوا القبور مساجد فاني انها كم عن ذلك » والروايات في ذلك كثيرة وهي تدل في جملتها وتفصيلها على ان مدار النهي والحظر تعظيم قبور الصالحين وجعلها في مواضع العبادة كراهة أن يحدث ما حدث فينا حيث اتبع الجماهير منا سنن أولئك الذين لعنهم الرسول (ص) شبرا بشبر وذراعا بذراع فعضموا أصحاب القبور تعظيما وصل الى حد العبادة إذ صاروا ينخشمون ويضرمون اليهم بالدعاء وطلب الحاجات ، اما ان العلماء لو كانوا يعظون الأمة بهذه الاحاديث لما بنت على قبور الصالحين

القباب والمساجد وتعرضت لعنة الله ورسوله ولكن قصر الكثيرون من المطلعين على هذه الأحاديث ثم خلف من بعدهم خلف لا يعرفون الحديث ولا يفهمونه فصاروا يحرفون ما يسمعون ويؤولون للعوام والخواص ما يعملون حتى وصلنا إلى ما وصلنا إليه مع وجود الأحاديث بنصوصها وتفسير المحققين لها

أورد ابن حجر الفقيه جملة من هذه الأحاديث في بيان الكبيرة ٩٣١-٩٨ من كتابه (الزواجر) وهي « أتخاذ القبور مساجد وإيقاد السرج عليها واتخاذها أو ثابا والطواف بها واستلامها والصلاة إليها، ثم قال

« عد هذه الستة من الكبائر وقع في كلام بعض الشافعية وكأنه أخذ ذلك مما ذكرته من هذه الأحاديث . ووجه أخذ أتخاذ القبر مسجدا منها واضح لأنه لمن من فعل ذلك بقبور أنبيائه وجعل من فعل ذلك بقبور صلحائه شر انخلق عند الله يوم القيامة ففيه تحذير لنا كما في رواية « يحذر ما صنعوا » أي يحذر أمته بقوله لهم ذلك من ان يصنعوا كصنع أولئك فيلغوا كما لغوا . واتخاذ القبر مسجدا معناه الصلاة عليه أو إليه وحينئذ فقوله (أي قول ذلك الإمام الذي نقل ابن حجر قوله في كون هذه الأمور الستة من الكبائر) مكرر الا ان يراد باتخاذها مساجد الصلاة عليها فقط ، نعم إنما يتجه هذا الأخذ اذا كان القبر قبر معظم من نبي أو ولي كما أشارت إليه رواية « إذا كان فيهم الرجل الصالح » ومن ثم قال أصحابنا تحرم الصلاة إلى قبور الانبياء والأولياء تبركا واعظاما ، فاشتراطوا شيئين ان يكون قبر معظم وان يقصد بالصلاة إليه ومثلها الصلاة عليه التبرك والاعظام . وكون هذا الفعل كبيرة ظاهر من الاحاديث المذكورة لما علت . وكأنه قاس على ذلك كل تعظيم للقبر كإيقاد السرج عليه تعظيما له وتبركا به والطواف به كذلك وهو أخذ غير بعيد سيما وقد صرح في الحديث المذكور أننا بلعن من أتخذ على القبر سرجا فيحمل قول أصحابنا بكرهه ذلك على ماذا لم يقصد به تعظيما او تبركا بذئ القبر (١)

(١) أي ان وضع السراج والتنديل على القبر له حالان حال كراهة اذا كان القبر غير معظم ولم يوضع السراج عليه بقصد تعظيم وحال حرمة من الكبائر اذا كان قبر معظم كقبور الاولياء

(قال) واما اتخاذها او تانا فحما النهى عنه بقوله صلى الله عليه وسلم « لا تتخذوا قبري وثنا يعبد بعدي » أي لا تعظموه وتعظيم غيركم لأوثانهم بالسجود له او نحوه (١) فان اواد ذلك الامام بقوله « واتخاذها او تانا » هذا المعنى انجه ما قاله من ان ذلك كبيرة بل كفر بشرطه وان اراد ان مطلق التعظيم الذي لم يؤذن فيه كبيرة ففيه بعد . نعم قال بعض الحنابلة قصد الرجل الصلاة عند القبر تبركا بها عين المحادة لله ورسوله وإبداع دين لم يأذن به الله للنهي عنها ثم اجاءا فان أعظم المحرمات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد او بناؤها عليها والقول بالكراهة محمول على غير ذلك اذ لا يظن ظان بالعلماء تجوز فصل تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم لمن صاحبه وتجب المبادرة لها وهدم القباب التي على القبور اذ هي أضرم من مسجد الضرار لأنها اسست على معصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه نهى عن ذلك وامر صلى الله عليه وسلم بهدم القبور المشرفة وتجب إزالة كل قنديل او سراج على قبر ولا يصح وقفه ونذره انتهى »

(المنار) ذكرنا هنا ما قاله ابن حجر قولا وتفقها لا لأن ما جاء به أظهر من الاحاديث الشريفة بل ليعلم من لم يطلع عليه وعلى أمثاله من أقوال العلماء المدققين ان التحريف الذي جاء به ذلك المحجوب تنبو عنه النصوص النبوية الشريفة ويخالفه كلام العلماء المحققين في شرحها وان خصمه ما ضل في هذه المسألة - كما زعم - على علم ولكن هو ضل على تحريف وجهل ، وهكذا كل كلامه منبى بجعله أو تعمده التحريف . ولعل من طبع هذه الرسالة لو استشار كبار علماء تونس كالشيخ سالم أبي حاجب لأشاروا عليه بعدم طبعها لانهم يرون من العار نسبتها الى واحد منهم ثم ذكر المحجوب مسألة زيارة القبور فحما فيها بما هو مشهور على السنة العامة وخصمه لا ينكر الرخصة في زيارة القبور ولكنه ينكر ان تزار لغير ما صرح به في الحديث من سبب الزيارة وهو العبرة وتذكر الآخرة وما غلط به الغزالي من مسألة

(١) اي كالدعاء عنده والطواف به وتقبيله والتمسح به . وهو ما يفعل بقبور الصالحين في المساجد والزوايا والقباب كل يوم .

الاستعداد لا يقوم حجة عليه لانه لا يدخل في مفهوم الحديث بل يخالفه على ان الغزالي لا يبيح تعظيم القبور ودعاء من دفن فيها وغير ذلك مما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك حرف حديث « لا تشد الرحال » فألحق به قيد نذر الصلاة فيها ولو جاز لنا ان تهيد الآيات والاحاديث بما لا تدل عليه عبارتها لما سلم لنا من ديننا شيء ومن جهله بالحديث أنه جعل غاية الاحتجاج وعمدة البراهين على زيارة قبر النبي الاعظم صلى الله عليه وسلم حديث « من زار قبري وجبت له شفاعتي » (كما في ص ١١) وأهون ما قال المحدثون في هذا الحديث انه ضعيف كما ترى في الجامع الصغير للسيوطي ، وكان المحجوب قد حجب والعياذ بالله تعالى عن جميع كتب السنة حتى مثل الجامع الصغير

ثم احتج (في ص ١٢) ببناء سليمان لقبر الخليل عليها السلام وبعض روايات حديث المراج ان جبريل أمر النبي (ص) ان ينزل عند قبر جده ابراهيم (ص) فيصلي ركعتين ففعل وزعم أن هذا حديث صححه المحدثون الثقات وهو كاذب في ذلك بل قال شيخ الاسلام في تفسير سورة الاخلاص انه موضوع ولم يكن لابراهيم صلى الله عليه وآله وسلم قبر مبني قبل الاسلام ولا في العصر الأول له . على انه إذا صح لا يكون حجة على خلاف ما قلناه لانه لا يعارض الأحاديث الصحيحة التي أشرنا اليها إذ لا يدل على ان القبر كان عليه مسجد ولا على انه (ص) صلى إليه أو عليه معظما له بل به تصدق كلمة « عنده » بالصلاة في مكان هناك وان بعد عن القبر . فان فرضنا انه هذا الحديث يعارضها والجمع بينه وبينها متعذر وجب القول بنسخه دونها لأن أحاديث المراج كانت في أول الاسلام وأحاديث النهي عن القبور كانت قبيل وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى انه كان يقولها قبل الموت بخمس ليل ويقول « اللهم اني بلغت » ثلاث مرات ثم قال « اللهم اشهد » ٣ مرات كما في حديث كعب بن مالك عند الطبراني . وأنى للمحجوب أن يطلع على هذا ؟ وحرف أيضا النهي عن وضع السرج على القبور فقال (في ص ١٣) « بحمله على تقدير صحته على فعل ذلك للتعظيم المجرد عن انتفاع الزائرين (قال) واما اذا كان القصد به انتفاع اللاتدين والمقيمين ، فهو جائز بلا من ، وهذا من التحكم في حديث الرسول

صلى الله عليه وآله وسلم بالمهوى وقد علم مما مر عن ابن حجر فساد تحريفه . و بناؤه التحريف على فرض صحة الحديث من دلائل جهله بالرواية وحرف أيضا وأول الندور والذبايح لأصحاب القبور وزعم ان تلك الندور لا تفعل على انها من باب الديانات . وبطلان هذا بديهي لكل مختبر الا انه يجوز ان يكون لم يطلع على ما اطلع عليه غيره من تلك البدع فأطلق النفي كعادة أمثاله من الذين يكلون جزافا

وحرف أيضا الأحاديث الواردة بطمس القبور وتسويتها زاعما ان المراد طمس ما كان من ذلك للجاهلية وانه لا بأس باتباع المسلمين لسنتهم بل زعم ان المسلمين انما يحفرون القبور تحت البناء وهذا لا دليل على منعه والجاهلية بينون على القبور (انظر ص ١٥) وهذه سخافة لا يكاد يرضاها لنفسه عاقل فاذا كانت الأحاديث صريحة في منع تعظيم القبور بالبناء عليها فهل يعقل ان يكون هناك فرق بين تقدم بناء المسجد على القبر أو تأخره عنه ؟؟ على ان المسلمين يفعلون الامرين معا كما هو مشاهد في مصر وغيرها

اما صاحب الذيل لتلك الرسالة (أحمد جمال الدين) فهو أجهل من المحجوب واكثف حجبا فلا يستحق ان يقام له وزن فيرد عليه وبماذا يخاطب من يري شيخ الاسلام ابن تيمية بالانحراف عن السنة وتحقير السلف وهو هو الذي امتاز على جميع علماء الاسلام بنصر السنة وخذل البدعة والدعوة الى اتباع السلف واظهار خطأ من خالفهم من المتكلمين والصفوية والفقهاء بالحجج والينات الثقلية والعقدية ولولا هذا لما تكلم فيه أحد كما علم مما نشرناه من ترجمته في المجلد الماضي ، وان له رحمه الله كتابا في المسألة التي يبرون عنها بالتوسل جمع فأوعى سيطلع به ينشر قبرى ما يقول عباد القبور فيه

أرسل الينا هذا الكتاب لأجل طبعه ونحن نكتب هذا الرد على المحجوب فاختصرنا فيه لأن البيان المطول في مسألة التوسل التي هي أم هذه المسائل سيظهر في هذا الكتاب عن قريب ان شاء الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاحتفال بعيد الدستور العثماني

قرر مجلس الأمة العثمانية المؤلف من المبعوثين والاعيان أن يكون مثل اليوم الذي أعلن فيه الدستور من كل عام عيداً وطنياً للعثمانيين تحتفل فيه الحكومة رسمياً . وصدرت إرادة السلطان الدستوري الأول مولانا محمد الخامس بذلك ، وقد علم من صحف عاصمة السلطنة ان الاحتفال الاول فيها سيكون ذا بهجة وفخامة لم يعهد لها نظير ، يشترك فيه الاهالي مع الحكومة ، يحض أريحياتهم واختيارهم راضين مسرورين لا كاحتفالات عيد الجلوس الحميدي التي كان عبد الحميد ينفق على الرسمي منها وغير الرسمي حتى انه كان يرسل مقدار الزينة من يلذ الى دور الكبراء لعلمه انه لا يكاد يوجد فيهم من ترتاح نفسه الى إنفاق شيء مما ملكته يده على ذلك وان كان مما نهبه بجاه عبد الحميد من مال الامة أو مما باعه للاجانب من مصالحها

سبق لنا بحث في فلسفة هذه الاحتفالات في المجلد الرابع من المثار في مقالة عنوانها (الشعور والوجدان ، وشعائر الام والاديان) (في ص ٦٤١) وفي استدراك عليها (في ص ٦٧٥) وقد بينا هناك ان الاعياد من الشعائر التي تحيي شعور الام بالمعنى الذي وضع العيد لاجله سواء كان دينياً أو اجتماعياً ومما قناه في المقالة :

« إن أهل الغرب اتخذوا ملوكهم أعياداً لإحياء الشعور الوطني الذي يمثله رئيس الدولة في الملكية ، وللدول الجمهورية منهم اعياد باسم الحكومة التي يتزوف بها ويعززونها . وقد قلدهم الشرقيون في الاحتفال بأعياد ملوكهم وأمرائهم لإرضائهم إذ كانوا لا وطن لهم ولا وطنية ، ولا دول عزيزة بحكومتها قوية ، ولا شك ان هذه الأعياد شعائر تبعث الشعور بحب السلطان أو الامير في نفوس الذين يعتقدون

النفع فيه للدولة والامة . فينتفع بهذا المستبدون ، ويفتر به المخزون ، حتى يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون »

وقد مزجنا في هذا بين ما هو مقصود من هذه الاحتفالات بأعياد الملوك والامراء الفا وما كان ينبغي ان يقصد ثم استدر كنا على ذلك في الجزء الذي نشرت فيه المقالة بعد ذكر الاحتفال بدوم الأمير من أوربا فيينا ان الشرقيين لم يتبعوا الغربيين في ذلك وانما يحتفلون بالملوك والامراء لذواتهم لا للمنى وطني عام . قلنا « والصواب ان الشرقيين اشد الناس تعظيما لملوكهم منذ القدم وحسبك انهم عبدوهم من دون الله ، وأنهم لا يزالون يقدسونهم بقدر ما لهم من السلطة والاستبداد . وأما مسألة إحياء الشعور قترى بعض الجرائد تنوه بضدها ذاهبة الى ان هذه الاحتفالات منبعثة عن الشعور بعظمة من احتفل لأجله ووجه . وربما يصح هذا من بعض المحتفلين الذين لهم فيه منافع تولد هذا الشعور وإنما الظلم في إسناده الى الأمة مع ان القائمين به أفراد معدودون معروفون » اه المراد منه هنا

وأقول الآن إن الاحتفال لذ كرى جلوس السلطان عبد الحميد قد كانت من أسباب انتشار الشعور بعظمته في نفوس من لم يذوقوا ظلمه ونفوس من ذاقوه من حيث لا يعلون انه منه وكذا من عرفوا ولكن شعور هؤلاء بعظمته في امتهم كان يزيدهم شعورا بمقته وبفضه ، ولم يحل دون ذلك الشعور كله كون النفقة على الاحتفال الرسمي منه كانت من مال الحكومة وعلى غير الرسمي من اموال المرائين في الغالب ان تقوية الشعور بعظمة الامراء والسلاطين في نفوس الأمة يضعف فيها الشعور باستحقاقها للسلطة واهليتها للحكم الدستوري فتبقى ذليلة مهينة . ويقابل هذا كون الاحتفال بعيد الدستور يقوي في الأمة الشعور بكرامتها واستحقاقها للحكم الذاتي . واذا كان سلطانها راضيا لها بذلك مشترك معها فيه — كما هو شأن سلطاننا محمد الخامس ايده الله تعالى — كان ذلك مما يحبه اليها ويرفع مكانته في نفوسها مع العلم بأن عزته بعزتها وعظمته بعظمتها دون العكس

لهذا المعنى وضع عيد الدستور للأمة العثمانية ، وتعلقت به الإرادة السلطانية ،

ولهذا المعنى يحتفل العثمانيون بهذا العيد الوطني حينما كانوا ، وائما حلوا ، وستكون
عنايتهم بذلك على قدر فهمهم لقيمة الدستور وشعورهم بفائدته

أفنا نحن العثمانيين المقيمين بمصر لجنة لجمع المال ، والقيام بما يحسن من
الاحتفال ، وشاركنا في ذلك اخواننا المصريون ، وما هم الا مثلنا عثمانيون ، واذا
قوبل الخالص بالعام ، يراد بالعام ما وراء الخالص ، وسيكون احتفالنا في حديقة
الازبكية ، بكيفية لم يعهد لها نظير في الاعياد القومية والراسمية ، تتجلى فيها الحديقة
متلاثة بالانوار الكهر بائية ، وأبدعها ما يمثل منها الشارات العثمانية ، وتأتلف فيها
اصوات اشهر المطربين ، بنفحات احسن آلات الموبسقين ، وتعرض فيها الصور
المتحركة البديعة ، لا سيما صور حوادث الأستانة الاخيرة ، وغير ذلك من أسباب
الانس التي تتوخى في هذه المواسم

وقد ألف أهل الاسكندرية لجنة لإقامة احتفال عمومي أيضا وسيكون هنا وهناك
زيارات خاصة يقيمها الافراد على بيوتهم أو امكنة أعمالهم فتجلى بهذه الاحتفالات
عثمانية المصريين واخلاصهم للدولة العلية كما تجلى فيها حبهم للدستور ومعرفتهم لقيمتهم
يذهب بعض رجال الدين الى ان هذه الأعياد الوطنية والسياسية محظورة في
الاسلام لأنه لم يأت الا بعيدين فقط هما عيد الفطر وعيد النحر فالزيادة عليها
بدعة . وقد سمعنا هذا القول من أحد العلماء فقانا له ان البدعة الدينية انما هي فيما
يصل على انه من الدين فقولك هذا انما يصدق على الموالد التي صبغت بصبغة
الدين دون هذه المواسم المشتركة بين أهل الأديان المختلفة التي لاصبغة للدين
فيها . نعم يتجه ان يقال ان الدين يحظر من المواسم الدنيوية ما وضع منها لتقصده
ضار كتعظيم الملوك الظالمين وتقوية سلطتهم دون ما وضع لتقصده نافع كتعزيز
الأمة ورفع شأنها

المتشركون الماطلون

بعض الماطلين في القطر المصري معذور بما أصابه من الصرة المالية وبعضهم
يعتذر بها بغير حق ولكن ما بال أهل سنغافوره وجاوه وروسيا الذين كنا نهدمهم
أحسن المسلمين وفاء كادوا يكونون كأهل تونس مطلا وهضما